

# الهند – درة السلاطين فى ظل الإسلام

الحقبة الإسلامية  
مالها وما عليها



وصية بائرن لابنه همايون  
وعليك تجاهل النزاع والتخاصم بين الشيعة والسنة ، فهو منبت الضعف فى الإسلام

محيى يوسف – سفير سابق



أنقاض  
مسجد بابر  
مؤسس دولة مغول الهند  
هضبة رامكوت  
هدمه  
المتعصبون الهندوس  
بدعوى  
بنائه محل معبد ميلاد الإله راما  
أيدت المحكمة حق الهندوس  
في إسترداده



خرائط توضيحية  
 بجغرافية حركة تاريخ الحقبة الإسلامية



" إني والإنس والجن في نبأ عظيم، أخلق ويُعبد  
غيري، أرزق ويُشكر سواي، خيري إلى العباد  
نازل وشرهم إلى صاعد، أتودد إليهم بالنعيم وأنا  
الغنى عنهم!....."

حديث قدسي<sup>(١)</sup>

---

<sup>١</sup> - جزء من حديث قدسي المصدر "جامع الأحاديث القدسية" و "فيض القدير".

## الكتاب الأول إتهامات المؤرخين

### الفصل الأول

إتهامات المؤرخين بين الحقيقة وظلها

- الإتهامات ومحاذير عملية التأريخ
- تناقض سلوك السلاطين مع جوهر العقيدة
- عدم إثقال العقيدة بأوزار تابعيها

### الفصل الثاني

#### الإتهامات

#### الحقيقة والظل!

- الإتهام الاول... أصالة الملحمة فى شخصية الهند ( ضخامة قتلى الحقبة ) .
- الإتهام الثانى .... إستعمار أم مواطنة
- الإتهام الثالث .... إستهداف العقيدة الهندوسية ( تخريب أصنام الآلهة ومعابدها )
- الإتهام الرابع ... الإستعباد / السبى/الدعر/ النخاسة

خاتمة الكتاب الأول ..... وجهة نظر هندية لتراث الإسلام

## الكتاب الثانى

### التاريخ

يتحدث بأسراره

الباب الأول .... العلاقات العربية الهندية

الفصل الأول ..الهند عند العرب

الفصل الثانى...الإسلام والهند

الفصل الثالث ... تبادل الرسائل والهدايا بين ملوك الهند والخلفاء العباسيين

الفصل الرابع... أساطير هندية علاقة الهندوس بالكعبة

الباب الثانى الفتوح الإسلامية

الفصل الأول ... الحقبة العربية غزو السند فى القرن الثامن الميلادى

الفصل الثانى ...الحقبة التركو/ أفغانية

الباب الثالث... الفتوح

الفصل الأول ...طبيعة الفتوح العربية .

الفصل الثانى ...طبيعة الفتوح التركو/أفغانية.

الباب الرابع...الفتوح التركو/أفغانية/بابرية

الفصل الأول ... الفتوح

الفصل الثانى ... دول سلطنة دهلى .

الفصل الثالث ... دولة المغول البابريين .

الباب الخامس... المخاض السياسى والدينى / من حقبة الطغلقا الى حقبة أكبر.

تسلسل العرض

الفصل الأول الفتوح

- السلطان الفاتح محمود الغزنوي - الدولة الغزنوية

٩٩٨ - ١٠٣٠

- السلطان شهاب الدين محمد الغوري

(١١٦٢ - ١٢٠٦م) الدولة الغورية

الفصل الثاني سلطنة دهلي (جهلي) ودولها• دول المماليك ٦٠٢ - ٦٨٩ هـ / ١١٩٤ - ١٢١٠ م١- السلطان قطب الدين أيك - مؤسس الدولة وسلطانها الأول  
١١٩٤ - ١٢١٠.

٢- دولة آل لَمِش

- شمس الدين لَمِش مؤسس الأسرة ١٢٠٤ - ١٢٢٩ م (١)

- ركن الدين فيروز شاه ٦٣٣ / ٦٣٤ هـ

- جلالة الدين راضية ( رازيا سلطانة ) ٦٣٤ / ٦٣٨ هـ  
أول امرأة تحكم الهند.

- معز الدنيا والدين بهرام شاه .

- علاء الدين مسعود شاه.

- ناصر الدين محمود بن شمس التتمش ... السلطان الزاهد

. (١٢٤٦ - ١٢٦٦)

٣ - دولة بلبن

- غياث الدين / بلبن ٦٦٤ - ٦٨٤ هـ مؤسس الدولة.

- معز الدين قيق باد بلبن (قايق) آخر سلاطين دولة المماليك.

• دولة الخليجين ١٢٩٠ - ١٣٢٠ م

- جلال الدين فيروز شاه الخليجي ١٢٩٠-١٢٩٦م مؤسس الدولة.

- علاء الدين سكندر شاه الخليجي ١٢٩٦ / ١٣١٧ م

الفتح الأكبر وهازم المغول.

- قطب الدين مبارك الخليجي -نهاية الدولة الخليجية

• سلطان عرضي /السلطان ناصر الدين خسرو خان السلطان الهندوسي / المسلم.• دولة الطغلقا:

- غياث الدين طغلق ١٣٢٠ - ١٣٢٥م مؤسس الأسرة.

- محمد بن طغلق ٧٢٥- ٧٥٢ هـ / ١٣٢٥-١٣٥١ م الدموي.

- فيروز شاه طغلق ٧٥٢ / ٧٨٩ هـ ١٣٥١ - ١٣٨٨ م

- ناصر الدين محمود شاه طغلق (الفترة الثانية)

٧٩٦ - ٨١٥ هـ / ١٣٩٤ - ١٤١٣

الفصل الثالث - مخاض ما بعد دولة الطغلقا

الهند بين حقبتين من طغلق الى أكبر

أولا المخاض السياسي

السلطنات الوليدة

(١) البنغال.

(٢) الكجرات

- الصراع التجاري في بحر العرب بين البرتغال وتحالف قاليقوت / الكجرات/مصر

- صراع ما بعد ديو التحالف الإسلامى الهندوسى /آل ماركار/ قاليقوت فى مواجهة البرتغاليين

(٣) مالوا

(٤) سلطنات الديكان وإمبراطورية فيجاياتاجارا الهندوسية – ماراثا والحكم الذاتى للهندوس- ميوار..

(٥) الصراع على دهلى :

\* ملوك شرق ( سلطنة جاونبور) ١٣٩٤ - ١٤٧٩ .

\* السيديين .

\* اللودهيين .

\* البابريين. (الدولة المغولية الأولى – الدولة المغولية الثانية)

ثانيا .... المخاض الدينى .

• السيخية وإمبراطوريتها.

• أكبر والإنتقلاب على الإسلام

•

الفصل الأخير تفكك دولة المغول

خاتمة

## مقدمة توضيحية

### المسميات

رأينا من المفيد تأصيل المسميات طبقاً لأصولها التاريخية وبلغاتها الأصلية ؛ كما رأينا توفيق النصوص المترجمة وإختزالها بما يتناسب وجمال اللغة العربية دون الإخلال بمضمونها ، و قد إستلزم الأمر توضيح الآتى :

- إستخدمنا دهلى الإسم الأسمى لسلطنة المسلمين الأولى فى الهند بدلا من دهلى الإسم الحالى للمدينة ؛ و دهلى هو الأسم الذى دأب المؤرخون المسلمون على تداوله فى كتبهم .
- إستخدمنا فى وصف فترة الحكم الإسلامى رغم تجاوزها ثمان قرون ؛ لفظ " حقة " خروجاً عن مضمون اللفظ اللغوى المحدود بـ " عشر سنوات " ؛ مجازاً لما تواتر عليه العرف فى إستخدام لفظ حقة فى وصف فترات زمنية بصرف النظر عن المدة التى إستغرقتها .
- ونود التأكيد بأن توصيف الحقة بالإسلامية ليس له أى علاقة بجوهر العقيدة ؛ وما هو إلا تعبير عن هوية أصحابها الذين كان إرتباطهم بالعقيدة مجرد قشرة عاطفية.
- لكل سلطان من سلاطين الهند عدة أسماء ؛ إسم عند الميلاد يختلف عند العديد منهم فى معظم الأحوال عن إسمه الرسمى عند إرتقاء العرش عادة ما يُقرن اليه لقب عربى مزيل بالدين مثل ناصر الدين ، مغيث الدين ، غياث الدين الخ ، وقياساً على ذلك فإسم السلطان بلبن مشمولاً بلقبه الرسمى هو / غياث الدين بلبن ، وإسمه قبل إرتقاء العرش " الغ خان " ؛ وإسم السلطان طُغلق مشمولاً بلقبه الرسمى هو غياث الدين / طُغلق ، وإسمه قبل إرتقاء العرش " غازي مالك " ، والمقصود من التوضيح تجنب الإعتقاد بانفصال الشخصية عند الإطلاع على سير هؤلاء السلاطين قبل وبعد تولى الحكم ، حتى لا يعتقد القارئ أن هذا ليس ذاك .
- ذكرنا أسماء ملوك الهندوس مسبوقة بصفاتهم الرسمية كما هي فى أصل لغتهم ؛ وقد لزم التوضيح حتى لا يختلط الأمر على القارئ ، فقد لاحظت أن كثير من المراجع ذكرت الألقاب على أنها جزء من الأسماء ؛ فجعلوا الألقاب التالية " راي - راج - راجوت - شاهترباتي - بيشوا - رانا - مهراج .. الخ " ، وتعنى الأمير - الشريف - الملك - الزعيم - الحاكم ؛ وكأنها جزء من الإسم ، ف راج كنبيلة تعنى حام أو مالك أو صاحب ؛ بينما كنبيلة هو إسم الإقليم ، وعلى هذا النحو ورد



جورو أى الزعيم الروحى والمرشد والمُعلم عند الشيخ على أنه جزء من الإسم وليس لقباً .

- إستخدمنا لفظ إمبراطور وسلطان المتعارف عليه فى اللغة العربية كلقب للحاكم بدلاً من الألقاب الفارسية بادشاه (إمبراطور) و شاه (ملك)، الذى دأب سلاطين الهند على إستخدامها فى وصف أنفسهم كملوك ؛ بسبب طغيان اللغة الفارسية على الثقافة العامة فى سلطنة دهلى ؛ وتجنبنا للخطأ اللغوى الذى يسببه سبق الإسم للصفة فى اللغة الفارسية مثل أحمد شاه أى الملك أحمد ؛ فيحتسب غير الملم بهذه القواعد الفارسية أن أحمد شاه جميعه إسم مشمولاً بإسم الأب (شاه) ؛ بينما هو صفه ، و بسبب الجهل بهذه النقطة لاحظت أن البعض كتب الإسم واللقب على النحو التالى " الملك احمد شاه " ظناً بأن شاه إسم الأب ، والسبب الثانى أن لفظ ملك كان يعنى مرتبة أقل من الشاه أو السلطان عند مسلمى دهلى ، الذين كانوا يُطلقون على حاكم الإقليم التابع لدهلى ملك وأحياناً مالك .

### التدقيق والتحقق

- إعتدنا فى جمع المعلومات والخرائط الخاصة بالموضوع على مصادر متنوعة من كتب وبحوث ومقالات ورقية وعنكبوتية بعد تدقيقها والرجوع الى أصولها إذا ما تيسر لإستجلاء غموض مضمونها ، أو ردها للعقل لتحكيم المنطق إن تجاوزت حدود المعقول ، وقد تحصلنا على الخرائط والصور ومضمون العرض التاريخى مما وفرته مقالات وأبحاث وهى وفيرة بالموسوعة الحرة (ويكيبيديا) بمواقع بالشبكة العنكبوتية .
- راعينا عند الإقتباس التحقق من معاصرة راوى الحدث أو تواجده فى محل الحدث أو مع أو بين أبطاله ؛ فروايات ابن بطوطة عن أسرة السلطان للمش (أ) كانت ضبابية لأنه لم يُعايشها رؤيا العين والسمع ؛ بينما كانت روايات الجوزجاني فى هذا الشأن أصدق لأنه كان شاهداً ومؤرخاً بل أحياناً مشاركاً فيها ، بينما لا يجارى أحد صدقية ابن بطوطة فيما يتعلق بتاريخ السلطان محمد طُغلق لأنه كان فى كنفه وشاهد عيان عليه لثمان سنوات ؛ مع تحفظنا على بعض ما أورده.
- شكلت تواريخ التقويمين الهجرى والميلادى معضلة حقيقية ؛ فأخطئنا شائعة عند معظم المراجع ، وفضلنا فى بعض الحالات عدم ذكر التواريخ إذا لم تكن هامة ، وندرجوا من كل من أدرك خطأ أياً كان نوعه

٣ - كتابة الإسم ونطقه حسب تشكيل ابن بطوطة ؛ وكثير من المراجع تكتبه التميمش .

أن يتفضل ويوافقنا به على البريد الإلكتروني المدون في كعب الصفحة لتصحيحه (٤).

- دققنا كل صغيرة وكبيرة حتى لا يجد القارئ الغاز بلا حل ؛ وهذا سبب كثرة الحواشي في كعب الصفحات ، وأتعبتنا عملية التدقيق لكثرة تضارب الروايات ؛ فمن الشائع الا تخلوا الأعمال التاريخية أبدا من الأخطاء ؛ لإعتمادها على الإقتباس من أشخاص تناقلوا أحداثا وقعت قبل ميلادهم بقرون ؛ وقد شهدنا إختلافا بينا في مضمون كثير من المراجع التي إستقينا منها موضوعنا ؛ فمنها من إختزل الحدث فتاهت منه الحقيقة بسلاستها وتسلسلها ، ومنها من إختلط عليه الأمر لتشابه أسماء أبطاله ؛ فينسبون أفعالا لغير أصحابها أو في غير موضعها ؛ وقد لاحظت تخبط العديد من المصادر في أخبار الحقبة ، ما أدى بي لتجاهل بعض أخبارها لعدم القدرة على تدقيقها ووضعها في سياقها التاريخي الصحيح ، وفي بعض الأحيان إضطررت الى الأخذ بها لأهميتها في نطاق آخر.
- رأينا من الأنسب لدواعي التبويب ، تجزئة العرض في كتابين (الكتاب الأول) يتناول الإتهامات والرد عليها ، و(الكتاب الثانى) لإستعراض التفاصيل التاريخية المتعلقة بمحتوى الكتاب الأول ؛ وعدلنا فى مواقع الصور لمشكلات خاصة بـ / word .
- إضطررنا الى تكرار بعض التفاصيل مرة كإشارة مختصرة ومرة بتفصيلاتها ؛ حسب الغرض منها لتكون فى موقعها الصحيح ، وهذا التكرار لا يُعيب العرض.
- ونود التأكيد على أن الكتاب رسالة مختصرة مجرد مرتكزات وليس عرضا كاملا لتاريخ الحقبة ؛ فهو ليس هدف الكتاب .

## إستهالة الكاتب

### الدافع وراء هذا العمل

#### (جمال الأثر وسوء الخبر)

كان إنبهار الباحث بالآثار الخالدة للحقبة الإسلامية في الهند الدافع وراء هذا العمل ؛ فلم تكن معرفة الباحث بآثارها قد تجاوزت تاج محل ذلك الأثر المبهر الذي يُتوج الهند بخلوده ؛ وزاده إنبهارا ؛ التعرف على المزيد من تراث الحقبة الذي نال حظا من عالمية الخلود (°) ، ولما إسترسل الباحث في التعرف على تاريخ الحقبة ، إستوقفه وصف بعض مؤرخي الغرب تاريخ الحقبة بالأكثر دموية في تاريخ الهند ؛ وزايد بعضهم بأنه " الأكثر دموية في عموم التاريخ " ؛ وإنترعها بعضهم من سياقها التاريخي ليسقطها بظلال خبيثة على الإسلام للنيل منه كعقيدة ، في خلط مقصود بين ما هو سلوك بشري بحت يختلط فيه الحابل بالنابل وبين ما هو من شأن العقيدة ؛ وهلل معهم في السرب بعضا من مدعى العلم المحسوبين على الإسلام ، وحفزنا هذا على الخوض في تاريخ الحقبة لسبر غورها و سرائر سلاطينها تقصيا للحقيقة ، ليس دفاعا عن المسلمين ولا هجوما على الهندوس فكليهما بشر يُصيب ويخطئ ، ولكننا قصدنا عدم تحميل العقيدة بوزر سلوك تابعيها.

ولما كانت الهند وحدها قد إنفردت دون سائر بلاد فتوح المسلمين بوصف حقبتها الإسلامية بالدموية ؛ كان من الضروري التطرق الى مكون شخصية كل من الهند من ناحية والفاحين المسلمين من ناحية أخرى ؛ بحثا عن الأسباب التي أفرزت تلك الإدعاءات ، وأول ما يخطر على البال معرفتنا بطبيعة العنف المتجذر في المكون الشخصي لشعوب آسيا الوسطى (المغول والترك) في ساحات القتال ؛ فما بال الهند ! ألدتها هي أيضا في مقومات شخصيتها ما يجعلها شريكة في الأمر ؟.

### الهند جزء من تاريخ الإسلام

وبعد سبر قدر كاف من تاريخ الحقبة الإسلامية في الهند ؛ يمكننا القول بثقة أن الهند كانت وستبقى جزءا أصيلا وجميلا في تاريخ العالم الإسلامي ؛ جزءا يدعمه تراث فريد تجذرت أصوله بعمق في قلب الهند ؛ أسفر عن وجود كتلة بشرية ضخمة من المسلمين حوالى ٣٠٠ مليون نسمة في وقتنا الحالى ؛ تُشكل ٣٠% من إجمالي سكان شبه القارة الهندية على إتساعها ، ووجود منشآت شامخة فائقة الروعة ، وتوغل

°° - إنضم عدد من روائع الحقبة الإسلامية في الهند الى قائمة التراث العالمى منها تاج محل الذى فرض نفسه عجيبة من عجائب الدنيا السبع الجديدة ؛ و قلعة اجرا - مقبرة همايون - مسجد فاتح بور سكرى - قطب منار وآخرون .

ثقافى للإسلام فى نسيج الثقافة الهندية ؛ وإفراز لغات مشتركة جمعت مفردات شتى من لغات عالم الإسلام تركية وفارسية ومغولية وعربية وهندية.

لقد توج المسلمون الهند بتاريخ مجيد من العظمة فى كل المجالات ، لقد كان سلاطين المسلمين بناؤون عظاماء مُولعين ببناء المدن ؛ يشهد على ذلك أسماء المدن التى يقترن بها مقطع آباد فهناك أحمد آباد ومصطفى آباد الخ من هذه الأسماء التى أسسها سلاطين الديكان وبيجاپور ، غير ما بناه سلاطين دهلى ومن بعدهم المغول (بنى السلطان أكبر فاتح سكرى) ؛ وتذخر عواصمهم بمنشآت رائعة الجمال من قصور وأضرحة ؛ وهم من إبتدعوا حدائق القصور والمنتجعات المعروفة بالحدائق المغولية وجلبوا لها النباتات من الخارج وبنوا وصنعوا نظما للرى ، وطور السلاطين مدنهم من بُنى تحتية ومدوها بمياة الشرب بخلاف ما أقاموه من منشآت وطرق وقنوات ونُظم رى .

لقد أدهشت مدنهم الرحالة الزائرين ؛ فإين بطوطة عد جهلى (دهلى) قاعدة بلاد الهند أعظم مدن الإسلام بالمشرق ، وإمتدح جان بابتيست تافيرنييه تاجر المجوهرات بيجاپور عندما زارها الفترة ١٦٣١ - ١٦٦٧ ، وشاركه الرأى الرحالة الهولندي بالدبوس والجغرافى الإنجليزى أوجيلبى وآخرون ؛ فقالوا أنها من أعظم مدن آسيا ولطابعها كملتقى للتجارة العالمية وتنوع روادها لقبوها تدمر آسيا إسوة بمثلتها فى الشام .

لقد دخل المسلمون الهند غزاة غرباء ؛ وأسبغت عليهم الهند الكثير من خلاصة روحها بحكم الزمن ؛ فأصبحوا جزءا من ترابها بفعل سنن الحياة ؛ فإنسل من رحمها هجينا لا يعرف له وطنا غيرها وتأصلت فيهم روحها ، فنضجت الوحدة الوطنية العابرة للإنقسامات فى إطار التعددية التى تحظى بها شخصية الهند التى تتسع للإختلاف ؛ وتجلى المثل الأعظم لهذا الإندماج بالتحفاق القسم الأعظم من الهنود على إختلاف إنتمائاتهم حول الإمبراطور المغولى ذو الجينات المشتركة (التركى / راجبوتية " أبو ظفر سراج الدين محمد بهادر شاه " آخر سلاطين المغول ذو الـ ٨١ عاما ، وأجمعوا على دعوته لتزعم ثورة الهند الكبرى عام ١٨٥٧<sup>(١)</sup> ) وتقبله بعد ضغوط .

### وجهة نظر هندية

#### لتراث الإسلام

ونختتم هذه الإستهلاله بملاحظات شخصيات هندية يُعتد برأىها فى الإشادة بتاريخ الحقة الإسلامية فى الهند ؛ فرئيس وزراء الهند جواهر لال نهرو فى كتابه "

<sup>١</sup> - يُطلق عليها أيضا- تمرد السيوي - التمرد الهندي الكبير - حرب الاستقلال الأولى.

إكتشاف الهند " يقول " إن مجئ الغزاة من شمال غرب الهند (يقصد العرب) بالإسلام كان له أهمية كبيرة في تاريخ الهند ، فقد فضح الفساد المستشري في المجتمع الهندوسي من جراء التقسيم الطبقي ، لقد أثرت فكرة الأخوة الإسلامية التي تحقق المساواة بين الناس تأثيرا عميقا في أذهان الهندوس ؛ وكان أكثر من تأثر بها اليوساء الذين حرّمهم المجتمع من الحقوق الإنسانية ، ويستطرد قائلا بفضل الإسلام تخلّصت الهند من إنعزاليتها عن العالم " .

وتعرض نهرو لموضوع إستعباد السلاطين لأسرى الحروب من الهندوس ؛ فذكر أن الإسلام وفر فرص كبيرة وبسيطة لفك عبودية الأسرى أقلها إعتناق الإسلام ، وإن لم يعتنق الأسرى الإسلام فلن يخسروا كثيرا فقد إستبدلوا عبودية الذل شديدة الوطأة بعبودية الأسر الأقل وطأة ، فالمنبوذين يتخلصون بإعتناق الإسلام من واقع إجتماعي مظلم لواقع يتساوون فيه مع بقية الناس فقال "لقد إستبدلوا عبودية عنيفة بعبودية أقل وطأة تنتهي بهم الى إعتناق الإسلام لتأخذهم الى الحرية الأبدية وهو ما كان يحدث دائما " (٧) .

وأشاد في موضع آخر من نفس الكتاب بشخصيات مسلمة وضعها في مصاف شخصيات الهند الخالدة بما تركته من بصمات على تاريخ البلاد ، فيقول " في التاريخ الهندي أبطال سعوا إلى توحيد الهند في مقدمتهم "أشوكا (إمبراطور هندوسي إعتنق البوذية) ، كابير (أعظم المنشدين والمُغنين الصوفيين في هند العصر الوسيط) ، جورو ناناك (مؤسس السيخية) ، مير خسرو (أبو الأدب الأوردي) ، جلال الدين أكبر (إمبراطور مغول الهند الذي عمل على توحيد الهند والتقريب بين شعوبها بفك الإشتباك بين عقائدها) ، وغاندي" (٨) .

وأشادت أنديرا غاندي رئيسة وزراء الهند وابنة نهرو في كلمتها بمناسبة إصدار حكومتها طابع بريد تذكاري لمرور ١٤٠٠ عاما على الهجرة النبوية ؛ بإسهامات تراث الإسلام في تطوير الحضارة الهندية فقالت " إننا ندرك فضل مساهمة الإسلام في تطوير حضارتنا ؛ الذي لولاه ما كانت الهند على ما هي عليه الآن (٩) .

٧ - إكتشاف الهند ص ١٨ - نهرو ، نقلا عن كتاب المسجد البابري قضية لا تُنسى - عيد الباسط عز الدين .  
٨ - مير خسرو الدهلوي ( مير تعنى أمير وهو مجرد اسم لا صفة ) المكنى بأبي الحسن الملقب بيمين الدين هو شاعر مزدوج العرقية بين اب مسلم من نبلاء الالخطائين من وسط آسيا و أم من نبيلات الهندوس ( الراجبوت ) ، وُلد ببتيالي بالهند عام ٦٥١ للهجرة (١٢٥٣ للميلاد) وتوفي عام ٧٢٥ هـ (١٣٢٥) ويُعرف بـ "أبو الأدب الأوردي" ؛ كتب أشعاره بالهندوكية والفارسية وله منهما أعمال كثيرة ؛ عمل ببلاط الخلجيين وأشاد بانتصاراتهم في أشعاره لكل من فيروز شاه ومن بعده علاء الدين خلجي ، إعتبر نهرو تراثه الأدبي عامل توحيد للهند.  
٩ - المرجع السابق .

وأشاد الكاتب الهندي ن. س. مهاتا في كتابه الحضارة الهندية والإسلام، فقال " حمل الإسلام مشعل نور الى الهند ؛ إنجلت به الظلمات التي غشيت الحياة الإنسانية في عصر مالت فيه المدنيات الى الإنحطاط ..... لقد كانت فتوح الإسلام في عالم الأفكار أوسع وأعظم منها في حقل السياسة ..... لقد كان من سوء الحظ أن تاريخ الإسلام في هذا القطر ظل مرتبطا بالحكم فبقيت نفحاته الجميلة محجوبة عن الأنظار(١٠) " ، وهذا الكاتب (ن. س. مهاتا) لديه بصيرة نافذة أصابت قلب الحقيقة ؛ بالأخذ الإسلام كعقيدة بجريرة أعمال تابعيه ؛ فلا يجب أن نحمل العقيدة بوزر سلوك تابعيها .

ونوه الباحث **KKN Kurup** نائب جامعة كاليكوت بالنتائج الإيجابية للنضال الوطني المشترك لأباطرة قليقوت وقادة بحريتهم آل ماراكار أسود البحر المسلمين ضد البرتغال في بحر العرب لمدة قرن تقريبا ؛ بإعتباره أحد العناصر الناشئة للقومية المبكرة في الهند من ناحية ؛ والذي لولاه لتأثر تطور لغة وثقافة المنطقة في إطارها الوطني سلبا ؛ إذا ما سيطر البرتغاليون على المنطقة كما فعلوا في جوا بحظر اللغة الكونكانية وجرموا التحدث والكتابة بها بما يستوجب أشد العقاب.

ونختتم هذه المقدمة ؛ بإعتراف ساقه كاتب المقال المعادي يتندر فيه بنبرة يشوبها الحسرة بتجذر مؤثرات الإسلام في قلب الهند بقوله " أن الهند لا تُعتبر امة هندوسية بشكل حقيقي وإنما هي ظلا للإسلام " .

**والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.**

**القاهرة**

**أغسطس ٢٠٢٣**

**محيي يوسف**

الكتاب الأول  
الإتهامات

## الفصل الأول

### إتهامات المؤرخين ومحاذير عملية التاريخ

#### الإتهامات

روج موقع من المواقع المعادية للإسلام مقالا على الشبكة العنكبوتية ؛ بعنوان الغزو الإسلامي للهند - أكبر مذبحه في التاريخ (١١)، ضمنه فقرات من كتابات بعض المؤرخين الغربيين وبعضا من المسلمين ؛ تعرضوا فيها لحكم المسلمين في الهند واصفينه بالإستعمار الأكثر دموية في تاريخ البلاد ؛ وزايد البعض بأنه " الأكثر دموية في عموم التاريخ " ؛ وأهم ما تضمنته الإتهامات :

#### - الكاتب الأمريكي ويل ديورانت

إنقذ ويل ديورانت في كتابه " قصة الحضارة " حكم المسلمين في الهند قائلا " أن الغزو المحدي كان على الأرجح القصة الأكثر دموية في التاريخ ؛ فقد سجل المؤرخون المسلمون بفخر شديد المذابح التي إرتكبها المسلمون ضد الهندوس خلال فترة حكمهم الهند من عام ٨٠٠ الى ١٧٠٠ ميلادية ، وتحويل الملايين منهم قسرا الى الإسلام ؛ وإختطاف النساء والأطفال والمتاجرة بهم في أسواق العبيد ، وقيام جيوش المسلمين بتدمير المعابد " (١٢) ، وحاول ويل ديورانت ومعه مروجو الإتهامات إسباغ الصدقية على إتهاماتهم ؛ فذكروا أنهم إستخلصوا هذه المعلومات من شهادات المؤرخين المسلمين لينفضوا عن أنفسهم سوء النية وخُبت القصد ؛ إستنادا للمثل القائل شهد شاهد من أهلها.

ولما راجعت كتابه عن الهند من مؤلفه الضخم " قصة الحضارة " ، وجدته وقد ضمنه روايات غاب عنها المنطق ويغلب عليها المبالغة وهو الكاتب الكبير ؛ فذكر في ص ١٢٠ أن كرشنا رايا ملك فيجاياناجارا كان يقتنى الف زوجة ؛ وفي ص ١٢٧ ، ذكر أن السلطان علاء الدين الخلجي أعدم في يوم واحد ما بين ١٥-٣٠ ألفا هم جميع الذكور في الحى المغولى الذى وطن فيه فيروز شاه أسراه منهم بعد إسلامهم ، عندما رفضوا تسليم بعض الغنائم ؛ والمنطق لا يقبل الفارق الكبير بين رقمى ١٥ و ٣٠ .

١١- Islamic Invasion Of India: The Greatest Genocide In History-

١٢ - قصة الحضارة: تراثنا الشرقي ص ٤٥٩ الصادر عام ١٩٣٥ .



وتعرض لوضع المرأة الهندية في مواضع عديدة من كتابة ؛ تعدى فيها على عفة المرأة الهندية ؛ فعبّر عن غلو قيمة الفيلة عند الهنود بمثل غير أخلاقي بقوله " يُعد الهنود من دواعي فخر المرأة التفريط في عفتها مقابل فيلا ؛ فغلو قيمته يعكس تقديرا عظيما لجمالها " ؛ وفي موضع آخر قال كانت فتيات ملبار يرجون المارة في الطريق أن يُسدنهن مكرمة فض البكارة التي هي شرط لطلبهن للزواج ، كما أشار لعادة تعدد أزواج المرأة من بين الأخوة (١٣) ، ومن ناحية أخرى أشار لما تضمنته الكتاب المقدس " رج-فيد" عن الإنحراف الجنسي بين الرجال على منهج قوم لوط ، وهي كلها أمور تُشين الهنود ؛ وحاول أن ينفى عن نفسه شبه التجنى على الهنود فختم الفقرة بأن أسفار الفيدا تدل على مستوى رفيع من العلاقات بين الجنسين .

أوردنا الأمثلة المتقدم ذكرها ضمن كتابه منطلقا للحفاظ على إتهاماته للحكام المسلمين في الهند ؛ فما أورده من عادات منصرمة عن المجتمع الهندي بهذا الزخم رغم إستثنائيتها ، لا تُضيف للموضوع إن لم تكن تنتقص من قيمته ؛ وتطبيقه الإستثنائية بهذا الحجم المكثف إنسحب أيضا على حكمه على الحقبة الإسلامية ، ولا يخفى علينا تأثير خلفيته الكاثوليكية المتعصبة ، التي فضحتها نبرته في تأكيد تمسك أكبر برده عن الإسلام وهو يعانى سكرات الموت ؛ فتحامله على حقبة الإسلام في الهند تغافلت وهو العالم الكاثوليكي عن التاريخ الوحشي لمحاكم التفتيش الكاثوليكية ليس فقط ضد مسلمى الأندلس (الموروسكيين) ؛ وإنما في المستعمرة البرتغالية في الهند ضد الهنود المسلمين والهندوس بما فيه الإعتناق القسرى للمسيحية وهي أحد النقاط التي إتهم الحقبة بها .

## - الفرنسيون

فرناند برادويل - الآن دانيلو - فرانسوا جاتير

✓ **كتب برادويل ....** " كان الحكم الإسلامى تجربة استعمارية عنيفة للغاية ، حكم فيها المسلمون البلد بإرهاب وقسوة منظمين وإبتكروا طرقا وحشية للتعذيب كالحرق والاعدام السريع والصلب وبترا الاطراف ، وإخماد التمردات بحرق البيوت وذبح الرجال وسبى النساء وفرض الإسلام على الهندوس قسرا وتدمير معابدهم وبناء مساجد عليها " .

و قد ناقض برادويل نفسه فى هذا ؛ عندما إتهم المؤرخ الذى يبتعد عن دائرة إنتمائه ليخوض فى دائرة تاريخ أجنبية بالإغتراب لعدم فهمه تعقيداتها و يغيب عنه فهم

١٣ - كتاب تاريخ الحضارة الجزء الثالث ص ٩٩ و ص ٨٠ و ص ٢٨ و ص ٢٧، توضيح للكاتب ... يأخذ الناير أهل ملبار بالنظام الإجتماعى الأمومى وليس الأبوى فنُتسب السلالة للأُم ؛ لسماح المجتمع بتعددية علاقات المرأة الجنسية بمن تختاره من الطبقات الأعلى ؛ بالتالى لم يكن للأباء حقوق أو التزامات تتعلق بالأطفال ، فالسلالة الملكية تنتسب لأُمها الأعلى والأقدم فى سلسلة التناسل .

حركة التاريخ فيها ؛ فلا يمكن للمؤرخ مهما عظمت ثقافته حسب قوله أن يتوافق مع تاريخها ، فهو يفهم بشكل غريزي تعقيدات تاريخه الوطنى وجوانب أصلاته وضعفه بتحولاته الفجائية ؛ بينما يفقد هذا عندما يدخل ساحة تاريخ الآخرين ؛ وبالتالي يفقد فهم حركة التاريخ ؛ وهو فى هذه الحالة سيضل ويُضلل .

✓ وكتب الآن دانيلو .... فى كتابه أساطير الهند " منذ وصول المسلمين الى الهند سنة ٦٣٢ م ، أصبح تاريخها سلسلة طويلة ورتبية من جرائم القتل والمذابح والتدمير ؛ وكان هذا يُرتكب كالعادة بإسم الجهاد المقدس النابع بإيمانهم بالإلهم الوحيد ؛ لقد حطم هؤلاء البرابرة حضارة وقضوا على أعراقا بكاملها " .

و عن تعريفه بالجهاد ؛ نقول أن القتال فى العقائد السماوية إنعقد على المؤمنين كافة بناء على طلب بنى إسرائيل وليس بطلب من المسلمين ، وفى سورة البقرة- آية ٢٤٦ يقول الحق تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانَنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ .

وعن إدعائه تحطيم المسلمون حضارة الهند ؛ فهى من فحوى أساطير كتابه "الأساطير" ، ونُحيله لمراجعة تاريخ الحضارة العالمية ؛ ليعرف أن أهل آسيا الوسطى فى ذلك الزمان كانوا رواد الحضارة الإسلامية أم الحضارة العالمية آنذاك ؛ فبلادهم قدمت للحضارة العالمية جهابذتها ؛ فإذا كانوا اليوم فى حال آخر فنوضح له أن دورة الحضارة مهاجرة تنتقل بين الأمم ، فالحضارة ليست حكرًا على أحد ولا تستقر أبداً فى مكان واحد ؛ ويصدقنا تاريخ الهند القديم ذاتها فعبيرتها حضارات وأمم وغزاة من كل الأجناس وكل ترك عليها بصماته.

وننقل له ما ذكره بأثر عن وضع هندوستان المُذرى عندما دخلها غازيا :  
 " هندوستان بلد قليل المباهج ينقص أهله الظرف ، ليس من خُلُقهم العطف والود ؛ يفتقدون النظام وآداب السلوك والكياسة فترى الفلاحون والعمال يتجولون عراة لا يستر عوراتهم لانجوتى (إزار) ؛ لا نبوغ لديهم أو سعة فى التفكير ، تنقصهم القدرة على التخطيط أو الإبداع والابتكار عند القيام بالأعمال اليدوية ليس لديهم مهارة فى البناء والعمارة ، ولا خيل عندهم ولا لحم طيب أو فاكهة أو ثلج أو ماء بارد وليس لديهم حمامات أو مدارس أو شموع أو مشاعل أو حتى شمعدانات ، وبدلا من الشعلة أو الشمعة ترى عصابة من الرجال القذرين الذين يسمونهم ديفانى المنبوذين يحملون قطع خشبية بفتيل يشعلونها .... ويوجد فى العادة لدى العظماء مائة أو مائتان من الديفانى ... ولا توجد فى الهند قناطر أو قنوات " .

## الهند الإسلامية

لقد جاء المسلمون للهند بحضارة جديدة تفوق ما عهدته من حضارت بائدة منذ أزمان؛ لقد علت إمبراطوريات الإسلام بالهند الى مكانة لم تكن بالغتها بدونها ؛ وفي المتن كثير من جوانب التحديث والحدائث التي أحدثوها فيها ، فأباطرة دهلي العظماء من المماليك الى الخلجيين ؛ هم من ردوا عنها قوى الشر العالمية الكاسحة فحجبا عنها لزمان طويل جحافل الموت ؛ مغول حقبة جنكيزخان ؛ وبعد إسلامهم أقاموا فيها إمبراطوريتهم (دولة المغول الباييريين) لتجعل من الهند أغنى واقوى بلد في عالم ذلك الزمان ؛ فأكبر عند موته ترك دولة بالغة الثراء بخزینتها مائة بليون ريال (١٤) متربعة بقوة على عرش التجارة العالمية

وقدم المسلمون للهند أعظم إمبراطورياتها ؛ وفي هذا تقول الباحثة أخيليش بيلا لاماري في تقريرها بمجلة "The National Intrest" الأمريكية بتاريخ الاربعاء ٢٠٢١/١٢/٢٩ أن إمبراطوريتان مسلمتان على الأقل هما من بين أقوى خمس إمبراطوريات حكمت الهند ؛ تستحقان لقب " قوى عظمى " هما سلطنة دهلي (١٢٠٦ - ١٥٢٦ م) وإمبراطورية المغول (١٥٢٦ - ١٨٥٨ م) .

وإصطلاح " قوى عظمى " ؛ لا يعنى القوة العسكرية فقط بل يشتمل على كافة نواحي بنية الدولة ، فالعظمة لا تتحقق إلا بإقتصاد قوى ومجتمع متماسك وثقافة عظيمة وجيش قوى وحكام عظماء وكل ذلك فى إطار زمنى ممتد ونطاق جغرافى متسع ؛ ووصف الكاتب الأمريكى ويل ديورانت (١٥) دولة أكبر (دولة المغول) بأنها أقوى دول الأرض فى زمانها ، وهذا لا يأتى من فراغ فالهند بلغت عز مجدها وقوتها ورفاءها وسطوتها العسكرية فى عهد كل من محمد طغلق وأكبر و شاهجهان ؛ وسجل التراث العالمى بعرفان عظمة تراث دول الإسلام الهندية وسلطينها العظماء من روائع منشآت حضارتهم وعلى رأسها تراث شاهجهان فائق الروعة ؛ كما سجل عظمة ثقافة وفنون سلطنات الديكان و ثراء الكجرات والبنغال.

✓ أما جاتيير ... فنقل عنه المقال " أن المجازر التي إرتكبها المسلمون في الهند لا مثيل لها في التاريخ ؛ فهي أكبر من محرقة اليهود ومذبحة الأرمن ، وأكبر من مذابح الأسبان والبرتغاليين للسكان الأصليين فى اميركا الجنوبية " (١٦) ، وكاتب بهذا الجهل الفاضح لا يستحق الرد عليه ؛ فقد إعترف بجرائم أوروبية تخصه ليلقى بظلالها على الحقبة الإسلامية ، مُتناسيا هو وبقيه الكتاب سالفى الذكر؛ أن الإستعمار الفرنسى كان

١٤ - " قصة الحضارة "المجلد الخاص بالهند - ص ٩٠

١٥ - فى كتابه " قصة الحضارة "المجلد الخاص بالهند.

١٦ - فرانسوا جاتيير- اعادة كتابة التاريخ الهندي عام ١٩٩٦.

الأكثر وحشية من بين قوى الإستعمار فى التاريخ ؛ وأن محاولته إعادة كتابة التاريخ تقتضى عدم تجاهله نصيب امته ونصيب الأمم الأوروبية من اللوم لما أحدثته فى الهند وعلى رأسها تنكيل الإنجليز الوحشى بالثوار الهنود مسلمينا و هندوسا فى ثورة الهند الكبرى عام ١٨٥٧؛ الذى أزهد أرواح ثمانمئة الف هندی مسلم و هندوسى بطرق وحشية فى أقل من سنتين عمر الثورة (١٧) ، وكان يتم إعدام المتمردين المسلمين بربطهم فى فوهات المدافع و نسفهم بطلقة ، ويقولون أنها عقوبة مغولية قديمة أحيائها الإنجليز قبل الثورة على حد إدعائهم .

وكان الإنجليز يجبرون المتمردين المسلمين والهندوس قبل شنقهم على لعق دماء القتلى من على جدر المباني ، وتضمن التعذيب الكي بجمر الحديد ؛ والإغراق فى مياة الآبار والأنهار حتى يصبح يضيق نفس الضحية لحد الإختناق وعصر الخصيتين، ووضع الفلفل والتوابل الحارة فى العيون أو إدخالها فى عورات الرجال والنساء علاوة على المنع من النوم و خلع الأظافر والتعليق على الشجر، والسجن فى غرف تخزين الجير وأجبار السجناء على الوقوف تحت شمس الصيف الحارقة لساعات حتى يفقدوا القدرة على الوقوف فيعجزوا عن المقاومة عند جلدهم بالسياط الذى دائما ما ينتهى بالموت ، غير اغتصاب الجنود للنساء الهنديات ؛ وبلغ بالإنجليز الأمر أن قتلوا ابنا وحفيد الإمبراطور المغولى العجوز بهأثر بعد إعتقاله والى هنا الأمر عادى ، ولكن الغير عادى أن يجتزوا رؤوسهم ويضعونها فى صينية طعامه مغطاة وقدموها له .

ونختتم هذا الفصل ؛ بالقول لهؤلاء الأكاديميين الا يتجاهلوا عمدا طبائع الأشياء عند تناولهم حقب تاريخية هم غرباء عنها ولا يلمون بتناقضاتها ؛ فمن المُشين التحايل بكل السبل على التاريخ بحثا عن مثالب المسلمين وإسقاطها على الإسلام و إلهه ؛ فتعاموا عن الجوانب المضيئة لحضارة مسلمى الهند ليركزوا فقط على كثرة حروبهم .

وعن الممارسات الوحشية التى الصقوها إجمالاً بحكام الحقبة ؛ ليس لها ما يبررها فالتاريخ بما فيه تاريخ الهند نفسها محتشد بممارسات من هذا النوع ؛ فالشدة والتشدد مطلوبان لضبط إيقاع حركة التاريخ وسط محيط هائل من البشر متنافر الأعراق والثقافات، فيصبح القتل والقتال والإقتتال أمر طبيعى بين سلاطين محاربين يفتقدون نعومة الساسة ؛ ينحدرون من سلالات شديدة المراس دموية المزاج والطابع منذ قبل إسلامها ومن بعده ، وما كان سلوكهم من إبتداع جيناتهم الوراثية وحدها بل أملاه عليهم أيضا طغيان أحكام وتحكمات بيئة الهند الأصلية الممتدة الجذور فى عمق تاريخها.

<sup>١٧</sup> - من مسمياتها " التمرد الهندي العظيم" - تمرد او ثورة أو حرب السيوي - تمرد / ثورة ١٨٥٧ - الانتفاضة - التمرد المحدي - الانتفاضة الهندية - حرب الاستقلال عام ١٨٥٧ - حرب استقلال الهند الأولى.

### ميل بعض المسلمين لترويج الإتهامات

مال بعضا من المسلمين الهنود في حملة التنديد بحكم المسلمين في الهند ؛ منهم عرفان حسين صاحب مقال " شياطين من الماضي " ؛ الذى إتهم الحكام المسلمين بعدم إظهار اي رحمة للهندوس قليلى الحظ في تلك الفترة الدموية من التاريخ " ، ولا نفهم مقصده من فقرة (الهنود قليلى الحظ) وتعميم صفه الدموية على الحقبة ؛ و هو القائل بأنه لا يجب الحكم علي الاحداث التاريخية إلا في اطارها الزمني (بيئتها الحاكمة).

وكتب خان فى كتابه ص ١٧٩ " لا يبدو أن كثير من الهنود يدركون ان القتل المسلم حطموا التطور التاريخي لواحدة من اكثر الحضارات تطورا على الارض ؛ كانت الاكثر ابداعا " ، و عبارته المحددة بخط أسفلها تكفى للرد عليه ؛ وعن إنتقاده كتب التاريخ فى الهند لتصويرها المسلمين بأنهم ابطالا بأكبر من الحقيقة رغم إرتكابهم بعض الجرائم المروعة ؛ والغريب أن يصب إتهامه على مؤلفى مناهج التاريخ فى الهند وهم هندوسا ، ويُفترض فيهم عدم محاباة المسلمين إلا إن عجزوا عن إخفاء الحقيقة فيقرون بها ؛ مع العلم أن مثل هذه المناهج يتم مراجعتها بدقة لحساسيتها التاريخية .

### مصادر الإتهام

من الطبيعى أن يكون المؤرخين المسلمين المصدر الوحيد الوافى لتاريخ الحقبة الإسلامية في الهند ، فمنهم من نشأ فيها وخبر قوامها ؛ ومنهم من زارها وطاف بها وهناك من نقل عنهم ؛ ومن الذين خبروا الهند وكتبوا عنها أبو الريحان البيرونى وله كتاب مستفيض في تاريخ الهند وملوكها ؛ والبيهقى والمسعودى والأصطخرى والإدريسى وإبن بطوطة وفريشته وإبن حوقل وهم من أسهبوا في الحديث عن أحوال سلاطينها ، أما الذين كتبوا عن الهند نقلا عن غيرهم منهم إبن خلدون وغيره (١٨) .

ومن السلاطين من كتب سيرته بنفسه أو أملاها على غيره وسجلها المقربون منه ؛ وأكثر هؤلاء من سلاطين مغول الهند ، فبادشاه (الإمبراطور) / ظهير الدين محمد بابر مؤسس دولة المغول كتب مذكراته الشخصية "بابر نامه" ، وبادشاه جهانجير إبن أكبر كتب سيرته " توزك نى جهانجيرى " ؛ وكان من أكثر من كتب سيرته من السلاطين صدقا فلم يتجمل أو يخفى مثالبه .

ومن كُتاب السير المقربين من السلاطين ؛ أبى النصر محمد بن عبد الجبار العتبي المتوفى ٤٢٧هـ ؛ وزيرالسلطان الفاتح محمود الغزنوي ، و ضياء الدين

<sup>١٨</sup> - كتاب إبن خلدون " العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر "

برنى ١٢٨٥-١٣٥٧م مؤرخ الطغالقة ؛ والشاعر مير خسرو (أمير خسرو) مؤرخ الخليجيين ، وأبو الفضل بن مبارك خضر الوزير الأعظم المقرب للسلطان المغولي جلال الدين أكبر وكاتب سيرته "أكبر ناما" وغيرهم ؛ وتتسم معظم هذه الأعمال بالمغالاة فى تمجيد السلاطين إما خوفا منهم أو إكتسابا لعطاياهم.

ومعظم المراجع المتعلقة بتاريخ الحقبة التركو/ أفغانية فى الهند ؛ مدون باللغة الفارسية اللغة السائدة فى المجتمع الإسلامى والبلاط الملكى فى الهند ، وبعضها من المراجع مكتوب باللغة التركية ؛ ولا يوجد لهذه المراجع ترجمة عربية دقيقة فى معظم الأحوال وإن وُجدت فركيكة لا يمكن فهم مضمونها على وجه صحيح ، وتتوفر كثير من المراجع باللغة الإنجليزية لباحثين هنود وكتاب غربيين ومن بعض العاملين فى الإدارة الإستعمارية البريطانية ؛ وهذه الفئة تعالج الفترات المشتركة من الحقبة مع تاريخ المستعمرات الغربية ولذلك يغيب عنها ما سبق ذلك إلا نقلا عن المصادر العربية كما تعذر العثور على مراجع هندية معاصرة تتناول تاريخ الحقبة الإسلامية .

### إجتزاء روايات سلبية

#### من رحالة وهواة تأريخ

وبالنسبة للإتهامات ؛ إستنتق المهاجمون كُتب الرحالة وهواة التأريخ المسلمين وبعضها من كتب السيرة ؛ وإنتقوا منها روايات بعينها تخدم هدفهم فى طعن الإسلام لينفضوا عن أنفسهم سوء النية وخُبت القصد ، إستنادا للمثل القائل شهد شاهد من أهلها ، وإعتمدوا فى هذا تاريخ فريشته بالدرجة الأولى لإسباع الدموية على تاريخ الحقبة الإسلامية ، وبعضها مما أورده الرحالة الأمازيغى ابن بطوطة فى كتابه تحفة الأنظار فى غرائب الأمصار عن سيرة السلطان محمد طغلق ، وبعضها من سير سلاطين الفتح محمود الغزنوى وشهاب الدين الغورى ومذكرات الإمبراطور المغولى جهانجير ، وحروب الإمبراطور المغولى أورنجزيب عالم كير آخر السلاطين الفاتحين .

### ظل الحقيقة

ولا مرأ أن بعض الإتهامات لها ظل من الحقيقة وليس كل الحقيقة ؛ فمجرد ذكر الرقم الذى بنوا عليه إتهام الحقبة بالدموية نقلا عن فريشته يُدرك القارئ مؤيدا كان أو معارضا هشاشة الإتهام لغياب المنطق فلا يصدقها عاقل ؛ فالأمر يصبح فى عداد تهويل المؤرخين وتجسيم القول وتضخيمه الذى دأب على اللجوء اليه الكثيرون من المؤرخين ؛ فمسألة الأرقام مسألة عويصة لا يمكن إثباتها بسهولة خاصة إن تعلقت بأزمه بعيدة تفتقر لأدوات عالية الدقة لحصرها (١٩).

<sup>١٩</sup> - وكمثال عن مبالغات المؤرخين وهى كثيرة فى مجال الأرقام ؛ ما ذكره محمد بن عبد الجبار العتبي فى كتابه " تاريخ يمينى" عن رقم السبايا من تهانسير البالغ نصف مليون .

وطرح المهاجمون هذه الإتهامات بمضمونها هذا وبدون تردد وهم يعلمون جيدا هشاشتها يعنى غيابا من جانبهم ؛ وإنما يعنى أهمية إطلاق إتهام بهذه القوة (الدموية) ولا يعنيه تدقيقا فى عقلانيتها من عدمه ؛ فهى ضالتهم الثمينة التى يستثير إطلاقها مردود فورى يرسخ فى وعى المتلقى من الكراهية والإستهجان والعداء بدون مجهود كبير ولا يمكن الإستدلال على حقيقتها لكن أثارها تبقى مثيرة للشك ؛ يحلوا للمنتفعين من ورائها ترويجها فيقبلها جهلاء عامة الناس والمتعصبين من ذوى المخططات الخبيثة من الهندوس وغيرهم ؛ ويجدون من يقف معهم من سفهاء المسلمين الساعين لمنافع ذاتية أو من مُحبي الجدل العقيم ؛ ويبنى المروجون موقفهم بأن جهل المسلمين المعتاد بتاريخهم سيطمس حقيقة هشاشة الإتهام عن وعيهم فيقبلوا الأمر والتسليم به طالما أنه شهادة من مؤرخ مسلم ؛ فتفتر همتهم فى التنقيب عن أدلة لفيه فيتغلغل الإتهام فى وعيهم ؛ وقد يصل الأمر بضعيفى الإيمان منهم بهويته الإسلامية الى إزدراء تاريخ أمته والتنصل منه .

#### المصادر

##### أولا " تاريخ فريشته "

وصاحب هذا الكتاب هو الحكيم محمد قاسم البيجاورى الشيعى الإسترابادى المشهور بـ / هندو شاه المعروف بـ / فريشته ؛ المولود ١٥٦٠ والمتوفى ١٦٢٠م ؛ والى كتابه هذا كلزار إبراهيمى بأمر إبراهيم عادل ؛ شاه بيجاور فى الفترة ٩٩٨-١٠١٥ هـ (٢٠) ؛ وفريشته لم يكن مؤرخا فى الأصل بل خبيرا فى طب الأعشاب درس علمه على يد حكيم (طبيب) مصرى واطباء هنود ؛ وأتاحت له معرفته باللغة السنسكريتية الإطلاع على كتب تحضيرالأدوية الهندية ؛ وكان له مستوصف يمارس فيه تخصصه.

ويقولون انه اول من تحدث عن دموية الحكم الاسلامي فى الهند فى القرون الوسطى ، عندما ذكر فى كتابه انه تم تصفية ٤٠٠ مليون هندوسي خلال الحقبة الاسلامية ، وللأسف تعذر علينا مراجعة ما كتبه فى هذا الشأن لعدم توصلنا لترجمة لأصل كتابه.

٢٠- تاريخ فريشته (Tarikh-i Firishta)، و فريشتا تعنى الفارسى بينما ذكر كتاب تحفة المجاهدين التعريف به كما جاء فى بدءاً بكلمة الحكيم محمد قاسم أى الطبيب.

## ثانياً ابن بطوطة الرحالة الأمازيغي الشهير

زار الرحالة الأمازيغي ابن بطوطة الهند في عهد السلطان محمد طُغلق ؛ وأرخ لعهد الذي إمتد لستة وعشرين عاماً ١٣٢٥-١٣٥١م قضى منها ابن بطوطة ثمان سنوات بين عامي ١٣٣٤-١٣٤١ في كنف هذا السلطان المتهم بالوحشية<sup>(٢١)</sup> ، ووثق مشاهداته عن سيرة هذا السلطان في كتابه " تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" ؛ ويذكر من أخباره عجائب لم يُسمع بمثلها ، والغريب أن المتهمون لم يُشيروا الى دموية هذا السلطان ووحشيته المعروفة في الآفاق بأن ليس لها مثل في تاريخ الحقبة ولا تحتاج برهان ؛ فهل هذا التغافل بسبب أصوله العرقية الممتدة الى أشرف الهندوس من ناحية جدته أم أبيه ابنة راجا (ملك) ديبالبور !!!<sup>(٢٢)</sup> ؛ ونحن لا نحمل هذا النسب أي مدلول سلبي من جراء تصرفات هذا السلطان ، فللهندوس رصيد عظيم من القيم والتقاليد الممدوحة من إباء وشمم وكرامة وكبرياء ، وبالتالي فلا يجوز إسقاط وزر دموية هذا السلطان أو سلوكه المنحرف أو غيره من أشخاص على العقيدة أو العرق ؛ فكل الأعراق فيها الصالح والطالح .

و حيرنا ابن بطوطة عند مراجعتنا سيرة هذا السلطان المليئة بالمتناقضات ، فأسهب في سرد مآثره وكرمه وتمسكه بالعقيدة فظننا به حُسناً ؛ ثم أمسك برهة قبل أن يُسهب في سرد فضائح ووحشيته ، فظننا أنه حاول تجميل صورة السلطان ولما عجز عن المضي في هذا المنحى تحدث تفصيلاً عن وحشيته بلا حرج ؛ ولا ندري إن كان طول المدة التي قضاها شبه أسير مرتعباً تحت يد هذا السلطان في الهند ؛ قد وطنت في نفسه رُعباً دائماً منه إمتد ليس فقط الى ما بعد رحيله هو شخصياً (ابن بطوطة) عن الهند ؛ وإنما أيضاً الى ما بعد رحيل السلطان نفسه عن دنيا ابن بطوطة ؛ فإرتبك في تسجيل سيرته ، أم أن مآثره عليه أخلجته فحاول أن يدارى سوءاته (السلطان) ، وعلى أية حال أقسم ابن بطوطة أن جميع ما ذكره من أخبار حسنه وسيئه عن هذا السلطان بعجائبها التي لم يُسمع بمثلها من قبل هي حق يقين.

فالسُلطان محمد طُغلق شخص غريب الأطوار جامح الوحشية ؛ بدأ سجله الدموي بإغتيال أبيه السلطان غياث الدين طُغلق وأخيه الأصغر لما علم بنية والده إعلان أخيه هذا لولاية العهد بدلا منه ؛ ولم ينجوا من ويلات هذا السلطان الوحشي أي كائن من معارضيه أو المقربين منه بصرف النظر عن مكانتهم أو فضلهم علي شخص السلطان، ولم يفلت من عقابه حتى من إنتقده سرا أو همسا بين الأصدقاء في مجالسهم الخاصة

<sup>٢١</sup> - الفصل الخامس عشر ، رحلة (دلهي) ابن بطوطة.

<sup>٢٢</sup> - دوي ، جيمس م. مقاطعة بانجاب الشمالية الغربية الحدودية وكشمير مطبعة جامعة كامبريدج. ص ١٧١ .



الضيقة ؛ طالما كان هناك من ينقل اليه ذلك ، ولم تأخذه رحمة معها كانت الأسباب إن خالف أحدا أمرا له.

### ومن قصص سلوكه الوحشى التى سترد تفصلاتها فى المتن :

- عند تنفيذ الترحيل الإجبارى لسكان دهلى الى دولت آباد عاصمته الجديدة التى تبعد عن دهل بمسيرة تستغرق أربعين يوما ؛ تخلف عن الرحيل مُقعد وأعمى بسبب عجزهما البدنى عن بدء رحلة المشاق ، فأمر برمى المُقعد بالمنجنيق وسحل الأعمى الى العاصمة فوصل جسده فتاتا لم يتبق منه إلا ساقه .

- وعند البيعة له سلطانا بعد موت أبيه ؛ رفض ابن خالته بهاء الدين مبايعته فطارده وقبض عليه وأمر بسلخ جلده حيا وطبخ لحمه وبعث به لأولاده طعاما ؛ وحشى جلد قشا وطيف به وبجلد معارض آخر البلاد ؛ ولما إستقر الجلدين عند كشلو خان حاكم السند أمر بدفنهما ، فشق ذلك على السلطان وقرر الفتك به رغم تعظيمه له لدعمه والده فى إعتلاء عرش دهلى ، ولما توقع كشلو خان غدر السلطان تمرد ؛ وخرج السلطان بنفسه لقتاله وانتصر عليه بالخديعة.

وطالت وحشية هذا السلطان المسلمين قبل الهندوس ، فقد كانوا معظم ضحاياه بحكم قُربهم اللصيق به ، وأكد هذه الحقيقة المؤرخان المعاصران برنى وإبن بطوطة .

ورأى الباحث فى ظل هذه الوحشية ضرورة التعرض بتفصيل مزعج ومطول لسيرة هذا السلطان ؛ حتى يتوطن فى وعى القارئ لب الموضوع ويستقطب وعيه أن تلك الإتهامات إجتثت من سياقها الفردى لتعميمها على الحقبة كلها بغرض الإساءة للإسلام وتاريخ المسلمين ، ومن غير المقبول أن يُسقط الخبثاء ظلال عهد مُظلم لم يتجاوز عمره ربع قرن لهذا السلطان على مطلق الحقبة الإسلامية بقرونها الثمانية وتحميل الإسلام وزرها .

### ثالثا سادية الإمبراطور جهانجير

ورصدنا سادية عابرة لتصرفات شخصية لبعض السلاطين منهم السلطان جهانجير نوى الأصول المشتركة مع الهندوس من جانب والدته ؛ فهو متهم بتسميم والده الإمبراطور جلال الدين أكبر تعجلا للوصول للعرش لما طال بوالده العمر ، وما يُثير الدهشة ما سجله هو شخصيا فى "مذكراته" عن بعضا من الحماقات السادية فيقول أن طائفة من الخدم فيهم سائسه أفرعوا الطرائد التى تربص بها ذات يوم فى ساحة الصيد فأفلتت ، فأمر بقتل السائس وأن تخلخل رُكب الخدم ليعيشوا بقية أعمارهم كُساحاً ؛ ثم مضى فى صيده على حد قوله.

وفى حادث ذو طبيعة مختلفة ؛ عذب جهانجير جورو الشيخ (المعلم الدينى) لدعمه ابنه الأمير خسرو المتمرد ضد قوات أبيه الإمبراطور ؛ وعذب المقاتلين الشيخ الذين حاربوا مع ابنه ثم أعدم من رفض إعتناق الإسلام منهم بما فيهم الجورو ، فأعدم سبعمائة من المقاتلين الشيخ لنفس السبب بإجلاسهم على "الخوازيق" حتى فاضت أرواحهم فى شوارع لاهور، والشئ بالشئ يُذكر ، فجهانجير نفسه تمرد على ابيه أكبر وقاتله على نحو ما فعله ابنه خسرو هذا .

## عدم تطابق سلوك السلاطين مع جوهر العقيدة

وقبل الإسترسال في العرض ؛ نود التأكيد على إنتفاء أى مدلول دينى لإلحاق صفة الإسلامية بالحقبة ، فتاريخ الحقبة إسترسال فى سلوك السلاطين وهو عنصر متغير يبنى على طبيعة الشخص بينما العقيدة تنبنى على أسس ثابتة ؛ وبالتالي فالإسلامية ما هى إلا مجرد تعبير عن مظهر لتمييز هوية أصحاب الحقبة عن سواهم ؛ وبالتالي فهناك إنفصال بين سلوك السلاطين وبين الشريعة ؛ فالسلطان محمد طغلق بالغ فى تطبيق العبادات على الغير حتى أنه أعدم من تخلف عن صلاة الجماعة ؛ بينما عسف فى الوقت نفسه بالناس فعذب الأبرياء بلا رحمة وقتل بوحشية ينهى عنها الإيمان ؛ الإيمان الذى نهى عن ليس فقط عن تعذيب الناس بل نهى عن تعذيب الحيوان فأمر بالإحسان حتى فى ذبحه (٣٣).

ومن السلاطين من إعتاد شرب الخمر وأدمنه خصوصا سلاطين وسط آسيا ؛ فعادة شرب الخمر كانت متأصلة بين تلك البلاد فى ذلك الزمان من قبل إسلامهم وبعده وإنتقلت معهم الى الهند ؛ ولما إستشرى أمرها منعها السلطان علاء الدين الخجى ومن بعده السلطان محمد طغلق ؛ فلجأ الناس لشرب التنبول كبديل ينتج نفس الأثر .

ومعظم سلالة مغول الهند (البايريين) كانوا مدمنى خمر وزاد عليها البعض المُتترف من إمرأؤهم إدمان الأفيون ؛ فبأثر مؤسس دولة مغول الهند لم يتحرج أن يذكر فى سيرته الذاتية "بأبرنامه" إدمانه الخمر التى كانت تُستحضر له من كابل ؛ وما كان يجري فى مجالسها من لهو ؛ وقد تعرض فريشته لإفراط بابر فى شرب الخمر على عادة أهل زمانه ، ومن شغفه بمجالسها صنع للخمر حوضاً من المرمر ليجلس حوله مع ندمائه يشربون ويتبادلون الشعر" ، وفى الوقت نفسه كان بابر محافظاً على الصلاة والصوم أيام الجمع من كل أسبوع وفى رمضان ؛ و كتب مصحفاً بخط إخترعه (الخط البابرى) أهداه إلى مكة.

و بابر لم يكن يتعامل مع الخمر على أساس الإيمان من عدمه ؛ بل على أساس حاجته الى الله ؛ فعندما تآزم وضعه العسكرى فى معركة خانوه عام ٩٣٣هـ/١٥٢٧م أمام صلابة قتال الراجبوت المتحالفة مع أفغان الهند ، لجأ الى الله طمعا فى نصرته

<sup>٢٣</sup> - عن هشام بن حكيم قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول " إن الله يعذب الذين يعذبون الناس فى الدنيا" رواه مسلم ؛ وأمر رسول الله ﷺ بالإحسان فى القتل فقال: " إن الله كتب الإحسان على كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح ، وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته - رواه مسلم، وفى الحرق يقول فى الحديث ( إني أمرتكم أن تحرقوا فُلانًا وفُلانًا ، وإن النار لا يعذب بها إلا الله ، فإن وجدتموهما فأقتلوهما ) " رواه البخاري (٣٠١٦).

فأمر بأهراق الخمر وتكسير أوانيها المصنوعة من الذهب والفضة وتوزيعها على الفقراء، وبعد أن نصره ربه عاد الي الشراب من جديد وزاد عليه إيمانه المعجون (الأفيون) مما أدى الي تدهور صحته ووفاته سنة ٩٣٧هـ / ١٥٣٠م.

وتلاعب بعضا من السلاطين بالدين فالسلطان علاء الدين الخلجي (حكم الفترة ١٢٩٦-١٣١٧ م) ؛ أغرته فتوحاته بتقديس نفسه وقادته لكن عمه الفقيه رده عن ذلك قائلا أن زمن النبوة قد فات ، و الإمبراطور جلال الدين أكبر تعالى على الإيمان فابتدع ديناً جديداً ؛ فأضر بمد الإسلام في الهند لزمن طويل ؛ لولا حفظ الله ابنه جهانجير وولى عهده على صحيح الدين بالرغم من دفع أكبر به الي المبشرين الجزويت لتعليمه المسيحية وهو صبي ؛ وكان الله قد إدخره لينقذ به الإسلام من زندقة أبيه ؛ التي لو تبناها جهانجير ما كان يعلم احد إلا الله تأثيرها على وجود الإسلام بالهند .

وأفسدت أفكار أكبر المنحرفة عقيدة بعضا من سلالته من الأجيال التالية ؛ هياً الله من دفعهم بعيدا عن العرش حفظا لدوام الإسلام في الهند ؛ فحفيداه الأميران خسرو بن جهانجير و دارا شكوه بن شاهجهان إستهوتها زندقة جدهم "أكبر" ؛ وكان كليهما في زمنه وليا للعهد ؛ ويمكن تصور الضرر الذي كاد يلحق بمد الإسلام لو بلغا مقعد العرش ؛ ولكن الله هياً التخلص منهما ؛ فالأول ثمل أبيه جهانجير عينيه وسجنه حتى مات عقابا له على ثورته وتأميره لإغتياله ؛ و دارا شكوه لم يتردد شقيقه الأمير المحارب الزاهد أورنجزيب من محاربتة وإعدامه دون أن تأخذه به شفقة ؛ ليعتلى العرش بدلا منه حماية الإسلام من إنتكاسة جديدة على نحو ما أحدثه جده جلال الدين أكبر بإلحاده<sup>(٢٤)</sup>.

و معظم سلالة أكبر أفسدهم الترف والتنعيم الذي وفره لهم الغنى غير مسبوق الذي حققته الإمبراطورية في تاريخ الهند ؛ فبلغت دولة المغول في عهد شاهجهان مجد عزها فكانت أغنى دول العالم وأقواها ، وإستغراقا في الترف ضعف إلتزام الأمراء بالعقيدة ؛ فالسلطان أكبر تزوج ١٢ إمراة حسب الأرقام الموثقة ولا تثريب عليه فقد أعلن كُفره<sup>(٢٥)</sup>، و ابنه جهانجيراتزوج ١٣ إمراة رغم بقاءه على الإسلام ؛ ولا نعرف بالضبط كم منهن كن في عصمة الواحد منهم في وقت واحد .

<sup>٢٤</sup> - دارا شكوه ١٠٦٩ - ١٠٢٤هـ / ١٦١٥ - ١٦٥٩ م) هو محمد بن شاه جهان بن جهانكير بن أكبر بن همايون بن محمد بايزابن عمر شيخ الكورگاني الهندي، الملقب بـ دارا شكوه، كان منحرف العقيدة ، خرج عليه أخوه الأصغر أورنجزيب عالم كير واتهمه بالاحاد وأمر بإعدامه سنة ١٠٦٩ هـ .

<sup>٢٥</sup> - زابدت الروايات بان أكبر إحتفظ بأكثر من خمسمائة محظية ، وهو أمر غير معقول فليس في القصر متسع لمثل هذا العدد.

وسلاطين الفتح محمود الغزنوى وشهاب الدين الغورى وهما من إعتناق الجهاد سبق لهما الخوض فى دماء المسلمين فى حملاتهم لفرض نفوذهما على بلاد المسلمين فى آسيا الوسطى.

و معظم سلاطين الهند كانت معرفتهم بالعقيدة سطحية لعدم إتقانهم العربية من ناحية وإنشغالهم إما بالحروب أو بالمشاكل التى تستهدف عروشهم فلم يتوفر لديهم وقت للقراءة فى هذا الشأن إن كانوا من مُحبى القراءة كبعض السلاطين ؛ وأبرز مثل عن سطحية العقيدة ما فعله السلطان فيروز شاه طغلق (١٣٨٨-١٣٥١) (٢٦) عندما إسترضى أصحاب المظالم التى إرتكبها سلفه وإبن عمه السلطان الوحشى محمد طغلق ؛ وإستكتبهم عفوا عنه ووضعها فى قبره رحمة به من العقاب الإلهى ؛ ظنا منه أنها تُخلى ساحتها أمام الله ، وهذا التصرف الساذج يدل على جهل فاضح بالعقيدة وأصول التوبة فيها ؛ ولا علاقة له بجوهر الإسلام.

والقول بالقول يُذكر ، فقد كان ملوك الهند على شاكلة الملوك المسلمين ؛ من ناحية الإنفصال بين السلوك والعقيدة ، فرغم تحريم الهندوسية والسيخية الزواج بأكثر من واحدة ؛ كان لماهارانا براتاب الراجبوتى ملك ميوار ١٢ زوجة أوردت المصادر أسمائهن ، وكان لإمبراطور السيخ رانجيت سينغ تسع زوجات من بينهن ميهران المسلمة ، ويبالغ ويل ديورنت بأن كريشنا رايا ملك فيجاياناجارا كانت له الف زوجة ..

<sup>٢٦</sup> - رجاء التفرقة بينه وبين السلطان جلال الدين / فيروز شاه الخلقى (١٢٩٠-١٢٩٦م).

## معالجة الإتهامات

بين الحقيقة والظل!

- أصالة الملحمة في شخصية الهند .
- إستعمار ومواطنة
- إستهداف العقيدة الهندوسية تخريب أصنام الآلهة ومعابدها
- الإستعباد / السبى
- وجهة نظر هندية لتراث الإسلام

## الإتهام الأول

### الدموية

### أصالة الملحمة فى شخصية الهند

#### عالمية الدموية

تقوم مسيرة البشرية على الإصطراع على الموارد وتكسير الإرادات بين الأمم ، فتفجرت حروبا ودموية منذ قيام البشرية والى أن تزول الأرض ومن عليها ؛ ومن هنا الدموية عالمية الطابع ، ويتحدد نصيب البلدان من الدموية من منطلق معطيات شخصيتها وبيئتها التى تتحكم فى حركة التاريخ فيها والتى يتحدد فى إطارها حجم العنف (حروبها) ، وعلى رأس هذه المعطيات **الجغرافيا والبشر والثروة** ؛ وإذا ما طبقنا هذا على الهند يُمكن القول انها كانت ساحة قتال مشحونة بالحروب منذ أن عرفت التاريخ ؛ وهذا التصنيف لم يستحدثه المسلمون بل أمر فرضته عليهم المعطيات السابق الإشارة إليها .

ونعالجه فى إطار :

- كثرة الحروب وضخامة قتلها .
- أصالة الدموية فى تاريخ الهند .

#### • كثرة الحروب وضخامة قتلها

إتهم المقال المسلمين بقتل حوالى ٤٠٠ مليون هندوسي خلال الحقبة ؛ بسبب الحروب والمذابح الوحشية ، وأن الحروب الكثيفة والمتواصلة فى عهد الإمبراطور المغولى الزاهد أورنجزيب آخر الفاتحين الكبار(قد تكون صفته هذه سبب الإتهام) التى إستغرقت ٢٧ عاما تقريبا ، متهمة بقتل عدة ملايين ؛ والرقم فى حد ذاته مُخيف ولكنه فى نفس الوقت يتجاوز حدود العقل ؛ فذكر أرقام بهذه الضخامة دون سند يُجردها من الصدقية ، فمسألة الأرقام مسألة عويصة فلا نعرف كيف حصر فريشته أعداد القتلى فى بلد تقوم عقيدته على حرق جثث الموتى بما لا يترك أثرا لرفاتهم أو مقابر يمكن رصدها ، ثم كيف حدد أرقام القتلى لأشخاص فارقوا الدنيا قبل مولده بعدة قرون ، فلا سنوات عمره ولا إمكانياته ولا الأدوات التى تحت يده تُمكنه من حصر الأعداد المشار إليها ولو طال عمره فوق الف عام ، ثم كيف فرق بين قتلى المعارك وبين موتى الكوارث الطبيعية التى تضرب الهند بين حين وآخر ويطول أمدها لجُعب بما يستتبعها من أوبئة تلتهم الحرث والنسل بالملايين وبعض التقديرات تُشير الى أن ضحايا هذه الكوارث تجاوز خمسين مليون على أقل تقدير إذا ما إسترشدنا بما تضمنه الجدول (ملحق ١) فى آخر الفقرة من بعض إحصائيات للكوارث الطبيعية فى مختلف العهود فى الحقبة .

## تشكيك الاكاديميون الهنود فى أرقام القتلى ( شهد شاهد من أهلها )

وحسم مسألة الأرقام ؛ دراسة أعدها فريق من كبار المتخصصين الهنود ؛ عن تطور النمو السكانى للهند منذ قبل الميلاد حتى نهاية الحقبة الإسلامية ؛ وهى دراسة تقديرية لم تنبنى على حقائق عملية لعدم وجود نظام للإحصاء السكانى فى الهند يمكن الإستناد اليه ؛ ولكنها أكدت إجمالاً ارتفاع معدل النمو السكانى (لا تُقصانه) خلال الحقبة الإسلامية ؛ وخلصتها (٢٧):

- ثبات تعداد سكان شبه القارة الهندية حول رقم خمسين مليون نسمة فى الفترة ٣٢٢ ق م - ١٠٠٠ م ؛ عهد إمبراطورية ماوريا حتى بداية الفتح التركية الإسلامية .

- ارتفاع معدل النمو السكانى فى الفترة من ١٠٠٠ إلى ١٥٠٠ م ؛ أى خلال الخمسة قرون الأولى من عمر الحقبة الإسلامية وكانت دهلى تُسيطر خلال هذه الفترة على قطاع جغرافى محدود لم يتجاوز نصف مساحة شبه القارة الهندية تقريباً.

- ارتفاع معدل النمو السكانى خلال عهد إمبراطورية المغول البائية لمعدلات غير مسبوقه فى تاريخ الهند بسبب الرخاء الإقتصادى الغير مسبوق الذى حققته الإمبراطورية بين القرنين السادس عشر والثامن عشر فى عهود أكبر وجهانجير وشاهجهان ؛ وخاصة عهد شاهجهان الذى بلغت فيه دولة المغول أقصى رفائها ومجدها وكانت تُعتبر أغنى بلاد العالم وأعظمها قوة عسكرية ، مع ملاحظة أن هذه الزيادة السكانية جاءت فى وقت كثرة المعارك التى خاضتها هذه الدولة لأكثر من ٩٠ معركة تقريباً (محذوفاً منها ٣٠ معركة فى عهد أورنجزيب الذى لم تتضمن الدراسة حقبته) ، وإذا ما قارنا معارك المغول خلال عمر إمبراطوريتهم البالغ ٣٠٠ سنة بمعارك دول دهلى فى القرون الخمس الأولى السابقة لدولة المغول ، لوجدنا معارك المغول تشكل

٢٧- Wayback Machine نقلاً من موقع -

(. دار بريل للنشر. Paolo Malanima (٢٠٠٩). Pre-Modern European Economy: One Thousand Years (1٠th-1٩th Centuries) SBN.٢٠٢٠. صفحة ٢٤٤.

١. مطبعة جامعة PDF (The Cambridge Economic History of India) (١٩٨٧). Dharma Kumar .Tapan Raychaudhuri ^ عرفان حبيب [الانجليزية]، ( فى ١ ديسمبر ٢٠٢٠.PDF.كامبريدج. صفحة ١٧٠. مؤرشف من الأصل )

^Broadberry, Stephen; Gupta, Bishnupriya (٢٠١٠). "Indian GDP before ١٨٧٠: Some preliminary estimates and a comparison with Britain" (PDF). جامعة ووريك. صفحة ٢٣. مؤرشف من الأصل (PDF) ( فى ١١ نوفمبر ٢٠٢٠. اطلع عليه بتاريخ ١٢ أكتوبر ٢٠١٥). PDF.٢٠١٥). Dharma Kumar .Tapan Raychaudhuri (١٩٨٧). The Cambridge Economic History of India. صفحة ١٧١. عرفان حبيب .



نسبة ٤٢% مقابل ٥٨% لمعارك دهلى أو أكثر إن أضفنا لمعارك المغول معارك اورنجزيب الثلاثين .

- تزايد سكان الهند الى حوالى ٤٠٠ مليون نسمة فى نهاية سنة ١٢٧٤هـ / ١٨٥٧م (٢٨)؛ أي بزيادة قدرها ٣٥٠ مليون نسمة عما كان فى عهد إمبراطورية ماوريا ، وهى زيادة معقولة وطبيعية فى ظل متوسط نسب النمو السكانى التى سادت فى الهند طبقا للدراسة .

(وخلصت الدراسة الى زيادة الخصوبة السكانية للهند خلال الحقبة الإسلامية )

### و فى دراسة لـ / كيشورى ساران لال توصل الى :

- انخفاض عدد سكان شبه القارة الهندية من ٢٠٠ مليون إلى ١٧٠ مليون بين عامى ١٠٠٠ - ١٥٠٠ أى بمقدار ٣٠ مليون نسمة فى الخمس قرون الأولى للحقبة الإسلامية ، نتيجة للحروب وعمليات الترحيل والمجاعات وهو تقدير معقول إن إفترضنا صحته ودقته .

### - تقديرات د. كونراد

قدر د. كونراد فى مقال بعنوان " هل كان هناك ابادة جماعية للهندوس ؟" ، قتلى حروب الحقبة بحوالى ٦ مليون نسمة مُعترفا بأن هذا الرقم مجرد تقديرات لا سند له إحصائى لها.

### و يؤخذ على هذا الإتهام :

- أن أساس الإتهام خاطئ فأرقام القتلى التى أوردها المهاجمون أحتسبت لموتى كامل شبه القارة الهندية ؛ وهو أساس خاطئ لأن نطاق سيطرة المسلمون لم يبلغ هذا الإتساع على كامل شبه القارة الهندية إلا لفترة لم تتجاوز الأربعين عاما تقريبا خلال الحقبة، فى عهد سلاطين التوسع الكبير بحروبها الشرسة ؛ منها حوالى عشر سنوات فى عهد السلطان علاء الدين الخلقى ومثلها فى عهد السلطان محمد طُغلق ومثلها فى عهد الإمبراطور المغولى اورنجزيب ؛ وهم الذين تحملهم الإتهامات وزر إراقة دماء أعداد ضخمة من قتلى الحقبة (٢٩) .

٢٨ - أخذنا الإحصاء البريطانى سنة ١٨٨١ نموذجا .

٢٩ -السلطان محمد طغلق (١٣٢٥ - ١٣٥١) والإمبراطور المغولى اورنجزيب عالم كير يتقاسمان الدماء الهندوسية ؛ فالأول جدته من ناحية أبيه ابنه رجا ديبالبور من أشرف جات الراجبوت ، ويلقيس مكاني (جغت كوسين) جدة اورنجزيب عالم كير من ناحية أبيه شاه جهان ابنه الراجا"أدهي سينگه" صاحب ماروار.

- وإذا ما بحثنا فى سجل السلطان أورنجزيب المتهم بأن الحروب التى خاضها حصدت أكبر حصيلة من القتلى بإجمالى ٤,٦ مليون شخص ، مسلمينا وهندوسا خلال ٣٠ معركة خاضها جيشه منها ٢٢ معركة مع الهندوس ، تبادل فيها مع ماراثا النصر والهزيمة ؛ الى أن هزمها فى بانى بت عام ١٦٨٨ ، فقد احتسب المقال إجمالى قتلى حروبه بحوالى ٢,٥ مليون من المحاربين على أساس ١٠٠ الف قتيل سنويًا خلال ربع قرن ؛ بالإضافة الى ٢ مليون من المدنيين ماتوا نتيجة الجفاف والطاعون والمجاعة التى إنتشرت فى الأراضي التى مزقتها الحروب والكوارث الطبيعية المتكررة التى كانت تضرب الهند من حين لآخر.

- و إذا ما إفترضنا أن القوات التى خاض بها أورنجزيب معاركه بلغ متوسط عدد افرادها ٣٣ الف مقاتل قياسا على ما كان له فى معركة بيجابور الثانية ضد عادل خان الأفغانى عام ١٠٧٦هـ/١٦٦٦م ، وأن جيوش الهندوس كانت تقارب نفس العدد بمتوسط ٣٣ الفا أى بإجمالى ٦٦ الفا للثنتين ؛ وإذا إفترضنا جدلا فى أقصى المبالغت غير المنطقية ؛ مقتل نصف جنود كل فريق أى بإجمالى ٣٣ الفا ، فسيصل قتلى المعارك الثلاثون التى خاضها فى أقصى تقدير حوالى ٩٩٠ الفا ؛ وليس كما إدعوا ٢,٥ مليون .

- لم يتعرض الإتهام لقتلى الحروب البينية للممالك الهندوسية المعاصرة للحقبة ، وهى كثيرة فى شبه القارة وقد سجل ويل ديورانت كثرة حروب فيكراماديتا (١٠٧٦-١١٢٦) التوسعية فى جنوب شبه القارة كمثال ؛ كما لم يحصروا حصيلة موتى المسلمين فى المذابح التى إرتكبها ملوك الهندوس للمسلمين والمتعاونين معهم من الهندوس ، ولم يتعرضوا لضحايا الحيوانات المفترسة والثعابين وهى بمئات الآلاف ؛ فعلى سبيل المثال ضحايا لدغات الثعابين فى منطقة واحدة بلغ إثنى عشر الفا فى وقت محدود.

- وعن نقصان عدد سكان مملكة آهوم (١٢٢٨-١٨٢٦م) المعروفة بمملكة صندوق الذهب التى نجح مير جوملا وزير أورنجزيب من دخول عاصمتها غار هغاون عام ١٦٦٢م ؛ بعد محاولات عديدة فاشلة للمغول للسيطرة عليها على مدى ستة قرون ؛ فقد نفى المؤرخون الهنود ذلك عن المغول بسبب قصر فترة سيطرة المغول على البلدة بما لا يسمح بحدوث مجازر يتأكل بها عدد سكانها ؛ وفسروا هذا النقصان بالمجازر التى إرتكبها الإنجليز بعد دخول العاصمة وما إستتبعه من هروب جماعى .

### تجنيد السلاطين الهندوس

وتبقى نقطة هامة تغافل عن ذكرها المقال ؛ وهى أن عدد كبير من قادة وجنود الجيوش السلطانية ؛ الذين خاضوا حروبا دموية شرسة لإعلاء رايات دهلى كانوا من أصول هندوسية صرفة أو من ذوى ثنائية الجينات الهندوسية المسلمة ؛ ف/ خسرو

خان وهيمو البقال وغيرهم ممن سيرد ذكرهم في المتن كنوا من أصول هندوسية صرفة بينما يتقاسم الجينات المشتركة الهندو/تركية السلطانيين محمد طغلق وأورنجزيب المتهمين بالدموية ؛ وتشترك إمبراطوريتنا ماراثا والسيخ بحروبهما الشرسة في إراقة الدماء ؛ وبالتالي فتهمة إراقة الدماء هي مسؤولية الجانبان وليست مسؤولية المسلمين وحدهم .

### حروب الحقبة الإسلامية

عثرنا على عمل فريد ببيان لما وفرته المراجع من معارك موثقة للحقبة ؛ في دراسة أعدها الأستاذ الدكتور احمد محمد الجوارنه بجامعة اليرموك – الأردن ؛ وعمله هذا يستوجب التقدير فقد ساعدنا في إعداد هذا البحث فنقلنا منه قوائم المعارك التي بلغت طبقا للدراسة بحوالى ٢٨٦ معركة (لاحظنا عدم إشمالها على المعارك الصغيرة والمناوشات وكذلك معارك الهندوس البينية لخروجها عن مشمول هذا البحث) ، ولكنها على أى حال تعطى مؤشر عما نريد الوصول اليه من شيوع المعارك فى الهند عمن سواها من البلدان .

### البيان

- ٣٥ معركة في الحقبة العربية ( بالمناطق الشمالية للهند).
- ١٩ معركة في عصر الدولة الغزنوية.
- ١٣ معركة في عصر الدولة الغورية.
- ٢٥ معركة في عصر الدولة المملوكية .
- ١٧ معركة في عصر الدولة الخلية.
- ٣٦ معركة في عصر دولة آل طغلق .
- ٣١ معركة في عصر أسرة اللوهدى .
- ١١٠ معركة في عصر دولة المغول منها ٣٠ معركة خاضها أورنجزيب وحده ( منها ٨ معارك مع المكون الإسلامي - ٥ معارك مع أخيه دارا شكوه ، وثلاث مع بيجابور المتمرده)؛ وذكرت المصادر أن جيشه في معركة بيجابور الثانية ضد عادل خان الأفغانى عام ١٠٧٦هـ/١٦٦٦م بلغ ٣٣ الف مقاتل.

**حروب الإنجليز ..... ١١١ معركة<sup>(٣٠)</sup>**، غير معلوم حصر بمعارك بقية القوى الإستعمارية فيما بينها وفيما بينها وبين الهند ؛ ولا المعارك بين الهندوس أنفسهم ، ولكنها بالآلاف . وكلنا ثقة فى هذا .

**حروب البرتغال ..... لا يمكن حصر حروبهم وجرائمهم الوحشية ؛ هي وغيرها من القوى الإستعمار.**

**حروب الممالك الهندوسية ... للتنافس على الملك والتوسع لا حصر لها .**

## • أصالة الملحمة فى تاريخ الهند مظاهرها وأدواتها

- ضخامة الجيوش.
- صناعة القتال وأدواته .
- شدة تحصين المدن .
- وحشية نظام العقوبات فى الإمبراطوريات الهندية.

### ○ ضخامة الجيوش

وبلد كالهـند بـثرائه وضخامة كتلته السكانية ، لم تعوزه القدرة على حشد أعداد ضخمة فى آله الحربية أو الإنفاق عليها ، وتدل ضخامة جيوش الهند على مدى شراسة معاركها ودمويتها ؛ فـجيش تشاندرـا جوبتا الأول (حكم ٣٢٠ - ٢٩٨ ق.م) بلغ تعدادـه حسب المؤرخ اليوناني المجسطى (ميجا ستين) ستمائة ألف راجل و٣٠ ألف فارس و٩ آلاف فيل بخلاف عدد غير معروف من العجلات الحربية (٣١)، وبلغ جيش كريشنا رايا إمبراطوراً فيجاياناجارا حوالى ٧٠٣ ألفاً من المشاة ٣٢,٦٠٠ من الفرسان و٥٥١ فيلا ، ويرتفع تعداد جيشه ليصل الى مليون شخص فى كامل طاقته إذا ما أضفنا اليه القوات التى يمدده الإقطاعيون بها وقت الحرب ، يسير فى ركبهم حملة مدنية من التجار والبغايا من مائة ألف شخص لخدمة الجيش فى غزواته الدموية التى تطول لسنوات بسبب حصار الحصون لمُدَد طويلة ؛ ويذكر كورتيوس مؤرخ الإسكندر المقدونى بأن أغرامس الأول ملك ناندا الهندية إمتلك قوة عسكرية كبيرة، تألفت من ٢٠٠ ألف من المشاة و٢٠ ألف فارس و٣٠٠ فيل و٢٠٠٠٠ عربة خيول وهو من دواعى تمرد قادة الإسكندر ورفضهم الخوض فى الهند .

### ○ صناعة القتال وأدواته

فى ظل الطابع الحربى طور الهنود صناعة الأسلحة ، فبرعوا وهم المهرة فى صياغة المعادن فى صناعة أجود السيوف ؛ فإكتسبت بجودتها شهرة عظيمة عند العرب وبلغ تقديرهم لسيوف الهند أن أطلقوا كلمة " مهند " إشتقاقاً من إسمها لكل من تسلح بسيوفها ، وجودة هذا السلاح وشهرته لم تأت من فراغ وإنما يقف ورائها رصيد

من المعرفة بصناعة الحرب وفنونها ، ولأهمية السيوف كأداة قتال قدسها الساموثيريون ملوك قليقوت وكانوا يعبدون السيف<sup>(٣٢)</sup> .

### الفيلة

ولا يمكن الحديث عن أدوات القتال الهندية دون التطرق الى الحديث عن الفيلة كسلاح ، فهي مُنتج هندي خالص حاضر دائما في الحياة العامة كوسيلة للنقل الثقيل والأعمال الشاقة وأداة قتل في الحروب والسلم أيضا ؛ ودأب ملوك الهند على إستخدامها في القتال بعد تدريبها على القتل لقدراتها المخيفة في المعارك ، وكانت الفيلة تُلقى الذعر في جيش العدو وخيله بضخامتها وضجيج أصواتها ؛ ويقول الرحّالة الصيني تشيون تسانغ أنّ الهنود كانوا يسقون فيلتهم الحريّة خمرا قبل القتال ليسهل عليهم قيادها والتحكم فيها وعدم التفرع من قعقة السلاح وجلبة القتال ؛ ويقود الفيلة ؛ فيّالة يُمسكون في أيديهم اليمنى سكاكين طويلة المقابض، فإذا دُعر الفيل وانقلب هائجا ، يُبادرن بقتله بغمد السكين في رقبة حتى لا يتخبّط في صفوف جيشه.

ولم تقم حرب في الهند دون أن يكون للفيلة مكانا فيها ، فالفيلة كانت إما سببا للنصر أو الهزيمة لجيشها ، فكادت تقضى على جيش الإسكندر المقدوني في معركة هيداسبس شتاء عام ٣٢٧-٣٢٦ ق م في البنجاب ؛ وكانت الفيلة سببا في هزيمة الجيوش التي تنتمي اليها لما ابتكر الأعداء وسائل إفزاعها وإهاجتها في ميدان القتال فلا تعباً بمن تدهسه أكان صديقا أو عدوا ، فتيهور لنك في معركة دهلي أهاج الفيلة بإلقاء سنون حادة في طريقها ، فإنقلبت تدهس جيش سلطان دهلي ناصر الدين محمود شاه ما سهل لتيهور لنك هزيمته ، وفي معركة كارنال (٢٤ فبراير ١٧٣٩) إنتصر نادر شاه الدولة الأفشارية (فارس) بجيشه الصغير على الجيش الضخم لشاه مغول الهند ناصر الدين محمد الذي ضم أعداد كبيرة من الفيلة ؛ بأن أطلق عليها في ساحة المعركة جمالا تحمل أحمالا من الحطب المشتعل ؛ فأحدثت الفيلة فوضى عارمة بين جيش مغول الهند .

وكان إقتناء الفيلة قاصرا على القادرين على إعاشتها ؛ وهم الملوك وقلة من كبار رجال الدولة ؛ فكان لدى السلطان محمد طُغلق ثلاثة آلاف فيل خصص للإنفاق على رعايتها هي وشحنتها المتوكلين برعايتها إقطاعيات بحجم العراق<sup>(٣٣)</sup> ، وكان سلاطين الهند دائما ما يحرصون على الحصول على الفيلة من أعدائهم كحصاد للنصر أو المصالحة ؛ كما أن الملك سلوقس خليفة الإسكندر الأكبر في الهند تنازل عن بعض

<sup>٣٢</sup> - كان الساموثيريون يعبدون السيف في معبدهم الخاص كل يوم خاصة وقت التتويج ؛ و لما احترق سيف ساموثيرى في هجوم الهولنديين على بانجالور (١٦٧٠) صنعوا سيفا جديدا عام ١٦٧٢ من شظايا السيف القديم ؛ محفوظة بقاياها في غلاف نحاسي ، تُعبد يوميا في معبد بهاجافاتي الملحق بقصر ساموثيرى في ثيروفاتشيرا.

<sup>٣٣</sup> - يستهلك الفيل الواحد يوميا ٤٠ رطلا من الأرز و ٦٠ رطلا من الشعير و ٢٠ رطلا من السمن بجانب نصف حمل من الحشيش.

الأقاليم التابعة له عام ٣٠٢ ق.م الى تشاندرا جوبتا ملك الهند مقابل خمسمائة فيل حربى ، ويعبر ويل ديورانت عن غلو قيمة الفيلة عند الهنود بمثل غير أخلاقي بقوله " يُعد الهنود من دواعى فخر المرأة التفریط فى عفتها مقابل فيلا ؛ فغلو قيمته يعكس تقديرا عظيما لجمالها "(٣٤) .

### ضخامة المدن الحصون

ويشهد على دموية تاريخ الهند المبالغة فى تحصين مدنها ، ويشهد على ذلك نمط مدنها شديدة التحصين ؛ ومن أمثلة ذلك حصن شيتور (جيتور) بمملكة ميوار / راجستان وحصن كومبالغار ؛ وكليهما يعكسان قوة التحصينات لتتلائم مع شدة الحروب ودمويتها ، وما يلي نبذة عن بعضها والصور التى تشهد على ذلك .

#### ١ - حصن شيتور (جيتور)

حصن ضخم يتبع مملكة ميوار ، وهى مملكة عظيمة الشأن يمتد تاريخها الفترة (١٣٢٦-١٨٨٤) ؛ قامت بتوحيد العشائر المتحاربة فى راجبوتانا فى كونفدرالية قوية ، ، تصدت لغزو بابر الهند بقيادة سانجرام سينغ الذى كون ائتلافاً من ممالك راجبوت راجستان ؛ وانضم إليهم راجبوت موات المسلمين وأفغان محمود لودي ابن سيكندر لودي فى دلهي لطرده بابر من الهند وكادوا ينتصوا عليه فى معركة خانوا .

بنت ميوار فى عهود قوتها قلعة شيتور الحصينة فى القرن الثامن؛ على هضبة مساحتها ٦٩٠ فدان بإرتفاع اكثر من ١٨٠ متر ، قادر على الصمود فى وجه الحصار لسنوات ، ويُطلق عليه حصن الماء لوفرة مياهه التى لا تنضب لإرتباطه بمصدر دائم للمياه من باطن الأرض وإمكانيات تخزينه الهائلة منه فى بحيرات قادرة على إستيعاب ٤ مليار لتر مكعب تكفي جيشا من ٥٠ ألف جندي لمدة أربع سنوات ؛ فكانت بمواصفاتها المشار اليها عصية على الغزو ، ولم يقدر على إقتحامها الا سلطان بمواصفات علاء الدين الخلجي سلطان دلهي عام ١٣٠٣ بعد حصار دامى ، ومن بعده بحوالي قرنين فتحها بهادر شاه الكجرات .

وقصة فتح الامبراطور أكبر للقلعة تشهد بحصانتها ؛ فبعد حصار طويل إستغرق خمسة أشهر من أكتوبر ١٥٦٧ الى فبراير ١٥٦٨ طبقا لأكبر نامة ؛ كان بالحصن قوة من ثمانية آلاف راجبوت والى فارس وحوالي ٤٠ الفا من الفلاحين تحت قيادة جيمال راتور؛ ولما عجز جيش المغول عن فتح القلعة حضر الإمبراطور بنفسه للإشراف على العمليات العسكرية وكانت الخيارات المتاحة للتغلب على الحصن ؛ التجويع أو تفجير البوابات ؛ ولما كانت أساسات البوابات فى أعلى قمة الهضبة وتعذر الوصول اليها ؛

أحضر أكبر خمسة آلاف بناء وحجار ونجار لحفر أنفاق للوصول للأساسات ، ولما شهدت حامية الحصن ضخامة الإستعدادات عرضت الاستسلام ودفعت الجزية ، لكن السلطان أكبر إشتراط تسليمه أوداي سينغ الثانى(١٥٤٠-١٥٧٢) حاكم ميوار ؛ وكان قد فر من الحصن

وبعد خمسة وخمسين يوماً وصل خبراء المتفجرات إلى جدران الحصن وفجروه لكن المدافعين سرعان ما أغلقوا الثغرة فأحضر أكبر مدفعه الضخم وتمكنت قواته من اختراق الجدران في عدة مواقع في وقت واحد ليلة ٢٢ فبراير ١٥٦٨ ، وتمكن أكبر من قتل جيمال قائد الحصن برصاصة من بندقيته فتحطمت معنويات المدافعين ؛ وسرعان ما تصاعدت أعمدة الدخان من منازل الحصن فى إشارة إلى ممارسة الراجبوت (منازل باتا سيسوديا وأيسر داس وصاحب خان) الجوهار لعائلاتهم (التضحية بالنفس) ، ثم خرج الراجبوت للقتال حتى الموت وفر ألف فارس من القلعة ؛ ودخل أكبر الحصن فى ٢٣ فبراير ١٥٦٨ ؛ وقتل المغول ما بين ٢٠ - ٢٥ ألفاً من أهل القلعة والبلدان المحيطة بدعوى مساعدة الحصن فى المقاومة.

راعى جهانجير حساسية ملوك ميوار من السجود فى حضرته خصوصا أن ملوكها الجدد تحدوا بنديّة دولة المغول وخاضوا معها معارك إنتصروا فى بعضها وإنهزموا فى البعض الآخر ؛ فعندما إستسلم له أمار سينغ ١٦١٥م ؛ والفق جهانجير على شروطه بإعفاء أمار سينغ من المئول بين يديّ السلطان (كطلبه) لتجنب السجود للسلطان على أن ينوب عنه ابنه و تكريماً من جهانجير لـ أمار سينغ ، لم يُصر جهان كير على طلب الجزية منه كزعماء الهندوس الآخرين ورد له ميوار بقلعتها (چتور) التي استولى عليها جلال الدين أكبر على أن يحكم باسم المغول مع تعهده بعدم إقامة أيّة تحصينات فى القلعة طبقاً لمقترحه..

صور حصون



١- قلعة جيتور أو شيتور من الداخل







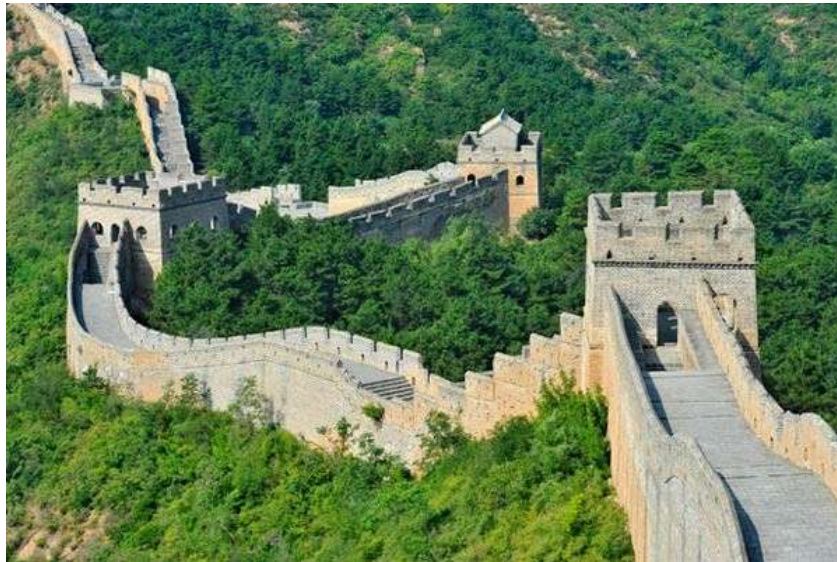
قلعة شيتور - قصر الملكة بادمنتى- صاحبة القصة الوهمية فى الدراما الهندية



واحد من المعابد الثلاثين بالحصن

## ٢- حصن وسور كومبالغار

- بُنى عام ١٤٤٣ واستغرق بناؤه حوالي قرن من الزمن وكان يستخدم كفاصل بين مملكة ميوار ومروار الهندوسيتان المتحاربتان.
- طول السور ٣٦ كيلومتر؛ ويُعتبر ثاني أطول سور بعد سور الصين، يرتفع الف متر فوق مستوى سطح البحر وبوسطه قلعة وأكثر من ٣٦٠ معبداً؛ وللسور سبعة أبواب.



٣- حصن ميهرانغار - جودبور راجستان، الهند.  
 - مساحته ١٢٠٠ فدان (٤٨٦ هكتار) ؛ يقع المجمع على قمة تل بارتفاع ١٢٢ مترًا ؛ شيده راو جود الراجبوتى  
 حوالي عام ١٤٥٩.

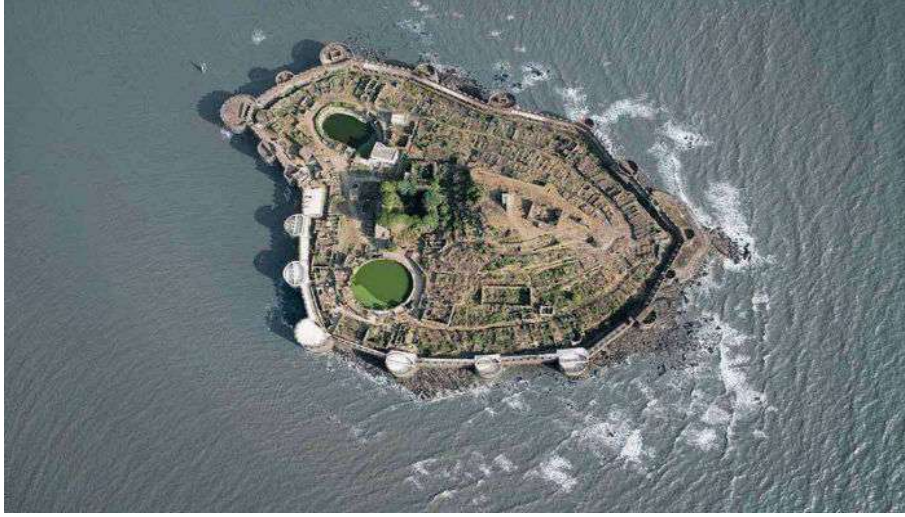


٣- حصن ميهرانغار - جودبور راجستان، الهند.



٤- حصن مراد جانجيرا - البحرى في الهند





مسقط افقى- حصن ميهرانغار البحرى - جودبور راجستان

### ○ وحشية أباطرة الهند القدامى

وتشهد سجلات بوراناس الهندوسية علي دموية ممالك الهند القديمة ؛ فقد حرص قدماء الأباطرة على تسجيل أعداد قتلاهم بفخر ، فالملك ناندا ماهابادما الأول (القرن الخامس ق.م) دمر في توسعه في عهد الملك أجاتاشر ممالك منها ماجادها ؛ وسجلت بوراناس وحشية الملك " راجاريا تشولا " الأول عند غزوه إمبراطورية " تشولا " ٣٠٠ ق.م ، وسجلت وحشية قرينه في الإسم والترتيب الرقمى تشاندرا جويتا ماوريا الأول إمبراطور ماوريا الذى تجاوز حجم جيشه ستمائة وثلاثين الف فارس وتسعة الاف فيل ؛ وإنتهج حفيده أشوكا الأكبر (٢٧٣-٢٣٣ ق.م) أعظم ملوك الأسرة وأشهر حكام الهند القدماء نهج جده في حروبه ؛ وسجل بفخر أن رقم قتلاه بلغ مائة وخمسين ألفا في غزوه اوريسا في جنوب شرقي الهند عام ٢٦١ ق.م ؛ وعدد مماثل عند إخضاعه قبائل كالينجا الثائرة في شرق الهند.

وكان أشوكا الأكبر يُطبق نظام عقوبات وحشى حتى اطلق العامه على سجنه جحيم أشوكا ، ولكنه نبذ هذا النهج الدموى بعدما شهد معجزة اجتياز راهب بوذى حكما بإعدامه غليا في الماء دون أن يتضرر ؛ فأفاقه هذا الموقف ونبذ الحرب وخذ الى السلمية وإعتنق البوذية وبشر بها ؛ وقال قولته الشهيرة " إن أفضل الفتوح ليست فتوح الجيوش ولكنها فتوح العقائد والإيمان "(٣٥)(٣٦).

وخلد سامودرا جوبتا (٣٣٥-٣٧٥م) مؤسس إمبراطورية جوبتا ؛ حروبه في شبه القارة الهندية مع أكثر من ثلاثة عشر مملكة على الأعمدة ؛ واستمر من بعده ابنه فيكراماديتا على نهج أبيه.

### ○ وحشية نظام العقوبات الهندي

يذكر الكاتب الأمريكي ويل ديورانت أن الملك تشاندرا جوبتا كان ملكا مستبدا ؛ طبق نظاما وحشيا للعقوبات في إمبراطوريته ؛ يشمل بتر الأعضاء والتعذيب حتى الموت ، وظلت هذه العقوبات مطبقة حتى عهد إمبراطورية فيجاياناغارا في القرون الوسطى في وقت متزامن مع الحقبة الإسلامية ؛ وأدان هذا الكاتب إستعباد فيجاياناغارا شعبها ؛ فيقول " إذا ما نفذت ببصرك وراء ستار ثراء هذه الإمبراطورية وجدت شعبا من العبيد والفعلة يعيشون في ضائقة ويخضعون لتشريعات أصطنعت القسوة والوحشية ؛ كان العقاب فيها قطع الأيدي أو الأقدام أو قذف المذنب الى الفيلة وجز رأسه ، وعقوبة المغتصب الخوزقة بإجلاله حيا على خازوق لينفذ خلال معدته أو تعليقه على مشبك من أسفل ذقنه وتركه هكذا حتى يموت ، وكانت مرتبة المرأة عندهم متدنية " (٣٧) .

### ○ قسوة النظام الطبقي الهندوسي

#### وإفرازاته السلوكية

- قيدت الهندوسية تابعيها بنظام طبقي موغل في القدم ، صنعه الغزاة الآريون لإستعباد سكان البلاد الأصليين ، ولضمان خلود هذا النظام وضمان عدم التمرد عليه أسبغوا عليه القدسية بإحاقه بالعقيدة وكأنه من صنُع الآلهة فظل معمولا به لآلاف السنين بصلابة لا تهتز ، وقسم المهن على الطبقات حسب موقع خلقتها من جسد الإله وهم :

○ ١- البراهمة : خلقها الإله براهما من فمه وهم الطبقة الأعلى الممتازة بيضاء البشرة، يحتكرون المعرفة الدينية وتفسير نصوصها السنسكريتية (اللغة المقدسة) ، ولا تتم مناسك الزواج والوفاة أو تقديم القرابين إلا في حضورهم .

○ ٢- الكاشتر : المحاربون خلقهم الإله من ذراعيه .

○ ٣-الويش : الفلاحون والتجار خلقهم الإله من فخذة.

○ ٤-الشودر : المنبوذون الداليت سُمر البشرة خلقهم الإله من رجليه، يعملون في أخط المهن ؛ وتعدهم الطبقات العليا أنجاس وتتجنب مخالطتهم ؛ ولا

٣٦ - قصة الحضارة ج ٣ - ص ١٠٠ .

٣٧ - قصة الحضارة: تراثنا الشرقي ص ٦٨ و ص ١٢٠. ( نفس العقوبات كانت مطبقة في عهد محمد طغلق وأبطلها خلفه فيروز شاه ، ثم طبق الإمبراطور المغولي جهانجير الخوزقة مع السيخ .

يسمح لهم بامتلاك الأراضي ، وعليهم أن يخدموا الطبقات العليا الشريفة  
الثلاث الأعلى في المرتبة ، وكفارة قتل الشودر تساوى كفارة قتل الحيوان ،  
وكان الداليت أكبر ضحاياه فنُقطع يده إذا إعتدى على البراهمي (٣٨).

خلق التمييز الطبقي حساسيات بين الطوائف و تطرفا في سلوكياتها ضد  
طبقة الأدنى الشودر؛ فمن إنتبذه التصنيف الطبقي كالداليت إنتبذته الدنيا الى  
الأبدية ؛ و إمتد التطرف لممارسات إجتماعية قسرية بدعاوى مختلفة في إطار  
من القدسية ؛ فمن مات بعلها الحقوها به في النار (٣٩) ، ومن خافت على عفتها  
دنس الغزاة إنتحرت في النار، ومن آذاه عار الهزيمة القى بنفسه في النار ؛  
ومن إستشعر الهزيمة تجرد خلى عن دروعه والقى بنفسه في أتون المعركة  
طلبا للموت ؛ وكل هذا يُظهر مدى صلابة الإنتماء للعقيدة ومكانتها لدى  
الشخصية الهندية .

وتحدثت شهادات الأرشيف البريطاني عن حوادث بشعة دموية الطابع إرتكبتها  
الهندوس خلال الثورة الكبرى صدمت البريطانيين ؛ بيدوا أنها أغضبت الإنجليز بشدة  
ولا نعرف تفصيلاتها ولكن شأن كل الثورات يحدث ما يحدث .

### ○ دموية الغزاة

وعن دموية الغزاة في الهند x فحدث ولا حرج ، فكل غزاة الهند في تاريخها  
القديم كانوا محليين أو اجانب قادمين من آسيا الوسطى ؛ فجاء منها الدرافيديون -  
الآريون - الهون - قدامى التتر وهى قبائل أصيلة فى الدموية ؛ فقصت بوحشية على  
حضارة وادى السند في القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، وإرتكبت من المجازر ما لا  
يُحصى ولا يُعد ، ف / ميهيراجولا (مهركل) الرهيب زعيم الهون الشهيرة ذبح آلاف  
الهندوس على جانبي نهر السند لمساندتهم أخيه المتمرد في القرن الرابع الميلادى ؛  
وقضى الهون بقيادة توراماتا على إمبراطورية جوبتا ؛ فتبعثرت الإمبراطورية ولبثت  
البلاد في فوضى وعبودية لقرن كامل .

٣٨ - لا يزال المجتمع يلفظ هذه الطبقة رغم الغاء دستور البلاد النظام الطبقي .

٣٩ - الساتى طقس هندوسى تُقدم فيه الأرملة (مرغمة) على الإنتحار حرقا مع رفات زوجها إذا لم يكن لها منه ولد ، بحضور كبيراء  
البراهمة "أهل الدين" بعد أخذ موافقة السلطان ، ويختلف عن جاهيور الذى يتعلق فقط بمخاطر الحرب ف "جاهيور" أو "جوهار"  
طقس تمارسه أناث الراجبوت(الأمرأة المقاتلة) بالإنتحار الجماعي حرقا لتجنب الاسترقاق والاعتصاب من قبل الغزاة عند الهزيمة فى  
حالة الحرب ، و لما مات رانجيت سينغ ملك السيخ فى لاهور عام ١٨٣٩ ، حُرقت مع جثته أربعة نساء وسبعة محظيات طبقا للساتى  
؛ و يقول ابن بطوطة عن الساتى أنه ليس واجبا وإنما لإحراز السيدة وأسرتها شرف الوفاء للزوج الراحل ، ويصف الحدث الذى  
حضره فيقول تتجرد السيدة من ملابسها وتتصدق بها ثم ترتدى لباسا غير مخطط ويصبون عليها الزيت ثم تقرن يديها تحية للنار ثم  
تُلقى بنفسها فيها ويلقون عليها الحطب الثقيل حتى لا تتحرك مع قرع الطبول حتى لا يسمع المشيعين صراخها.

وفى عهد قورش و داريوس كان المُحتل الفارسى يضغط على السنديين لتحصيل الضرائب ففروا من الإقليم حسبما يقول هيرودوت ؛ وقضى الإسكندر الأكبر عاما ( ٣٢٦ ق م ) يجمع الذهب والتزود بالمؤن من السنديين ؛ وعاقب بوحشية كل من قاوم تقدم قواته فى وادي سوات و بونير ؛ ووفقاً لما ذكره مؤرخه كرتيوس ؛ دمر الإسكندر قلعة مساعا وذبح من فيها بعد أيام من القتال الدامي ، و كذلك فعل فى قلعتنا أورا و أورنوس ، و كانت معركة هيداسبس الضخمة عام ٣٢٧-٣٢٦ ق م بينه وبين بورس حاكم البنجاب ؛ أحد أقوى ملوك الهند ملحمة دموية هائلة خسر فيها جيش الهند ١٢ الفا من جنوده بعد قتال بطولى كادت فيه الفيلة أن تسحق الاسكندر تحت أقدامها وقُتل فيها جواده .

و من هول معارك البنجاب تمرد قادة جيش الإسكندر عند نهر بيس و رفضوا الخوض فى وادي الكنج بعدما علموا أن عليهم فى مسيرتهم مواجهة جيش أغرامس الأول ملك ناندا ؛ وهو جيش ضخم قدره كورتيوس مؤرخ الإسكندر المقدونى بحوالى ٢٠٠ ألف جندى و ٢٠ ألف فارس و ٣٠٠ فيل و ٢٠٠٠٠ عربة خيول ، فإضطر الإسكندر إلى الانسحاب من الهند ؛ وأثناء تفهقره إحتكت فلول جيشه المُنهك بالقبائل المحلية مرتكبة مجازر للنساء والأطفال ودمروا القرى حسبما ذكر نهر و فى كتابه.

وقتل الإنجليز ثمانمائة الف قتيل خلال عام ونيف فى الثورة الهندية العظمى ؛ ناهيك عن وحشية فاسكو دى جاما التى تجاوزت حدود الوحشية والدموية والسادية فى أقصى صورها التى يصغرُ فى ظلها دموية السلطان محمد طغلق التى سنتعرض لها فى الكتاب الثانى .

### حواضر القتال (الدموية)

وتُفسر لنا الجغرافيا والبشر والثروة أسباب تأصل الدموية فى تاريخ الهند وإنفرادها بهذا الطابع عن بقية دول العالم ؛ فالهند غناها لافلت أرضها خصبة مياهها وفيرة وقاها الله شح الماء فهى من أكثر بلاد الدنيا أنهارا إن لم يكن أكثرها (٤٠) ، نَوْع مناخها غلاتها ، جغرافيتها إنعزالية الطابع يُحيطها البحر إلا من شمالها القاسى التضاريس يُتَوَجَّه قوس من سلاسل جبلية عملاقة ، هى وصلتها الوحيدة بعالم البر الآسيوى الداخر بالحضارة و الهائج المائج بالدموية (٤١) ، كانت علاقتها عبر هذا

٤٠ - ولأنهار طبيعة مقدسة فى الهند ، وأقدسها سبع أنهار على رأسها "الجانج" أطول الأنهار وهو ونهر براهماوترا يحتضان أكبر دلتا فى العالم .

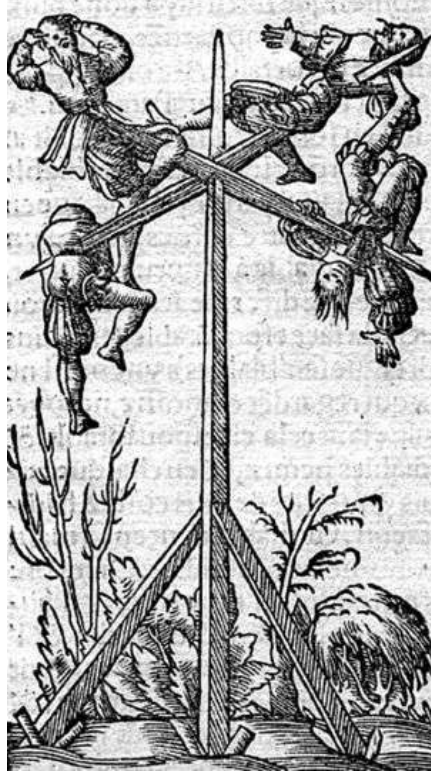
٤١ - يؤمن الهندوس بالجمال كمصدر قوة و طاقة روحانية وفى مغاراتها معظم معابدهم ، وتنتشر سلاسلها الجبلية كتاج على رأسها شاهقة الإرتفاع ( ٦٥٠٠-٧٥٠٠ متر )؛ ومن أهمها جبال هيمالايا التى تمتد فى شكل قوس عظيم الإرتفاع والامتداد بطول يزيد عن ٣٢٠٠ كم ، وقمة جبل إفرست أعلى قممها بإرتفاع ٨٨٤٨ متر فوق سطح البحر ؛ هى أعلى قمة جبلية فى العالم ؛ وغرب سلاسل هيمالايا سلسلة جبال قراقرم وفى شمال هيمالايا توجد هضبة التبت أعلى هضاب العالم ؛ وعدد كبير من الجبال حتى الهضبة الإيرانية ؛ ويخترق سلاسل جبال سليمان كثير من الممرات منها ممر بولان وممر خيبر وممر جومال التى تربطها بآسيا الوسطى .

المدخل البرى غير مريحة فمنه إندفعت قبائل العنف الدموى الى أرضها ؛ أغرتهم كنوزها من الذهب والفضة المكدسة فى المعابد بخزائن الآلهة فى إطار من الأبدية و لا نفع منها لأهل الدنيا سوى البركة ، فأغرت عتاة الغزاة من كل الأرجاء وفى كل الأوقات بالفقز الى قلبها برا طوال تاريخا القديم ثم بحرا عبر الرجاء الصالح .

### ومن هنا تشكلت حركة التاريخ فى الأطر التالية:

- التعددية والميل للإنفصالية فى شخصية الهند ؛ وهما اللتين فرضهما إلتحام عنصر الجغرافيا والبشر بإتساع الأولى وضخامة المكون البشرى وإنتثاره على نطاق واسع فى مساحة البلاد الضخمة ؛ فتعددت فى ظلها الهويات القومية والثقافية وما إستتبعها من تعصب كل لذاته ، فعجزت الدول المركزية على المحافظة على وحدة البلاد لفترات طويلة .
- إقتضت السيطرة على المكون البشرى الضخم فى نطاق جغرافى هائل ؛ إتباع سياسة التشدد والتشديد فى الحكم بما فيه ذلك من تجاوزات تقتضيها الضرورة ؛ فطبقت الممالك نظام عقوبات وحشى .
- فلسفة الحياة عند الهندوس أجمت فعاليات الدموية ؛ نتيجة المرارة التى ولدها النظام الإقطاعى الذى يميز قلة من الأغنياء على الغالبية المطحونة ؛ ومعه سلبيات الفرز الطبقي للهندوسية بتصنيف الطبقات ما بين التعالى و التدننى ؛ فرض على شعوب الهند لتجاوز هذا الواقع المرير تبنى فلسفة تقديس المتناقضات النور و النار و الصخر (الجبل) والماء (النهر)؛ فأنزلقوا الى التطرف فى إيمانهم لدرجة أصمت الضمير والأذان عن آنات المُساقات الى نهايتهن حرقا (السيتى) ، ويفقد معها المنطق نوره ليتحول نارا تحرق الأجساد وتزهق الأرواح (حرق الموتى - التضحية بالنفس) .
- ويضفى التطرف على الشخصية الهندية عنادا ممزوجا بالإعتزاز بالذات الى درجة الموت فى إصرارا غير منطقى فى حالات التى تتعلق بالكرامة والشهامة ؛ كما فى حالات إنتحار النسوة التطوعى حرقا (الجوهيار) لصون عفافهن من رزائل الغزاة ، وإنتحار الملوك حرقا للتخلص من عار الهزيمة ، وحتى فى الإحتفالات الهندوسية كانت الوحشية ظاهرة فى طقس "تأرجح الخطاف" فى كاليكوت كان يتم إجراؤه بشكل شائع كجزء من بعض المهرجانات الدينية الهندوسية الشهيرة .





تأرجح الخطاف

ونتطرق بإيجاز لبعض التفصيلات في هذه الملامح:

### • الجغرافيا والبشر

الهند بلاد شاسعة مساحتها ٤,٤٨٠ مليون كم ٢ ، وصفها قدامى الرحالة عربا وفرسا بأنها " مملكة عظيمة الشأن لا يُقاس إتساعها بمملكة في الأرض سواها " ، ودلل ابن بطوطة على إتساعها بطول المسافات بين مدنها ، فالمسيرة بين دهلي في الشمال و دولت أباد في وسط الهند أربعة شهور وإذا تجاوزناها الى هضبة الديكان تزيد المسيرة شهرين بإجمالى ستة شهور ، وأكثر من هذا وصولا لأقصى الجنوب.

عد المؤرخ اليوناني هيرودت الهند من أكبر بلاد العالم سكانا إن لم يكن أكبرها على الإطلاق آنذاك ، وتُشير التقديرات الى أن عدد سكان إمبراطور موريا - ٣٢٢ (١٨٥ق م) الممتدة على مساحة ٥ مليون كم مربع تشمل شبه القارة الهندية ؛ بلغ خمسين مليون نسمة في عهد الإمبراطور أشوكا أعظم أباطرة الهند في العصور القديمة ؛ وكان إنتثار المكون البشرى للهند بضخامته في محيط جغرافى هائل الإتساع متباعد الأطراف ؛ أثرة في عدم تجانس الهوية عرقيا وثقافيا فتعددت الهويات القومية وإختلفت لغاتها (٤٢).

أهدر هذا الوضع التلاحم وعزز الإنفصالية وما إستتبعه من تناقض الإرادات وتفجر الصدامات ، وأصبح من الصعب على مملكة واحدة (سلطة مركزية) إحكام السيطرة علي البلاد ، فتقاسم الحكم فيها أكثر من ٩١ مملكة وإمبراطورية في تاريخها القديم (٤٣)؛ إستمرت منها ٢٢ مملكة في الحكم لأكثر من ٥٠٠ عاما والقليل لأكثر من

الف عام ؛ تطاحت فيما بينها للإستحواز على البلاد ؛ وفشلت معظم القوى في تحقيق وحدة شبه القارة الجغرافية وأصبح توحيد شبه القارة الهندية مطمحا صعبا يستوجب تحقيقه الدموية بكل أشكالها وعلى كل المستويات (٤٤).

٤٢ - من بين أكبر شعوب الهند حاليا ؛ الهندوستان ، التيلجو ، المهاراتية ، البنغال ، التاميل ، الكجرات ، الكانارا ، البنجاب ، وتتنوع اللغات تبعا لتنوع الأعراق فيها ٤٦١ لغة انقرض منها ١٤ ويعترف الدستور بـ ٢٢ لغة هي السنسكريتية لغة المناسك المقدسة ، الهندية ، الإنجليزية ، الأوردو ، البنجابية ، البنغالية ، الأسامية ، الفوجارتية ، دوغري ، الأوريا ، المهاراتية ، الكانادا ، التاميلية ، التيلجو ، المالايالامية ، الكونكانية ، الماينبورية ، الكاسية ، الميزو ، التيلجو؛ ويتحدث الشماليين اللغة الهندية ولا يتحدثها أهل الجنوب .

٤٣ - لم يتضمن الحصر دول الحضارات القديمة ولا ممالك الحقبة الإسلامية.

٤٤ - أشار الحديث النبوى الى تعددية ملوك الهند في آخر الزمان ، بمعنى غلبة الإنفصالية والتعددية على شخصيتها ؛ فيذكر الحديث : " يغزو قوم من أمتى الهند فيفتح الله عليهم حتى يلقوا بملوك الهند مغلولين في السلاسل ؛ يغفر الله لهم ذنوبهم ، فينصرفون الى الشام ؛ فيجدون عيسى ابن مريم بالشام "؛ وفي رواية أخرى قال أبو هريرة " قال رسول الله - وذكر الهند - فقال " ليغزون الهند لكم جيش يفتح الله عليهم ، حتى يأتوا بملوكهم مغلولين بالسلاسل يغفر الله ذنوبهم ، فينصرفون حين ينصرفون ، فيجدون ابن مريم بالشام ".

وخضعت دهلى رغم قوتها وعظمتها لهذه الدورة الإنفصالية المتأصلة فى العصب الهندى ، عندما أغوى إتساعها الجغرافى حكام الأقاليم على الإنفصال عن الدولة فففسخت بعد صمود زمنى طويل لما إتسعت جغرافيتها فى عهد الطغالقة وعجزت بقواتها المحدودة عن السيطرة على هذا الفضاء الجغرافى الشاسع وكتلته السكانية الهائلة ؛ فمالت رغم أنفها لقبول الجزية من ممالك الهندوس بديلا عن الحكم المباشر.

وتطلبت السيطرة على هذا المجتمع الضخم فرض نظام شديد الإنضباط بما فيه من تجاوزات فأسفر عن نظام عقوبات شديد الصرامة والقسوة فى كثير من الأحيان طبقته إمبراطوريات الهند القديمة ، وإستمر قيد التطبيق تارة وقيد التجميد تارة خلال الحقبة الإسلامية حسب هوى السلاطين ، وليس مستغربا أن السلاطين الذين تابعوا تطبيق منظومة العقوبات الهندوسية ؛ هم من ذوى الأصول المشتركة مع الهندوس.

### • فلسفة الحياة عند الهنود (صلاية العقيدة)

ومن جوانب شخصية الهند التى قد لا تكون سببا مباشرا فى إشتعال الحروب لكنها تقف وراءها ؛ صلاية وعناد الشخصية الهندية السابق التطرق إليها نتيجة التطرف فى فلسفة الحياة ، فنظم الحكم الإقطاعية كما هو حال هند ذلك الزمان ؛ هى نظم إستبدادية تنفصل فيها قاعدة الهرم الإجتماعى بكامل إتساعها عن الطبقة الحاكمة الضيقة المستبدة ؛ فتتعلق قاعدة الهرم على ذاتها وينحصر إهتمامها فى معالجة همومها الحياتية ؛ ولما ضاق بها الأمل فى تحسن الحال أمام إستبداد الحكام ، إنحرفت بإهتمامها عن أمور الحكم الى الإستغراق فى تقديس الآلهة ؛ ومن أجل إرضاء الآلهة حرموا أنفسهم من القليل الذى يتحصلون ليقدمونه إليها فى المعابد ، أملين فى أن يتغمدهم الإله الخالق برحمته عند إعادة الخلق فى حياتهم القادمة ؛ ومن هنا إستقرت صلاية الإنتماء للهندوسية لدى الهنود ، وبفضله بقيت الهند متماسكة رغم تعددية متناقضاتها المشار إليها أنفا.

ويرى البعض أن تقديس الهنود للعقيدة ؛ مرجعه الصوفية المتجذرة لديهم ؛ ففلاسفة الهند هم الأباء المبدعون لعقائد آسيا الوثنية العظمى ؛ ففيها ولدت الهندوسية والبوذية والجينية ؛ ولم تنضب فيها دورة التجديد فى مجال العقيدة حتى فى ظل الإسلام ، فصوفية الهند المسلمون والهندوس هم من نَظَرُوا التوحيدية التوافقية التى تؤمن بإله وحيد بصرف النظر عن إسمه ؛ وتخلط فى ظلّه شتات من ديانات أخرى على رأسها

الهندوسية (٤٥) وفي عهد متأخر وُلدت تحت مظلتها السيخية ؛ وإستلهم الإنجليز من هذه الفلسفة نهجا لشق صف المسلمين فشجعوا ظهور الملل المنحرفة القديانية المعروفة بالأحمدية والبهائية وغيرها من الملل.

ومن أمثلة التطرف (العناد والتضحية) فى الشخصية الراجبوتية ، تصرف ملك كنبيلة الهندوسى برفضة فى شجاعة نادرة التخلّى عن إجارته متمردا مسلما وهو يعلم مسبقا النهاية المُدمرة لهذا التصرف لعظم مخاطرها لتعلقها بشخص السلطان السادى محمد طغلق المعروف بوحشيته ؛ مفضلا ليس فقط التضحية بنفسه بل وبأسرته.

و قصة حاكم ميوار الراجبوتى مُعبرة عن الأنفة وصلابة الكرامة وعناد المقاومة ؛ فوفقاً لما ذكره أبو الفضل وزير جلال الدين أكبر وكاتب سيرته ؛ أن أوداي سينغ الثانى حاكم ميوار كان مستعدا لدفع الجزية لأكبر والإعتراف بسيادته ، لكن عدم إستعداده للسجود لأكبر منعه من ذلك لأن أسلافه لم ينحنوا ليقبلوا الأرض بين يدي أحد من قبل ، فلما تقدم جيش أكبر لإخضاع ميوار وعجز عن إختراق تحصيناتها لخمسة أشهر ؛ أعد أكبر بنفسه تجهيزات ضخمة لتفجير أبواب القلعة ، فعرض المدافعون الإستسلام لكنهم تراجعوا لما إشتراط أكبر تسليم أوداي سينغ ، ولما أدركهم اليأس مارس الراجبوت منهم التضحية بالنفس لأسرهم وقاتلوا حتى النهاية ؛ وكان الإمبراطور أكبر أكثر عنادا فأرسل فى الأنحاء للبحث عن أوداي سينغ ؛ قد يكون ذلك بسبب رغبة أكبر فى كسر شوكة ميوار لتاريخها المعادى للمغول المتواصل بكيرياء وعناد منذ أن حشد رانا سينغ الثانى إئتلافه المعادى من الراجبوت والأفغان لطرده بابر من الهند فى معركة خانوا ، وإستمر هذا العناد برفض اوداي سينغ الخضوع لبابر ؛ لكن أكبر لم يتمكن منه لإعتصامه بالجبال يقود حرب عصابات ضد المغول ؛ وظل أوداي سينغ يحكم ما تبقى من مملكته وإنشغل عنه أكبر بسبب مشكلاته فى الشمال الغربى.

كذلك فعلت الملكة الراجبوتية المحاربة راني درگافاتي الوصية على عرش إمارة گوندوانة الهندوسية الواقعة فى الإقليم الأوسط ؛ فقد قاومت بإستماتة غزو جيش

٤٥ - الهندوسية من أقدم ديانات العالم وهى الدين الغالب على شبه القاره الهندية ، وهى ترانيم دينية ظهرت فى مطلع الألف الأول فى وادى السند شمال الهند (باكستان حاليا) إقتبسها الدرافيديون قدامى الهنود من الكتابة الأرامية، وقد أطلق عليها فيما بعد الكتابة البراهمية ومنها اشتقت كل الأبجديات الهندية، وبقيت قرونًا طويلة لا تستخدم إلا لأغراض تجارية أو إدارية ، تعظم الإله الأعلى فارونا (إله السماء) يعاقب الشر ويكافئ الخير ؛ ويبدو أن الآلهة الفيدية فى مراحلها الأولى لم يكن لها معابد وأصنام وكان تقديم القرابين أهم طقوس ؛ وليس لها مؤسس معروف وليس لأسفار الفيدا نص مكتوب فلم تكن الكتابة بالابجدية السنسكريتية قد عرفت إلا فى القرن الثامن قبل الميلاد ؛ ونصوصها أوحى بها الإله كارما لحوارييه وتناقلتها الأجيال شفاهة ، والإله الأكبر " براهمان " هو الروح الخالدة ؛ خالق كل شيء فى قيس ما زال خالدا من نور السماء طمس جذوره الإلهية الأصيلة إيمان الهندوس بتعدد الآلهة ، ويعتقد الهندوس فى تناسخ الأرواح فى دورات لا تنتهى ؛ ومن منسك الهندوسية الحج الى سومنات للتطهر فى مياة أنهارها المقدسة للأفهار طبيعة مقدسة عند الهندوس وأقدسها "الجانج" كما يؤمنون بأن للجبال قوة روحانية فاتخذوا من مغاراتها معابد ؛ وأعياد الهندوس الديوالى (عيد النور) والهولى (عيد الربيع والألوان) .

الإمبراطور أكبر لإمارتها سنة ٩٧٢هـ / ١٥٦٤م ، وعندما وجدت أن لا مناص من الهزيمة طعنت نفسها مفضلة الموت على الاستسلام وآثر ابنها الصغير بير نريان أن يلحق بوالدته على أن يستسلم لأعدائه .

ويمكن إستخلاص بعضا من صفات الشخصية الراجبوتية مما ذكره مؤرخ السلطان محمود الغزنوى عن عادة ملوك الهند (الراجبوت) جز إصبعهم وتسليمه لعدوهم علامة على الخضوع ، وأن السلطان محمود الغزنوى كان لديه الكثير منها ؛ وذكر حادثة بعينها قطع فيها الملك إصبعه دون الم ووضع علي الجرح مادة وربطه وسلم الإصبع الى مندوب السلطان محمود الغزنوى (تفاصيل الحادث فى سيرة السلطان لاحقا) ؛ وفى كاليكوت كان يتم طقس وحشى يُطلق عليه "تأرجح الخطاف" كجزء من بعض المهرجانات الدينية الهندوسية .

وهذه القسوة فى الممارسات إن دلت على شئ فتدل على مدى العناد والصلابة والتهور والتمسك بالقيم الهندية ، ولا يختلف الهنود فى هذا عن بقية البشر فمنهم الصالح ومنهم الطالح .

### • الثروة حافز للدموية

الثروة منبت الحروب وكلما تعاضمت ثروة بلد كثر الطامعون فيها من الداخل ويندفع اليها الغزاة أفواجا كمن الخارج ؛ والهند بلد لافى الثراء كنوزه لا تنفذ على حد قول المنتفعين ؛ وأسماء بعض ممالكها تعكس بريق الثراء ؛ فمملكة أهوم (١٢٢٨-١٨٢٦م) على سبيل المثال يُطلق عليها مملكة صندوق الذهب ؛ وكان من عادة ملوك الهند التباهى بثرائهم وكنوزهم فى رسائلهم الى ملوك الدول الأخرى والتحدثوا عن عطاياهم ، أما غزاة الهند فقد تحدثت غنائمهم من الهند عن مدى ثراء ممالكها ؛ ولم تسعف الأرقام كل من تحدث عن كنوز الهند فإستخدموا عبارات التضخيم لا العد فإستخدموا الكتل - الأكداس الخ.

### ومن أمثلة ثراء الهند:

#### ✓ ثراء إمبراطورية فيجاياناجارا و ميوار

أشار ويل ديورانت الى ثراء إمبراطورية فيجاياناجارا بجنوب الهند ، فذكر أن ملكها بالغ فى تزيين عاصمته فى زفاف إبنته الى السلطان فيروز شاه (٦٤٦) ؛ بفرش شوارعها لمسافة ستة أميال بالمخمل والحريير ورقائق الذهب وغير ذلك من المواد

٦٤- قصة الحضارة - ص ١٢٢ ... ذكر ويل ديورانت أنه فيروز شاه سلطان دهلى ولكن لا دليل يسنده فى هذا ؛ و المعتقد أنه فيروز شاه بن داود بن الحسن البهمني سلطان الديكان.

النفيسة ؛ كما أشار الى إسراف ملك ميوار على إحتفالات تتويجه بإنفاقه ٢٠ مليون ريال.

### ✓ كنوز ملك دهمي

تباهى ملك دهمي بكنوز بلده وغناها فى مقام التعريف بنفسه فى مستهل خطابه الى الخليفة المأمون فيقول :

#### نص الرسالة

" بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، من دهمى ملك الهند ، وعظيم أركان المشرق وصاحب بيت الذهب وأركان الياقوت ، وفرش الدر الذى قصره مبنى من العود الرطب الذى إذا خُتم عليه قبل الصورة قبول الشمع ؛ والذى توجد رائحة قصره من عشرة فراسخ والذى فى خزنته الف تاج من الجواهر لألف أب كانوا له ذهبو ، والذى يُسجد له أمام البد الأكبر الذى وزنه الف الف مثقال من الذهب وعليه الف حجر من الياقوت الأحمر والدر الأبيض ، والذى يركب يوم السعادة وعلى رأسه التاج فى الف موكب ، كل موكب له دابة مكللة بالدر وتحتها الف فارس معلمين بالحرير والذهب ؛ والذى فى مربطه الف فيل أبيض خزائنها أعة الذهب ، والذى يأكل فى صحائف الجواهر على موائد الدر المنضود ، والذى يستحى أن يراه الله خائناً له فى رعيته بعد أن إستكفاه الأمانة والرئاسة على أهل مملكته "

وأرسل الملك هدية الى المأمون مع الرسالة ، هى جام ياقوت أحمر على قدر عظيم من القيمة فتحه شبر فى غلظ الأصبع مملوء دراً وزن كل درة مثقال والعدة مئة درة ووشى جيدها دارات سود على قدر الدرهم وفى وسطها نقط بيض معروزة بالدر؛ ومصليات ثلاث بوسائدها من ريش طائر إذا طرحت فى النار لم تحترق وفراوزها در وياقوت أحمر ووزن مئة ألف مثقال عموداً رطباً وثلاثة وثلاثين مناً؛ كافوراً محبباً كل حبة منه مثل الفستقة وأكبر من اللوزة مع جارية سنديّة طولها سبعة أذرع تسحب شعرها ، حسنة البشرة لها أربع ظفائر تعقد ظفيرتين على رأسها تاجاً وظفيران تبلغان الأرض من خلفها ؛ وطول كل شفر من أشفار عينيها إصبع ؛ يبلغ إذا أطرقت نصف خدها وكان بين شفثيها لمعان البرق من بياض أسنانها لها نهدان وثمان عكن .

ومع الرسالة والهدية كتابا للتعبير عن الثقافة الهندية ؛ فيقول ""..... وقد افتتحنا باب المكاتبه وطلب الفائدة بأن أهدينا اليك كتاباً ترجمته (صفوة الأذهان) وتصفحه يشهد على صواب التسمية ، ..... " ، وكان فى لحاء شجرة تثبت بالهند يقال لها (الكاذي) أحسن من الكاغد (نوع ورق) والقرطاس ؛ لونه يميل الى الصفرة والخط لازوردي مفتح بالذهب "

### ✓ غنائم الغزاة من كنوز الهند

ومن منطق تصيد الغنائم أصبحت الهند محل تنافس دموى بين الطامعين ؛ ولا يختلف في هذا منطقتهم أيا كان تصنيفهم عن منطق اللص الإنجليزي كلايف.

#### • داريوس

داريوس حلب السند بما حصله من جزية ضخمة بلغت سنة ٥١٨ ق.م حوالى ٣٦٠ تالنته (تالنت = ٢٦,٢ كغ) من تبر الذهب وحسب ما ذكره هيرودوت كانت أعلى ما تحصل عليه من أقاليم الامبراطورية.

#### • غنائم الأمويين من السند

عندما فتح محمد بن مُحَمَّد بن القاسم الثقفى مدينة الملتان في حملته على السند ؛ عثر على ثمانين زيرا مليئة ذهباً مكدسة في نفق معبد هندوسى طوله خمسون ذراعاً وعرضه خمسون ذراعاً ، حصيلة نُذُور ونفحات الحُجَّاج الهندوس عبر العُصُور ، لذا سمى المسلمون الملتان بيت الذهب ويقول الإدريسي " سُمِّيَت المُلْتَانُ فَرَجَ (بَيْتِ) الذَّهَبِ لِأَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ يُوسُفَ أَخَا الحُجَّاجِ أَصَابَ بِهَا أَرْبَعِينَ بِهَارَ ذَهَبٍ وَالبِهَارُ ثَلَاثُ مَائَةٍ وَثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ مَنًا وَكُلُّهَا فِي بَيْتٍ فَسُمِّيَتِ بِذَلِكَ فَرَجَ الذَّهَبِ وَالفَرَجُ تعنى الثَّغْرُ " ، وجمع جيشه ذهب المدينة في حوضٍ عظيمٍ طوله مائة ذراعٍ وعرضه مائة ذراعٍ .

ورغم ضخامة غنائم الحملة إلا انها لم تغط سوى ضعف تكاليفها وهو مغنم فقير ؛ فلم يكن الهدف الأصيل من قيام الحملة المغنم لكنه كان مُحصله قيامها.

#### • غنائم الغزنوى

غنم السلطان محمود الغزنوى من "قنوج" عام ٤٠٩هـ/١٠١٨م صنم ضخم من الذهب الخالص وزن "٩٨٣٠٠" مثقال ، وحوالى "٢٠٥٣٠٠٠" درهم ؛ كما غنم من معابد مدينة مهرة الكثير من الذهب والفضة والياقوت ، وبلغ جملة ما تحصل عليه من ذهبيات أصنام هذه المدينة حوالى ٧٨ الف مثقال منا؛ و غنم ٧٠٠ منا (وزن) من الذهب والفضة و ٢٠٠ منا من الذهب الخالص من أحد القلاع والفين من الفضة الجيدة و ٢٠ منا من الياقوت والاحجار الثمينة واستعرض كل هذا فى غزنة للعامه لثلاث ليالٍ، لتشجيعهم على الإلتحاق بالجيش<sup>(٤٧)</sup> ؛ وكانت سومنات جائزته الكبرى فقد غنم منها سلسلة من الذهب بجرس وزنها مائة منا ؛ وخزانة فيها عدد كبير من الأصنام من الذهب والفضة، عليها ستور معلقة بالجواهر منسوجة بالذهب تزيد قيمتها على عشرين ألف ألف دينار(٢٠ مليون) .

<sup>٤٧</sup> - فى مرحلة ما انضم الى جيشه ٢٠ الف متطوع من تركستان.

### • غنائم علاء الدين الخلجي

أدهشت كنوز الدويقر السلطان علاء الدين الخلجي عندما فتحها سنة ٦٩١هـ / ١٢٩٤م ؛ ونهل منها الكثير عندما نبش فرسه خبيثها مصادفة ؛ فقد إعتاد ملوك الهندوس تخبئة كنوزهم عندما يُحاصروهم الأعداء حتى لا تقع في أيديهم ؛ وكانت هذه الغنائم سبب الوقعة بينه وبين عمه السلطان فأغتاله .

### ✓ كنوز الإمبراطور المغولي شاهجهان

(ثراء الهند في أقصى صوره)

- عرش الطاووس
- تاج محل
- القلعة الحمراء - مسجد دهلي الجامع - مسجد اللؤلؤة

ومن أعظم كنوز الهند وأكثرها صيتا كنوز الإمبراطور شاهجهان أغنى أباطرة المغول وأغنى ملوك الهند قاطبة في كل تاريخها ؛ فلقد كانت دولة المغول في عهده قد بلغت قمة ثرائها وقوتها الإقتصادية والعسكرية على حد وصف المؤرخين ، فالنتاج المحلي لإقتصادها الضخم شكل ربع الناتج المحلي الإجمالي العالمي ، متجاوزا مجموع الناتج المحلي الإجمالي لقارة أوروبا ؛ ما هيا لها زيادة التجارة الدولية والتربع على عرشها ، وجيشها البالغ مليون جندي تقريبا كان أكبر وأقوى جيوش عالم ذلك الزمان .

أنفق شاهجهان من موارد هائلة لينفق منها على روائعه وصناعة كنوزه الخالدة ؛ فعرشه المسمى عرش الطاووس تحفة فنية رائعة من روائع التحف العالمية لا يُقدر بثمن ؛ بما إحتواه من أكدايس الجواهر النادرة والذهب الخالص (١٢٠٠ كيلوجرام) مرصع بثلاث ماسات ذائعة الصيت المعروفة " كوه نور" وأخواتها ، ويقوم العرش على اثني عشر عمودا من الزمرد على كل واحد منها طاووسان تُزيئهما الجواهر وتتوسطهما شجيرة يُغطيها الماس والياقوت والزمرد، تتدلى منه درج ثلاث تكسوها الجواهر واليواقيت بإجمالي ٢٥٠ كيلوجرام من الأحجار النادرة ؛ وقد استغرق صنع العرش سبع سنوات ، وتكلف ٢٩ كرور روبية أى ضعف تكلفة بناء تاج محل تحفة هذا السلطان الذى تكلف ١٥ كرور (٤٨)؛ وتعكس زخارف العرش مدى رقى فن صياغة المجوهرات لدى الهند .

٤٨ - هناك إختلاف في تكاليف البناء بين المصادر من ٢٩ كرور روبية الى ١٥ كرور.





صورة زيتية لعرش الطاووس- المصدر غلام على



صورة زيتية لشاهجهان في عرش الطاووس

وهذا الكنز الفريد ليس الوحيد الذي ينتسب لهذا الإمبراطور الذي جاد على الهند برائعته المعمارية الخالدة تاج محل التي تكلف بنائها ٣٢٠ كرور روبية أي ٣٢٠ مليون روبية على مدى ٢٢ عاما ، وهذه الأرقام غير مشمولة بتكلفة احجار المرمر المُهداة من حكام الأقاليم لبناء هذا الأثر الذي تربح على رأس الهند تاجا خالدا ؛ وغير هذا من المباني العملاقة الرائعة .

ورغم ما أنفقه الإمبراطور شاهجهان من مبالغ طائلة على تلك الروائع الخالدة ؛ ترك خزانته بعد موته بها ٢٤ كرور روبية ( ٢٤٠ مليون روبية) و ذهباً ومجوهرات ب ١٥ كرور ( ١٥٠ مليون روبية ) ملأت حجرتين تحت الأرض سعة الواحدة منهما ١٥٠ الف قدم مكعب مملوأة بالفضة والذهب .

### ● غنائم نادر شاه ملك إيران

#### من كنوز مغول الهند

ولما داهم نادر شاه ملك إيران دهلي ، بعد إنتصاره على سلطانها ناصر الدين محمد شاه في معركة كارنال في فبراير ١٧٣٩ م ، غنم من دولة المغول وهى في نهايات عهدها غنائم هائلة ما قيمته ١٢٠ مليار دولار ، إستلزم نقلها الى فارس ٢٠ الفا من البغال ومثلهم من الجمال ، ومن عظم قيمة ما غنمه أعفى نادر شاه مواطنيه في إيران من الضرائب لثلاث سنوات (٤٩) ؛ ومن بين الغنائم عرش الطاووس الذى تلقب به ملوك إيران بعد ذلك ، وإختفى هذا الصرح ولم يُعثَر له على أثر إلا بعضاً من جواهره النادرة .

### ● كنوز نظام (ملك) حيدر آباد

صنفت مجلة تايم الأمريكية فى عددها الصادر ٢٢ نوفمبر ١٩٣٧ ؛ حاكم حيدر آباد كأغنى رجل في العالم في أيامه وتصدرت صورته غلاف المجلة ، وقُدرت ثروته بمبلغ ٢ مليار دولار أمريكي سنة ١٩٤٠ بنسبة ٢% من حجم الاقتصاد الأمريكي آنذاك ، وإحتفظ بلقب أغنى رجل في آسيا عند وفاته سنة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧م ، وقُدرت تركته بمبلغ مليار دولار ، و لتحالفه مع التاج البريطانى تبرع الأمير عثمان على خان آخر حكام حيدر آباد (حكم الفترة ١٩١١ - ١٩٤٨) ؛ بتمويل بناء سفينة للبحرية الملكية الأسترالية سميت على اسمه HMAS Nizam ، وساهم أيضا بتمويل سرب طائرات حربية لبريطانيا فى الحرب العالمية الثانية .

كان فى حوزته مجموعة مجوهرات نادرة ونفيسة ضمت ١٧٣ جوهرة من أهم النفائس فى العالم ؛ إعتبرتها الحكومة الهندية تراثاً وطنياً مودعا لديه كأمانه لا يمكنه

<sup>٤٩</sup> - قتل جُند الفرس ٢٠ الفا من أهل دهلي فى ساعة واحدة إنتقاما لمقتل بعض الجنود الذين تعسفوا فى جمع الإتاوات من الأهالى .

التصرف فيه ، وبعد وفاته اشترتها من ورثته بمبلغ يعادل ٧٠ مليون دولار، وهو ثمن يقل كثيراً عن قيمتها الحقيقية التي قدرت بمبلغ ٣٥٠ مليون دولار.

### ثراء الهند من منظور المستعمرين الأوروبيون:

#### • الهند بلد لا ينفذ ثراؤه

(لصوص الإدارة الإنجليزية)

في محاكمة الضابط البريطاني روبرت كلايف (°) المسؤول المالي عن خزينة التاج البريطاني في الهند بتهمة الإختلاس ، برر فعلته بالقول أنه وجد نفسه في خضم إغواء لا يُقاوم لينهل نصيباً من كنوز الهند التي وجدها بلد لا ينفذ ثراؤه " ، فوجد نفسه وسط ثراء هائل يحيط به من كل جانب ؛ مدن غنية وأغنياء يفتحون له أسراباً مُكدسة أكداساً من الذهب والجواهر ليأخذ منها ما يُريد ؛ وتحسر على أنه قنع بالقليل الذي أخذه ولم يأخذ المزيد من بلد لا ينفذ ثراؤه " .

#### • الحصاد التجارى

#### شركات الهند الشرقية الأوروبية

#### البرتغال

خطط الغرب الأوروبى منذ الحروب الصليبية لإنتزاع السيطرة على تجارة الهند الدولية ومعايرها من يد المسلمين لاسباب أساسها إقتصادى وبعضها سياسى ؛ وكان هذا سبباً فى إنطلاق الكشوف الجغرافية للوصول الى الهند بعيداً عن أرض الإسلام ، وكان للبرتغاليون الريادة فى هذا الشأن ؛ فظهر أسطولهم فى سواحل الهند الغربية بفضل عام ١٤٩٨ بفضل الملاحين الأندلسيين ؛ ونجحوا فى إقامة مركز تجارى فى كولام - كيرالا عام ١٥٠٥ ، وأقاموا قاعدة عين الملك مانويل الأول (١٤٩٥-١٥٢١) فرانسيسكو دي ألميدا نائباً عنه فى حكمها لتبدأ حقبة البرتغال الإستعمارية .

كان غرض ملك البرتغال من اكتشاف الطريق البحرى إلى الهند الحصول على ثروات الشرق ونشر المسيحية على حد قوله ؛ والإستحواز على التجارة الدولية للمنطقة ؛ وإستلزم الأمر إقامة بؤر استيطانية ، وأدى تغلغلهم فى أراضي الهند الى الإصطدام بالقوى المحلية بداية بامبراطورية ساموثيرى (قاليقوط) فى الساحل الغربى ومن بعدها بقية السلطنات و ماراثا ، وفرضت حصاراً بحرياً على حركة السفن التجارية إلا بتصريح منها ؛ وكان أول حصارها ما جلبه دى جاما من الهند فى أولى

°- الضابط البريطانى روبرت كلايف (بارون كلايف الأول - كلايف الهند) ؛ أقام السيادة العسكرية والسياسية لشركة الهند الشرقية فى البنغال ، وساهم مع الحاكم البريطانى العام فى الهند وارن هاستينغز (ماركيز هسنتكز ١٨١٣ - ١٨٢٣) ، واحداً من الشخصيات الرئيسية الأولى فى إنشاء الهند البريطانية؛ صاحب الفضل فى تأمين ثروة الهند للتاج البريطانى ؛ حاصل على وسام الفروسية وعضو البرلمان وزميل الجمعية الملكية (٢٩ سبتمبر ١٧٢٥ - ٢٢ نوفمبر ١٧٧٤)، كان عضو مجلس النواب فى إنجلترا عن حزب المحافظين..

رحلاته قدرتها المصادر البرتغالية بستين ضعف تكلفة رحلة آسيا بأكملها ، وبلغت مكاسبها من إحتكار تجارة الهند ١,٥ مليون ديوك ذهباً سنوياً خلال قرن ونصف .

### الفرنسيون

زار المستكشف الفرنسي " بيير أوليفيه ماليريبي " بلاط الإمبراطور المغولي أكبر ولمّا عاد إلى فرنسا أبلغ الملك هنري الرابع (حكم فرنسا ١٥٨٩-١٦١٠)، مدى ثراء الهند ووفرة كنوزها من الذهب والفضة ، وأشار عليه بضرورة الاستفادة من فرصة السباق الى كنوز الهند ، فأسس الفرنسيون شركة الهند الشرقية الفرنسية ، وكان لها محطتان مهمتان في الهند في تشانداناجار في البنغال وبونديشيري على ساحل كارناتيك ؛ وبلغت المنافسة الأستعمارية بين فرنسا والإنجليز أشدها وتصادما عامي ١٧٤٤ و١٧١٦، وكان النصر حليف الفرنسيين في البداية ؛ ولكن الإنجليز تمكنوا من تهيمشهم بعد انتصارهم عليهم في معركة بلاسى بالبنغال.

وفي ظل الإستقواء بكنوز الهند بين الدولتين في الصراع العام بينهما ؛ فكرت فرنسا في ضرب إنجلترا في مقتل في الهند فتحالف الفرنسيون مع طيبو سلطان ميسور تميدا لتنفيذ المخطط فدعموه بقوة فرنسية في حربه ضد الإنجليز عام ١٧٩٢ ؛ وكان أحد أهداف حملة نابليون بونابرت على مصر عام ١٧٩٨ مواصلة السير الى الهند برا معتمدين على تعاون طيبو سلطان في الهند عند وصول الحملة ، ولكن تراجع الخطط الفرنسية في هذا الشأن بعد فشل الحملة في مصر..

### هولندا

أنشأت شركة الهند الشرقية الهولندية مراكز تجارية في أجزاء مختلفة على طول الساحل الهندي الجنوبي الغربي في مليبار وتعاونوا مع ساموثيري وماراكار الخامس ضد المستعمرات البرتغالية في ديو وجوا ؛ كما أقاموا مرتكزات تجارية في ساحل كورو مانديل في الجنوبي الشرقي وسورات (١٦١٦-١٧٩٥) و البنغال ؛ وتم تقليص دورهم بعد هزيمتهم في معركة كولاشيل على يد مملكة ترافانكور الهندوسية ؛ وداهم الإنجليز مستعمراتهم في الهند .

### الدنمارك-النرويج - السويد

أنشأت الدنمارك والنرويج مراكز تجارية في ترانكيبار وتاميل نادو في عام (١٦٢٠) وسرامبوري والبنغال الغربية (١٧٥٥) وقاليقوت وكيرالا (١٧٥٢) وجزر نيكوبار (١٧٥٠) ، ولم يشكل وجودهما تهديداً عسكرياً أو تجارياً ؛ وفي عام ١٨٦٨ ؛ باعوا ترانكيبار آخر مواقعهم للبريطانيين ؛ وامتلكت شركة الهند الشرقية السويدية لفترة وجيزة مصنعاً في بارانجيبيتاي.

### الفرق بين التجارة العربية والأوربية

سارت تجارة العرب فى مسارها التجارى الطبيعى لقرون ؛ يتولى التجار إدارة تجارة الهند بالشراكة مع أهل البلاد تحت سلطان ملوكها ؛ ولم يسعوا أبدا للوصول الى الحكم ؛ وبنوا نفوذهم فى المجتمعات المحلية من قوتهم الإقتصادية وما يقدمونه الى البلاد وملوكها ، لقد أدار التجار العلاقات إعتمادا على علاقاتهم بحكام البلاد دون مطامع سياسية أو فى الإستيلاء على ثروات البلاد وكنوزها .

## الإتهام الثانى إستعمار ومواطنة

إتهم الكاتب الفرنسي فرنان برادويل الحقبة الإسلامية بأنها إستعمارا ، ولنبحث عن مضمون هذا الإتهام فى الحقتين العربية فى السند والتركو/ أفغانية فى الهند :

### اولا - الحقبة العربية فى السند المساواه و ندية المواطنة

لم يكن الإستعمار هدفا من أهداف العرب قبل الإسلام ؛ فقلة أعدادهم لا تؤهلهم لتكوين جيوش ضخمة لازمة لعمليات إنتشار واسعة فى محيط تسيطر عليه روما وفارس القوى الأعظم آنذاك ؛ وإرتضوا جوارهما كممالك تابعة لخدمة التجارة الدولية العابرة ، فأتروا ومكنتهم قوتهم الإقتصادية من إقامة ممالك عظيمة فى تدمر والأنباط<sup>(٥١)</sup> ؛ وكانت لهم بالتوازي هجرات مماثلة الى فارس والسند ؛ ذابوا فى حواشيها بمرور الزمن .

وكان ظهور الإسلام دافع العرب الوحيد للخروج من الجزيرة على نطاق واسع لنشر الدين الجديد الى قلب العالم القديم ؛ فإكتسحوه بإتساعه المهول الى أقصى شرقه وغربه خلال قرن ونيف بين عامى ٦٣٢ - ٧٥٠ م ؛ ولم يفكروا خلال هذه الفترة فى فتح الهند الواقعة فى جوارهم المباشر ولا نعرف لذلك سببا ؛ بل من المستغرب أن الخلفاء الأمويون بُناة الإمبراطورية الإسلامية وأصحاب الفتوح الكبرى لم يُعيروا محاولات نوابهم فى العراق غزو الهند إهتماما ولم يستفزههم فشل الحملاته المحلية الصغيرة للولاة لغزو السند ، وتغاضوا وهم أكبر قوى ذلك الزمان عن تصرفات داهر ملك السند المعادية التى تجاوزت الحدود بإيواء المتمردين على الإمبراطورية ، بل قاوم الخليفة الأموى فى دمشق الوليد بن عبد الملك ضغوط واليه على العراق الحجاج الثقفى للقيام بحملة كبيرة لإجتياح السند ؛ بدعوى الأعباء المالية الضخمة لمثل هذه الحملة التى ستحملها الإمبراطورية .

كان الحجاج الثقفى قد وضع غزو السند نُصب عينيه ؛ وإنتهز رفض داهر ملك السند تسليم قراصنة الديبل بالسند الذين إختطفوا سفينة قادمة من سرنديب تحمل هدايا من ملك جزيرة الياقوت (سرنديب) إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك فى دمشق وواليه الحجاج فى العراق ، وقتلوا بعضا من ركابها وأسروا البعض الآخر من بينهم أرامل مسلمات عائدات بجثث ذويهن لدفنها ببلادهن ؛ فأقنع الخليفة بإطلاق الحملة مُتعهدا له

<sup>٥١</sup> - حضارات العرب فى الشام الكنعانيين ؛ الأدوميين ؛ الموابيين ؛ العمونيين ؛ الأنباط .

بأن تغطي تكاليفها ، ورغم ضخامة غنائم الحملة إلا انها لم تغط سوى ضعف تكاليفها وهو مغنم فقير ؛ فالمغنم لم يكن الهدف الأصيل من قيام الحملة لكنه كان مُحصلة قيامها.

فدافع القيام بالحملة لم يكن الإستعمارا طبقا لمفهوم الإستعمار الأوروبى التقليدى (إدارة البلاد طبقا لمصالح الغزاة لا مصالح أهلها وإلستنتثار بثرواتها - التوطن فى المناطق الأوفر ثروة وإعتدالا بتغيير الهوية ) ؛ وهذا لم يكن غرض الحملة العربية الرئيس بل كان أعظم من هذا وهو الدعوة للإسلام حتى قبل إنتهاء مهمة القصاص ، تشير السياسة المطبقة خلال الفتح لهذا المطلب ؛ وهو مطلب ينتهى طبقا لمبادئ الإسلام الى خير الناس بالإخاء والمساواة مع أهل البلاد المفتوحة ، وإنفردت السند من دون بقية بلاد الفتح الإسلامية بإشراك أهلها بما فيهم أبناء الملك القتل فى حكم البلاد منذ بواكير الحملة و قبل أن يستقر الإيمان فى قلوبهم ؛ وهذه السياسة الحميدة ترجع الى نجابة سياسة قائد الحملة محمد الثقفى بلفظ سياسة الإستعداد .

فقد أوكل محمد الثقفى السنديين حكم أنفسهم منذ مراحل الفتح الأولى ؛ فولى بعض أهل داهر الحكم وما زالت دماء الجانبين ساخنة فى بعض المناطق ليُزيل من صدورهم العداوة ومن نفوسهم هم الإحتلال ؛ كما أتاحت عدالة المسلمين لإبنة داهر عدو العرب ؛ بث عذاباتها مباشرة الى أعلى سلطة فى الإمبراطورية ؛ عندما خاطبت الخليفة الأموى فى دمشق وهى بعيدة عن مقره بمئات الأميال شاكية القائد الفاتح محمد الثقفى متهمه إياه ظلما بأنه إغتصبها ؛ فإقتص الخليفة منه فى مشهد قاسى آثار شجن السنديين قبل العرب .

## عدالة العرب

### مع السنديين

ولم يحدث قط فى التاريخ إلا فى حالة الإسلام ؛ أن إنتصرت إمبراطورية عظمى لمدع حق من أهل البلاد المقهورة ولو كان صادقا خصوصا أن المدعى عليه هو قائد جيش الفتح ، وهذه السياسة الإسلامية فى إنصاف أهل البلاد المفتوحة تجلت فى إقتصاص امير المؤمنين عمر بن الخطاب من الصحابى الجليل عمرو بن العاص مندوبه فى حكم مصر ذو التاريخ المجيد فى الفتح الإسلامية ؛ لمظلمة بسيطة لمواطن قبلى إستفزته كرامته وتجشم فى طلب إنصافها مسيرة طويلة الى الحجاز ليُقابل أمير المؤمنين ليقتص لمظلمته ، وبلغت العدالة الإسلامية أحد قممها عندما أنفذ جُمُيع بن حاضر الباجي قاضى الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز فى سمرقند حكما على القائد الفاتح قتيبة العظيم بخروج جيش المسلمين من المدينة لدخلها اليها عنوة بدون تخيير أهلها خيارات حروب المسلمين " الإسلام أو الجزية أو القتال " ؛ فمثل هذه العدالة ليست من صفات الإستعمار.

كما أنه ليس من خصال أهل المستعمرات أن تُغدق محبتها على غزاتها ، فأهل السند من محبتهم محمد الثقفي صوروه على جدر الجبال والمنازل ، وبكوه لما ساقه الحاكم العربي الجديد للسند مكبلا بالسلاسل الى بغداد بأمر الخليفة للقصاص منه لتهمة إغتصاب باطلة دون التحقق ، لقد بكوه حزنا لا تشمتا كما يحدث في العادة لما تلحق كبار الأعداء الكوارث ، وفوق هذا بكته صيته بنت داهر عند موته وبادرت بالإعتراف بزيف إتهامها له وتدفع حياتها طائعة ثمنا لذلك ، ومثل هذه المشاعر الحميمة لا تتأتى لغزى إلا بحسن سياسته و لين طابعه ، وما إنتاب سياسات محمد أبا القاسم الثقفي من شدة في بعض الأحيان إنما كان من مقتضيات القيادة وحسم المقاتلين.

وهل من طبيعة المستعمر أن يدعوا ملوك الشعوب المقهورة للتساوى معه على قدم وساق وأن يبقى على رأس مملكته ؛ فهذا الخليفة الأموي الراشد عمر بن عبد العزيز دعت حكيمته لدعوة ملوك السند لإعتناق الإسلام والبقاء على عروشهم والمساواة مع المسلمين فأسلموا ومعهم تابعيهم ؛ فجنبتهم دموية القتال و درأ عن السنديين المشاعر بمرارة الإحتلال ؛ وتابع الخليفة العباسي المهدي نفس النهج فأسلم بناء على دعوة مماثلة من جانبه ١٤ ملكا من ملوك السند ، ومثل هذه الدعوات الهادئة بددت فكرة قهر الإحتلال فتجاوز بها السنديون صفة أهل الذمة وخرجوا من دائرة الخضوع للغزاة الى دائرة أخوة المساواة معهم .

أما إستحضار محمد الثقفي بعض العناصر العربية للإستقرار بالسند ؛ فلم يكن إستعمارا بالمفهوم السلبي للغرب ولكن كان دافعه توطين الإسلام ؛ ومن الدلائل الأخرى على غياب منطق الإستعمارية ؛ عدم مواصلة العرب فتح الهند رغم معرفتهم بثرائها ؛ بعد هزيمتهم في معركة راجستان ٧٣٨ م على يد إمبراطورية براتيهارا (الراجبوت) بعد مدة وجيزة من قيامها المفاجئ .

### ثانيا الحقبه التركو / أفغانية

#### بين الإستعمار و المواطنة

وهذه الحقبه هي المعنية بإتهامات المؤرخين فقد طالت لثمانية قرون من القرن الحادى عشر الى الثامن عشر أى بعد الفتح العربى بثلاثة قرون تقريبا ، وأمرها مُختلف عن الحقبه العربية ، فالهند فى بداية الفتح كانت مجرد ثكنة عسكرية لجيش من محترفى القتال بدأ مستعمرا ثم مستوطنا ثم متوطنا ؛ وتعایش هذا الجيش خلال تطوره المجتمعى مع أهل البلاد ، فإندمجوا معهم وأثروا فيهم وتأثروا بهم ؛ وأدرك الفاتحون أنهم أصبحوا جزءا من الهند لا وطن لهم غيرها ؛ إعتمدوا عليهم بخلاف مناحى الحياة العامة فى مجالات عظيمة الأهمية وشديدة الحساسية والخطورة ، إرتقت الى درجة المساواة معهم بإستخدامهم فى قيادة الجيوش و كبار الوزراء خصوصا فى عهد



الخليجيين والطغالقة والبابريين ، وظهرت ثقافات ولغات مشتركة نتيجة التوطن والعيش المشترك .

### وللتوطن أوجه كثيرة منها:

#### ■ التقارب والرومانسية

##### بين الفريقين

سعى السلاطين منذ البداية إيجاد نقاط إلتقاء مع أهل البلاد ثمهد لخلق قاعدة بشرية تشد أزرهم وسط الأغلبية الهندية وكان هناك سبيلين لهذا المسعى أولهما نشر الإسلام لخلق أساس أخلاقي يستند لأخوة الإسلام وما يوفره من ترابط روحى على المساواة وثانيهما الإندماج الجينى لتأمين قاعدة إجتماعية من المحليين داعمة له وتسهل الإندماج مع المجتمع لخلق وشائج إجتماعية ومصالح مشتركة وإستخدموا لتحقيق ذلك التشجيع تارة والضغط تارة.

ولما كان السلاطين أهل حرب وليسو رجال دعوة فمارسوا نشر الإسلام وكأنه شأننا عسكريا ؛ وكان الضغط على اسرى الحرب أفضل وأسرع وسيلة لذلك ؛ فالأسير عليه أن يختار بين الإسلام مع الحرية والمكافآت التى تترتب على إسلامه وبين إستمرار العبودية ؛ ثم تطور التقارب الى الجانب الجينى ؛ وبدا التزاوج بين الطبقات العليا فى الجانبين ؛ ومنهم خرج أمراء وسلاطين منهم السلطان غياث الدين طغلق وإبنة السلطان محمد طغلق ؛ وكان المغول الباريين أكثر إندماجا فى عمليات التزاوج مع الراجبوت فالإمبراطور جلال الدين/ أكبر وسلالته من أكثر السلاطين زواجا بأميرات الراجبوت وأفرزت زيجاتهم هذه سلاطين من ذوى الدماء المشتركة ،

واسفر التزاوج عن شخصيات ذات تأثير فى مناحى الحياة خصوصا الثقافية والفلسفة الصوفية ؛ فـ / كابير " كبير" أعظم شاعر صوفى وغنائى فى الهند الوسيطة (مواليد عام ١٣٩٨) ينحدر من أب مسلم وأم براهمية (فة الكهنة) ؛ أغنى أدبه الحياة الثقافية للهند ، و المؤرخ مير خسرو (أمير خسرو) راجبوتى الأم ، و قد أعلى نهرو من شأن الإثنين فى كتابه فأشاد بدورهما فى تاريخ الهند .

ومن قصص الرومانسية بين المسلمات بين المسلمات والهندوس والسيخ ؛ كان من بين زوجات إمبراطور السيخ رانجيت سينغ التسع زوجة مسلمة راجبوتية هى

مهران (٥٢) ؛ وتزوج مهراجا شهاتراسال صاحب حصن بوندلخاند بيجوم روحاني باي الفارسية .

ومن أشهر قصص الدراما الرومانسية التي خلدتها السينما الهندية ؛ زواج مستاني (مسلمة) ابنة شهاتراسال من زوجته بيجوم روحاني باي ؛ بزعم ماراثا العظيم بيشوا / باجي راو الأول ؛ زوجها له أباه عرفانا لدوره فى فك حصار المغول عن حصنه وإجبارهم على توقيع اتفاق عدم إعتداء معه عام ١٧٢٨؛ وتفاصيل هذه القصة الرومانسية تأخذنا بعيدا عن جفاف السرد التاريخى الى رومانسية التاريخ .

### زواج مستانى - و- باجي راو الأول زعيم ماراثا

وتبدأ فصول هذه القصة عندما استدعى شهاتراسال ؛ باجي راو الأول ١٧٢٠ - ١٧٤٠ رئيس وزراء ماراثا المحارب ومن أهم زعمائها على مدار تاريخها وتبدأ فصول القصة عندما تمرد مهراجا شهاتراسال على المغول عام ١٧١٩ وإستقل بـ/ بوندلخاند ، وكان مهراجا شهاتراسال هندوسياً متسامحاً مع كل الديانات .

و تقول عنه المؤرخة الهندية كوسوم شوبرا ؛ أن مهراجا شهاتراسال كان رجلاً مُسالماً مُنفتحاً وغير متعصب ، لديه أحلاماً سابقة لعصره لجمع المسلمين والهندوس ؛ فتزوج المسلمة الفارسية روحاني باي فأنجبت منه ماستاني عام ١٦٩٩ ، فترك لها والدها حرية الإختيار بين الإسلام و الهندوسية ؛ ورواية أخرى تقول أن المهراجا أحضر روحاني باي الراقصة الفارسية من حيدر آباد للرقص فى قصره ؛ فعشقها وأنجبت له ماستاني ولأنها ابنة غير شرعية لم تكن تُعامل على أنها أميرة فقامت والدتها بتنشئتها على الإسلام ،؛ ورواية تقول أنها لم تكن ابنة مهراجا شهاتراسال بل ابنة شجاعت خان أسرها شهاتراسال لما مات أبوها الملك فى الحرب بينهما عام ١٧٢٤ ؛ فأعجب بها مهراجا شهاتراسال وقرر تبنيها وتربيتها ولم يتقبل المؤرخون هذه التفسيرات ورجحوا أن ماستاني ابنته من زوجته الفارسية فعلاً ، وكانت ماستاني فائقة الجمال كانت تُجيد الرقص والغناء وتنظم الشعر وماهرة فى القتال وركوب الخيل والمبارزة ورمي السهام.

وعندما قام المغول بحصار بوندلخاند لقمع تمردها ، إستتجد مهراجا شهاتراسال بـ/ باجي راو ، وكان قريباً بجيشه من المملكة فهزم المغول ؛ فكافأه المهراجا بثالث مملكته ؛ مدينة جانسي وساگار ومناجم الماس ووعده بأن يرسل له جزية سنوية .

٥٢ - أحرقت جثة رانجيت سينغ إمبراطور السيخ عام ١٨٣٩ فى لاهور بعد موته ومعها أربعة زوجات (ليس منهن مهران) وسبعة محظيات.

ولما رأى باجي راو ماستاني أثناء إقامته في بوندلخاند وقع في غرامها ، فزوجها والدها له ولم يُخبر أحداً لمعرفة المشاكل التي سيثيرها إعلان هذا الزواج ف/ باجي راو هندوسي متدين ومتزوج وغير مصرح في الهندوسية بتعدد الزوجات بالإضافة الى أن ماستاني مسلمة ؛ وفعلا تفجرت المشاكل عند عودة باجي راو ومعه ماستاني ؛ فالعائلة الملكية وعائلة باجي راو والقادة والأمراء والكهنة رفضوا هذا الزواج ؛ لكن باجي راو لم يكتثر وتحدى الجميع ولم يتخلى عنها ؛ ولما تزايدت المضايقات قام عام ١٧٣٤ ببناء قصر لها " ماستاني محل " ، وهجر زوجته كاشيباي مع إحتفاظه لها بكل تقدير .

لم تكف عائلة باجي راو عن تدبير المؤامرات للتخلص من ماستاني وبث الفرقة بينها وبين باجي راو ؛ وكانت مستاني قد أنجبت ابنها الأول وسمته بإسم إسلامي فإثار ذلك ثائرة الكهنة فغير باجي راو اسمه إلى شمشير بهادر ، ولما أراد باجي راو جعل تعميد ابنه براهيميا أى حفل تسمية على عادة الهندوس بإسم كريشنا راو رفض الكهنة أداء الطقوس لانه ليس هندوسياً نقياً لأن أمه مسلمة .

بدأ باجي راو يدمن الخمر ويهمل واجباته ؛ وفي أواخر عام ١٧٣٩ ذهب في حملة عسكرية ؛ وبعد رحيله سجنتم أسرته مستاني وما أن عَلم بذلك حتى قرر العودة لكنه سقط مريضاً وحاولت ماستاني الهرب من سجنها في ٤ نوفمبر ١٧٣٩ اليه ولكنها فشلت ؛ وفي ٢٨ أبريل ١٧٤٠ آتاها خبر موته فماتت كمدماً وتقول الروايات الشعبية أنها إنتحرت بينما يُشكك البعض بأن الأسرة دست لها السم ؛ ودُفنت على الطريقة الإسلامية .

### أبناء مستاني

أنجبت مستاني ولدين أكبرهم شمشير بهادر وهذا الابن كان قائداً عسكرياً مشهوراً قُتل عام ١٧٦١ وعُمره ٢٧ عاماً في معركة بانى بت التي هزم فيها الأمبراطور أحمد دُراني ماراثا هزيمة ساحقة ؛ والابن الثاني علي بهادر عاد إلى مملكة جده بوندلخاند وأصبح ملكاً عليها وقام بتوحيدها وبناءها من جديد وكان مُسلماً مُتديناً اشتهر بالعدل ولم يذكره أحداً من المؤرخين بسوء .

**إنتهت الرومانسية الحزينة ونعود لإستمال حديثنا عن أوجه التضامن بين المسلمين والهندوس**

### ■ تحالفات السلاطين وملوك الهندوس

وفى حالات كثيرة مال الطرفان للحكمة والمصالحة ونبذ الحرب ؛ وبلغ الأمر لدرجة التحالف حتى منذ بدايات الفتح والقلوب ما زالت مشحونه بالكراهية والتشدد ، فالسلطان محمود الغزنوى الذى كان له نصيب من الإتهامات المشار اليها ، كانت له علاقات طيبة مع كثير من الراجات ؛ سمحت لهم بمراجعتهم والتوسط عنده وكان يستمع اليهم ، وفى حالات أخرى بلغ التقارب مبلغ التحالف بين الفريقين ضد الأعداء المشتركين مسلمين كانوا أو هندوسا طبقا لإملاءات المصالح ؛ من أهم هذه التحالفات ويمكن إدراجها فى إطارها الصحيح على إنها تتويج للوحدة الوطنية بين هنود الغزاة المتوطنين (الأفغان - اتراك) والراجبوت ملوك هندوس عند قتالهم بأبر لطرده من الهند لما إغتصب حكم دهلى فى بداية غزوه ؛ وهناك تحالف ميوار الهندوسية مع بهادر شاه سلطان الكجرات (تسميها المصادر العربية الجزرات) التوسعية ؛ وتحالف جلال الدين/ أكبر مع الراجبوت مما ساعده فى إستقرار دولته وتوسعها ؛ والأهم التحالف الوطنى للهنود مسلمينا وهندوس فى ثورة الهند الكبرى ضد الإنجليز .

### - الكفاح الوطنى لمسلمى وهندوس قاليقوت

(ساموثيرى- محمد ماراكار)

#### ضد الإستعمار البرتغالى

كانت إمبراطورية ساموثيرى (قليقوط – ملبار) بالساحل الغربى جنوب شبه القارة الهندية ؛ من أقوى وأغنى إمبراطوريات الهند (٥٣) تُسميها المراجع العربية قاليقوط و كاليكوت فى المراجع الغربية و كوزيكود فى اللغة المحلية ، وملكها ساموثيرى ( زاموزيرى) هندوسى معروف عنه العدل والتسامح مع رعيته أيا كانت عقيدتهم أو عرقهم ولا يتدخل فى شؤون الأديان ، توطنت فى مملكته جالية عربية فارسية كبيرة منذ ما قبل الإسلام ؛ إندمجت فى الشعب المليباري عرقيا وعُرف نسلهم بإسم مابيللا Mappilla أو موبله Moplah ؛ سجلوا صفحات عظيمة فى تاريخ الكفاح الوطنى لملبار ضد الإستعمار البرتغالى ؛ قادَه آل ماراكار بالمشاركة مع ساموثيرى الذى عهد اليهم بقيادة أسطول قاليقوت لثمانين عاما دوخوا فيها اساطيل البرتغال ؛ وخلدت الروايات الشعبية والدراما السينمائية بطولاتهم خصوصا آخر آل ماراكار محمد كنجالى أو ماراكار وهو الرابع فى ترتيب الماراكارين المعروف بأسد بحر العرب ويحمل لقب المدافع عن الإسلام .

وقد كرمت اكاديميات الهند البحرية آل ماركار ، فالعديد منها تحمل إسم آل ماراكار الهند سنتعرض لها لاحقا عند الحديث عنه .

٥٣ - أصل مصطلح ساموثيرى (Sāmūtiri، أو ثاميثيرى svami sri أو tiri ، بمعنى الإمبراطور وهو مشتق من اللغة السنسكريتية و اسم الملك ولقبه بالكامل (Svami Tiri Tirumulapad) .

وحظى التجار المسلمون (٤٠) بنفوذ قوى لدى البلاط الملكى فى بونانى العاصمة ؛ و كان لهم غزوة عند ساموثيرى (الملك) البلاد فقد كان مُحبا للمسلمين وكان يجلبهم من دول الخليج القريبة للعمل فى بلاده ؛ وكان يجند من سلالتهم المحلية المسماة مابلا مشاة فى جيشه ؛ وعين البعض منهم فى مناصب هامة ؛ فعهد بمنصب شاه بندر كويا أى رئيس الميناء والجمارك الى على كوتى ، وهو الذى أغضب فاسكوا دى جاما بإصراره على أن يدفع دى جاما الرسوم الجمركية كبقية التجار ذهباً على ما باعه فى البلد قبل تحميل سفنه بالبضائع ؛ فأساء داجاما المعروف عنه الوحشية التصرف وحمل عنوة بضعة مواطنين وستة عشر صياداً من قليقوط والإبحار بهم ليلاً عائداً الى بلاده ، فأغضب بذلك حاكم قاليقوط .

ودعم المسلمون من ناحيتهم ساموثيرى بالمال والرجال عند إقتضاء الأمر فى حملاته العسكرية ؛ فقاضى بونانى دعم حملة ساموثيرى على ثيرونافايا بالمال ؛ والأكثر أهمية التلاحم البطولى بين ساموثيرى وبحارة آل ماركار المسلمين الذين ساندوه فى حملة فالوفانادو وعهد اليهم بقيادة بحريته ؛ وهم من المابلا المسلمين ذوى الأصول المشتركة الهندو / عربية(مصريى الأصل) خاضوا حرب إستقلال وطنى بطولية ضد أساطيل الإستعمار البرتغالى على مدى ثمانين عاماً؛ خلدته الهند الحالية بأشكال عدة سنتعرض لها عند الحديث عن نضال قاليقوط ضد البرتغال بعد ديوى.

## -علاقات الساموثيرى الأول بدول الإسلام

✓ هرات .... كانت للساموثيرى علاقات قوية مع دول الإسلام التى إستهوتته سمعتها فى التعرف عليها ؛ فلما سمع عن عظمة البلاط التيمورى من بعض مسؤلى هرات الذين تخلفوا بسبب الأحوال الجوية فى قليقوط ؛ أرسل كبير مبعوثيه وهو مسلمٌ يتحدث الفارسية إلى بلاط ميرزا شاروخ التيمورى فى هرات (القرن الخامس عشر) ، وإستقبل سفارة هيرات فى بلاده رداً على سفارته(٤١).

✓ مصر .... كانت مصر شريك تجارى هام لكل من الكجرات ومالبار - قاليقوط ، وأدى التواجد البرتغالى فى الهند الغربية بالإضرار بمصالح الدول الثلاث ؛ بعث الساموثيرى بالمشاركة مع الكجرات طلباً الى

٤٠ - أشار ابن بطوطة لعدد من الجالية المسلمة فى قاليقوط وصفهم بالفضل والكرم منهم أمير التجار إبراهيم شاه بندر من أهل البحرين القاضى فخر الدين عثمان ، وصاحب الزاوية الشيخ شهاب الدين الكازروني، وله تعطى نوذر أهل الهند والصين للشيخ أبى إسحاق الكازروني .

٤١ - أثناء وجود مبعوث هيرات فى قليقوط دعاه ديفا رايا الثانى إمبراطور فيجاياناجارا إلى بلاطه ؛ وهذا الإمبراطور كان مُحبا للمسلمين وحريص على التعرف الي دولتهم فى هيرات .

السلطان قنصوه الغورى فى مصر المملوكية لتقديم دعم بحرى ضد البرتغال التى دأبت على التحرش ببلاده ؛ وهذا الموضوع سيتم تناوله بتفصيل عند الحديث عن معركة ديو البحرية.

✓ **الدولة العثمانية ....** فى فبراير ١٥٣٨ طلب زامورين وسلطان الكجرات مساعدة السلطان العثمانى سليمان فأرسل حملة حاصرت حصن ديو ؛ لكن الكابتن البرتغالى مانويل دي سوز إستدعى السلطان للتفاوض على مركبه وقتله .

#### - تسامح أبابا شوتا ملكة أولال

حاربت أبابا شوتا ملكة أولال البرتغاليين ؛ ومملكتها فى ساحل كارناتاكا ( تولو نادو) فى الهند فى النصف الأخير من القرن السادس عشر ، وكانت سيده مناضلة ووطنية وتعنتق الجينية ، وهى ملكة متسامحة ضمت حكومتها عناصر من الجين والهندوس والمسلمين وكان جيشها يتألف من أناس من جميع الطوائف ؛ ولما اقتحم البرتغاليون قصرها عام ١٥٦٨ لجأت أبابا راني إلى أحد المساجد ؛ وتحالفت عام ١٥٧٠ مع سلطنتا بيجابور و أحمد ناجار و ساموثيرى قاليقوطة ، وساعدها امير البحار الهندية المسلم كوتي بوكار ماركار الثانى فى قتال البرتغاليين ودمر حصنهم فى مانغالور.

#### - مسلموا الديكان والبنغال

##### بين التعايش والمواطنة

رحب ملوك جنوب الهند وساحلها الغربى بالمسلمين منذ قبل الإسلام وتوطن الكثير من تجارهم فى تلك البلدان ؛ وتزوجوا من نساءها ؛ ومنذ إسلام " جيرمان برمال " ملك ملبار على يدى رسول الله فى المدينة المنورة ، نشط الدعاة فى عملية الدعوة بالمنطقة ؛ وقد وُجدت مساجد فى إمبراطورية راشتراكوتا الهندوسية فى القرن العاشر ؛ وفى ساحل ملبار أوائل القرن الرابع عشر.

كان الملك ديفا رايا الأول الأول والثانى (أوائل القرن الخامس عشر) على علاقة طيبة بالمسلمين فهما من سلالة الأخوان هاريارا الأول وأخيه بوكا ريا الأول الذين إعتنقا الإسلام لفترة وجيزة فى دهلى بعد أسرهما قبل عودتهما لتأسيس المملكة ، فبنى ديفا الأول مسجداً ووضع القرآن أمام عرشه<sup>(٥٦)</sup> ، وإستخدم هو ومن بعده أخيه الملك ديفا الثانى المسلمين فى الجيش والبلاط والمعماريين منهم ، ويذكر د ابىكولا أن

<sup>٥٦</sup> - فيلون ٢٠٠١ ، ص. ٨٧.

المنصة الكبرى المسماة Mahanavami Dibba حملت نقوش بارزة تتضمن صور أشخاص بملامح أتراك آسيا الوسطى للعاملين في البلاط.

تقدم سلاطين الديكان على بقية السلاطين في مسألة التعايش الإيجابي مع الهندوس ؛ و يرجع هذا الى أصولهم الجينية للعديد منهم المشتركة مع الهندوس ؛ فالعادليين والنظاميين والقطبيين وسلطان البنغال جلال الدين محمد شاه عام ١٤١٥ - ١٤٣٣ م هندوسى الأصل ، وطبقوا فى سياساتهم التسامح المطلق ، وقد يكون هذا سببا فى عدم إثارة الأغلبية الهندوسية القلائل على سلطان حيدر اباد آخر سلاطين المسلمين فى الهند (غزت الهند سلطنته عام ١٩٤٨ بعد الإستقلال بعام) (٥٧).

لم يتدخل السلاطين فى الشؤون الدينية للهندوس ، وأكد دالاباتي حافظ السجلات للسلطنة النظامية فى موسوعته Nrisimha Prasada ، أن سيده أحمد شاه الأول (نظام شاه) "مثال بارز على التسامح الديني" ؛ وحسب الوثائق المحفوظة فى البلاط وظف القطبيون الهندوس فى مناصب الإدارة العليا فعين إبراهيم قولي قطب شاه ؛ موراري راو الهندوسى بيشوا (زعيم) فى المرتبة الثانية بعد مير جملا (رئيس الوزراء).

وجامل إبراهيم عادل الثاني شاه بيجابور الطائفة الهندوسية من شعبه فى إفتتاحية كتاب أشعاره "نافراس" بامتداح ساراسفاتي إلهة العلم والتعلم لصناعتها آلة العود الموسيقية التى كان يعشق العزف عليها ؛ قال فيه "يا أم ساراسفاتي إن مباركتك إبراهيم ستخلد كتابه نافراس ، وهناك قصص كثيرة فى هذا الشأن".

## - البنغال

كان غانيشا قائدا فى جيش سلالة إلياس شاه البنغال ؛ وإغتصب الحكم ؛ إلا أن شيخ الطريقة الجشتية نور قطب ومعه علماء الدين رفضوا ان يحكم دون إعلان إسلامه ؛ فعقد صفقة مع الشيخ بأن يعتنق إبنه الإسلام وتسمى جلال الدين محمد وتولى الحكم ؛ وبعد عام خلعه ابوه وعاد للحكم وبعد موت ابيه ؛ عاد للحكم ؛ إستعاد جلال الدين محمد الحكم وعاد مسلما بذاته وأعاد بناء المساجد التى خربها والده (تفاصيل لاحقا).

<sup>٥٧</sup> - انحسرت دولة المغول تدريجيا تحت ضغط إمبراطورية ماراثا، ومن قبلها إمبراطورية السيخ، ومملكة ميسور، وسلالة نظام الملك، ونواب البنغال ومرشد أباد الذين جردوها من مناطق شاسعة من شبه القارة الهندية؛ ثم قضى عليها الإنجليز عام ١٨٥٧ بعد ثورة الهند العظمى .

- ميسور تأسست عام ١٥٦٥ قضى عليها الإنجليز عام ١٧٩٩ بعد نضال بطولى قاده السلطان طيبو فى ثلاث حروب .  
- دولة نظام حيدر اباد (الديكان ) آخر دول المسلمين (١٧٢٤ - ١٩٤٨ ) ؛ شكل الهندوس ٩٠% من شعبها البالغ ١٣ مليون نسمة آنذاك ، غزت الهند سلطنته وضمته بعملية عسكرية بعد الإستقلال بعام .

## - مجاملات السلاطين لملوك الهندوس

كانت لبعض السلاطين مجاملات مع الراجبوت ملوك الهندوس حتى بين سلاطين الفتح الغزنوى و غياث الغورى مما سيرد فى المتن لاحقا ، وعلى سبيل المثال:

○ عفو الإمبراطور جهانجير عن الأمير الهندوسي أمار سينغ الأول أمير ميوار لما جاءه مستسلما سنة ١٠٢٤هـ / ١٦١٥م بعد هزيمته ، وتقديرا لمكانته أكرمه وكرمه فأعفاه من المثلث أمامه فى مجلس السلطان تعظيما لشأنه على أن يمثله ابنه قران سينغ الثانى ، و رد اليه مقاطعة ميوار بما فيها قلعة شيتور التى إستولى عليها من قبل الإمبراطور جلال الدين أكبر؛ على أن يحكم باسم المغول ويُقدّم لهم ألف فارس عند الحاجة ؛ ولم يطالبه بالجزية.

○ تكريم الإمبراطور جلال الدين/ أكبر فى لفته غير معتادة للراجبوتيين " جاي مال " و " بتا " قائدا المقاومة فى قلعة شتور بعد موتها بوضع تمثاليهما فى مدخل بوابة حصن أغرا لإعجابه ببسالتهما فى الدفاع عن الحصن ؛ وكان معروفا عن الإمبراطور أكبر بعيدا عن مسألة كفره ؛ المبالغة فى الكرم مع كل الناس ، وإهتمامه بمحابة الهندوس عامة والراجبوت خاصة متزوج هو وسلالته منهم ؛ فأصبح منه سلاطين ، وإنتقد فريشته مبالغة أكبر فى كرمه فيقول أن رحمته لم تعرف حدودا فتجاوز بهذه الفضيلة حدود الحكمة ، وأشاد ويل ديورانت بسياسة أكبر التى عامل فيها الهندوس بفضل ، ما عرفت الهند للسلم والإتحاد طعما؛ إلا أدركها أكبر العظيم .

## - جيرة ملوك الراجبوت مسلمين

### (شهادة هندوسية حتى الموت)

هناك قصص شهامة فريدة التطرف تظهر المعدن الأصيل فى الشخصية الهندية ؛ تعكس رفعة المعدن الأخلاقى للراجبوت فى حماية المستجيرين فى إصرار مُميت ثمنه دفع الحياة ثمنا ، وأبرز مثل فى هذا الشأن إجارة راج كنبيلة ؛ لأحد المتمردين من أقارب السلطان محمد طُغلق ؛ عندما رفض بهاء الدين مبايعة جونا (قبل أن يصبح السلطان محمد طُغلق) ابن خالة سلطانا ، وبعد حرب قصيرة بينهما إنهزم فيها بهاء الدين ؛ هرب لاجئا الى حمى راى كنبيلة (ملك بلاد كنبيلة الهندوسى) ؛ وقصة هذا الملك تُعبر عن شهامة لا حدود لها فى جيرة المستجيرين حتى لو دفع المرء حياته وحياة من يرتبط به ثمنا لها ، وملك كنبيلة هذا كان من أكابر ملوك الهندوس ، تقع بلاده فى جبال منيعة، فلما حاصر عسكر السلطان بلاده وإشتد الأمر على من فى الحصن لنفاد المؤن ، قال الراج لبهاء الدين إن الحال بلغت ما تراه وأنا عازم على هلاك نفسي وعيالي ، ومن تبغني، فأذهب إلى الملك فلان (من الهندوس) فأقم عنده فإنه سيمنعك وبعث معه من أوصله إليه.



وأمر راي كنبيلة بنار عظيمة وأحرق أمتعته وقال لنسائه وبناته " إنّي أريد قتل نفسي، فمن أرادت موافقتي فلنفعل ، فكانت المرأة منهنّ تغتسل وتدّهن بالصنديل وتقبّل الأرض بين يديه وترمي بنفسها في النار حتّى هلكن جميعا ، وفعل امرائه ووزرائه وأرباب دولته ومن أراد من سائر النساء مثل ذلك ، ثمّ اغتسل الرأى وادّهن بالصنديل ولبس السلاح ما عدا الدرع ، وفعل فعله من أراد الموت معه من ناسه ، وخرجوا إلى عسكر السلطان فقاتلوا حتّى قتلوا جميعا واسر العسكر أهل الحصن ومنهم أحد عشر ولدا هم أولاد راي كنبيلة ، فأتوا بهم الى السلطان فاسلموا جميعا وجعلهم السلطان أمراء وعظّمهم لأصالتهم ولفعل أبيهم، ويقول ابن بطوطة " رأيت عند السلطان منهم نصرا وبختيار والمهردار ، وهو صاحب الخاتم الذي يختم به على الماء الذي يشربه السلطان وكنيته أبو مسلم، وكانت بيني وبينه صحبة ومودّة".

و أجاز رانا پراساد حاكم قلعة عُمر كوت بالسند السلطان همايون وزوجته بعد هزيمته في " معركة قنوج " سنة ٩٤٧هـ / ١٥٤٠م أمام شير خان الأفغاني مؤسس سلطنة آل صور.

## -الثورة الهندية الكبرى ١٨٥٧-١٨٥٨م التضامن الأعظم

### بين الهنود المسلمين والهندوس

في منتصف القرن التاسع عشر والحقبة الإسلامية تقترب من منتهاها ؛ كان التلاحم بين الفريقين قد نضج وبلغ مداه بعد قرون من المعاشية ، فلما قامت الثورة الكبرى ضد الإنجليز ، إتفق الفريقان على تسليم قيادة الثورة التي شارك فيها معظم أقاليم الهند<sup>(٥٨)</sup>، للإمبراطور المغولي " أبو ظفر سراج الدين محمد بهادر شاه " آخر أباطرة مغول الهند ذو الـ ٨١ عاما و ذو الجينات المشتركة مع الهندوس ؛ ليكون إمبراطورا لكل الهند بعد أن كانت دولة المغول قد انحسرت حدودها منذ زمن ؛ فأصبح بهادر شاه رمزا للوحدة الوطنية لجميع الهنود هندوسا ومسلمينا ؛ ولم يكن الرجل أكثر من رمز لكبر سنه لمرحلة قاد فيها الفريقان نضالا بطوليا ضد الإنجليز ؛ فكانت أحداث الثورة " شهادة عظيمة على الوحدة الهندوسية الإسلامية ومثالا يُحتذى للأجيال القادمة" على حد وصف الكاتب الهندي مانموهان سينغ عام ٢٠٠٧ ؛ فحرب الإستقلال هي التي جمعت كل القوى الهندية مسلمينا وهندوسا تحت راية الوطنية الهندية ؛ وأعطت بتوافقها على قيادة بهادر شاه شهادة راسخة بإندماج المسلمين في قلب الهند وتجاوز

<sup>٥٨</sup> - ومن مسمياتها تمرد السيوي - التمرد الهندي الكبير - حرب الاستقلال الأولى ؛ ولم تشارك في الثورة الولايات الأميرية الكبيرة حيدرآباد - ميسور - ترافنكور - كشمير - ومن الولايات الأصغر راجبوتانا وبقيت مقاطعة البنغال ورناسة بومباي ورناسة مدراس هادنة مما خدم البريطانيين ؛ ودعم سيخ البنجاب الجيش البريطاني وخدموا في صفوفه .

سلبيات الماضى بين الطائفتين ؛ سبقها سجل هائل من التحالفات وردت تفصيلاتها بالمتن .

وبعد إخماد الإنجليز الثورة نكلوا بالإمبراطور وحكموا عليه بالإعدام بتهمة الخيانة العظمى ثم خففوا الحكم الى النفى الى رانجون حيث أمضى بقية حياته ودفن بها ، وكانت زيارة القائد البنغالى الهندوسى " سوبهاش شاندرابوز " أثناء تأسيسه جيش التحرير الهندى بمساعدة اليابان أثناء إحتلالها / بورما (ميانمار) فى الحرب العالمية الثانية مؤسس الجيش الوطنى لتحرير الهند ؛ لقبر الإمبراطور بهادر شاه فى رانجون ؛ وأداؤه التحية العسكرية للإمبراطور وعاهده أن يناضل حتى تنال الهند حريتها كما تمنى عند قيادته الثورة ؛ ذات مغزى كبير من منظوره الوطنى كرمز للوطنية والتحرر.

## المتحاربون /

## حرب الإستقلال / ثورة الهند الكبرى

شركة الهند الشرقية الإنجليزية  
وحلفاؤها الهنود

## \* المملكة المتحدة

( بريطانيا العظمى وأيرلندا )

الهنود

\* مملكة نيپال

o دول أميرية:

\* كابور تهلا

\* نابهة

\* باتيانة

\* رام بور

\* جودة بور

القادة

لورد كاننغ

جورج أنسون

توفي مايو ١٨٥٧)

باتريك جرانت

كولين كامبل

(منذ أغسطس ١٨٥٧)

جون نيكلسون

جونغ بهادر رنا

دير شمشير رانا

الجانب الوطني الهندي(بمسلميه و هندوسه)بزعامة امبراطور دهلي

\*سلطنة مغول الهند

\*متمردو سيبوي

\*أوده

\*مقاطعة جاكديس بور

\*فصائل قاليبور

\*قوات راني لاکشميباي، حاکمة جانسی

\*قوات نانا صاحب بيشوا

\*قوات راو تولارام، راجا روارى

\*نواب بانده

\*راجات ونواب وزميندارات وذاکور وتعلق

دارات وسردارات ومشايخ وزعماء عدة

القادة

محمد بهادر شاه

□ بخت خان

نانا صاحب

كونوار سنغ

تاتيا توب

راو تولارام

علي بهادر الثاني نواب بانده

أومراو سنغ باتي

□ راني لاکشميباي

بيجوم حضرت محل

برجس قادر

ذاکر فشوآناث شاهدو

باندي غانبات راي

تكايت أومراو سنغ

شيخ بخاري

الخسائر

مقتل ٦,٠٠٠ من ٤٠,٠٠٠ أوروبي و ٨٠٠,٠٠٠ هندي أو أكثر، سواء في هذا التمرد أو في المجاعات والأوبئة الناجمة عنه، وذلك بمقارنة تقديرات السكان لسنة ١٨٥٧ مع الإحصاء الهندي لسنة ١٨٧١

**ومن صور التضامن البطولي بين المسلمين والهندوس:**

○ نضال ملكة ماراثا راني لاکشمي حاکمة قلعة جانسی المحاربة ؛ فهذه الملكة إستمرت في نضالها بعد إعتقال الامبراطور بهادر ، وشجع صمودها فلول الثوار المسلمين في دهلي على الإنضمام اليها للدفاع عن الحصن ضد قوات الشركة الإنجليزية ، ومن هؤلاء كارم الذي قُتل في المعركة وهو يدافع عن الملكة ؛ وكوس خان مسؤول المدفعية الذي خلدته إسهاماته في قائمة أبطال المعركة ، وبعد معارك قاسية وضخمة إضطرت الملكة أمام القوة الإنجليزية العاتية الى الفرار الى جوالبور ؛ وبعد سقوط قلعة جانسی عام ١٨٥٨ م ذبح

الإنجليز أكثر من خمسة آلاف من مقاتلى المملكة إنتقاما للمقاومة البطولية لمقاتليها ؛ وفي جوالبور إستنهضت الملكة روح الثورة لدى جنودها للمشاركة فى الثورة بعد تراخى عزم ملكها فى مواجهة الإنجليز ؛ فقادتهم فى المعارك الى أن قُتلت فى ميدان القتال .

### ومن التحالفات الأخرى

تحالف الأساطيل البحرية لكل من الكجرات / قاليقوت / مصر المملوكية / العثمانيين للتصدى لأساطيل البرتغال فى بحر العرب والمحيط الهندى .

### الإستعمار وتخريب

#### التوافق الإسلامى الهندوسى

حقق التقارب المجتمعين الهندوسى والمسلم نجاحا عظيما بفضل سنن الحياة والعشرة الطويلة ؛ فتقبل كليهما الآخر ولم يعد هناك الكثير ليفرق بينهما كشعب واحد ينتمى للهند فى ظل إختلاف توافقى ، حفظت قوة حكم المسلمين دوام هذا التماسك ولم ينغصه إلا المغالاة أحيانا فى فرض الضرائب على المزارعين الهنود أما غير ذلك فلم يختلف عن نمط حكم الملوك الهندوس .

ولكن تسلل الإستعمار الأوروبى لإقامة مناطق نفوذ له فى الهند كانت له آثارا سلبية على هذا الإندماج ، وتصارعت هذه القوى فيما بينها ثم بينها وبين القوى المحلية الهندية ، وبعد إنفراد الإنجليز بالهند وجدوا أنه من الصعب توفيق أوضاعهم فى ظل سيطرة بقايا الحكم الإسلامى المغولى على إدارة البلاد ؛ فنبه إدوارد م. وود سكرتير حكومة بومباي البريطانية فى الهند ؛ فى خطابه الى لورد إين بورو الحاكم البريطانى العام للهند (من فبراير ١٨٤٢ - يونيو ١٨٤٤) الى ضرورة التخلص من سيطرة المسلمين العدو الأكبر لبريطانيا فى الهند ؛ وقامت الخطة على تطبيق سياسة تمييزية ضد المسلمين يجنى ثمارها الهندوسّ والسيخ فيستميلونهم الى جانبهم .

فإستبدلوا المسلمين فى المناصب الهامة بهندوسا ؛ وكونوا منهم فيالق من مائة الف مجند منهم قلة من المسلمين ، وحاولوا إحياء تناقضات الماضى وعلى رأسها تناقضات العقيدة لحساسيتها الخاصة عند الهندوس ، و كسبا لود الهندوس قام الجيش الإنجليزى بجلب بوابات قبر محمود الغزنى إلى الهند من أفغانستان أثناء إحتلاله لها ؛ على إعتبار أنها بوابات معبد سومنات ؛ ولكنها لم تكن هى .

و لما أظهر التمرد الهندي الكبير عام ١٨٥٧، التفاف المسلمون والهندوس حول القومية الهندية ، وفشل مخططات الإنجليز فى عزل كل طرف عن الآخر ؛ فتولى التاج البريطانى بنهاية الثورة حكم الهند ، وشكل الإنجليز لجنة لبحث أفضل

الوسائل لتحقيق توترات بين المسلمين والهندوس ؛ ناشدها اللورد إيلكن نائب الملك الحاكم العام للهند الفترة ١٨٦٢ - ١٨٦٣ فى رسالة بتاريخ ٣ مارس ١٨٦٢ فى مستهل خدمته طالبا الإستمرار فى سياسة إستعداد الهندوس على المسلمين ؛ يقول فيها " إننا حافظنا على سيطرتنا على الهند بإضرار نار العداوة بين المسلمين والهندوس وينبغى الإستمرار فى تطبيق هذه السياسة وبذل الجهود حتى لا تتحقق الوحدة بينهما "

وكان الإختلاف الدينى أساس مخطط الوقعة بين المسلمين والهندوس ؛ فإستفز المخطط البريطانى رصيد عداء قديم من التاريخ ؛ أججوا به الجذوة الخامدة فى ضمير الهندوس من تعريض بعض السلاطين بالعقيدة الهندوسية ، فأشعلوا روح التعصب المدمر بين الفريقين ، وعملوا من ناحية أخرى على النيل من المسلمين بتفنتيت وحدة الإيمان بينهم بخلق الملل المنحرفة المعروفة بالإسماعيلية والقديانية بتوابعها الأحمدية والبهائية ؛ وأكد اللورد دوفرين الحاكم العام للهند الفترة ١٨٨٤ - ١٨٨٦ ؛ فى رسالة له مؤرخة يناير ١٨٨٦ " إن إيقاع الخلاف الدينى بين سكان الهند فى صالحنا ونتوقع نتائج طيبة فى هذا الخصوص من لجنة وضع المناهج التعليمية " (٥٩) .

وكشف الحاكم الهندوسى لولاية أريسة الهندية فى يوليو ١٩٧٧ أمام البرلمان الهندى ؛ الوثائق الدالة على مخطط الوقعة أنف الذكر ؛ التى كشفت عنها الحكومة البريطانية ، مُعقبا " وضع المؤرخون الإنجليز مناهج أوقعوا فيها بين المسلمين والهندوس بالإدعاء بأن كل فريقا منهم كان يترصد الفريق الآخر بالقتل والنهب ، وأن المسلمون حاولوا القضاء على ثقافة الهندوس بهدم معابدهم وأصنامهم وقصورهم ، وإكراههم بحد السيف على إعتناق الإسلام "

### تداخل المخطط الإنجليزى

#### مع خطط إستقلال الهند

ولما بدأ الهنود نضالهم العظيم من أجل الإستقلال بمشاركة الطرفين المسلم والهندوسى بريادة المهاتما غاندى ومحمد علي جناح ؛ حاول الإنجليز بث الفرقة بين الجانبين فحذر ثيودور بك مدير كلية محمدان الأنجلو شرقية أحمد خان أحد زعماء المسلمين؛ من تضامن المسلمين مع أهداف المؤتمر الوطنى الهندي فى الإستقلال ؛ لأنه ضار بالمسلمين " لإستحالة الوحدة بين المسلمين والهندوس ؛ ويقول حسين أحمد العالم المسلم المؤيد لوحدة الهند ؛ فى كتابه "القومية المركبة والإسلام" أن البريطانىون حاولوا إضعاف نضال الهنود من أجل الاستقلال فأخافوا المسلمين من ضياع هويتهم المميزة فى خضم الأغلبية الهندوسية فى الهند المستقلة " .

ومن المؤيدين للإستقلال مع الوحدة من الأحزاب والحركات السياسية من الطرفين حزب المؤتمر الوطني الهندي بزعامة المهاتما غاندي وحركة خدي خدمتجار و مؤتمر مسلمي آزاد لعموم الهند ؛ ومن الزعامات محمد علي جناح وعبد الغفار خان ، وبعض علماء المسلمين في ديوبند أمثال قاري محمد طيب وكفاية الله الدهلوي وقد توجت جهود هذا التيار بإنعقاد ميثاق لكاناو عام ١٩١٦ للتضامن الهندوسى الإسلامى للعمل من أجل إستقلال الهند الموحدة ، وكان العقل المدبر لهذا الاتفاق محمد علي جناح الذى قرب وجهات النظر بين حزب المؤتمر والعصبة الإسلامية ، فلقبوه بسفير الوحدة بين الهندوس والمسلمين لتحرره من التعصب الطائفي ، ولكن إنقلبت الأمور بعد ذلك ؛ وبدأ الإنجليز بوضع خطط التقسيم الجغرافى للبلاد قبل الإستقلال مباشرة (٦٠) ، وإنتهى الأمر بتقسيم الهند عند إستقلالها ، وهناك من قصص التعصب ما يُحزن فى الأيام السابقة للإستقلال وبعده مباشرة .

٦٠- تشكلت خدي خدمتجار الإسلامية على يد عبد الغفار خان في مارس عام ١٩٣٠، بعد مذبحه بازار خجواني ؛ تبنت فكرة الوحدة الإسلامية / الهندوسية وضمت عضويتها بعض الهندوس، كان لها دور فى حماية الهندوس والسيخ وممتلكاتهم في بيشاور في أكثر من مناسبة وعارضت بشدة تقسيم الهند مع كل من الكونغرس الهندي والمؤتمر الإسلامى المستقل لكل الهند ؛ وإستاء عبد الغفار خان زعيم الحركة من موافقة الكونغرس الوطني الهندي على تقسيم الهند دون استشارة الحلفاء المسلمين .

## الإتهام الثالث إستهداف العقيدة الهندوسية

### تخريب أصنام الآلهة ومعابدها

و هذا الأمر لم يحدث فى تاريخ الفتوح الإسلامية إلا فى الهند ، فجيوش الإسلام لم تتعرض لمعابد الوثنية ولا لأصنامها فى بلدان فتوحها الأخرى ، ويشهد على ذلك وجود آلاف الأصنام حاليا فى تلك البلدان ؛ فأصنام بوذا الضخمة بقيت شامخة فى أفغانستان معقل البوذية القديم فى ذلك الوقت ، رغم إستغراق قادتها فى تدمير آلاف المعابد بأصنامها فى الهند ؛ فى وقت لم يمسا فيه الموجودة منها تحت أيديهم فى بلادهم ؛ وهو أمر يُثير التساؤل! .

وهناك حالات هُدمت فيها معابد الهند لإعتبارات خاصة ، فالسلطان أورنجزيب أمر حكام ولايات ملتان واثاتا وفرناسي بهدم المعابد فيها لما علم أن البراهمة (رجال الدين الهندوس ) إجتذبوا العديد من المسلمين وتخلوا عن ملابس المسلمين تعبيرا عن ردتهم فأمر بمعاقبتهم وعن كل من لا يرتدى لباس المسلمين ، وفى حالة أخرى خرب ظفر خان حاكم الكجرات وهو هندوسى الأصل حسن إسلامه (قبل أن يستقل ويصبح سلطانا ) معبد سومنات بعدما لاحظ توقف الحجاج المسلمين للتبرك بالمعبد وهم فى طريقهم لأداء فريضة الحج فى مكة .

وهدم إسكندر شاه معبد مارتاند ؛ وهو سادس سلالة مير الحاكمة فى كشمير(حكم الفترة ١٣٨٩- ١٤١٣) ، ويُلقب بوتشيكان وتعنى محطم الأصنام؛ وكان متشددنا نشر الإسلام تعسفا وهدم معابد الهندوس والبوذيين ؛ وقد إستنفذت محاولته تدمير هذا المعبد عاما كاملا إستنفذ فيها أموالا طائلة ولما إستعصى هدمه لضخامته أشعل النار فى مبانيه المقدسة .

أما الإدعاء بهدم المعابد لإقامة مساجد على أنقاضها فلم يحدث أن أقام المسلمون عمدا مسجدا على أنقاض أحد المعابد على حد علمنا إلا فى حالة واحدة على الأرجح، عندما أمر السلطان أورنجزيب ببناء مسجد فى فضاء معبد سومنات بعد تشويبه حتى يضمن عدم قيام الهندوس بترميمه ؛ أما الإدعاء بشأن إقامة بابر مسجده على أرض معبد ميلاد الإله راما ؛ فلا يعرف أحد حقيقة الأمر وملابساته .



معبد مار تاند

أضرت سياسة السلاطين في تدمير المعابد وتمثيلها بهذا الإصرار في الهند بمد الإسلام بين الهندوس ؛ فأشعلت عنادهم فالهند أم الديانات الآسيوية العظمى إستحوذ فيها الإيمان على عقول الناس فأولوا العقيدة جل إهتمامهم ؛ فهي عندهم ليست فقط حياتهم الحالية بل أيضا حياتهم القادمة عند إعادة الخلق ؛ ولو ان السلاطين عالجوا هذا الموضوع بحكمة وتركوا المعابد لإختلف الأمر؛ فثمانية قرون كانت كفيلة بإحداث تغيير ضخم في إيمان الهندوس على نحو ما حدث في السند بعد الفتح العربي ؛ فأبا القاسم الثقفي لم يهدم معبدا أوصنما إذا ما تصالح مع أهل القلاع ؛ فقد وافق على طلب أهل حصن جتور بعد تعرض لهدمهم (معبد وصنم) كشرط لإستسلامهم دون قتال ، قائلا ما البُدُّ إِلَّا كَكَنَائِسِ النَّصَارَى وَبَيْعِ الْيَهُودِ وَبُيُوتِ نَارِ الْمَجُوسِ ، وهو في هذا الموقف رجل سياسة لا دين ؛ يسعى لتجنب إراقة الدماء وإحتواء أمم جديدة .

## حرية العبادة

### وبناء المعابد

ومن الثابت أن السلاطين لم يقيدوا حرية الهندوس في ممارسة شعائرهم ولم يحرمونهم من بناء المعابد ؛ فليس من الحكمة حرمان شعب من التعبد لإله أيا كان ، فالإيمان شأن شخصي يسهم في نشر الإستقرار على المستويين الخاص (فردى) والعام (الوطنى) ؛ وتُخبرنا يوميات السلطان فيروز شاه طُغلق أنه " كان مسموحا قبل عهده ببناء المعابد الوثنية رغم مخالفته الشريعة " ، ويقصد بذلك عهد ابن عمه السلطان



السابق محمد طُغلق الذى طلب منه خاقان الصين السماح له بإعادة بناء معبد بوذى يحج اليه الصينيون فى منطقة سمبهال الهندية ، فرد عليه "بأنه لا يجوز فى ملة الإسلام بناء معبد فى أرض المسلمين إلا لمن يعطى الجزية فإن إرتضيت إعطائها أبحننا لك بناءه" ؛ ويُقال أن السلطان فيروز كان يُعيد بناء المعابد التى يهدمها جيشه ؛ وكان تدخل السلاطين محدودا فى الشأن الدينى للهندوس فكان لهم مطلق الحرية فى الإستمرار فى الممارسات الهندوسية المموجة إنسانيا (٦١).

### الإسلام القسرى

لا ننكر وجود حالات أسلمة قسرى فهو أمر واقع لا ينكرة التاريخ ، ولكنها أسلمة خاوية من الجوهر فمن إعتنقه جبوا وخوفا يرتد عنه متى آتته فرصة آمنة ؛ وإن لم يجد تلك الفرصة فسوف يستمر فى إظهار إسلاما زائفا يُشكل خطرا على العقيدة والمجتمع ؛ وفى الهند أمثلة للأضرار التى الحقتها الأسلمة الزائفة بالدولة لما تمكن أصحابها من القبض على مقاليد السلطة ؛ ف / هيمو البقال قائد جيش محمد عادل شاه آل صور لما تمرد على سيده وأعلن نفسه سلطانا إرتد عن الإسلام وكاد أن يقضى على دولة المغول ومعها حكم المسلمين لولا إرادة الله.

والإتهام بأسلمة الهندوس قسريا إنصب بالأساس على سلاطين الفتوح الأولى لكثرة المعارك التى خاضوها و كثرة أسراهم ؛ وفى الحرب تسود الجبرية ولا مكان للخيار فيها ؛ إما الأسر بتبعاته الثقيلة أو التحرر وتحصل على جوائزه بالإسلام ؛ فالسلطان محمود الغزنوى إستخدم إعتناق الإسلام كوسيلة لتحرير أسراه مع منحهم الكثير من الحوافز وعلى رأسها المناصب الهامة ، وكان السلطان يفعل هذا لتجنيدهم فى جيشه وهو عمل فيه رفعة لهم لا التهوين من شأنهم ؛ فوصل النابه فيهم لمراكز القيادة .

والقسرية فى حق السلطان محمود الغزنوى على النحو الذى يروجونه ليس عليها دليل ؛ فقد رفض ملك بيذا الهندوسى دعوته لإعتناق الإسلام وأبلغه رسول الملك بأنه لا سبيل لك علينا لنفارق ديننا وليس لنا مال نصالحك عليه ولكن نجعل بيننا هدنة ... (٦٢) ؛ فصالحة الغزنوى على ذلك وتركه على هندوسيته ؛ وفى غزوة أخرى ذكر العتبيى كاتب سيرة السلطان أنه أرغم ١٠ آلاف على الإسلام ، وهذا تمجيد مبالغ فيه للسلطان لا أساس له ؛ فلو كان حقيقيا لنوه به السلطان كمدعاة للفخر فى رسائله للخليفة العباسى ؛ أما السلطان شهاب الغورى فقد شجع راجات الهندوس على إعتناق

٦١ -التضحية بالأرمل حرقا مع جثمان زوجها إذا لم يكن لها ولد (الساتى) ؛ وكان القيام بهذا المنسك يقتضى موافقة السلاطينفلم يمنونه الى أن حرمه السلطان فيروز شاه طُغلق (حكم الفترة ٧٥٢ - ٧٩٠هـ) (١٣٥١ - ٣٨٨م) ومن بعده السلطان المغولى أكبر وحفيده أورنجزيب ، وهذه الإستمرارية رغم فترات المنع لكن الهندوس كانوا مستمرين فى ممارستها .

٦٢ - صلاح الأمة فى علو الهمة - المجلد ٦ ص ١١١ .

الإسلام كمعبر لأتباعهم تسهل إعتناقهم الإسلام ، وكان الغزنوى والغورى لا يتسامحان مع من إرتد الى الهندوسية.

ونشر السلطان محمود الغزنوى والسلطان الغورى للإسلام بين الهندوس ؛ لا يختلف عما فعله أشوكا أعظم أباطرة الهند القديمة وأكثرهم فتوحا عندما دعى الى البوذية بعد أن أعتنقها مُتخليا عن الهندوسية ؛ ونبذ القتال وتحول الى التبشير بالبوذية قائلا "أن فتوح العقائد خير من فتوح الحروب" .

والقسرية خفت حدتها بعد فترة الفتوح بحروبها وأسراها ؛ وتكررت فى ظل الفتوح الكبيرة لكل من محمد طغلق وعلاء الخالجي ؛ وفى حدود ضيقة فى عهد دولة المغول عندما إستخدمها الإمبراطور جهانجبير لمعاقبة جورو السيخ وأتباعه الذين قاتلوا جيشه بجانب ابنه فى ثورته على أبيه ، فوعدهم بالعمو إن إعتنقوا الإسلام فرفضوا مفضلين التعذيب والموت بوحشية على الخوازيق .

وما ورد ذكره فى المصادر عن حجم عمليات الأسلمة ؛ لا يتجاوز عشرات الالاف قام بمعظمها الغزنوى ؛ أما الأسلمة التى فرضها محمد بن طغلق على أسرى الأمراء الهندوس ، كأمرأ كنبيلة الذين أشار اليهم ابن بطوطة ؛ كانت تقديرا من السلطان لشهامة ولدهم الذى ضحى بكل ما يملك من أجل جيرة مسلم ؛ وفعل هذا مع مع ياجندهار الأسير وزير براتابرايدرا ملك ورنجل جنوب الهند فأسلم وتسمى مالك مقبول وولاه الوزارة ؛ وكذلك فعل مع أسيراه من سلالة هويسالا فى كمبيلى فى الديكان فجعلهما قادة كبار فى جيشه ثم بعثهما لوأد فتن إقليم مملكتهما السابقة فإستقلا ووضعوا الأساس لإمبراطورية فيجاياناجارا ؛ هما هاريهارا الأول وبوكا الأول ؛ وكذلك فعل السلطان علاء الدين الخلجي مع قادة من جيشه ، وإتخذ منهم امراء وقادة وكانوا الأقرب الى نفسه .

### خطر الأسلمة القسرية

#### على المجتمع والعقيدة

والأسلمة خطر على العقيدة إن لم يحسن إسلام صاحبها لاحقا ، فإما يرتد عن إيمانه مع أول فرصة أمنة تواتيه ؛ وإن لم يجد تلك الفرصة فسوف يستمر فى إظهار إسلاما زائفا يُشكل خطرا على العقيدة والمجتمع كما فعل الباطنية وغيرهم بتشويه جوهر العقيدة لإفساد المجتمع ؛ وفى الهند أمثلة للأضرار التى الحقتها الأسلمة الزائفة بالدولة لما تمكن هؤلاء من القبض على مقاليد السلطة بأيديهم ؛ مثل هيمو البقال قائد جيش السلطان محمد عادل شاه الصوري الذى أعلن نفسه سلطانا وإرتد عن الإسلام وكاد أن يقضى على دولة المغول ومعها حكم المسلمين لولا إرادة الله .

### فعالية المد الدعوى

وهذا يُظهر فعالية المد الدعوى الذى حصد ملايين المؤمنين بزرع الإيمان القيقى ، فقد وفد الى الهند بدافع ذاتى كثير من الدعاة من العالم الإسلامى وعلى نفقتهم الخاصة ؛ وتُشير بعض دراسات المتخصصين الهنود الى إعتناق الهنود الإسلام فى كثير من الأحيان بفضل الدعاة الذين أحدثوا تغيير حقيقى فى إيمان هؤلاء الناس ؛ وأشاروا بوجه خاص لدور دعاة الصوفية فى الديكان قبل خضوعها لحكم الإسلام وكانت خاضعة لحكم **Palegars** الهندوس وذلك فى وقت متزامن مع عهد قطب الدين أيبك فى السنوات الأولى للفتح ؛ وصلها الشيخ رومى ورفاقه وكان أول من وصلها من مشايخ الصوفية لنشر الإسلام ؛ وإنتشر رفاقه فى بوني وحيدرة وتيلكوتا .

ووفقاً " لتذكيري أولياء ديكان" السير الذاتية لأولياء الديكان التى جمعها عبد الجبار ملكابوري فى ١٩١٢-١٩١٣ ، جاء إلى الديكان فى القرن الثالث عشر وقت كانت فيه أرض كفار ليس بها وجود للإسلام ؛ جاء الصوفى سرماست ومعه أكثر من سبعمائة من مريديه وجنوده (غازي) ، واستقر فى ساجار فى منطقة شولابور ويحكمها راجا كومارام (كومارا راما) المعادى للمسلمين ووقع بين الطرفين قتال مرير مات فيه كثير من كلا الجانبين ، فأرسلت دهلى قوات لدعم الداعية هزيمة هذا الراجا الذى إنتهى الأمر بمقتله على يد ابنته ؛ وتوفي الصوفى سارمست عام ٦٨٠ هـ / ١٢٨١ م ؛ وإستمر بعد ذلك تدفق الدعاة على بيجابور وضواحيها و لمس الإسلام قلوب الأهالى.

كتب إبراهيم الزبيرى فى كتابه **Rouzatul Auliyae Beejapore** (تم تجميعه خلال عام ١٨٩٥) أن بيجابور تضم أكثر من ٣٠ مقبرة لدعاة من سلالات مختلفة منهم أسرة السادات الحسيني ، رضوي ، كاظمي ، الشيخ صديقي ، ومن أسرة يس فاروق وعثمان وألف ، عباسي وغيرها من السلاسل الروحية مثل كواداري ، تشيشتي ، سوهاروردي ، النقشبندي ، الشطاري ، الحيدري ، إلخ ؛ كما يوجد أكثر من ٣٠٠ خانكا أى مدارس الدعوة الإسلامية .

وعلى سبيل المثال نجح أبو البركات البربرى وهو بحار من بربرالمغرب فى تحويل المالديف جنوب الهند بكامل شعبها الى الإسلام فى يوم بليلة دون جهاد او حرب حسب ابن بطوطة.

## القسرية فى تبشير البرتغاليين

كان الهدف الثانى للبرتغاليين فى المنطقة نشر المسيحية ، ولكنهم فوجئوا بوجود عدد من الكنائس لبعض المهاجرين العرب فى قاليقوت النقى دى جاما رهبانهم ؛ وإستخدم البرتغاليون التنصير القسرى و زواج جنودهم بالنساء المحليات لدفعهم لإعتناق المسيحية ، ومن القصص الوحشية فى هذا الشأن ما فعله فاسكو دى جاما مع ركاب السفينة المصرية مريم ؛ فقبل إحراقها بركابها المسلمين بما فيهم النساء ؛ جرد الأمهات من أطفالهن (٢٠ طفلا) ونقلهم الى سفينته ثم الى لشبونة، وسلمهم الى كنيسة القديسة ماري في بيليم لتنصيرهم .

ولضمان عدم تعاطى المتنصرين الجدد من المسلمين والهندوس بدياناتهم الأصلية ؛ بعزلهم عن الوصول للكتب المقدسة لعقائدهم القديمة حتى لا يداعبهم الحنين للتزود منها بأصل إيمانهم ؛ فقاموا بحرق ما توفر منها باللغات السنسكريتية - العربية - الماراثية - الكونكانية ، ومنعوا الكتب البروتستانتية من دخول جوا على متن السفن التجارية الهولندية أو الإنجليزية ، كما حرّموا عليهم مواصلة العلاقة بثقافتهم الأصلية ولغاتها كما فعلوا فى الساحل الغربى بتجريم التعامل باللغة الكونكانية فى جوا .

وأقام البرتغاليون محاكم التفتيش خلال الفترة ١٥٦٠ - ١٧٧٤ ، لمتابعة ديمومة إلتزام المتنصرين بالمسيحية وعاقبتهم بوحشية لكل من خرج عليها ، و تشير بعض السجلات البرتغالية إلى إدانتها ما لا يقل عن ١٦٢٠٢ شخصا وجدت فيهم حنينا لعقيدهم السابقة وتراوحت عقوبتهم بين السجن أو الجلد أو الإعدام وغالبًا ما يتم الإعدام حرقا ، وإعدام ٥٧ شخصا على الأقل لارتكاب جرائم دينية ، الموت حرقا فى ٦٤ حالة تمت قبل صدور أحكام ؛ وأشار الطبيب الفرنسى تشارلز ديبلون أحد شهود العيان بأن ٧٠% من الذين أدينوا بممارسة الهندوسية سرا قد أعدموا و جُوع العديد من السجناء حتى الموت ؛ والغيت هذه المحاكم عام ١٨٢٠ وتم تدمير سجلاتها لطمس وحشيتها عدا القليل .

وهذه الجبرية الكاثوليكية فى ملاحقة المتنصرين تختلف عن الأسلمة القسرية ؛ فالأولى عملية مستمرة تتابعها محاكم التفتيش بعنف ؛ بينما تنتهى الأسلمة عند نُطق الفرد الشهادة وتتركه حرا بلا قيود ولا تُلزمه بممارسة العبادات من عدمها ؛ ولا تفرض رقابة على سلوكه من أى نوع كما كانت تفعل محاكم التفتيش الكاثوليكية ؛ فمسألة الإيمان مسألة أخلاقية بين الإنسان وربه ، ولا تحتاج رقابة من البشر.

ومن القصص الطريفة الدالة على فشل سياسة الجبرية فى إعتناق العقائد ؛ ما فعله البرتغاليون مع على ماراكار ابن عم محمد ماراكار الرابع أسد البحار الهندية ، الذين

أسروه فى معركة Cordiva وهو صبى فى الثالثة عشر من عمره و عمدوه قسرا فى جوا وسموه بيدرو ،ولكنه هرب ليستكمل مسيرة الأسرة فى الإنتقام من البرتغاليين (تفاصيل القصة فى الجزء الخاص بنضال ما بعد الحملة المصرية).

### الإتهام الرابع الإستعباد / السبى / الدُعر / النخاسة

تحدث المهاجمون عن هذا الإتهام ؛ وكأن الهند لم تكن تعرفه قبل قدوم المسلمين ، وذلك هنا بأن العبودية وضع الأريون أساسها فى الهند بعد غزوهم لها لإستعباد سكانها الأصليين سود البشرة فى عبودية قاسية تتضاءل بجانبها مثالب الإستعباد والسبأ ، فطوائف الهند المنبوذة هندوسيا ومن بينها الداليت مطرودون من رحمة الإنسانية فى الدنيا والآخرة على أساس تصنيفهم بأنهم أرواحا نجسة ، ولكن العبودية عند المسلمين شيئا آخر ؛ فأول حصاد السبى بعد إسلامهم المساواة بالمسلمين وفتح باب الترقى أمامهم ، فمن سبى الهندوس تخرج سلاطين وملوك وقادة جيوش وأهل فن وعلم وعلماء أفذاذ ؛ لقد كانت العبودية قاسما مشتركا بين سلاطين المماليك وسبى الهندوس .

أما الدُعر والنخاسة ، فقد إحتشدت الهند بأسواق النخاسة يُباع فيها جوارى أسيا الوسطى لحُسنهن قبل الهنديات ، والذين يعييون على سلاطين المسلمين إقتنائهم الكثير من العبيد والجوارى ، عليهم أن يراجعوا تاريخ القصر الملكي فى فيجايانا جارا الذى كان يضم عدد كبير من الجوارى العاملات فى الإدارة وبجانبها خدمة الإحتياجات الجنسية للنبلاء وضيوف القصر ، وكانت شرطة العاصمة تجنى مرتباتها من تجارة الدعارة حسب قول ويل ديورانت ولك أن تتخيل حجم الداعرات المطلوبات لتوفير مبالغ طائلة لتغضى مرتبات إثنى عشر الفا شرطى هم شرطة المدينة ، ولم يكن جيشها يستغنى عن البغايا فكانوا يصطحبونه الى ميادين القتال لخدمة الجنود الذين تتطلب مهامهم محاصر الحصون لشهور ، وفى ملبار كانت الدعارة الأسرية شيئا عاديا غير ممجوج عندما كان كل الأخوة يتقاسمون معاشرة زوجة أخيهام .

### عبودية الفقر الهند

وفى الهند عبودية من نوع آخر لا شأن لها بالسبى والحروب أو المنبوذية ؛ هي عبودية الفقر ؛ فالفقر كان شائعا بين أهل الهند رغم غناها بسبب تواتر حدوث الكوارث الطبيعية والحروب والمجاعات لفترات طويلة ؛ ولإستئثار الحكام بمعظم خيرات البلاد دون الناس قبل الإسلام وبعده ؛ فعانت الأسر فقرا مدقعا اضطرت معه الكثير منهم لبيع أبنائها وبناتها لعدم القدرة على إطعامهم ، وكان هذا الأمر شائعا فى الهند والصين فى ذلك العصر ، وكان السلطان فيروز شاه من رفاة الحس يقوم بشراء هؤلاء من أسرهم ، ليعيشوا فى كنفه ثم يعيدهم الى ذويهم بعد تخطى البلاد المجاعة أو تشغيلهم فى مزارع الدولة ليتعيشوا من خيراتها.

والسلطان علاء الدين الخلجي الفاتح الكبير؛ المتهم الثانى بإقتناء كثرة من العبيد يقدرهم البعض بأكثر من سبعين الفا يخدمون فى الجيش ومزارع الدولة ، تخرج من

سبيه قادة جيشه المقربون مثل مالك كافور ؛ الذي كانت له فتوح عظيمة وأصبح وزيراً ثم حاكم البلاد الفعلي في أيام مرض السلطان قبل موته ، ومثله خسرو خان الأسير الهندوسي الذي أصبح سلطاناً لدلهي وله قصة حزينة فاضحة في تاريخ الحقبة .

ومن السبأ تخرج عماد الدين ریحان نائب السلطان ناصر الدين محمود بن شمس اللمش (التمش) الذي تولى المنصب عام ٦٥١ ؛ وهو أول مسلم هندي يتولى منصباً في الإدارة العليا (٦٣) ؛ ومالك مقبول وإبنة مقبول خان الذين توليا مناصب وزارية في عهد فيروز شاه طغلق ؛ و مالك مقبول وكان أسيراً هندوسياً حسن إسلامه وبنى أكثر من ستة مساجد (٦٤)؛ ومثلهم هيمو البقال قائد جيش السلطان محمد عادل شاه آل صور(الصوري) ؛ الذي أغرته إنتصاراته بالتمرد وأعلان نفسه سلطاناً وإرتد عن الإسلام.

وفي الحقبة العربية برز من أسرى السنديين أبو عطاء السندي والفقيه العالم أبو معشر نجیح بن عبد الرحمن السندي صاحب كتاب المغازي وابن الأعرابي وهو علم من أعلام اللغة والأدب وكان أبوه عبداً سندياً ، واشتهر عدد من علماء مسلمي السند في الرياضيات مثل الشيخ المعمر ابي الرضا راتن الذي تعهد حكم سيوستان ، وكانوا يُطلقون عليه عظيم السند.

### حقوق العبيد في الإسلام

والعبودية في المجتمعات الإسلامية لم تكن أبدية كعبودية الهندوسية؛ بل كانت أمراً موقوتاً محكوم بزوالها بحكم العقيدة رغم أنف سادة العبيد ؛ فقد تحين الإسلام الفرص وصغائر الأمور لإطلاق العبد الى عالم الحرية بدأ بالكفارات وهي أبسط الأسباب فجعل كفارة ضرب المملوك ظلماً العتق ، وتدرج الإسلام في أسباب عتق العبيد ؛ وكان الهدف من التدرج ألا يخل الغاء العبودية دفعة واحدة بتوازن الاقتصاد ؛ باعتبارهم أداة عمل هامة في النظام الإقتصادي والإجتماعي ، ؛ كما منح الإسلام العبيد الحق في تحرير أنفسهم متى أرادوا ؛ و هو حق خوله الإسلام الى مطلق إرادة العبد الحرة دون إشراك سيده في الأمر بالقبول أو الرفض ؛ فمتى أعلن سيده بنيته في المكاتبه (شراء حريته) ، ألزمت العقيدة سيده بتسهيل الأمر وليس منعه أو منحه .

٦٣ - منهاج سراج الدين ٨٢١هـ- نقلًا من عيسى عبد الله الضفيان.

٦٤ - كان ياجندهار (مالك مقبول) قبل إسلامه ؛ وزيراً لدى براتابرايدرا ملك ورنجل في تاميل نادو جنوب الهند ؛ أسره جيش السلطان محمد طغلق مع ملك البلاد عام ١٣٢٣ ؛ ولما رحلوهما الى دلهي انتحر الملك غرقاً في نهر نارامادا بينما أسلم وتسمى "مالك مقبول" وولاه السلطان حكم ملتان ثم تيلانجانا الشرقية ؛ ولما استعاد الملك كاما ورنجل فرّ مالك مقبول إلى دلهي ففاز بثقة آل طغلق ورافق السلطان في رحلة إلى غوجارات لإخضاع المتمردين، واستطاع إخماد الثورة [٨] ثم أصبح وزير المالية، وأخيراً أصبح وزير سلطنة دلهي في عهد فيروز شاه طغلق(١٣٨٨-١٣٥١) وبعد وفاة مالك مقبول عام ١٣٦٩ م، عين السلطان فيروز شاه طغلق ؛ ابنه جونان خان بن مالك مقبول وزيراً خلفاً لوالده ولكنه فشل في إخماد الثورات وانتهى أمره بأسره وإعدامه .

ورحمة بالعبيد أمر الإسلام بالإحسان إليهم في المأكل والمشرب بنفس مأكل وملبس سيده ، وفرض الإسلام على سيده تيسير معيشة العبد والا يكلفه بما لا يطيق من الأعمال ؛ وللأسف يختلف واقع الحال عما تفرضه العقيدة ، فالبعض من مالكي العبيد راوغوا في تطبيق مبادئ الإسلام الرحيمة على العبيد خصوصا مسألة تحريرهم ، وهذا التتكر هو ما دعانا للفصل بين العقيدة وسلوك تابعيها وألا نحملها وزر أعمالهم .

تهيئ العبودية فرصا لترقى العبد ؛ ففي العبودية بابا مفتوحا للرقى والرفعة في كثير من الأحيان فعندما كان مُقتنوهم يتوسموا فيهم النجابة وحسن الخلق كانوا يلحقونهم بالتعليم وينفقون عليهم ويزوجونهم بناتهم بعد إسلامهم ؛ ومن أمثلة ذلك السلطان شهاب الدين الغورى الذى كان يعتبر مماليكه فى مصاف أبنائه وورثة مُلكه لعدم وجود أبناء له ، و زوج ابيك سلطان الهند المملوكى إبنته الى نائبه بعد ما أعتقه وغيرهم كثيرون .

والغرب الذى ينتمى اليه مهاجموا الحقبة إرتكبت أممهم مأس دموية ، فالمستعبدين السود عانوا تحت أيديهم دموية مطاردتهم كالحوانات لأسرهم ومرارة عذابات الترحيل في أقفاص الى العالم الجديد وهم منبطحون فى حُسن تنطبق سقوفها على أرواحهم فى المراكب وكأنهم حُشب ممددة (٦٥)؛ وقد راح ضحية هذه الرحلات أكثر من ثمانين مليون من البشر.

ولم يسلم الجنس الأبيض من إستعباد إخوتهم بيض البشرة ؛ وكان مادتها فى العصر الوسيط الصقالبة المستضعفين ؛ وقد أهدت برتا بنت الأوتاري ملكة الفرنجة الخليفة المكتفى بأمر الله عام ٤٢٣ هـ "..... عشرين خادماً صقلياً وعشرين جارية صقلبية حسناً لطافاً....." (٦٦) (٦٧).

### الغنائم والسبى فى التوراة

وبالنسبة لما يعيونه على المسلمين فى الغنائم والسبى ؛ نُذكرهم بما جاء فى التوراة من أن بنى إسرائيل عندما فتحوا إيلياء سبوا كثيراً من الجوارى وحصلوا على غنائم وافرة "

ونكتفى بهذا القدر تاركين متن الكتاب الثانى توضيح التفاصيل وغيرها من ردود

٦٥ - الحُنُّ فراغ ضيق فى قعر المركب يكاد ينطبق سقفه على أرضه كانوا يحشرون العبيد المتمردين فيه.

٦٦ - كتاب الذخائر والتحف للقاضي ابن الزبير هدايا الخلفاء العباسيين (القرن الخامس الهجري) الدكتور فرات حمدان عبدالمجيد.

٦٧ - أرسلت الإمبراطورة برتا فيليا لوتارى (حفيدة شارلمان) برسالتين الى الخليفة العباسى المكتفى بأمر الله ، حملهما قائد أسطول الأغالبة التونسى أسرته مع ١٥٠ بحارا وأبقتهم فى أسرها سبع سنوات قامت خلالها بينهما صداقة ؛ ولما أعلمها أن الخليفة أكبر من ملك تونس بعثت برسالتها اليه تخطب وده ودعمه فى رسالة رسمية ؛ أما الرسالة الثانية فكانت شفوية لطبيعتها السرية ولا ترغب فى أن يعلم أحد فحواها عرضت فيها الزواج بالخليفة لتعزيز قوتها فى مواجهة قيصر بيزنطة ، ومعها الهدايا - المرجع السابق ص ٤٨ .



الكتاب الثاني  
التاريخ يرد  
ويتحدث بأسراره

خطة موجزة لعرض  
موضوعات  
الكتاب الثاني  
التاريخ يتحدث بأسراره

خطة العرض

الباب الأول ... العلاقات العربية الهندية

- الفصل الأول ... الهند عند العرب .
- الفصل الثاني ... الإسلام والهند.
- الفصل الثالث ... تبادل الرسائل والهدايا
- الفصل الرابع ... علاقة الهندوس بالكعبة - أساطير هندية .

الباب الثاني... الفتح

- طبيعة الفتح العربية .
- طبيعة الفتح التركو/أفغانية.
- الباب الثالث... الفتح التركو/أفغانية/بابرية
- دول سلطنة دهلي .
- دولة المغول الباريين .

الباب الرابع... المخاض السياسى والدينى ما بعد الطغاة الى حقبة أكبر .

- الفصل الأول ... المخاض السياسى
- الفصل الثانى..... المخاض الدينى

خاتمة

الكتاب الثاني  
التاريخ يتحدث بأسراره  
الباب الأول  
العلاقات العربية الهندية

الفصل الأول  
الهند عند العرب

التجارة العربية الهندية

كانت الهند عند العرب ؛ بلاد العجائب والغرائب - أكبر بلاد الدنيا ؛ إتخذوها مقياسا يضاهاون به إتساع بلاد الدنيا الأخرى ، وإشتقوا إسمها "هندا" من إسمها عند الفرس " سندا " بعد تحويره ، وذاع إسمها العربى فى أرجاء المعمورة بفضل التجار العرب فرسان التجارة الدولية هم والفرس ، وكانت التجارة أساس العلاقات الهندية العربية منذ أزمنة بعيدة قبل وبعد الإسلام بقرون ؛ فهم من أداروا التجارة الدولية لشرق عالم ذلك الزمان بما فيه شبه القارة الهندية .

وكانت بلاد الساحل الغربى لشبه القارة الهندية المواجه لجزيرة العرب ؛ الأقرب جغرافيا والأوثق تجاريا وتاريخيا مع بلاد العرب والفرس حتى قبل الإسلام ؛ تأسست شراكتهم على التجارة ؛ وتحت مظلتها تمددت الأعراق والثقافات ؛ فإنتشرت مستوطنات التجار المسلمين في مدن الساحل الغربى للهند ؛ عثر على أطلالها فى ملبار والكجرات والديكان يرجع تاريخها الى عهد الملك " فالبهري " و الملكين ديفا رايا الأول والثانى فى أوائل القرن الخامس عشر ومستوطنات أخرى فى جزر محلدبيب وسرنديب ؛ وتُشير وثائق الأكاديين (بلاد العراق) الى وجود مستوطنات ومراكز تجارية للسنديين في مدينة أور ؛ حيث عثر على أختام هندية وقوائم بأسماء تجار الهند والبضائع الواردة من ملوخوا فى وادي السند .

موقع ملبار فى العلاقات العربية الهندية

و ملبار أهم بلدان الساحل الغربى للهند ؛ تختلف أسماءها عند المؤرخين المسلمين ما بين ماجبار - مليبار - ملبار وتعنى بلغتهم بلاد الجبال ؛ وتكتسب أهميتها من كونها بلاد الفلفل أو الذهب الأسود فى مصطلح التجارة الأوروبية ؛ وتتمركز دوائر إدارة هذه التجارة العالمية فى يد التجار المسلمين فى قاليقوت ؛ الذين كان لهم نفوذ كبير لدى ملوك البلاد الملقبون ساموثيرى Samoothiri أو زاموزيرى أو زامورين ، وإذا تابعنا ما كتبه الرحالة المسلمون عن هذا البلد يدرك القارئ مدى قوة العلاقات العربية الملبارية وإنتشار مكوناتها .

فالتجار العرب أعمدة إقتصادها ؛ كانوا مقربين للملك فأمير التجار إبراهيم شاه بندر<sup>(٦٨)</sup> هو نائب الملك المسؤول عن إدارة الميناء وجماركه ؛ يُسعر الواردات وتحصيلها وتوريدها للدولة ؛ وهو من إصطدم بفاسكو دي جاما عندما رفض الأخير دفع الجمارك .

وجينيا إنحدر من سلالة التجار المسلمين المتزوجون بالنساء الملباريات جيل من المولدين يسمونهم موبلا Mopla ونايير ؛ ومن ثقة ساموثيرفي العرب الملباريين جند النايير وموبلا في جيشه ولهم تاريخ عظيم في الدفاع عن الإمبراطورية الملبارية ؛ ومن محبة هذا الملك للعرب كان يُرسل مندوبا عربيا الى هرمز لجلب المزيد للخدمة لديه ؛ وولى آل ماركار (مقار) ذوى الأصول المصرية قيادة البحرية الملبارية لثمانية حقب ؛ طوروا فيها اسطول قليقوط بالإمكانات الفنية المحدودة المتاحة وإستخدموا بمهارة إستراتيجيات تتلائم وسفنهم الصغيرة ناطحوا بها الأساطيل البرتغالية .

ونتيجة لكثافة الوجود العربى عرقيا وتجاريا ؛ كانت اللغة العربية معروفة فى ملبار ؛ فأرسل بها ملك البرتغال رسالته الى ساموثيرمع فاسكو دي جاما ؛ وأن وثائق قصر على كوتى فى كونور من معاهدات وأحلاف كانت باللغة العربية أو بالخط العربى الملبارى<sup>(٦٩)</sup>.

### الثقافة العربية فى السند

من أكثر البلاد جذبا للثقافة العربية قبل الإسلام وبعده ؛ ويقول بوهلر أن الخط العربى البراهمى دخل الهند سنة ٨٠٠ ق م وطوره الهنود ؛ وينقل لنا سليمان الندوي فى كتابه عرب وهندكى عن "البانديت سوامي ديانندجي" - مؤلف ستيارته بركاش ؛ أن بعض النخب الهندية قبل الإسلام كانت على معرفة باللغة العربية ؛ فتبادل الحديث بها زعماء عشيرتي "باندو" و"كورو" عندما أبلغ القائد "ودرجي" "باندو" باللغة العربية التى لا يفهمها الأعداء بمؤامرة ؛ فرد عليه "بدشتر" بدوره بالعربية.

و كان رتبيل أمير السند يعرف العربية جيدا ؛ فعندما لجأ اليه عبد الرحمن بن الأشعب هاربا من مطاردة الحجاج الثقفى والى العراق فى العهد الأموى ، لامه رتبيل بأبيات من شعر حسان بن ثابت على هروبه من القتال تقول :

<sup>٦٨</sup> - يقول ابن بطوطة عن أمير التجار إبراهيم شاه بندر من أهل البحرين فاضل ذو مكارم، يجتمع إليه التجار، ويأكلون في سماطه.

<sup>٦٩</sup> - هو من آل ماركار من سلالة العرب الهنود وهناك من يقول مصرى الأصل من القلزم ، وقصته سترد لاحقا.

تَرَكَ الْأَحِبَّةَ أَنْ يُقَاتِلَ دُونَهُمْ      وَنَجَا بِرَأْسِ طِمْرَةٍ وَلِجَامٍ

فرد الأشعب عليه بشعر للحارث بن هشام ؛ يُبرر فيه موقفه فقال:  
 اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَرَكَتُ قِتَالَهُمْ      حَتَّى رَمَوْا فَرَسِي بِأَشْفَرِ مُزْبِدٍ  
 فَعَلِمْتُ أَنِّي إِنْ أَقَاتِلُ وَاجِدًا      أَقْتُلُ وَلَا يَبْكِي عَدُوِّي مَشْهَدِي  
 فَفَرَرْتُ عَنْهُمْ وَالْأَحِبَّةُ فِيهِمْ      طَمَعًا لَهُمْ بِعِقَابِ يَوْمِ مُفْسِدٍ  
 فعقب رتبيل يا معشر العرب جملتم كل شئ حتى الفرار (من القتال).

بقيت الثقافة العربية في السند بعد زوال الحكم العربي ، فتركت اللغة العربية آثارها على اللغة السنديّة التي إعتنقت الأبجدية العربية، وتم إكتشاف كتابات بالخط الكوفي في أطلال مدينة بمبور " ميناء الديبل " بساحل الهند الغربي ؛ يرجع عهدا إلى القرن الثالث الهجري ؛ ويذكر الاضطخري ٣٤٦هـ / ٩٥٧م " أن العربية كانت بجانب السنديّة لسان أهل المنصورة والملتان ونواحيها ، وقال المقدسي (٣٣٦ - ٣٨٠هـ / ٩٤٧-٩٩٠م) أن أهل المنصورة تجارا كلامهم سندي عربي .

كتب جوستاف لوبون " كان المسلمون دائما على إتصال منتظم بالهند والصين ونقلوا اليهما كثيرا من المعارف العلمية التي إعتبرها الغرب لاحقا هندية أو صينية الأصل " (٧٠) ؛ فسلطنات الهند دهلي والديكان والبنغال خصوصا دولة المغول التي إهتمت بإنشاء المكتبات والمراكز العلمية إنتقلت عن طريقها معارف الحضارة الإسلامية في أصولها العربية وغير العربية (الفارسية والتركية) الى الهند .

### العرب والمعارف الهندية

( إهداء ملك الهند مكتبة بالمعارف الهندية الى الخليفة العباسي المأمون)  
 ذكر ابن خردادبة في كتابه "المسالك والممالك" أن أحد ملوك الهند أهدى الخليفة العباسي المأمون سنة ١٥٤ هـ / ٧٧١ م ، كُتبا لحكام الهند بالسنسكريتية في الرياضيات والفلك والطب والأدب ، وبفضلها تعرف العرب على مدى تقدم المعارف الهندية ، وأشاد بها أحمد بن أبي يعقوب المعروف بإبن واضح الاخباري بقوله " أن الهنود أصحاب حكمة ونظر يفوقون الناس في كل حكمة ؛ فقولهم في النجوم أصح الأقاويل، وكتابهم "السند هند" أحاط بكل علم من العلوم ؛ وقولهم في الطب مُقدم ، ولهم فيه كتاب يسمى "سرد" عن الأمراض وعلاجها وأدويتها " .

وأشاد الجاحظ أيضا بالمعارف الهندية فيقول " وأما الهند فيقولون في النجوم والحساب ؛ ويقدمون في الطب والدواء وعندهم أسرارهم .. ولهم الرقي النافذة في

السموم والأوجاع ، ويتفوقون في التماثيل ودهن الصور بالأصباغ .... ولهم في الشطرنج وهي أكثر اللعب تدبيراً وفطنة ؛ وهم ألعب الناس بالسيوف وأحذقهم ضرباً بها ، ولهم غناء معجب ولهم الكنكة وهي وتر واحد يمد على قرعة فتقوم مقام أوتار العود والضبع، ولهم ضروب الرقص<sup>(٧١)</sup> ."

وتعلم بعضاً من العرب العلوم على أيدي الهنود في فارس ؛ فالطبيب العربي الشهير الحارث بن كلدة التقفي تعلم الطب على أيدي أطباء الهند بمدرسة جُنديسابور الساسانيّة بفارس قبل الإسلام<sup>(٧٢)</sup> .

### إعجاب العرب بالهند

ومن إعجاب العرب بالهند أطلقوا إسمها على بناتهم ؛ وكان العرب كمجتمع مقاتل يقدرون سيوف الهند كسلاح حتى سماوا من يتمنطق بها مهنداً نسبة الى الهند ؛ كما تغنى بإسمها شعراؤهم في روائع غزلهم وجعلوه رمزاً للحب ؛ فيقول:

أحمد شوقي (أمير الشعراء) :.....

لقد لآمنى يا هند فى الحب لآئم

مُحب إذا عُدت الصحاب حبيب

### ويقول بشار بن بُرد

طال فى هند عتابى

أزهقت هند حياتى

دخل الحب لهند

دنف فى حب هند

واشتياقى وطلابى

ما لهند من متاب

قلبه من كل باب

ذى شكاة وإنتحاب

### ويقول أبو العلاء المعري

لا يجعلنّ هنداً هُنيدةً فُوك

فالتصغيرُ مَقرونٌ إلى الإصغار

<sup>٧١</sup> - في رسالته "فخر السودان على البيضان".

<sup>٧٢</sup> - أهدى ملك الهند أبو محمد الحسن بن سهل وزير المأمون ، عوداً ليس له مثيل بمناسبة زفاف ابنته بوران على الخليفة المأمون ، أعجب برأفته الخليفة المتوكل فأرسل في طلبه من ملك الهند المعاصر له وهو ابن الملك السابق الذى أهدى مثيله للحسن.

## الفصل الثانى الإسلام و الهند

### إسلام ملك ملبار

لما إعتنق التجار العرب الإسلام أقاموا المساجد فى مستوطناتهم ؛ وكان أول المساجد التى بُنيت أقامها القاضي الشريف / تاج الدين على قطعة أرض أهداها له ملك التاميل كولاسيكارا بانديا بمملكة مادوراي فى أقصى قاع جنوب شبه القارة الهندية ، ويتسع المسجد لنحو الف وخمسمائة مصلى ، ووُجدت أطلال بعض المساجد فى سواحل الديكان والملبار والگجرات وكوتش .

وأول ملوك الهند إسلاما هو ملك ملبار وتختلف الروايات بشأنه فالرواة المعاصرون أشاروا اليه بصفته ملك ملبار وليس بإسمه ؛ فصاحب كتاب تحفة المجاهدين أشار الى وجود مخطوطتين لدى الإدارة الهندية باللغة العربية تتحدثا عن تفاصيل إسلام هذا الملك وأشارت اليه بعبارة شكرورتى - جكرورتى - شكروتى ، وهى تعنى الملك باللغة المحلية (٧٣) ؛ و تذكره روايات العامة بإسمه بعد إسلامه (عبد الرحمن السامرى) ، ويستطرد صاحب تحفة المجاهدين بالقول بأن الملباريون كفره ومسلمون كانوا يحتفلون بهذه المناسبة عند تتويج الساموثيربأى الملك الجديد ؛ فعند تتويج راجا "كدنغلور" يلبسه المسلمون لباس المسلمين ؛ و يأخذ السيف بيده ويردد القسم الذى أقسمه ابن شقيقة الملك الذى عهد اليه الملك عند سفره الى مكة بالملك أمانة الى أن يعود ، ونصه " أن هذا كله (وديعة) عنده الى أن يرجع خاله الذى غادر الى مكة " ؛ وحسب النظام الأمومى كان الملك ينتقل لأبناء الأخت وليس للأبناء .

وفى رواية أخرى يذكر تحفة المجاهدين أن الأسرة الملكية التى كانت تحكم "كدنغلور" فى شمال ملبار فى وقت معاصر لوصول مالك بن دينار مبعوث رسول الله والفريق الذى معه ؛ هى أسرة أركل راجا موشم المسلمة ، وأن مؤسس الأسرة مهبالى تسمى محمد على عند إسلامه عام ٦١ هـ حسب وثائق القصر ، وهو ابن شقيقة " جيرمان برمال " الملك المسلم المقصود حسب روايات عديدة .

ويذكر الباحث الهندي بالا كيريشنا أن رسول الله بعث برسالة عام ٦٢٨م (٧هـ) الى جيرمان برمال ملك ملبار يدعو للإسلام (٧٤) ، وفي رواية أخرى أن " جيرمان برمال" ملك "كدنغلور" أول من أسلم من ملوك الهند وكان ذلك في المدينة المنورة على يدى رسول الله ﷺ (كان عمر رسول الله وقتها ٥٧ عاما) ؛ وفي رواية أخرى أنه جاء الى المدينة فى العام السابع من الهجرة بعد أن عاين بنفسه وهو فى بلاده معجزة شق القمر ، وعرف من التجار العرب أن ما رآه معجزة لنبي ظهر فى بلاد العرب ؛ فطلب منهم أن يأخذوه اليه عند عودتهم ؛ وأسلم بين يدى رسول الله وتسمى تاج الدين ، وهو من أشار اليه أبى سعيد الخضرى فى مستدركه بقوله " أهدى ملك الهند الى رسول الله جرة فيها زنجبيل فأطعم أصحابه قطعة قطعة ، وأطعمنى منها قطعة " .

وعند عودة الملك الى بلاده أصطحب معه الصحابين مالك بن دينار وشرف بن مالك للقيام بدعوة الناس الى الإسلام ؛ وفى الطريق مرض الملك وإستشعر الموت فأوصى مرافقيه بالعناية بالصحابين وتقديمهما لأهله ؛ فلما وصلوا "كدنغلور" أسلم أهل الملك وجاب مالك بن دينار ومن معه أنحاء كيرالا داعين إلى الإسلام وبنوا ١١ مسجدا (٧٥) .

وثق الشيخ عبد المجيد الزنداني هذا الحدث فى كتابه " بينات الرسول صلى الله عليه وسلم وآله ومعجزاته " ص ٢٢٥؛ نقلا عن مخطوطة هندية موجودة فى مكتبة دائرة الهند بلندن ، تحمل رقم مرجع عربي ٢٨٠٧ ، ١٥٢ إلى ١٧٣ ؛ إقتبسها من كتاب حميد الله " محمد رسول الله " ص ٢٥ ؛ وتقول المخطوطة " شاهد ملك "ماجبار" (مالابار) بالهند (جاكرواني فرماس) انشقاق القمر الذي وقع لعهد، ولما استفسر عن الأمر أبلغوه بأن هناك نبوءة عن مجيء رسول من جزيرة العرب ، فأقام ولى عهده فى حكم البلاد وانطلق لملاقات رسول الله واعتنق الإسلام على يديه ، وتوفي فى ميناء ظفار فى طريق عودته إلى وطنه" .

### أحاديث نبوية

#### عن غزو الهند آخر الزمان

- عن ثوبان مولى رسول الله :

" قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، عَصَابَتَانِ مِنْ أُمَّتِي أَحْرَزَهُمَا اللَّهُ مِنَ النَّارِ ؛ عِصَابَةٌ تَعْرُوُ الْهِنْدَ وَعِصَابَةٌ تَكُونُ مَعَ عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ " .

٧٤ - يتوافق هذا التاريخ مع توقيت رسائل رسول الله الى عدد من كبار الملوك ؛ ويذكر الطبري وصلت رسالة رسول الله الى مصر فى شهر ذي الحجة ٦ هـ (أبريل أو مايو ٦٢٨ م) ، أى فى نفس التوقيت وهو ما يثبت صحة هذه الرواية.

٧٥ - عدنان علي رضا النحوي: ملحمة الإسلام فى الهند ص ٣٦ - نقلا عن .....



### - عن أَبِي هُرَيْرَةَ:

" وعدنا رَسُولُ اللَّهِ غزوة الهند ؛ فإن أُسْتُشْهَدت كنت من خير الشهداء ، وإن رجعت فأنا أبو هريرة المُحَرَّر " ، وفي رواية أخرى قال حدثني خليلي الصادق رَسُولُ اللَّهِ " يكون في هذه الأمة بعث إلى السند والهند ؛ فإن أنا أدركته فَأَسْتُشْهَدْتُ فذاك ، وإن أنا - فذكر كلمة - رَجَعْتُ وَأَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ المُحَرَّر قد أعتقني من النار " ، وفي رواية ثالثة قال " قال رسول الله - وذكر الهند - فقال " ليغزون الهند لكم جيش يفتح الله عليهم ، حتى يأتوا بملوكهم مُغْلَغِلين بالسلاسل يغفر الله ذنوبهم ، فينصرفون حين ينصرفون ، فيجدون ابن مريم بالشام " قال أبو هريرة إن أنا أدركت تلك الغزوة بعث كل طرف لى وتالد وغزوتها ؛ فإذا فتح الله علينا وإنصرفنا فأنا أبو هريرة المحرر ، يقدم الشام فيجد فيها عيسى ابن مريم ، فلأحرصن أن أدنوا منه فأخبره إنى قد صحبتك يا رسول الله ؛ قال فتبسم رسول الله ، وضحك وقال هيهات هيهات .

وفي قول آخر " يغزو قوم من أمتى الهند فيفتح الله عليهم حتى يُلقوا بملوك الهند مُغْلَغِلين في السلاسل يغفر الله لهم ذنوبهم ، فينصرفون إلى الشام ؛ فيجدون عيسى ابن مريم بالشام " ؛ ويُفهم من الأحاديث أن المقصود آخر الزمان وقت نُزُول رسول الله عيسى ابن مريم عليهما السلام ؛ لما فيه من ربط واضح بين الحديثين.

### الفصل الثالث تبادل الرسائل والهدايا بين ملوك الهند والخلفاء العباسيين (٧٦)

#### هارون الرشيد

(١٤٩ - ١٩٣ هـ ( ٧٦٦ - ٨٠٩ م )

يقول ابن خردادبة أن أحد ملوك الهند (المرجح أنه دهمي ملك السند بينما يذكر المسعودي أنه ملك سوماترا) ؛ أهدى الرشيد هدايا جلييلة في جملتها قضيب زمرد أطول من الذراع وعلى رأسه تمثال طائر من ياقوت أحمر قيمته ألف دينار لا قدر له من النفاسة ؛ ثمنه الغزالي بمائة ألف دينار (أسقط القاضي الرشيد بن الزبير صاحب كتاب الذخائر والتحف فقرة " قيمته الف دينار" من كتابه .

#### ال خليفة عبدالله المأمون

(١٩٨ - ٢١٨ هـ ( ٧٨٦ - ٨٣٣ م )

أهدى دهمي ملك الهند حسبما وصف نفسه ؛ هدية ثمينة الى الخليفة المأمون ؛ ومعها كتابا ورسالة إستعرض فيها شرف أصله و قدسية مكانته ليعي الخليفة أنه لا يقل عنه شرفا ولا مكانة ؛ فالناس تسجد له أمام صنم الإله الأعظم كما إستفاض فى إستعراض كنوزه وعظمة قصره:

#### نص الرسالة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من دهمي ملك الهند ، وعظيم أركان المشرق وصاحب بيت الذهب وأركان الياقوت ، وفرش الدر ؛ الذى بُنى قصره من العود الرطب الذى إذا خُتم عليه صورة قبلها قبول الشمع ؛ وتوجد رائحة قصره من عشرة فراسخ ، وفى خزنته الف تاج من الجواهر لألف أب كانوا له ذهب ، والذى يُسجد له أمام البد الأكبر المصنوع من الف الف مثقال من الذهب مرصع بالف حجر من الياقوت الأحمر والدر الأبيض ، والذى يركب الف موكب فى يوم السعادة وعلى رأسه التاج وله فى كل موكب دابة مكللة بالدر وتحتها الف فارس معلمين بالحرير والذهب ؛ ويضم مربوطه الف فيل أبيض

٧٦- نقلا من بحث للأستاذ المساعد الدكتور فرات حمدان عبد المجيد الجامعة المستنصرية كلية آداب قسم التاريخ .

خزائنها أعنة الذهب ، والذي يأكل في صحائف الجواهر على موائد الدر المنضود ،  
والذي يستحي أن يخون الله في رعيته بعد أن إستكفاه الأمانة والرئاسة على أهل  
مملكته " .

".... أيها الأخ أما بعد

لم يرغب عنا إن إبتدأنا بذكر ما يخصنا من الشرف النسب وعلو الحال ولا  
طائل في زواله ؛ وكان الأولى أن نبتدىء بذكر الله تعالى جل اسمه ..... ، (وإستطرد  
قائلاً) و ترد اليينا الأخبار بفضيلة لك في العلم لم نجدها لغيرك ؛ .....؛ وقد افتتحنا باب  
المكاتبة بأن أهدينا اليك كتاباً ترجمته (صفوة الأذهان) ومضمونه يشهد على صواب  
التسمية وبعثناه اليك لإستحساننا إياه وان كان دون قدرك ونحن نسألك المعذرة أيها  
الأخ أن تعذر أخاك في التقصير إنشاء الله " (٧٧).

وكانت هدية ملك الهند الى المأمون عبارة عن جام ياقوت أحمر فتحه شبر في  
غلظ الأصبع مملوء دراً وزن كل درة مثقال والعدة مئة درة ووشي جيدها دارات سود  
على قدر الدرهم وفي وسطها نقط بيض معروزة بالدر؛ ومصليات ثلاث بوسائدها  
من ريش طائر إذا طرحت في النار لم تحترق وفراوزها در وياقوت أحمر ،  
ووزن مئة ألف مثقال عموداً رطباً ؛ وثلاثة وثلثين من الكافور المحبب كل حبة  
منه مثل الفستقة وأكبر من اللوزة ، وجارية سنديّة طولها سبعة أذرع تسحب شعرها ،  
حسنة البشرة لها أربع ظفائر تعقد ظفيرتين على رأسها تاجاً وظفيرتان تبلغان  
الأرض من خلفها ؛ وطول كل شفر من أشفار عينيها إصبع ؛ يبلغ إذا أطرقت نصف  
خدها وكان بين شفتيها لمعان البرق من بياض أسنانها لها نهدان وثمانى عكن .

وكان الكتاب في لحاء شجرة تنبت بالهند يقال لها (الكاذي) أحسن  
من الكاغد (نوع من الورق) والقرطاس ؛ لونه يميل الى الصفرة والخط لازوردي مفتح  
بالذهب " .

رد المأمون برسلة وهدية وكتاب:

### نص الرسالة

" من عبدالله المأمون أمير المؤمنين ؛ الذي وهب الله له ولأبائه الشرف بابن  
عمه النبي المرسل (صلى الله عليه وآله وسلم) والتصديق بالكتاب المنزل ؛ الى دهمى  
ملك الهند وعظيم من تحت يده من عظماء الهند وأركان المشرق؛ سلام عليك.. فأني  
أحمد اليك الله الذي لا اله إلا هو وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله  
عليه وآله وسلم ، وصل كتابك فسررت لك بالنعمة التي ذكرت ..... وقد أهدينا اليك

<sup>٧٧</sup> - ترجمة سينة في مجملها و نمقتنا بعضا من الإلفاظ الركيكة لضمان إستقامة المعنى مع المقصود.

مودتنا وهي أوفر حظ المتواصلين ، وأهدينا اليك كتاباً ترجمته (ديوان الألباب وبستان نواذر العقول) ومطالعتك ترجمته تحقق عندك فضيلة النعمة ومشاهدتك له تحقق عندك ما أسميناه به وجلنا لذلك عنواناً من الهدية ..... ولو كانت الملوك تتهادى على أقدارها لما اتسعت لذلك خزائنها وانما يجري ذلك بينها على قدر ما يدل على حسن النية وجميل الطوية وبالتوفيق .... " .

وكانت الهدية فارساً بفرسه وجميع آلاته من عقيق ، وقيل بل فارساً بفرسه من عنبر شحري أشهب ومائدة جزع أرضها بيضاء وفيها خطوط سود وحمرة وخضر سعتها ثلاثة أشبار ، وغلظها إصبعان وأرجلها ذهب ؛ وخمسة أصناف من الكسوة من كل صنف مئة ثوب من بياض مصر وخز السوس ووشي اليمن والاسكندرية ، وملحمة خراسان وديباج خراساني وفرش قرمز وفرش طبري، وفرش سوسنجري، ومئة طنفسة حيرية بوسائدها كل ذلك خز سوسي وجام زجاج فرعوني ؛ غلظه اصبع وفتح شبر ونصف ؛ في وسطه صورة أسد نابت وأمامه رجل قد برك على ركبتيه وقد أعرق اليهم في القوس نحو الأسد (كلمتين غير مفهوميتين) مما أخذ من خزانة مروان بن محمد " والكتاب في طومار ذي وجهين وغلظ الخط اصبع " .

### إستهداء الخليفة المتوكل

(٢٣٢-٢٤٧هـ) (٨٤٧-٨٦١م)

#### عودة من ملك الهند

أعرب الخليفة المتوكل بإعجابه بالعود الهندي لبطانته في مجلسه ؛ فقال له أحد الحضور يا أمير المؤمنين ؛ الملوك لا تستنبح أن تستهدي من الملوك طرائف ما في بلادها ؛ فلو أنفذت الى ملك الهند هدية حسنة واستهديت منه عوداً هندياً ما كان ذلك عيباً ؛ فبعث الخليفة بالتتوخي مندوباً عنه الى ملك الهند حاملاً هدايا بعشرة آلاف دينار مما لا يوجد في الهند ؛ وقال له أعلم ملك الهند إننا لا نريد منه مكافأة إلا بما عنده من هذا العود ؛ فنفذ الرسول المهمة وعاد يقص تفاصيل ما لاقاه في رحلته ، فيقول أنه قُوبل بترحاب كبير في دار الملك الأعظم بالهند ؛ وأنزلوه في دار حسنة من دورهم ، ثم أدخل على الملك في مجلسه فقدم له الهدايا فقبلها شأجراً وسأله لأي شيء قصدت؟ ، فلما عرف غرض الزيارة أمر للخليفة بشيء عظيم فيه من الطرائف ما لم يسمع بمثله وأنفذ معه من الجواهر والياقوت وطرائف بلاده ما يكون قيمته مالاً جليلاً ؛ وسلمه صندوق الى الخليفة معه مفتاح من الذهب به العود ؛ ووصل الرسول الى عاصمة الخلافة سر من رأى ؛ في الليلة التي قتل فيها المتوكل عام ٢٣٢هـ ؛ فشده يده على ما جاء به من العود (أى إحتفظ به لنفسه).

ولما رقى الخليفة المعتمد على الله العرش إحتفظ بالوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل الذي كلف المندوب بمهمة الرحلة الى ملك الهند ؛ وتصادف له أن

قابل المندوب فسأله عما فعله في الرحلة ؛ فقال مضيت من سر من رأى لما أمرتني بذلك ..... فوصلت الى بلاد الهند فدخلت الى الملك وسلمت الهدية اليه فسر بها وعرفته ما جئت فيه من أمر العود فقال ذلك شيء بعث به أبي ولا والله ما في خزائني منه إلا مئة مناً فخذ نصفها ؛ فلم أزل أرفق به حتى سمح لي بمئة وخمسين رطلاً ..... ثم أمر لي بمئة ألف درهم وثياب وطيب وغير ذلك وانصرفت من عنده ، ووافيت الى سر من رأى وقد كان من أمر الخليفة المتوكل ما كان ؛ والعود محتفظ به عندي؛ فقال له عبيدالله كل ما أخذته مبارك لك إلا العود فاحمله بهيئته الى ؛ ففعل " .

## الفصل الرابع الكعبة عند الهندوس (أساطير هندية)

تتحول الضعينة والكراهية الى هوس عند بعض الناس ؛ فيجتهدون في البحث عما يبررون به تماديهم في عدائهم ، وهذا ما حدث عند بعض أعداء الإسلام ؛ فالباحث الهندي P. N. Oak ، تمادى في إندفاعه العدائي للإسلام والمسلمين للدرجة التي إستهوته بتأسيس معهد لإعادة كتابة تاريخ الهند ؛ كل مخرجاته أبحاثا تتحامل على تاريخ الحقبة لإسلامية ؛ وإجتهد بإبتداع تفسيرات تتوافق وهواه ، وفكرت في بادئ الأمر أن أتجاهل ما كتب ولكنى رأيت أن أخوض فيما كتب من منطلق إنا قد نختلف بشأن التاريخ ولكن لا يمكن التحايل عليه بأساطير لا سند لها من الحقيقة.

و أول ما لفت إنتباهي ، حط هذا الباحث من قدر السلطان المغولى جلال الدين أكبر على خلاف نظرة الهندوس الإيجابية لهذا الإمبراطور ؛ رغم توافق رؤاهما السلبية هو وأكبر للإسلام ؛ فأكبر سبقه في طعن الإسلام والإنتقال عليه وهو ما كان يكفي الباحث عناء الكتابة في هذا الموضوع ؛ ولكنه إستهجن طنطنة الهندومؤرخو الغرب لهذا السلطان الذى جعلوه مجددا ومبشرا تزعم نهضة هندية كبرى غير مسبوقة ؛ وإعتبروه من أعظم ملوك الهند إن لم يكن أعظمهم ،وصنفته نهرورئيس وزراء الهند بطلا من أبطال توحيد الهند على قدم وساق مع العظيم غاندى وآخرين غيره ( ) ؛ وعيز عليه من وجهة نظر عنصرية بحثه أن تتكامل نظرتة مع نظرة عشيرته في تمجيد هذا السلطان لمجرد أنه غريب عن عرقه بصرف النظر عما أسداه لبلده من معروف .

وعنوان كتابيه المشار اليها في كعب الصفحة (٧٨) ؛ يُغنيك عن قراءتهما وتفضح حقيقة المهمة المنوط بها معهده والتي تُثير ريبة القارئ المسلم ؛ عموما يهمننا مضمون كتابه " أخطاء في تاريخ الهند " فقد إخترع نسقا من الأساطير جرد بها العرب من أصالة العقيدة مؤكدا ريادة الهند فى تلقين العرب الكثير من جوانبها ؛ عقيدة هندوسية مهاجرة جلبتها جماعة هندوسية من السند الى جزيرة العرب ؛ يتزعمها

<sup>٧٨</sup> - " Some Blunders of Indian Historical Research" by P. N. Oak

مؤلف مشترك للكاتبان الهنديان أوبروي و أوك في " نظرة سريعة على بلاد العرب قبل الإسلام "

الكاهن الهندوسي إبراهيم (المقصود النبي إبراهيم عليه السلام) مؤسس الديانات ؛ وهو وابنه إيش ماهال / إسماعيل عليه السلام هما من أعادا بناء الكعبة ، وأن إسم الحرم مشتق من كلمة هاريام (hariyam) السنسكريتية التي تعني المعبد أو بيت الإله شيفا ؛ الذى عبدته شعوب جنوب الجزيرة العربية (من يمينين - حميريين - حضرميين - معينين) بمسميات مختلفة ؛ فسماه السبئيون (إل - مقة) الأقرب نطقا الى لفظ مكة ؛ ومن الإدعاءات أن كلمة حج مشتقة من كلمة " حك " السنسكريتية.

وتطرق الكاتب الى أن بلاد العرب كانت جزءا من إمبراطورية الملك الهندي Vikramaditya الذى كان يحكم مملكة عظيمة منذ الفى عام قبل الميلاد شملت معظم العالم القديم بما فيها الحجاز ، وأن كل الدول التي ينتهى إسمها بكلمة "ستان" أو يبدأ بكلمة "هندو" هى من بقايا هذه المملكة التي كانت عربستان Arva stan جزءا منها ، وفسر معنى عربستان فى اللغة السنسكريتية بأنها تعنى " بلاد الخيل " وأن شعراء العرب القدامى أشاروا الى هذا الملك فى قصائدهم بالمقطع الأول من اسمه Vikrama .

وإستطرد P. N. Oak ، بأن هذا الملك هو من بنى الكعبة لعبادة النار المقدسة التي كانت عبادتها منتشرة في غرب آسيا ، ودلل على ذلك بوجود شعار المهاديف - الإله شيفا - في الكعبة وهو المعروف عند المسلمين بالحجر الأسود" ، وحاول تأصيل دعاويه بتجانس مسمى مكة مع اللفظ الهندوسي makha - ماكها ؛ الذى يعنى المكان الذى يأوى تماثيل عبادة الإله شيفا إله النار والنور ، وتطرق الى تشابه طقوس الحج عند المسلمين مع طقوس الحج فى الهندوسية ، كالتواف لسبع مرات حول الهياكل المقدسة والاعتسال وحلق الشعر وتشابه ملابس الإحرام مع ملابس النساء الهندوس وإستخدام المسلمون الهلال شعار الإله شيفا فى تحديد مواعيد الصيام وهو ما يبنى عليه الهندوس أيضا أوقات صيامهم .

## الباب الثاني الفتوح الإسلامية للهند

### الفصل الأول طبيعة الحقبة العربية غزو السند في القرن الثامن الميلادي

#### محاولات غزو الهند

##### في باكورة العهد الإسلامي

لم تُغر الهند العرب بفتحها منذ باكورة الفتوح الكبرى للمد الإسلامي ؛ فأمير المؤمنين عمر بن الخطاب وبخ عامله على البحرين وعمان عثمان بن أبي العاص الثقفي على محاولته غزو السند بحرا ، فقد كان عمرا يتحفظ في سياسته العامة في الدخول في حروب يخوض فيها جنود المسلمين عباب البحر ونهى الولاة عن رُكُوب البحر ، ما جعله يُهدد عامله في البحرين قائلا " يا أخا ثقيف حملت دودا على عود ؛ وإنى أحلف بالله لو أُصيبوا لأخذت من قومك مثلهم <sup>(٧٩)</sup> ؛ ولم يعاود عامل عمر المحاولة ثانية ؛ وبرر المؤرخ تقي الدين الفاسي المكي حملات السند بأنها كانت بغرض ردع ملك السند لإيواء المرتدين عن الإسلام في عهد أبي بكر الصديق وتزويده الفرس بالرجال والسلاح والفيلة في حربهم مع المسلمين <sup>(٨٠)</sup>.

و تردد امير المؤمنين عثمان بن عفان في غزو السند ؛ وطلب موافاته بمعلومات عنها ؛ فوافاه حكيم بن جبلة العبدى بأخبارها قائلا : ماؤها (وشل أى قليل) وثمرها دقل (رديئ) ولصها بطل ، إن قلّ الجيش فيها ضاعوا وإن كثروا جاعوا" ؛ فرفض أمير المؤمنين غزوها ، ويبدو أن حكيم بن جبلة لم يتوغل في السند ف جاء

<sup>٧٩</sup> - البلاذري فتوح البلدان ص ٤٣٨ - نقلا عن تاريخ الإسلام في الهند - د. النمر ص ٧١ ؛ وكان عمر قد منع معاوية من حمل الجنود بالبحر بعد أن تحرى من عمرو بن العاص وصفا للبحر ؛ قال فيه عمرو " إنى رأيت خلقا عظيما يركبه خلقا صغير ليس إلا السماء والماء ؛ إن ركن خرق القلوب وإن تحرك أزاغ العقول ، إن مال غرق وإن نجا برق " ..  
<sup>٨٠</sup> - العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ص ٤٣ - محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي تقي الدين؛ المحقق: محمد حامد الفقي - فؤاد سيد - الطناحي، محمود نقلا من .



وصفه غير دقيق ولا نعرف سببه في هذا <sup>(٨١)</sup> وإن كان وصفه جاء متطابقا مع ما أورده الأعرشي همدان في وصفه وادي مُكران في إقليم بلوشستان بقوله : الكثير بها جائع و القليل بها مُعور.

وفي عهد علي بن أبي طالب أواخر سنة ٣٨ هـ وأوائل سنة ٣٩ هـ (٦٥٩م) ؛ توغل بالسند ألفا مقاتل بقيادة الحارث بن مرة العبدي حتى بلغوا أرض القيقان وهزموا جيشا هنديا من عشرين الف مقاتل ؛ ولكن الحارث أستشهد ومعظم من معه في معركة بالمنطقة سنة ٤٢ هـ.

### محاولات ولاية الأمويين فتح السند

أما الأمويون أصحاب الفتوح العظمى فلم يُظهروا تصميمًا على غزو الهند رغم موقعها في جوارهم المباشر ؛ وبلغ إهمالهم أمرها تغاضيهم وهم قوى عظمى عن السياسات العدائية لداهر ملك السند التي يقف وراءها مستشاره اللاجئ العربي مُحَمَّد بن الحارث العلافى وهو من أهل الشام لجأ الى السند هو وقومه هربا من الأمويين وساعدوا داهر في حسم حربه مع إمارة قنوج الهندية عدوة السند ؛ فتمكن داهر من هزيمة ملك "بنديانرا" وأسرته ، فكافأه الملك داهر وجعله وزيرا مقربا يستمع الى نُصحه ؛ فسمح لأعداء الأمويين أن يتخذوا من السند ملاذا ، ودأب الملك طوال عهده الذى طال الى قرابة ٥٥ عاما على مضايقة ولاية العراق .

وإقتصرت محاولات الولاية الأمويين على العراق غزو السند بسبع حملات هزيلة لم تنجح فى الصمود أمام قبائل الهياطل التركية الغير مسلمة التى عرقلت عبورهم الممرات الجبلية المؤدية للهند ، ومن أهم الحملات الأموية حملة " سنان بن سلمة بن محبق الهذلي " فى عهد "معاوية" سنة ٤٨ هـ / ٦٦٨ م ؛ فتح فيها "مكران" ووطن فيها بعض القبائل العربية التى شاركت فى الفتح.

ولما تولى الحجاج بن يوسف الثقفي ولاية العراق فى عهد الملك الأموى الوليد بن عبد الملك ؛ أنفذ ثلاث حملات لغزو السند أهمها غزوة " الديبل " سنة ٨٠هـ/٦٩٩ م بقيادة " عبيد الله بن نبهان " وأخرى لغزو " خور الديبل " بقيادة " بديل بن طهفة البجلي" ، أستشهد فيها وكان عزيزا على الحجاج ؛ فكرس الأخير همه للإنتقام له وشن عدة حملات صغيرة لم تنجح ، وحاول دون جدوى إقناع الخليفة فى دمشق بالقيام بحمله كبيرة لكن الخليفة رفض بسبب ضخامة النفقات ، فظل الحجاج يتحين الفرص الى أن وافته الفرصة عام ٩٠ هـ ؛ عندما إستولى قراصنة الديبل بالسند على بعض

<sup>٨١</sup> - المرجع البلاذرى - نقلا عن تاريخ صلات بلاد العرب ببلاد شبه القارة لـ د. سلمة فردوس سهول أستاذ مساعد ورئيس مركز تعليم اللغة العربية كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد و أ. د. خالق داد ملك رئيس قسم اللغة العربية، جامعة بنجاب، لاهور - مجلة القسم العربى جامعة بنجاب، لاهور- باكستان - العدد السادس والعشرون، ٢٠١٩ ص ١٨٥ .

سفن سرنديب المتجهة الى العراق حاملة هدايا ثمينة من ملك جزيرة الياقوت (سرنديب) إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك في دمشق والحجاج ، وقتل القراصنة بعضا ممن كانوا على متنها وأسروا البعض ومعظمهم أرامل عائدات بجث موتاهن لدفنها ببلادهن .

أثارت إستغاثة إحدى الأسيرات حمية الحجاج ؛ فأقسم ليلى نداءها وضغط على الخليفة الأموي حتى وافق على إرسال الحملة لتحرير الأسرى ؛ واعد الخليفة بتعويض خزانة الدولة عما سينفقه عليها ، وطلب تزويده بـ " ستة آلاف مقاتل أشداء من أشرف الشام وأبنائهم مع عتادهم فإستجاب له الخليفة .

## حملة الفتح الكبرى

### الفتاح محمد بن القاسم الثقفي

جهز الحجاج الحملة وإختار لقيادتها محمد بن القاسم الثقفي ابن عمه وزوج إبنته ؛ وهو في السابعة عشر من عمره متوسما فيه الكفاءة فولاه إمارة السند ، وكان سببه في هذا الإختيار أنه الأفضل لضمان إشرافه المباشر على إدارة الحملة وهو بعيد دون حرج ؛ حتى يضمن نجاح الحملة التي تحمل على عاتقه شخصيا مسؤولية نجاحها أمام الخليفة.

أشرف الحجاج على إعداد الحملة منذ البداية فزود السفن بالعتاد ومن بينه منجانيق ضخم يُعرف بـ " العروس " ، يعمل على إدارته خمسمائة رجل ، وزود الحملة بقافلة كبيرة من الجمال ذات السنامين محملة بإحتياطي من المُون والعتاد توجهت الى شيراز نقطة تجمع الحملة ؛ وصلى بالجيش يوم مغادرة الحملة وكان يوم جمعة وخطب فيه ؛ فنعى "بديل بن طهفة البجلي" عامله الشهيد في حملة الديبل السابقة قائلا " ..... مَا زَالَ فُرَاقُ بُدَيْلٍ يَجْزُ فِي نُفُوسِنَا وَيَسْتَصْرِخُ ثَارَتَنَا، وَأَنَا أَقُولُ دَائِمًا لَبَيْكَ لَبَيْكَ يَا بَدِيلَ ، وَاللَّهِ لَوْ أَعْطُونِي أَمْوَالَ الْعِرَاقِ كُلِّهَا عَلَيَّ أَلَا أَنْتَقِمَ لِهَذَا الْعَارِ لَمَا قَبِلْتُ وَلَنْ تَنْطَفِئَ لَطْفِي نَارُ غَضَبِي " ، وبعد أن فرغ من خطبته أركب محمد بن القاسم فرسه وبارك له في سفره وغزوه ووزع الصدقات على الفقراء والأموال على أتباعه.

غادرت الحملة شيراز أواخر سنة ٩٢ هـ / ٧١١ م بعدد يتراوح بين خمسة عشر إلى عشرين ألف مقاتل ، ومعها سرب من سفن المُون أبحرت في بحر العرب على مرمى البصر محاذية للبر ؛ وتمكنت الحملة خلال مسيرتها من فتح عدد من البلدات إستغرق فتح بعضها م ما بين أيام وشهور من القتال ، وتوقفت الحملة في أرمانيل حتى وصول المدد إستعدادا لفتح الديبل ، ومن بين المدد رجالا يثق الحجاج في حنكتها القتالية.

## تدخل الحجاج في تجهيز حملة فتح الديبل (تحرير الأسرى)

ولما إقتربت الحملة من الديبل معقل القراصنة؛ لم يتردد الحجاج في دس أنفه في إستعدادات الحرب فبعث الى مُحَمَّد بن القاسم يوصيه بحفر خنادق وبالغ في أدق التفاصيل مثل عرض وعمق الخنادق (اثني عشر ذراعًا ويَعْمَقُ سَنَةً أذْرَع) ؛ وطلب من أبي القاسم الا يُقَدِّم على القتال حتَّى يصله أمرا منه ليتصرَّف بمقتضاه ؛ طالبا منه الإكثار من تلاوة القرآن والدُّعاء طلبا للنصر من الله.

حاصر المسلمون الديبل ؛ يوم الجُمعة من شهر رجب سنة ٩٣هـ (أبريل ٧١٢م) وحفروا خندقًا ونصبوا المنجانيق وقذفوا المدينة بالحجارة والنار وقاتلت المدينة بضراوة ، ولما لاحظ محمد الثقفي أن المدافعون يستمدون صمودهم من تمثال هائل لبوذا (يسمى البد) ، لإعتقادهم أنه يحمي المدينة ؛ طلب من أمير المنجانيق هدم معبد البُدِّ فتم له ما أراد وأحدث الضرب ثغرات بسور المدينة فارتقاه المسلمون ورفعوا راياتهم عليه ؛ وفرَّ حاكم المدينة وسارع أهلها بطلب الأمان .

حرر مُحَمَّد بن القاسم أسرى المسلمين من قُبضة القراصنة وكافأ سجنائهم لحسن معاملته لهم ؛ بأن أوكله مسؤولية سجلات الديوان بالمدينة بعدما قبل عرضه بالإسلام، وقام ابن القاسم بترتيب أمور المدينة وبنى مسجدًا وخرج لحصار مدينة النيرون التي يتحصن بها جيسيه بن داهر ابن الملك ؛ فوجده قد فر منها وأمر عليها راهبًا بوديًا من أهلها .

### تهديد الملك داهر

#### محمد أبو القاسم

بعد سقوط الديبل تلقى مُحَمَّد بن القاسم رسالة من الملك داهر ، يُهدده ويتوعَّده قال فيها :

#### نص الرسالة

#### (ركيكة الترجمة أو كاتبها لا يجيد العربية)

" بسم الله العظيم ذي الوجدانية وربِّ سيلانج<sup>(٨٢)</sup> ؛ من داهر بن چچ ملك السند والهند وقائد البر والبحر إلى المغرور والمفتون بنفسه مُحَمَّد بن القاسم الذي يهوى القتل

<sup>٨٢</sup> - حكم الراجا البوذي سهاسي الثاني آخر ملوك السلالة الرانية السند لخمسين عاما قبل الفتح العربي ، وكان وزيره " چچ بن سيلانج الأروري " هندوسيا من البراهمة المنتظرين قد تمكَّن من العرش لعلاقة بينه وبين زوجة الملك الراحل وتمكَّن من توسيع حُدود مملكته فسيطر على مناطق وراء نهر السند وأغلبية أهلها بوديون ، وحاول أن يفرض عليهم إعتناق الهندوسية طوال حكمه البالغ ٤٤ عاما ؛ ثم خلفه أخوه " چندر بن سيلانج " لمدة أربع سنوات ( ٤٦ - ٤٩ هـ )  
( ٦٦٦-٦٦٩م ) ثُمَّ داهر بن چچ بن سيلانج آخر الملوك السلالة الذي حكم خمس وخمسين سنة ٩٤ - ٤٩ هـ / ٦٦٩ - ٧١٢م وهو الذي قضى عليه الفاتح محمد الثقفي ، وكان قبل الفتح قد غزى بلاده القتوجيون ، وخلصه منهم قائد عربي من الشام هو مُحَمَّد بن

والحرب بدون رحمة ، و لا يُغفرُ لجيشه زج بالجميع في محرقة الموت ؛ جاء الى منطقتنا (قبله) أبو العاص بن الحكم وصوّر له عقله المريض أنه سيفتح ولاية الهند والسند ويستقر فيها ؛ فواجه نفر قليل من أتباعنا قتلوه في الديبل وهُزموا جيشه الضعيف <sup>(٨٣)</sup> ، وجاءنا الآن مُحَمَّد بن القاسم بذهنه المريض ليلقى هو وجيشه نفس المصير ، وعليه أن يعلم أن الديبل ، مدينة تجارة وصناعة وليست قلعة حصينة مشحونة بالمقاتلين الأشداء الذين سيلاقيهم ويكون على أيديهم فنائمه ، وأننى لو أشرت بإصبعي إلى جيسيه بن راي داهر (ابن الملك) لمحا جيشك من الوجود وجاء بك أسيرًا ؛ أن جيسيه قاهر الملوك وقاتل جبايرة الزمان ذو الحسب والنسب سليل الرهبان الأكابر، الذي حتى له ملوك الهند رؤوسهم ودانت له الهند والسند بالولاء والطاعة، وأعلن له ملوك مكران وطوران التبعيّة ، صاحب مائة حلقة من الأفيال ، سوف يركب الفيل الأبيض الذي لم ولن يقف فى طريقه فرس ولا فارس ؛ وأحذرك بأنه حتى نهاية العالم لن يتمكن أو يحلم ملك أو جيش بمجابته وإن مصيرك هو نفس مصير بديل ، و لن تستطيع مواجهةنا في القتال ، فاسلم بجلدك وجيشك" .

### رد مُحَمَّد بن القاسم على كتاب داهر

#### النص

"من مُحَمَّد بن القاسم الثقفي قاتل الكفار والآخذ بئثار المسلمين من المتمردين والمُعاندين، إلى الكافر الجاهل المنكر المُتَكَبِّر المغرور بسُلطان زمانه الذي لا يعرف الوفاء ، المغرور داهرين چچ البرهمي الغدار .  
أما بعد:

أَنْ ما سَطَّرته من الجهل غاية فى حماقة وافتتانك برأيك الركيك قد وصلنا؛ وعلما مضمون أحوالك ومقالك، وفهمنا كل ما قلته من حديث عن القُوَّة والشوكة والعدَّة والآلة والأهبة بالأفيال والحشم والجيش ؛ ونحن بقُوَّة الله وحوله قد وهبنا القُوَّة والعدَّة والأهبة ، ولا حول ولا قُوَّة إلا بالله العليِّ العظيم ﴿فَبِكَيْدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ ثُمَّ لا ينظرون، ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾، ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾، ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾، ﴿كَمْ مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

الحارث العلافى لجأ مع ٥٠٠ من قومه عند داهر ، ويفضله تمكن جيش داهر من هزيمة جيش قنوج ، وقتلوا وأسروا خمسين ألفاً، وغنموا أفيالاً وأسلحة لا تحصى، وكان الملك القنوجي من جملة الأسرى، فعفا عنه داهر بناءً على نصيحة وزيره بدهيمن، وبهذا الانتصار استقرت مملكة داهر، وكان العلاقى مستشار داهر فى الشؤون العربية.

<sup>٨٣</sup> - تشير الرسالة إلى حملة عُثمان بن أبي العاص والي البحرين وعمان ضد الديبل سنة ١٥ هـ الموافقة لسنة ٦٣٦ م ، و المعلومات عن مصير الحملة كما ذكرها داهرفي رسالته غير صحيحة كما احتوت على إشارة إلى بديل بن طهفة البجلي الذي أرسله الحجاج لمحاربة الديبل فقتل خلال الحملة ؛ ذلك قبل ست سنوات من قيام حملة مُحَمَّد بن القاسم.

أيها العاجز، ماذا ينفعك رُكوبُ الفيل وكثرة العدد والعدّة؟ ولعلمك أنّ الفيل ذليل وعاجزٌ أيضًا وهو أضعفُ العدد لا يستطيع أن يُبعد دُبابه عنه وهي أضعفُ المخلوقات ؛ ونحنُ نفتخرُ بفرساننا وهم من حزبِ الله ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ وخيلُ الله وفرسانها هم المنصورون ؛ ولتعلم بأننا جننا لِقِتالِك بسبب أفعالِك السيئة وخصالك غير المرضية ، وبسبب استكبارك حيثُ أوقفت سُفن سرنديب وأسرت المسلمين.

وإنّك تعلم بأنّ أوامر دار خلافة النُبوة مُطلقة وناقذة في جميع أنحاء الدُنيا، وأنت تُعلن التمرد والعصيان، وتأخذ أموال بيت مال المسلمين التي كان الولاية والمُلوكة السابقون يُعطونها ويعتبرونها حقًا بذمتهم فيُرسِلونها إلى دار الخِلافة ، ولأنّك لوثت نفسك بهذه الخِصال الدنيئة، وتمردت على الطاعة والقيام بالواجب، فقد جاءنا الأمر الإلهي من دار الخِلافة كي أنتقم من تلك الأفعال، وأتوجّه لِقِتالِك، ولسوف أقهرك وأهزمك أينما واجهتك بعون الله تعالى، وسأبعثُ برأسك بمشيئة الله إلى العراق، أو أُضحيّ بروحي في سبيل الله، وأعتبر هذا الجهاد واجبًا عليّ لِقوله تعالى: ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ وقبلتُ الجهاد في سبيل مرضاة الله تعالى، وإني أمل الكثير من كرم الله ونصرته لِحُبُوده إن شاء الله تعالى - كُتِب في سنة ٩٣ هـ ."

### ترحيب أهل النيرون بالحملة

#### و إمداد حاكمها الراهب البوذّي

#### جيش المسلمين بالمون

وصل جيش المسلمين النيرون مُنهكا من التعب والعطش لعدم وجود ماء في نهر السند ، ، وحاصر الجيش الحصن لستّة أيّام ، ولما علم الراهب البوذّي حاكم النيرون بنقص مؤن جيش المسلمين بعث إلى مُحمّد بن القاسم مؤن وأعلاف وفتح أبواب الحصن للمسلمين وأخذ يبيع ويشترى معهم ؛ وقام كبار القوم بموافاة مُحمّد بن القاسم بكتاب إستحضروه من الحجاج يوصى فيه بالأمان لأهل النيرون واحترام عليه القوم منهم وأن يبني مسجداً في المدينة ، وكان أعيان المدينة قد راسلوا الحجاج قبل تعيين الحاكم البوذّي طلبا للأمان .

عين محمد بن القاسم حاكمًا للمدينة وبنى مسجدا وعين له إمامًا وأنزل العرب في المدينة بغية تمصيرها ، ثمّ غادرها إلى حصن سدوستان.

### سياسة الأمان للمستسلمين

#### (الفتح دون قتال)

إفتتح الجيش كل البلاد التي مر بها سلماً ولما وصل سدوستان طلب الرهبان البوذّيون من حاكم الحصن الإستسلام متشجعين بالأمان الذي منحه المسلمون لمن إستسلم دون قتال ؛ لكن حاكم الحصن بجهرا بن چندرا وهو هندوسى وإبن أخي الملك

داهر رفض وأصر على القتال ؛ فلما ضرب المسلمون المدينة بالمنجانيق ، بعث الرهبان البوذيون مندوبا الى محمد الثقفي يبلغونه أن الاهالي لا يؤيدون بجهرا وأخبروه أن قوات الحصن لن تتمكن من لوقوف أمام جيش المسلمين، فأمر محمد بن القاسم بمواصلة القتال ليلاً ونهاراً، ولما تأكد بجهرا من الهزيمة فرّ ليلاً عبر النهر إلى مدينة سيويس ودخل محمد بن القاسم الحصن.

### حصار سيويس

حاصر المسلمون مدينة سيويس وكان أهلها قد اجتمعوا على المقاومة ؛ لكن حاكمها كاكه بن كوتك خالف رأيهم وتوجّه على رأس وفدٍ من كبار الأشراف لمُقابلة محمد بن القاسم فحصل على الأمان هو وعشيرته وأتباعه وانضمّ منهم عدد كبير الى فيلق المسلمين الذي لاحق الفارين ، وقد نال كاكه بن كوتك الشيء الكثير من الغنائم التي حصل عليها فيلق الملاحقة .

توالى خضوع قرى وبلدات وادي السند السفلى إلا بعض البلدات راودها الأمل في أن يتمكن الملك داهر المتحصن في قلعة برهمناباد من طرد المسلمين .

### مقتل الملك داهر

طلب الحجّاج من محمد بن القاسم القضاء على الملك داهر لأن موته سيضعف المقاومة ويُسهل إستسلام بقية المناطق ؛ فإتبع محمد بن القاسم سياسة اللين لإكتساب ود أهل البلاد فأعاد البعض منهم لمناصبهم وسلم بعض الحصون الى أصحابها ، فأعاد بساية بن سربند الى حكم مدينته وكان الحكم وراثياً في أسرته فأصبح حليفاً للمسلمين ؛ وأرسل محمد بن القاسم الى الراجا داهر مُخيراً إياه بين الإسلام أو الجزية أو الحرب ؛ فرفض قائلاً للمبعوث قلّ لأميرك إذا أرادَ فليعبُر(نهر السند)، وإلا فإننا العابرون ؛ فبعث ابن القاسم الى الحجّاج طلباً للرأى فأمره بالعبور والرفق بالجُود ، والتعامل مع الأهالي بالحُسنى حتى لا يخونوه ، ونصحه بأن تكون مواقع العبور كل أربعة فراسخ

في تلك الأثناء فض الأخ الثالث من أسرة بساية تحالفه مع داهر وانضم الى أخيه في التعاون مع المسلمين فجلب لهم سُفناً ومعاير خشبيّة لعبور نهر السند لحصار داهر ، وأرشدهم الى أقصر الطرق لمُفاجأة الملك داهر، فنجحوا في الوصول الى مكانه وإستمرّ القتال خمسة أيام بين الفريقين من الخميس ٦ رمضان ٩٣ هـ (١٦ يونيو ٧١٢م) ، حتى الإثنين ١٠ رمضان (٢٠ يونيو) ، وفي آخر أيام القتال أحاطت ثلّة من خيالة المسلمين بفيل داهر الأبيض وأشعلوا النيران في هودجه ، فهاج الفيل ونزل النهر وعند خروجه سحق في هياجه عشرات من جُود داهر.

ولما خرج داهر من الماء مُترنحًا ، قتلته القاسم بن ثعلبة بن عبد الله الطائي بضربة سيف (٨٤) ، ولما خلت الساحة من المُقاتلين خرج بعض البراهمة (رجال دين هندوس) الذين تخفوا في الماء أثناء المعارك ، وأخفوا جثمان داهر بين الأعشاب بشاطئ النهر وأخفوا خبر موته حتى لا تتدهور معنويات الجيش.

### معركة التراور

#### (قادية السند - جوهيار النساء) (٨٥)

هرب جيسيه ابن الملك وزوجة أبيه والأمراء وفلول جيشهم ؛ إلى حصن بُرهمناباد مسقط رأس الأسرة ومقر خزائنه ، بينما رفضت زوجة الملك المغادرة وبقيت ومعها خمسة عشر ألف مُقاتل بنية القتال حتى الموت ، فقصف المسلمون الحصن بالمجنيق والمشاعل النفطية فاندلعت فيه الحرائق ؛ ولما أدركت زوجة الملك أنّ الهزيمة واقعة لا محالة جمعت نساء الحصن وأمرتتهنّ بإشعال نيران عظيمة وألقين بأنفسهنّ فيها أحياء في طقس هندوسي يُسمى "جاهيور" أو "جوهار" تنتحر فيه النساء حرقا حتى لا يسقطن في يد الأعداء تجنباً للإغتصاب والإستعباد (٨٦).

ودخل المسلمون الحصن وصادروا أموال داهر ، وأرسل محمد أبا القاسم خُمس الغنائم إلى الحجّاج ومعها رأس الملك بعد العُثور على جُثته ، وقال الحجّاج غطت الحملة تكليف الفتح ٦٠ الف درهم أي ستين مليون درهم ومعها رأس داهر ؛ وإستمر المسلمون في مطاردة جيسيه الإبن الأكبر للملك داهر حتى بُرهمناباد لإجهاض محاولته حشد قوات جديدة ، وفي حصن بهرور قضوا على ما به من جند كثيف بعد حصار ستة أشهر، وفتحوا دهليّة بعد شهرين من الحصار سلما بعدما طلب أهلها الأمان.

### فتح دهليّة وإستعانة أبي القاسم

#### بأهل البلاد في الإدارة

#### (تعيين نوبة بن داهر ابن الملك القتيل واليا على دهليّة)

عين مُحَمَّد بن القاسم نوبة بن هارون وقيل نوبة بن داهر (أحد أبناء الملك القتيل) واليا على دهليّة بعد أن أخذ العهد عليه ، وعيّن له وزير الملك داهر مُستشارًا وكان قد دخل في طاعة المسلمين ، و نجحت هذه السياسة الحكيمة في

<sup>٨٤</sup> - حسب البلاذري ؛ وسمّاه ابن دُرَيْد في كتابه الاشتقاق / القشعم بن ثعلبة الطائي.

<sup>٨٥</sup> - يطلق بعض المؤرخون على معركة الراور قادية السند ؛ لتشابه النتائج المترتبة عليها مع قرينتها قادية فارس من حيث التمهيد للمد الإسلامي .

<sup>٨٦</sup> - يذكر جهانجير في مذكراته أن نبيله شاه جهان - وهو هندوسي من راجبوت اعتنق الإسلام - أمر زوجته بالجوهار خلال معركته مع شير (شاه) ، وأثناء محاربة مملكة أهوم أمر ميرزا ناثان قائد جيش مغول الهند بقتل جميع المغوليات في معسكره إذا مات وأمرهم لاحقًا بالقيام بجوهار .

إكتساب ود أهالي وسط وأعالى وادي السند بعد أن أنهكتهم الحرب ؛ فإنفضوا من حول جيسيه بن داهر فتداعت قوته العسكرية.

### فتح برهمناباد

#### (أسر زوجة الملك - تعويض المتضررين من القتال)

رفضت مدينة برهمناباد الإستسلام فحفر المسلمون حولها خندقا عظيما ، وأنذر إبا القاسم أهلها بالإسلام أو الجزية أو القتال ، فاخترأوا القتال الذى إستمرَّ ستَّة أشهر بدأ من السبت ١ رجب ٩٤ هـ / ٧١٣ م ، ولما طال الحصار إستسلم عددٌ من البراهمة (الهندوس) مقابل الأمان على أن يسلموا أتباع داهر ، وعند إستسلام المدينة هاجم فريق من مقاتليها المسلمين ولكنهم فروا بعد قتال قصير ، فأعطى مُحَمَّد بن القاسم الأمان لِغير المُقاتلين ، وعفى عن بعض المقاتلين وحكم بإعدام ستَّة آلاف منهم ، وسلمت المجينة إحدى زوجات داهر وعدد من أتباعه ممن اعتكفوا في المعابد ؛ فأحسن اليهم وتركهم على ما ملكوا من ضياع وخيل وأموال وعين البعض منهم في المناصب .

وفرض أبا القاسم الجزية على أهل البلد تبعا لمستواهم المالى والاجتماعى، يدفع الفرد من المستوى الأوّل أربعين درهماً، والثاني أربعة وعشرين درهماً، والثالث اثني عشر درهماً ؛ ؛ وعوض العوام من الصنّاع والتُّجّار والكسبة الصغار عن خسائرهم من جراء القتال وأعطى كُلّ منهم إثني عشر درهماً وعُيّن الدهاقنة ورؤساء المنطقة جُباةً ليضبطوا الأموال في المُدن والقرى ؛ وأطلق الحرية لأهل البلاد فى مُمارسة طُقوسهم الدينيّة البوذيّة والهندوسيّة .

### معركة أرور

#### (إستخدام زوجة الملك الأسيرة

#### فى الإعلان عن موته)

إستقر "قوفي" فى بعد فراره المتوالى ؛ ولما هاجم المسلمون المدينة أرور ؛ وكان بها قوفي إبن داهر فدافع عنها الهندوس بشدة لإعتقادهم أنّ الملك داهر فى طريقه لإنقاذهم ولم يعلموا بموته ، وكانوا يصرخون من فوق الأسوار مُهددين المسلمين بإنقاصه وينصحونهم بالهرب قبل وصوله ، فأركب محمد بن القاسم زوجة الملك الأسيرة بعيرٍ ومعها مجموعة من الفُرسان إلى باب الحصن، وصاحت تخبرهم بموت الملك فلم يصدقها الأهالي إلا بعد أن أكدت لهم ساحرة المدينة إخفاء أثر الملك من الأرض ما يعنى موته .



فهرب قوفى ليلاً إلى أخيه جيسيه في جتورور ؛ وإستسلم أهل ارور إلى مُحَمَّدِ بن القاسم شريطة ألا يُقتل أحدٌ منهم ولا يُتعرَّضَ لِبُدِّهِمْ (معبدهم ومقدساتهم)، فوافق قائلاً مَا الْبُدُّ إِلَّا كَكَنَائِسِ النَّصَارَى وَبَيْعِ الْيَهُودِ وَبَيُوتِ نَارِ الْمَجُوسِ.

### فتح حصن باتيه

#### (أكرام المسلمون أسرة الملك داهر)

إستسلم حصن باتيه وكانت فيه من بقى من أسرة الملك ؛ فأمنهم أبى القاسم وقدرهم أحسن تقدير وأعلمهم أن أميرهم كاكسة وسائر أفراد أسرة داهر الذين بالحصن آمنين مكرمين طالما أتوا إليه مُستسلمين طواعية ؛ فأتوه وقدموا الأموال والهدايا إليه ، وكان من بين من الحصن الأمير كاكسة أحد فلاسفة الهند ووأحدا من كبار حُكَمَائِهَا فقرر ابن القاسم أن يستعين به في إدارة البلاد فعينه مُستشاراً له وعُهد إليه بجباية الأموال ؛ وتذكر الروايات أن كاكسة أخلص وقاتل إلى جانب المسلمين.

### فتح المُلتان

#### (مدينة الذهب المقدسة)

فتح المسلمون بعد قتال شديد حصن "اسكندة" ، و قاومت الملتان حصار المسلمين لأكثر من شهرين وكان مُحَمَّد بن القاسم مُصرّاً على فتحها ، لقدسيتهما عند أهل السند والهند لوجود البُدِّ العظيم (الإله) الذي يأتيه الناس من كلِّ مكان وتُهدى إليه الأموال والنذور ؛ وكانت معابدها تحتوى على كنوز هائلة من الذهب المتراكم ؛ ووسهل فتحها فرار أحد الأهالى الى معسكر المسلمين حسبما ذكره البلاذري ودلهم على مجرى يُغذي المدينة بالماء فغور المسلمون مجراه لحجبه عن المدينة فإستسلمت ، وأمر مُحَمَّد بن القاسم بقتل مُقاتلتها إنتقاماً للمسلمين الذين سقطوا فى الحصار .

### كنوز الملتان المقدسة

جمع المسلمون ما وجدوه من ذهب في حوضِ بالمدينة عظيم الإتساع طوله مائة ذراع وعرضه مائة ذراع ، في وسطه معبدٌ لِصَنَمِ إِلِهٍ هِنْدُوسِيٍّ طوله خمسون ذراعاً وعرضه خمسون ذراعاً ، فيه قبوٌ به خمسين زيراً مليئةً بالذهب وثلاثون أخرى دُفنت فوق القبو ، وهذه الكُنُوزُ جُمعت عبر العُصُور من نُذور الحُجَّاجِ الهِنْدُوسِ ، إذا سَمَى المسلمون المُلتان بيت الذهب ويقول الإدريسي " سُمِّيَتِ الْمُلتَانُ فَرَجَ (بَيْتِ) الذَّهَبِ لِأَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ يُوسُفَ أَحَا الحُجَّاجِ أَصَابَ بِهَا أَرْبَعِينَ بِهَارَ ذَهَبٍ وَالبِهَارُ ثَلَاثُ مَائَةٍ وَثَلَاثَةِ وَثَلَاثُونَ مَنًا وَكُلُّهَا فِي بَيْتٍ فَسُمِّيَتِ بِذَلِكَ فَرَجَ الذَّهَبِ وَالفَرَجُ الثَّغْرُ " ؛ وعن قدسية الملتان يقول " وَبِهَا صَنَمٌ يُعْظِمُهُ أَهْلُ الهِنْدِ وَيَحْجُونَ إِلَيْهِ مِنْ أَقَاصِي بُلْدَانِهَا ، وَيَتَصَدَّقُونَ عَلَيْهِ بِأَمْوَالٍ جَمَّةٍ وَجَلِيٍّ كَثِيرٍ وَطِيبٍ وَشَيْءٍ يُقَصِّرُ الوَصْفُ عَنْهُ تَعْظِيمًا لَهُ وَإِجْلَالًا".

وَزَعَ مُحَمَّدٌ بن القاسم النصيب الشرعي من الغنائم على الجُنُود، وأرسل الباقي إلى خزائن دار الخلافة عن طريق البحر، ثُمَّ شرع بإصلاح ما تَهَدَّم بسبب الحرب، وابتنى مساجد ومنازل، وأقام في المدينة فترةً عَباً خلالها أكثر من خمسين ألف مُقاتلٍ بِكامل العِدَّة والعتاد إستعداداً لِفَتْح قَنُوج أعظم ممالك الهند التي تمتد من تُخُوم السند إلى البنغال.



معبد الملتان

### الحملة على قَنُوج

أعظم ممالك الهند

(موت الحجاج)

بعث ابن القاسم الى ملك قَنُوج يدعوهُ إلى الإسلام أو الجزية فرد الملك بصلف قائلاً " إرْجِعْ إلى أميرك وَقُلْ لَهُ "عَلَيْكَ أَنْ تُقَابِلَنَا مَرَّةً وَاحِدَةً فَقَطْ كَيْ نُنْتَمِكَنَّ مِنَ الْمُوَازَنَةِ بَيْنَ قُوَّةٍ وَشَوْكَةٍ أَحَدُنَا وَالْآخَرَ، فَأَمَّا أَنْ يَدْخُلَ الرُّعْبَ مِنْكُمْ فِي قُلُوبِنَا أَوْ أَنْنَا

سَنَقُضِي عَلَيْكُمْ ، وَإِذَا تَقَابَلَ الْجَيْشَانِ الْمُتَقَاتِلَانِ وَظَهَرَتِ الشَّجَاعَةُ فِي الْقِتَالِ وَالْعَلْبَةُ لِأَحَدِنَا، عِنْدَ ذَلِكَ سَيُحْسَمُ أَمْرُ الصُّلْحِ أَوْ الْحَرْبِ " .

وأثناء تجهيز ابن القاسم غزو قنوج سنة ٩٥ هـ / ٧١٣ م ، ، أتاه نعي الحجاج فرجع إلى أرور والبغرور وأعطى الناس العطايا ووجه جيشاً إلى البيلمان وسرشت ففتحها صلحاً ، ثم أتى مدينة الكيرج عاصمة مملكة چالوكيا فهزم ملكها " دوهر " الذي قُتل، فنزل أهل المدينة على حكم مُحَمَّد ؛ وتوقفت الفتوح عام ٩٦ هـ عند الكيرج.

وسجل الشعراء مقتل الملكين داهر و دوهر شعرا :

نحنُ قتلنا داهراً ودوهراً  
والخيلُ تردي منسراً فمِنسرا

### القبض على محمد بن القاسم الثقفي وتعذيبه وموته

#### وحزن أهل السند

توفى الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك ، وبذلك فقد ابن القاسم سنده الأخير بعد موت الحجاج ، وأصبح مكشوفاً في مواجهة عداء الخليفة الجديد سليمان بن عبد الملك الذي يكنى العداة للحجاج وكل من ينتمى إليه ، فقام الخليفة بعزل محمد الثقفي عن السند وولاهها يزيد بن أبي كبشة الذي قبض على محمد الثقفي ورحله الى بغداد مكبلاً بالأغلال ؛ وحزن أهل السند بمختلف طوائفهم وعقائدهم على فراق محمد الثقفي ورحيله بهذا الشكل المهين وبكوه لعظم محبتهم له لعدله وحسن سياسته ، ومن محبتهم صوروه بالحصى على جدرانهم ورسم أهل كيراج صورته على صخرة بالمدينة (٨٧) .

ويرجع سبب القبض على محمد الثقفي الى إتهام "صيتا" ابنة الملك القتيل "داهر" له باغتصابها بعد أسرها ؛ فقبض عليه الوالي وأرسله مقيداً بالأغلال إلى "صالح بن عبد الرحمن" والي العراق الذي سجنه وعذبه حتى مات سنة ٩٥ هـ ولم يبلغ من العمر الرابعة والعشرين ؛ ولما علمت "صيتا" بوفاة محمد الثقفي ؛ بكّت واعرّفت لوالي العراق بكذب إدعائها فرفع أمرها للخليفة سليمان بن عبد الملك، فأمر بقتلها قصاصاً لمقتله (٨٨) .

<sup>٨٧</sup> - البلاذري.

<sup>٨٨</sup> - إتخذت باكستان مُحَمَّد بن القاسم الثقفي رمزاً وطنياً ؛ ووصفه الزعيم الباكستاني مُحَمَّد علي جناح بأنه " الباكستاني الأول " ، على إعتباره فاتح السند وبفضله دخلها الإسلام (باكستان حالياً) وقد أطلقت باكستان اسمه على عددٍ من المعالم والمواقع المهمّة في الدولة الباكستانيّة منها على سبيل المثال ميناء قاسم بمدينة كراتشي، وهو ثاني أكبر موانئ البلاد .

## تقويم سياسات الفاتح محمد بن قاسم الثقفي

أدار الثقفيان الحجاج وابن أخيه محمد أبا القاسم حملة السند بمهارة الساسة وحسم المقاتلين ؛ فالحجاج خالف طبعه الخشن وطبيعته القاسية وأوصى أبا القاسم بإتباع اللين لكسب ثقة الناس فقال "إذا أردت أن تحتفظ بالبلاد فكن رحيماً بالناس، ولتكن سخياً في معاملة من أحسنوا إليك ، وحاول أن تفهم عدوك ، وكن شفوفاً مع من يعارضك " ، وإستغل محمد أبا القاسم بفراسة القائد الضعيفة التي ولدتها التناقضات الدينية والعرقية بين البوذيين أهل السند والأقلية الهندوسية الحاكمة (٨٩) ، بإحداث انفصال في الولاء بين الفريقين لإضعاف تماسكهم ؛ فإجتذب البوذيين بمقابلة طبيعتهم اللينة وميلهم الى السلمية بإحسان مماثل فأجاب طلباتهم وأحسن معاملتهم ، فإستجاب لأهل حصن جتروور بعدم التعرض لبداهم (معبد وصنم) كشرط لإستسلامهم دون قتال ، قائلاً مَا الْبُدُّ إِلَّا كَكَنَائِسِ النَّصَارَى وَيَبِيعُ الْيَهُودُ وَيُبِئُوتُ نَارَ الْمَجُوسِ ، وهو في هذا الموقف رجل سياسة لا دين ؛ يسعى لتجنب إراقة الدماء وإحتواء أم جديدة ، ومن حصافة سياسته أنه لم يهدم معبداً أو صنماً إذا ما تصالح مع أهل البلد .

### وزاد سياسته جمالا:

- معاملته الكريمة للأسرة الهندوسية الحاكمة فأزال عنهم ذل الهزيمة وفقدان الملك وبدد مرارة الإحتلال عن النفوس ، ؛ فرد لهم املاكهم وكرمهم وإستعان ببعض منهم في إدارة البلاد كسبا لمودتهم ؛ فولى نوبة بن هرون وقيل نوبة بن داهر (أحد أبناء الملك القتيل) دهليلة بعد أن أخذ العهد عليه وعيّن له وزير الملك داهر مستشاراً الذي دخل في طاعة المسلمين ، وعهد الى الأمير كاكسة كبير الفلاسفة وأحد أفراد الأسرة الملكية بجباية الأموال فصدق إخلاصه الى المسلمين حتى أنه قاتل إلى جانبهم في المعارك .

- وليس بغريب أن ينجح الثقفي في أن يكتسب مودة السنديين حتى قبل أن يلتقيهم وجها لوجه ؛ فسمعة حسن سياسته سبقتهم ، وهذه السمة هي التي جعلت الراهب البوذوي حاكم النيرون يُبادر بمد جيش المسلمين بالمؤن والأعلاف لما علم بنقصها ؛ وفتح أبواب الحصن وأخذ يبيع ويشترى معهم .

- و سجل البلاذري محبة أهل السند لابن الثقفي ؛ فبكوا حزنا على فراقه عند ترحيله ؛ وكذلك فعلت ابنة داهر ملك السند القتيل عندما بكته بعد موته ؛ وغلبها الحزن

<sup>٨٩</sup> - كانت الأقلية الحاكمة الهندوسية تتعالي على البوذيين وتطهدهم بالضراب الباهظة، والقوانين الجائرة، بحرمانهم من حمل السلاح أو ارتداء الملابس الحريرية ؛ وحرمو عليهم وضع السروج على الخيل والا ينتطوا أحذية ، وأن يسيروا حاسري الرؤوس بلا عمائم .

عليه حتى إعتراف طائعة بغيرها بالثقفي وهي تعلم المصير الدموي الذي ينتظرها بعد هذا الإعتراف.

- وهذه السياسة اللينة هي التي جعلت محبة أهل السند تبقى حية مئات السنين فبعد ثمانية قرون إتخذته باكستان رمزاً وطنياً عرفانا بفضلها على توطين الإسلام على أرضها ، ولقبه مُحَمَّد علي جناح الأب المؤسس لباكستان بـ " الباكستاني الأوّل " ؛ وخلدت الباكستان ذكراه فأطلقت اسمه على " ميناء قاسم " في مدينة كراتشي ثاني أكبر موانئ البلاد .

- من أهم آثار حملة محمد بن القاسم الثقفي هي تمكين الإسلام بين أهل السند فجلب الفقهاء من العراق والجزيرة العربية ، وهو النهج الذي إتبعه من جاءوا بعده ومن أبرزهم الفقهاء الذين توطنوا السند موسى بن يعقوب الثقفي وعمرو بن مسلم الباهلي ( أخ قتيبة فاتح ما وراء النهر ) وهو من الأعلام البارزة في نشر الكتاب والسنة ، وقد ولاه الخليفة عمر بن عبد العزيز بلاد السند وما حولها عام ١٠٠ هـ ؛ كما استقرت جماعات من العرب في الديكان ، وبفضل ذلك نالت اللغة العربية مكانة مرموقة لدى أهل السند من المسلمين الجدد ، كما وفدت القبائل العربية الى البلاد بعد ذلك.

### سياسة الخليفة عمر بن عبد العزيز ( ٩٩ - ١٠١ هـ ) في تثبيت ملوك السند بإسلامهم

إتبع الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز طريق الحكمة في تثبيت الإسلام في السند بدعوته ملوكها الى الإسلام والإحتفاظ بممالكهم والمساواة بالمسلمين (٩) ؛ فدخل الكثير منهم في الإسلام.

### هشام بن عبد الملك الأموي

١٠٥ - ١٢٥ هـ

إتبع ولاية هشام بن عبد الملك الأموي في السند سياسة الحسنى ، فأخضع الجُنَيْد بن عبد الرحمن المري إقليم السند والكجرات عام ١٠٧ هـ ، ومن بعده تولى خالد بن عبد الله القسري وكان حسن السيرة ففضى على الفتن ، وفي عام ١٢٢ هـ ولى الخليفة السند الى عمرو بن محمد بن القاسم الثقفي فتمتّع بمحبة أهل البلاد لخاطر أبيه فاتح السند ، ومن أعماله بناء مدينة المنصورة.

### السند تحت الحكم العباسي ( الفتوح الصغرى )

٩٠ - ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣٨٦/٢.

### الخليفة أبو العباس السفاح (١٣٢ - ١٣٦هـ)

أرسل الخليفة أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي القرشي أول خلفاء العباسيين المعروف بالسفاح ، منصور بن جهور إلى السند فاستقل بها ، فأخذها منه موسى بن كعب عام ١٣٤هـ ففر منصور إلى الصحراء ومات عطشاً.

### الخليفة المنصور (١٣٦ - ١٥٨هـ)

تمرد عُيَيْنَةُ بن موسى بن كعب حاكم السند ، فقامت قوّة بامرة عمرو بن حفص بن أبي صُفْرَةَ بخلعه عام ١٥٧هـ وتولى هشام بن عمرو التغلبي ، وفتح عمرو بن جمل زمن الخليفة المنصور "كشمير" ، و"المُلْتَان" ، وأصبح عمرو بن جمل والي منطقة "نارند" ، وكان المسلمون يهدمون الأصنام، ويبنون المساجد، ويُحْسِنُونَ إلى الناس.

### الخليفة أبو عبد الله محمد المهدي

٧٧٥ - ٧٨٦م

كتب الى ملوك العالم داعياً للإسلام تقليداً لعمر بن عبد العزيز ، وبعث وفوداً للتعريف بالدين ، فأسلم ١٥ ملكاً في السند (٩١).

### هارون الرشيد

١٧٠ - ١٩٣هـ / ٧٨٧ - ٨٠٩م

ولى الخليفة هارون الرشيد ؛ إسحاق بن سليمان الهاشمي السند عام ١٧٤هـ ، ثم أعقبه ابنه يوسف ثم عزله، وولى طيفور بن عبد الله بن المنصور الحميري، ثم جابر بن الأشعث الطائي، ولما لم يستقم الأمر بعد كل هؤلاء؛ ولى داود بن يزيد بن حاتم المهلبى عام ١٨٤هـ ثغر السند فاستقام الأمر، وبقي حتى وفاته عام ٢٠٥هـ .

### الخليفة المتوكل

٨٤٧ - ٨٦٢م

وفي عهد الخليفة المتوكل وثب عمر بن عبد العزيز الهبّاري على حكم السند عام ٢٤٠هـ ، ولما أطاعه الناس إستسلم المتوكل وأقرّ حكمه عليها.

٩١ - ابن كثير - البداية والنهاية - مجلد ٥ - ج ١٠ - ص ١٥٢ - نقلنا من عبد الله الط... - انتشار الإسلام في العالم ج ١ ص ٤٩.

جدول معارك الحقبة العربية  
(نقلا من د.جوارنة)

رقم	اسم الواقعة وتاريخها	قائدها
١	غزوة ثانة (١٥هـ/٦٣٦م)	الحكم بن أبي العاص الثقفي
٢	غزوة بروض (١٥هـ/٦٣٦م)	الحكم بن أبي العاص الثقفي
٣	غزوة الديبل (١٥هـ/٦٣٦م)	المغيرة بن أبي العاص الثقفي
٤	غزوة مكران (٢٣هـ/٦٤٣م)	عثمان بن أبي العاص الثقفي
٥	غزوة مكران الثانية (٢٣هـ/٦٤٣م)	الحكم بن عمرو الثعلبي
٦	حملة سجستان (٢٣هـ/٦٤٣م)	عاصم بن عمرو الثعلبي
٧	غزوة الأهواز	؟؟؟
٨	غزوة بلوچستان (٢٣هـ/٦٤٣م)	سهل بن عدي
٩	غزوة بلوچستان الثانية (٣١هـ/٦٥١م)	مُجاشع بن مسعود السلمي
١٠	غزوة القيقان (السند) (٣٩هـ/٦٥٩م)	الحارث بن مرة العبدي
١١	غزوة أرمانيل (السند) (٤١هـ/٦٦١م)	عمر بن عبيدالله القمي

١٢	غزوة لاهور (٤٤٤هـ/٦٦٤م)	المهلب بن ابي صفرة
١٣	غزوة القيقان الثانية (٤٥٥هـ/٦٦٥م)	عبدالله بن سوار العدي
١٤	غزوة القيقان الثالثة (٤٧هـ/٦٦٧م)	عبدالله بن سوار العدي
١٥	فتح مكران (٤٨هـ/٦٦٨م)	سنان بن سلمة الهذلي
١٦	فتح كصدار (مكران) (٤٩هـ/٦٦٩م)	سنان بن سلمة الهذلي
١٧	فتح قندهار (٥٣هـ/٦٧٢م)	عبد بن زياد بن ابي سفيان
١٨	غزوة بوقان (السند) (٥٥هـ/٦٧٤م)	عبدالله بن زياد بن حربي الباهلي
١٩	غزوة الديبل (كراتشي) (٨٠هـ/٦٩٩م)	عبدالله بن نهبان، وبديل بن طهفة البجلي
٢٠	غزوة رتييل (٨١هـ/٧٠٠م)	عبدالرحمن بن محمد بن الاشعث
٢١	غزوة بلوچستان (٩٣هـ/٧١١م)	عمادالدين محمد بن القاسم التقفي
٢٢	فتح خور الديبل (٩٣هـ/٧١١م)	محمد بن القاسم التقفي
٢٣	فتح الليروان (٩٣هـ/٧١١م)	محمد بن القاسم التقفي
٢٤	فتح سيوستان (٩٣هـ/٧١١م)	محمد بن القاسم التقفي
٢٥	فتح سيويس (السند) (٩٣هـ/٧١١م)	محمد بن القاسم التقفي



٢٦	فتح لشبهار (٧١١هـ/٩٣م)	محمد بن القاسم الثقفي
٢٧	موقعة شط مهراڻ (٧١١هـ/٩٣م)	محمد بن القاسم الثقفي
٢٨	معركة ضنفاق السند (٧١١هـ/٩٣م)	محمد بن القاسم الثقفي
٢٩	فتح حصن راولر (٧١١هـ/٩٣م)	محمد بن القاسم الثقفي
٣٠	فتح يرهمناباد (٧١١هـ/٩٣م)	محمد بن القاسم الثقفي
٣١	فتح بهرور (٧١١هـ/٩٣م)	محمد بن القاسم الثقفي
٣٢	فتح منهل (السند) (٧١١هـ/٩٣م)	محمد بن القاسم الثقفي
٣٣	فتح آرور (السند) (٧١٢هـ/٩٤م)	محمد بن القاسم الثقفي
٣٤	فتح مدينة الملتان (٧١٣هـ/٩٥م)	محمد بن القاسم الثقفي
٣٥	فتح مدينة سكه (البنجاب) (٧١٣هـ/٩٥م)	محمد بن القاسم الثقفي

نهاية الحقبة العربية

## الفصل الثاني طبيعة الحقبة التركو/ أفغانية

خريطة موجزة  
بدول وحكام الحقبة التركو/ أفغانية  
من بدايتها حتى نهايتها

### تمهيد

بعد مرور ثلاثة قرون تقريبا على فتح محمد أبو القاسم الثقفي السند ؛ قامت دول أفغانستان التركية في القرن الحادي عشر الميلادي بغزو شمال الهند وأقامت سلطنة دهلي أولى دول المسلمين الهندية ؛ ورأينا أن نقدم لهذه الحقبة بخريطة موجزة لدولها وسلطينها ؛ ليسهل على القارئ متابعة تفاصيل أحداثها ولدية تصور كامل بحركة تاريخها ؛ حتى يتفهم التفاصيل الفرعية.

أولا ... ممالك وسطنات شبه القارة الهندية خلال الحقبة التركو/ أفغانية

### ❖ العصور الوسطى المتأخرة

(١٢٠٦-١٥٢٦)

سلطنة دهلي ودولها	(١٥٢٦-١٢٠٦)
• دولة الممالك	(١٢٩٠-١٢٠٦)
• دولة الخالجيون	(١٣٢٠-١٢٩٠)
• دولة الطغلقة	(١٤١٤-١٣٢٠)
• دولة السيديون	(١٤٥١-١٤١٤)
• دولة اللوديون	(١٥٢٦-١٤٥١)

### ممالك هندوسية

- مملكة اهوم (١٢٢٨-١٨٢٦)
- مملكة شيترا دورجا (١٧٧٩-١٣٠٠)
- مملكة ريدي (١٤٤٨-١٣٢٥)
- إمبراطورية فيجايانا جارا (١٦٤٦-١٣٣٦) (هندوسية)

### سلطنات مستقلة عن دهلي

• سلطنة البنغال	(١٥٧٦-١٣٥٢)
• ميسور	(١٩٤٧-١٣٩٩)

### ممالك هندوسية

- مملكة قره وال (١٨٠٣-١٣٥٨)

- إمبراطورية جاجباتي (١٥٤١-١٤٣٤)
- مملكة لداخ (١٨٤٢-١٤٧٠)

- سلطنة ديكان (١٥٩٦-١٤٩٠)
- سلطنة أحمد نجار (١٦٣٦-١٤٩٠)
- سلطنة برار (١٥٧٤-١٤٩٠)
- سلطنة بيدار (١٦١٩-١٤٩٢)
- سلطنة بيجابور (١٦٨٦-١٤٩٢)
- سلطنة جوكوندا (١٦٨٧-١٥١٨)

#### ممالك هندوسية

- مملكة كلادي (١٧٦٣-١٤٩٩)
- مملكة كوخ (١٩٤٧-١٥١٥)

#### ❖ سلطنات الفترة الحديثة المبكرة (١٨٥٨-١٥٢٦)

- الإمبراطورية المغولية (١٨٥٨-١٥٢٦)
- إمبراطورية صور (١٥٥٦-١٥٤٠)
- مادوراي (١٧٣٦-١٥٢٩)

#### ممالك هندوسية

- مملكة ثاجافور (١٦٧٣-١٥٣٢)
- سلالة بهوي (١٨٠٤-١٥٤١)
- البنغال صباح (١٧٥٧-١٥٧٦)
- مملكة مارافا (١٧٥٠-١٦٠٠)
- مملكة سيكيم (١٩٧٥-١٦٤٢)
- مملكة ثنديمان (١٩٤٨-١٦٥٠)
- إمبراطورية المرانا (١٨١٨-١٦٧٤)
- اتحاد السيخ (١٧٩٩-١٧٠٧)
- مملكة ترافانكور (١٩٤٧-١٧٢٩)
- إمبراطورية السيخ (١٨٤٩-١٧٩٩) (سيخية)

#### ❖ مستعمرات أوروبية (١٩٦١-١٥١٠)

- الهند البرتغالية (١٩٦١-١٥١٠)
- الهند الهولندية (١٨٢٥-١٦٠٥)
- الهند الدنماركية (١٨٦٩-١٦٢٠)
- الهند الفرنسية (١٩٥٤-١٧٥٩)
- شركة راج (١٨٥٨-١٧٥٧)

#### ملحوظة:

الممالك الإسلامية (السلطنات) ملونة بالأخضر.  
الإمارات الهندوسية باللون الأصفر.

### ثانياً ... سلاطين الحقبة التركو / أفغانية من بدايتها حتى نهايتها

#### المرحلة الأولى : الفتح :

- ١ - محمود الغزنوي.
- ٢ - شهاب الدين الغوري.

#### المرحلة الثانية : دول سلطنة دهلي

##### سلاطين المماليك

- ١- قطب الدين أيبيك (١٢٠٦ - ١٢١٠)
- ٢- آرام شاه بن قطب الدين (١٢١٠ - ١٢١١)
- ٣- شمس الدين للمش (١٢١١ - ١٢٣٦)
- ٤- ركن الدين فيروز شاه بن للمش (١٢٣٦)
- ٥- راضية الدين بكوم بنت اليتيمش سلطنة (١٢٣٦ - ١٢٤٠)
- ٦- معز الدين بهرام شاه بن للمش (١٢٤٠ - ١٢٤٢)
- ٧- علاء الدين مسعود شاه بن ركن الدين (١٢٤٢ - ١٢٤٦)
- ٨- ناصر الدين محمود شاه بن محمد (١٢٤٦ - ١٢٦٦)
- ٩- غياث الدين بلبن ألع خان (١٢٦٦ - ١٢٨٧)
- ١٠- معز الدين كيقباذ بن بغرا خان بن بلبن (١٢٨٧ - ١٢٩٠)
- ١١- شمس الدين كي أومرث بن معز الدين قيق باذ (١٢٩٠)

#### شاهات الخلجيين

- ١- جلال الدين فيروز شاه (١٢٩٠-١٢٩٦)
  - ٢- علاء الدين الخلجي (١٢٩٦-١٣١٦)
- سلطان الفتوح الكبرى غطت دولته معظم شبه القارة الهندية ، وهزم المغول في خمس معارك ؛ ومنع تمددهم الى وسط وجنوب الهند .
- ٣- شهاب الدين الخلجي (١٣١٦)
  - ٤- قطب الدين الخلجي (١٣١٦-١٣٢٠)

#### ● سلطان دخيل / نصر الدين ناصر الدين خسرو (١٣٢٠)

(أسير هندوسي إعتنق الإسلام ، لم يعلن إرتداده)

#### شاهات آل طُغلق

- ١- غياث الدين طُغلق الأول (١٣٢٠-١٣٢٥)
- ٢- فخر الدين محمد شاه بن محمد طُغلق (١٣٢٥ - ١٣٥١)

#### ( فشل محاولة غزو هيماشال بالهميليا وفارس )

- ٣- فيروز شاه طُغلق (١٣٥١-١٣٨٨)
- ٤- طُغلق خان (١٣٨٨-١٣٨٩)
- ٥- أبو بكر خان بن ظفر خان بن فيروز شاه (١٣٨٩-١٣٩٠)
- ٦- ناصر الدين والدنيا محمد شاه بن فيروز شاه (١٣٩٠-١٣٩٣)
- ٧- علاء الدين سكندر شاه بن محمد شاه بن فيروز شاه -همايون خان (١٣٩٤)
- ٨- ناصر الدين نصرت شاه طُغلق ابن فتح خان ابن فيروز شاه هرب من دهلي ، واتخذ فيروز آباد مقرا للحكم وإستمر يحكم الغرب الفترة (١٣٩٤ - ١٣٩٨)

- ٩- ناصر الدين محمود شاه بن محمد شاه بن فيروز شاه (١٣٩٤-١٤١٣) (٩٢) .  
 - توسع الطغلق في هضبة الديكان الغنية ؛ التي سبق أن أخضعها علاء الدين الخالجي .  
 - غزو تيمولنك الهند في آخر عهدهم .

### المرحلة الثالثة : سلطنات هند ما بعد الطغلقة (الإنفصالية)

- ... سنضعها في العرض بين دولتنا المغول لموقعها الصحيح في العرض .
- دولة ملوك شرق - سلطنة جاونبور (معارك متكررة لغزو دهلي).
  - سلطنة البنغال ..... مملكة بحرية غنية - أبرز سلاطينها جلال الدين محمد شاه الهندوسي الذي جعله والده الراجبوتى مسلما ليصبح سلطانا.
  - سلطنة الكجرات - سلالة آل مظفر ١٥٧٣-١٣٩١ ( الإسطول المصرى فى الكجرات - معركة ديو البحرية).
  - سلطنات الديكان وفيجاياناجارا .

### سلاطين الديكان

#### (١) إمبراطورية بهمن

٧٤٨ إلى ٩٣٢ هـ / ١٣٤٧-١٥٢٧

توالى على حكم السلطنة ١٨ شاهها هم :

حسن گانگو (غانغو) أبو المظفر علاء الدين بهمن شاه ١٣٤٧-١٣٥٨ / ٧٤٨-٧٥٩ هـ		
محمد شاه الأول	١٣٥٨-١٣٧٥	٧٥٩ هـ
علاء الدين مجاهد شاه شوال	٧٧٦ - ٧٧٩ هـ / ١٣٧٥-١٣٧٨	اغتاله عمه داود
داود شاه	٧٨٠ هـ / ١٣٧٨	اغتيال نفس العام
محمد شاه الثاني	١٣٧٨-١٣٩٧	
غياث الدين بهمن	٧٩٩ هـ - ١٣٩٧	سملت عيناه
شمس الدين	٧٩٩ هـ / ٢٠١٧	
تاج الدين فيروز شاه	١٣٩٧-١٤٢٢	
أحمد شاه الأول والي علاء الدين أحمد شاه الثاني	١٤٢٢-١٤٣٦ ١٤٣٦-١٤٥٨	
علاء الدين همايون ظالم شاه	١٤٥٨-١٤٦١	قتل عام ٨٦٧ هـ
نظام شاه	١٤٦١-١٤٦٣	
محمد شاه الثالث لشكري	١٤٦٣-١٤٨٢	
محمد شاه الرابع (محمود ويرا شاه)	١٤٨٢-١٥١٨	
أحمد ويرا شاه الثالث	١٥١٨-١٥٢١	
علاء الدين شاه	١٥٢١-١٥٢٢	تحت وصاية الوزير أمير بريد
ولي الله شاه	١٥٢٢-١٥٢٥	تحت وصاية الوزير أمير بريد
كليم الله شاه	١٥٢٥-١٥٢٧	تحت وصاية الوزير أمير بريد

٩٢ - إغتصب حكم دهلي من آل طُغلق وما شرقها حتى ١٣٩٨- غزا تيمور لنك دهلي في عهده وقامت الكثير من الولايات بإعلان استقلالها، وأعلن وزيره "خواجه جهان" استقلاله واتخذ مدينة جونبور مقرا لحكمه وأسس أسرة حاكمة تعرف باسم "ملوك الشرق". وأخذ سلطان دهلي يتضاءل بعد قيام عدة ثورات؛ وفي ٧٩٦ هـ/١٣٩٤م خرج محمود شاه من العاصمة ، فأعلن أحد أحفاد فيروز شاه نفسه سلطاناً على الهند باسم نصرت شاه ؛ وفي هذه الأثناء دخل تيمورلنك دهلي عام ٨٠١ هـ/١٣٩٩م ؛ وفي شهر ذي القعدة ٨١٥ هـ/١٤١٣م، وبعد وفاة نصرت شاه لم يتبق لمحمود شاه إلا أجزاء صغيرة يحكمها، وتوفي سنة ٨١٥ هـ/١٤١٣م بعد أن ظل على العرش حوالي عشرين سنة، وبوفاته انتهت دولة طُغلق.

إنقسمت سنة ٩٣٣ هـ الى خمس سلطنات شيعية هي بيجاپور (شاهات عادل) وأحمد نگر (شاهات نظام) والسلالتين من أصل هندوسى خالص إعتنقوا الإسلام ، وجولكوندا (شاهات قطب) و بيرار ( شاهات عماد ) و بيدار

### (٢) سلطنة أحمد نجار

سلالة نظام شاه

١٤٩٠ - ١٦٣٦

(حكم قصر تحت وصاية نساء مقاتلات / تشاند بيبي)

#### الحكام

(١٥١٠-١٤٩٠)	مالك أحمد نظام شاه الأول
(١٥٥٣-١٥١٠)	برهان نظام شاه الأول
(١٥٦٥-١٥٥٣)	حسين نظام شاه الأول
(١٥٨٨-١٥٦٥)	مرتضى نظام شاه الأول
(١٥٨٩-١٥٨٨)	ميران نظام حسين
(١٥٩١-١٥٨٩)	إسماعيل نظام شاه
(١٥٩٥-١٥٩١)	برهان نظام شاه الثاني
(١٥٩٦-١٥٩٥)	إبراهيم نظام شاه
(١٥٩٦)	أحمد نظام شاه الثاني
(١٦٠٠-١٥٩٦)	بهادر نظام شاه
(١٦١٠-١٦٠٠)	مرتضى نظام شاه الثاني
(١٦٣١-١٦١٠)	برهان نظام شاه الثالث

### (٣) سلطنة برار

( سلالة عماد شاه )

#### الحكام

(١٥٠٤-١٤٩٠)	فتح الله عماد الملك
(١٥٣٠-١٥٠٤)	علاء الدين عماد شاه
(١٥٦٢-١٥٣٠)	اريا عماد شاه
(١٥٧٤-١٥٦٢)	برهان عماد شاه
(١٥٧٤)	توفال خان (مغتصب العرش حتى غزو سلطان احمد نجار)

### (٤) سلطنة بيدار

سلالة بريد شاه

#### الحكام

(١٥٠٤-١٤٩٢)	قاسم بريد الأول
(١٥٤٢-١٥٠٤)	أمير بريد الأول
(١٥٨٠-١٥٤٢)	علي بريد شاه الأول
(١٥٨٧-١٥٨٠)	إبراهيم بريد شاه
(١٥٩١-١٥٨٧)	قاسم بريد شاه الثاني
(١٥٩١)	علي بريد شاه الثاني
(١٦٠٠-١٥٩١)	أمير بريد شاه الثاني
(١٦٠٩-١٦٠٠)	ميرزا علي بريد شاه الثالث
(١٦١٩-١٦٠٩)	أمير بريد شاه الثالث

(٥) سلطنة بيجابور  
سلالة عادل شاه  
١٤٩٠-١٦٨٦

## الحكام

		عادل شاهي
		يوسف عادل شاه
مؤسس الأسرة	(١٥١٠-١٤٩٠)	إسماعيل عادل شاه
	(١٥٣٤-١٥١٠)	مالو عادل شاه
	(١٥٣٥-١٥٣٤)	إبراهيم عادل شاه الأول
	(١٥٥٨-١٥٣٥)	علي عادل شاه الأول
	(١٥٨٠-١٥٥٨)	إبراهيم عادل شاه الثاني
	(١٦٢٧-١٥٨٠)	محمد عادل شاه
صاحب ضريح گول گومباز، بيجابور	(١٦٥٦-١٦٢٧)	علي عادل شاه الثاني
	(١٦٧٢-١٦٥٦)	اسكندر عادل شاه
	(١٦٨٦-١٦٧٢)	

(٦) سلطنة جولكوندا  
سلالة قولي قطب الملك

## الحكام

	(١٥٤٣-١٥١٨)	سلطان قولي قطب الملك
	(١٥٥٠-١٥٤٣)	جمشيد قولي قطب شاه
	(١٥٥٠)	سبحان قولي قطب شاه
	(١٥٨٠-١٥٥٠)	إبراهيم قولي قطب شاه
	(١٦١١-١٥٨٠)	محمد قولي قطب شاه
	(١٦٢٦-١٦١١)	السلطان محمد قطب شاه
	(١٦٧٢-١٦٢٦)	عبد الله قطب شاه
	(١٦٨٧-١٦٧٢)	أبو الحسن قطب شاه

## (٧) البنغال

## الحكام حسب الترتيب الابجدي

أور خان أيبك
اختيار الدين محمد بن بختيار الخلجي
جوبالا الأول
راجا غانيشا
ركن الدين كايكوس
سلالة غانيشا
سيف الدين أيبك
شهاب الدين بايزيد شاه
شير خان حاكم البنغال
طغرل طوغان خان
علاء الدين جاني
علاء الدين فيروز شاه الأول
علي مردان الخلجي

غياث الدين عوض الخلجي  
مالك بلخا الخلجي  
محمد تاتار خان  
محمد شيران الخلجي  
ناصر الدين بغرا خان  
ناصر الدين محمود بن التتمش  
نواب البنغال ومرشد أباد

#### نواب البنغال - دولة المغول

...	١٥٧٦
...	-١٧٠٣
علاء الدولة مرشد قلي جعفر خان	١٧٠٣-١٧٢٧
شجاع الدولة شجاع خان	١٧٢٧-١٧٣٩
علاء الدولة سرفراز خان بن شجاع الدولة	١٧٣٩-١٧٤٠
.....	
علي وردي خان	١٧٤٠-١٧٥٦
سراج الدولة	١٧٥٦-١٧٥٧

#### نواب البنغال - الإستعمار البريطاني

مير جعفر	١٧٥٧-١٧٦٠
مير قاسم	١٧٦٠-١٧٦٣
مير جعفر	١٧٦٣-١٧٦٥
نجم الدولة	١٧٦٥-١٧٦٦
سيف الدولة	١٧٦٦-١٧٧٠
البريطانيون	١٧٧٠-١٨٥٨

#### أهم حكام البنغال

##### جلال الدين محمد شاه

هندوسى عقد والده صفقة ليصبح مسلما ويتولى الحكم بدلا من أبوه الهندوسى ؛ وبعد عام خلعه ابوه وعاد للحكم وبعد موت ابيه عاد للحكم وعاد مسلما بذاته وأعاد بناء المساجد التى خربها والده .

#### المرحلة الرابعة

- صراع ملوك الطوائف حول سلطنة دهلى بين السلالات الثلاث المتنازعة - الساداتية (خضر خان) - اللودهيون - وصولا الى غزومغول الهند و إقامة دولتهم الأولى عام ١٥٢٦ .
- الإستقرار وقيام دولة المغول الثانية لتقود مخاض توحيد الهند.

شاهات السادات	(ظهور السيخية سنة ١٤٠٥ قبل إقامة الدولة المغولية)
خضر خان	(١٤١٤ - ١٤٢١) مؤسس السلالة
مبارك شاه بن خضر خان	(١٤٢١ - ١٤٣٤)
محمد شاه بن فريد خان	(١٤٣٤ - ١٤٤٥)
علاء الدين شاه بن محمد شاه	(١٤٤٥ - ١٤٥١)

شاهات لودهى	
بهلول اللودهى	(١٤٥١ - ١٤٨٩) مؤسس السلالة



سكندر بن بهلول اللوذهي (١٤٨٩-١٥١٧)  
إبراهيم بن سكندر اللوذهي (١٥١٧-١٥٢٦)

### دولة المغول

ينقسم حكم المغول الى فترتين (دولتين) ؛ الأولى حكمها بأبّر وهمايون ؛ والثانية لما إستعاد همايون حكم الهند فكان عهدا قصيرا لم يتجاوز السننتين ؛ وقضى همايون عهد والده وعهديه هو نفسه(الأول والثاني) فى حروب لم تنقطع لدعم بنيان الدولة ؛ ولم يترك بصمات كبيرة إلا ما فعله فى العشر سنوات عهده الأول ، لذا فالدولة الثانية للمغول هى شاهد الحقبة المغولية الحقيقى التى بالفعل يمكن أن تُطلق عليها حقبة أكبر؛ لطُغيان عليها طول عهده الذى بلغ نصف قرن تقريبا ؛ وما شهدته الحقبة من تأثير إصلاحى وصوفى فلسفيا جلا طال العقيدة ؛ بإبتداعه دينا جديدا لا دين له ؛ هز به أركان الحكم الإسلامى فى الهند.

شاهات دولة المغول الأولى.....١٥٢٦-١٥٤٠م

السُلطان	الولادة	العهد	الوفاة	ملاحظات
١- ظهير الدين بابّر	١٤٨٣	١٥٢٦-١٥٣٠	١٥٣٠	ينحدر من تيمور لَنك وتنتسب زوجته الى جنكيز خان ، أسس الدولة المغولية (البابّرية / التيمورية) فى الهند بعد انتصاره فى معركة بانبيت ١٥٢٦ ومعركة خانوه.
٢- همايون (فترة أولى)	١٥٠٨	١٥٣٠-١٥٤٠	١٥٥٦	أغتصب حكم الهند منه / شيرشاه (سلالة صورى أو صورى).

شاهات آل صور (ال سور)  
(بين دولتا المغول الأولى والثانية)

الشاهات	من	الى
شير شاه آل صور	١٥٤٠م	١٥٤٥
اسلام شاه آل صور	١٥٤٠م	١٥٤٥
فيروز شاه آل صور	١٥٤٥م	١٥٥٤
محمد شاه عادل	١٥٥٤م	١٥٥٥
ابراهيم شاه آل صور	١٥٥٥م	١٥٥٥
سكندر شاه آل صور	١٥٥٥م	١٥٥٦

### سلاطين الفترة المضطربة

#### قبل عودة همايون الى حكم الهند

السلطان محمد عادل شاه حاكم مالوه وجونفور ، وهو مبارز خان بن نظام خان آل صور، الشهير باسم محمد عادل شاه أو عدلى ؛ رابع حكام سلالة آل صور اعتلى العرش سنة ٩٦١ هـ/ ١٥٥٤ م بعد أن قتل ابن أخته فيروز شاه كما سبق القول ؛ابتدأ حكمه ببذل الأموال

الوافرة على الناس لكنه لم يستمر على ذلك الحال، فإنصرف إلى ملاحيه ومبازله وفوض أموره إلى وزيره الهندوسي الأصل هيمو البقال فنقم عليه الناس ونشبت الثورات في كل ناحية، فخاض وزيره هيمو البقال أكثر من ٢٢ معركة لإعادة الإستقرار، إصطدم فيها بالمغول إلى بداية عهد جلال الدين أكبر وإحتل دهلي وأجرا ، وقاده الغرور بقوته أن يتنكر لسلطانه ويعلن نفسه سلطانا على الهند ، وإرتد إلى هندوسيته وإسمه القديم وكاد ينتصر على أكبر لولا صدفة قضت عليه بالهزيمة ؛ التفاصيل لاحقا .

### أباطرة دولة المغول الثانية ١٥٥٤-١٨٥٧م

#### دولة المغول الثانية - حقبة أكبر

٢- همايون (فترة ثانية )	١٥٠٨	١٥٥٤-١٥٥٦	١٥٥٦	بعد أن استعاد حكم دهلي من آل صور
٣- جلال الدين أكبر	١٥٤٢	١٦٠٥-١٥٥٦	١٦٠٥	صاحب دين الهى
٤- جهانجير (جهانجير )	١٥٦٩	١٦٠٥-١٦٢٧	١٦٢٧	بدأ عهده بالغاء دين الهى ولكنه أبقى بعض مظاهر عهد والده كالسجود عند مقابلته
٥- شاهجهان	١٥٩٢	١٦٢٧-١٦٥٨	١٦٦٦	صاحب الأثر الخالد "تاج محل" إهدى عجائب الدنيا السبع للقرن ٢١ (١٣)
٦- أورنجيب عالم كير	١٦١٨	١٦٥٨-١٧٠٧	١٧٠٧	هو من غطى ظل الإسلام فى عهده معظم شبه القارة الهندية فى سابقة لم تحدث
٧- بهادر شاه الأول	١٦٤٣	١٧٠٧-١٧١٢	١٧١٢	
٨- جهان دار شاه	١٦٦٤	١٧١٢-١٧١٣	١٧١٣	
٩- جلال الدين محمد فرخ سير	١٦٨٣	١٧١٣-١٧١٩	١٧١٩	
١٠- شمس الدين رفيع لدرجات	١٦٩٩	١٧١٩	١٧١٩	
١١- شاهجهان الثاني	١٦٩٦	١٧١٩	١٧١٩	
١٢- نيك سير محمد	١٦٧٩	١٧١٩	١٧٤٣	
١٣- ظاهر الدين محمد إبراهيم	١٧٠٣	١٧٢٠	١٧٤٤	
١٤- ناصر الدين محمد شاه	١٧٠٢	١٧٢٠-١٧٤٨	١٧٤٨	بعد هزيمة جيشه فى كارنال عام ١٧٣٩ غزا نادر شاه إمبراطور إيران دهلي وجردها من كنوزها.
١٥- أحمد شاه بهادر	١٧٢٥	١٧٤٨-١٧٥٤	١٧٧٥	
١٦- عالمكير الثاني	١٦٩٩	١٧٥٤-١٧٥٩	١٧٥٩	فى عهده إحتل أحمد الدراني إمبراطور أفغانستان دهلي عام ١٧٥٧ وتركها نهبا لجيشه لأكثر من شهر.
١٧- شاهجهان الثالث	١٧١١	١٧٥٩	١٧٧٢	

١٣ - وهو ابن أكبر من جودا (مريم زمانى) ، تمرد على والده وحاربه وأعلن نفسه سلطانا مستقلا فى دولة آباد ثم تمرد مرة أخرى فى نهاية عهد أكبر ؛ فاضطر أكبر لمصالحته خوفا من ضياع ملكه بعد موت إخوته الذكور بسبب إدمان الخمر والأفيون ، يتردد أنه لما طال العهد بوالده سممه (أكبر) تعجلا للوصول إلى العرش ؛ أسلمت والدته جودا وأدت فريضة الحج وبنى لها جهانجير مسجدا صممه بنفسها ، ولما ماتت (بعد موت أكبر بعشرين سنة) ؛ دفنها جهانجير طبقا لشريعة الإسلام .

١٨٠٦	١٧٥٩ - ١٨٠٦	١٧٢٨	١٨ - شاه عالم الثاني
١٨٣٧	١٨٠٦ - ١٨٣٧	١٧٦٠	١٩ - أكبر شاه الثاني
١٨٦٢	١٨٣٧ - ١٨٥٧	١٧٧٥	٢٠ - محمد بهادر شاه
آخر حكام المغول البابريين ؛ كان رمزا لوحدة الهند إختاروه المسلمون والهندوس لقيادة ثورة الهند العظمى ، خلعه الإنجليز وأهانوه وذبحوا أولاده ونفوه بعدما تم لهم السيطرة على الهند			

وكان عزل الإنجليز ؛ محمد بهادر شاه إعلانا حقيقيا بسقوط حكم المسلمين للهند ولم يتبق منه إلا ما كان في سلطنات الديكان .

### النهاية

الفصل الأخير في حكم المسلمين - سلطنات آخر الحقبة.

(١) زوال دولة المغول

(٢) زوال ميسور

(٣) حيدر آباد آخر السلطنات بعد زوال دولة المغول ؛ بقيت الى ما بعد إستقلال الهند.

## الإحتلال الإنجليزى

إنتهت خريطة العرض الموجز للممالك والشاهات ؛ ولنبدأ السرد

## الباب الثالث

## الفتوح

## سلاطين الفتح

(١)

السلطان الفاتح محمود الغزنوي- الدولة الغزنوية

٩٩٨ - ١٠٣٠

أول سلاطين الفتح

رجل السيف والقلم

قامت دولة الغزنويون في أفغانستان على أنقاض الدولة السامانية التي إنشقا عنها وقضوا عليها (سنة ٩٩٩) ، لما انفصل "سبكتكين" حاكم أفغانستان بالإنابة عن الدولة السامانية ، ولعب ابنه محمود الدور الرئيسي في تأسيس الإمبراطورية تحت قيادة والده ؛ ثم استكمل بنائها بعدما إرتقى العرش الى نهاية عمره عام ١٠٣٠ .

عاش السلطان محمود الغزنوي ، ستون عام تقريبا (٣٥٧ - ٤٢١هـ / ٩٧١-١٠٣٠م) ؛ لم يهنا فيها بالراحة من كثرة ما خاضه من حروب مع إمبراطوريات آسيا الوسطى ؛ و كان له باع طويل في إنتصار السمانيين على أعدائهم المحليين والإقليم (دول آسيا الوسطى) ، حروبا شرسة مع دولة القرة خانيين الوثنية ، ويظهر بيان حروبه دون الخوض في تفاصيلها ؛ مدى عظم الإمبراطورية الغزنوية رغم قصر عمرها .

وبخلاف حروبه كان السلطان كاتباً ومؤلفاً ونصيراً للأدب والفنون ، ضم مؤلفه الضخم تغريد في الفروع ٦٠ الف مسألة ؛ وإقتراح على الفردوسي نظم الشاهنامه ، عاش في كنفه كثير من العلماء يُقدرهم البعض بحوالي ٤٠٠ عالم من أعظمهم الفارابي والفردوسي وأبو بكر الخوارزمي وبديع الهمزاني عامله على هراة - ابن سينا -أبو الريحان البيروني - أبو الفتح البستي - العسجدي -البيهقي -الفرخي - المنوجهري - العنصري - الكسائي - الدقيقي - الغضائري (٩٤).

## وفاة سبكتكين

## النزاع حول العرش

وبعد وفاة سبكتكين ؛ إعتلى ابنه الصغير إسماعيل العرش ٩٩٧ - ٩٩٨ تبعا لوصية والده ، بينما رأى محمود وهو الأكبر أنه الأجدر بالحكم لخبرته ودوره في قيادة جيوش الدولة ، فعرض على أخيه التنازل عن الحكم وتولى خراسان وبلخ فرفض ،

<sup>٩٤</sup> - حاضر العالم الإسلامي ص ٢٨٩ - الأمير شكيب أرسلان نقلا من النمر ص ٩٥ .

فتحاربا في مارس ٩٩٨ م وانتصر محمود وفر إسماعيل ثم قُتل بعدها بسبعة أشهر، وورق محمود العرش سلطانا .

### جهاد السلطان محمود الغزنى فى الهند

كان أول ما فعله السلطان محمود الغزنوي فور توليه الحكم مصالحة القره خانيين فى الشمال للتفرغ لغزو الهند التى الزم نفسه بغزوها كل عام تكفيرا عن خوضه فى دماء المسلمين فى حروبه فى آسيا الوسطى ؛ فغزى الهند بسبعة عشرة حملة فى الفترة من ١٠٠١م إلى ١٠٢٧م ، لم يُثنيه عن جهاده ما يتكبده من مشقة السفر وعبور الفيافى والقفار والقتال فى حملاته التى تستغرق وقتا طويلا يقضيه بعيدا عن أهله ووطنه ؛ وهو رجل مُسن ، فحملته لهدم تمثال سومنات إستغرقت ١٦٣ يوما أى نصف عام تقريبا من التقشف والعطش والمعاناة ومشقة عبور الصحارى ؛ وإستغرقت حملته لفتح مهرة و قنوج ٣ شهور .

ويؤكد الذهبى فى كتابه " السير " أن نية السلطان من غزو (الهند) كانت خالصة لوجه الله ، ويقول المؤرخ الفارسى محمد قاسم البياجبورى فى كتابة تاريخ فريشته " أنه كان ملازما للجهاد وكانت أكثر غزواته بغرض نشر الإسلام " ؛ وأعرب السلطان بنفسه عن نيته الجهادية بوضوح للهنود فى رده على رسول ملك بيذا الذى سأله " أى رجل أنت " ، فقال السلطان " أدعوا الى الله وأجاهد من يخالف دين الإسلام " ، فسأله الرسول فما تُريد منا ؟ ، قال أن تتركوا عبادة الأصنام وتلتزموا شروط الإسلام وتأكلوا لحم البقر " ؛ فأبلغه الرسول رد ملك الهند " بأن مفارقة ديننا لا سبيل اليه وليس لنا مال نصالحك عليه ولكن نجعل بيننا هدنة ... " (٩٥) .

وقد أكد ابن الجوزي هذا السرد بشأن التوجه الجهادى للسلطان بتفاصيل أخرى فيقول " لما حاصر محمود قلعة لملك الهند تسع لخمسمائة ألف إنسان وخمسمائة فيل وعشرين ألف دابة ؛ جاءت رسول (الملك) وأكدله " لا سبيل لمفارقة ديننا ولكن نصالحك، فصالحهم على خمسمائة فيل وثلاثة آلاف ومائة بقرة، فبعث محمود إلى ملكهم قباء وعمامة وسيفا ومنطقة وفرسا ومركبا وخفا وخاتما عليه اسمه، وأمره أن يقطع أصبعه وهي عادة للتوثقة عندهم ، وكان عند محمود من أصابع من هادنهم من ملوك الهند الكثير ؛ فلبس ملكهم الخلعة واخرج حديدة قطع بها إصبعه الصغرى من غير أن يتغير وجهه، وأحضر دواء فطرحه عليها وشدها " (٩٦) .

<sup>٩٥</sup> - صلاح الأمة فى علو الهمة - المجلد ٦ ص ١١١ .

<sup>٩٦</sup> - كتابه المنتظم .

ويبدو أن هذه الواقعة هي التي أشار إليها السلطان محمود في رسالته الى الخليفة العباسي عن فتحه قلعة كواكير لتطابق ما ذكره السلطان في وصفه الحدث في رسالته للخليفة العباسي حسبما أوردها الجوزي في سرده لسيرة السلطان بقوله " ..... أتيت قلعة ليس لها في الدنيا نظير، وما الظن بقلعة تسع خمسمائة ألف إنسان، وخمسمائة فيل، وعشرين ألف دابة، ويقوم لهذا العدد بما يكفيه من علوفة وطعام، وبها ستمائة صنم ، وأعانى الله حتى طلبوا الأمان فأمنت ملكهم ، وأقررتة على ولايته بخراج ، وأنفذ هدايا كثيرة وفيلة ، ... فقبلت هديته وانقلب (عاد) العبد (السلطان) بنعمة .." ، والمغزى من هذا السرد إبطال الإتهام الموجه للسلطان بفرض الإسلام قسرا على الهندوس ؛ فيها هو ملك هندي يرفض بلا خوف دعوة السلطان له لإعتناق الإسلام ، وقد رضخ السلطان لهذه الرغبة وإكتفى بقبول السلام وتبادل الهدايا معه.

### حروبه في الهند

قاد محمود الغزني حملتين غزى فيهما عدة قلاع باعالي الجبال شمال البلاد في حياة والده ؛ هزم الملك "جايبال" ملك الهند في معركة "توهي جود" سنة ٣٩٧هـ/٩٧٧م ؛ إنتهت بصلح عقده سبكتكين والملك جايبال لم يرتضيه محمود ، وكان الصلح ينص على دفع جايبال مليون درهم وخمسين فيلاً ويُسلم بعض المدن والقلاع للغزنويين .

تجددت الحرب مع جايبال من جديد لما تنكر لإتفاق الصلح وإحتجز مندوبي سبكتكين الذين ذهبوا لتحصيل الأموال المتفق عليها ، والتقى الجيشان في "لامغان" سنة ٣٩٨هـ/٩٧٨م في قتال أظهر فيه "جايبال" صمودا وعنادا ، ولما ضاق عليه الخناق هدد السلطان قائلا " لن يسلم الهنود الهند للمسلمين إلا خرابا بعد أن يلقوا بأولادهم وأنفسهم في النار " ، إنتهت المعركة بهزيمة "جايبال" هزيمة قاصمة والإستيلاء على المدينة .

### محطم الأصنام

وكان السلطان يُصر على تحطيم الأصنام في القلاع والمدن التي يأخذها عنوة ، ويرصد المؤرخون قيامه بهدم عشرة آلاف صنم في قلعة نكركوت (نجاكوت) ، و تهانسير ، وقام بحملته الكبرى في آخر عهده لتحطيم صنم سومنات ذو المكانة الإلهية العظيمة عند الهندوس ؛ ولقبوه بمحطم الأصنام من كثرة ما حطمه منها ، وكان يُحب هذا اللقب .

### بعضاً من خلاصات معاركه (٩٧):

هزم الملك "جايبال" هزيمه مرتين بجيش لم يتجاوز ١٥ ألف مقاتل حتى وأسره في معركة " تبرهنده" سنة ٣٩٢هـ/١٠٠١م بعد قتال شديد ؛ وغنم منه ثلاثمائة فيل وخيول بالإضافة إلى خمسة عشر قلادة قدر فريشته قيمة الواحدة منها بـ ١٨٠ ألف دينار ؛ بينما زادها ابن الأثير الى مائتي ألف دينار للواحدة ؛ ومما يُذكر على لسان ابن الأثير أن الملك جايبال حلق رأسه والقي بنفسه في النار منتحرا بعد أن أطلق السلطان سراحه .

حملة " بهيته" سنة ١٠٠٢ في " الملتان" ، بغرض تأديب ملكها باجي راي للعدم الوفاء بتحالفه معه وتراجعه عن دعم السلطان في حملته الثانية على جايبال ، ولما علم "بيجي راي" بحملة السلطان بادر بشنق نفسه خوفاً وغنم السلطان مائتين وسبعين فيلا.

حمل على إمارة الشيعة العربية بالملتان سنة ١٠٠٥ م ؛ لإلحاد أميرها "أبو الفتوح داوود بن نصر" زعيم الباطنية لدعوته شعبه إلى الإلحاد ، وعندما علم أبو الفتوح بحملة السلطان بعث بأمواله إلى سرّنديب وإستعد للهرب ، ولما حاصر السلطان المدينة إستسلم مقاتلها وتراجع أبو الفتوح وباع السلطان زعيما للهند من جديد فأقره السلطان ثانية على الإمارة وعرّمها عشرين ألف درهم سنويا عقوبةً للعصيان ؛ ولما عاد ابو الفتوح للإلحاد هاجمه السلطان بحملة كبيرة سنة ١٠١٠م، وقبض عليه وسجنه في قلعة "غور" في أفغانستان حتى مات وضم الملتان الى دولته ؛ كما طارد صاحب المنصورة لإرتداده عن الإسلام .

محاربة الملك أندبال زعيم الراجبوت ؛ في حملة السلطان على إمارة الملتان العربية الشيعية ، طلب السماح لجيشه بالمرور عبر أراضي مملكة أندبال لتعذر الوصول الي الملتان عبر النهر فلم يجبه ، فغزاه ولاحقه من بلدٍ إلى بلدٍ حتى وصل إلى حدود كشمير ؛ وفي عام ١٠٠٧ م هزمه في موقعة "ويهند" وإستولى السلطان على معظم قلاعه ، فإضطر أندبال لطلب الصلح مقابل تسعين مليون .

حملة "بيهار" سنة ١٠٠٨ م لمعاقبة "نواسه سخبال" أو صوبحال أحد حكام الهند الكبار لردته عن الإسلام ، وكان قد أسلم قبلا على يد السلطان ؛ وقبض عليه

<sup>٩٧</sup> - المعارك الإسلامية في الهند- د.أ احمد محمد الجوارنة جامعة اليرموك - الاردن ، تعقيب الباحث - وهو رقم لا يصدقه عاقل فكيف يسبى جيش من ١٥ الف جندي نصف مليون من النساء ، بعد أن قتل وأسر خمسين الفا كما أن السلطان ذكر أن سكان المدينة لم يتجاوز الخمسمائة الفا فكيف أتى برقم السبى المذكور الذي يتجاوز عدد سكان المدينة كلها...عموما متروك تقدير هذه النقطة لحصافة القارئ للحكم بنفسه .

واودعه السجن وفرض علي مملكته أربعمئة ألف درهم جزية سنوية ؛ وفي ديسمبر ١٠٠٨م ؛ أخضع ممالك البنجاب التي رفضت الإسلام ؛ والزم حاكم " ناكر كوت " بدفع الجزية ١٠٠٩م .

حملة تهانسير سنة ٤٠٢هـ/١٠١١م الى مدينة زان ور المقدسة لهدم معبد صنم شكراص ( تشاكارسوم ) ؛ ولقدسية هذا الصنم كتب اليه ملك من ملوك الهند يثنيه عن تدميره قائلا " أنه يعرف أن هدم معابد الهندوس هي قُربى الى الله ؛ وقد سبق لك تحقيق هذا بهدم معابد " نكر كوت " ؛ ونحن على إستعداد لدفع ما تريده من مال وجواهر بالإضافة لخمسين فيل سنويا بدلا من هدم المعابد " ؛ فأجابه محمود " إننا المسلمون نعمل على نشر الإسلام وهدم المعابد والأصنام ، ولا حاجة لنا للمال وسنجد عند الله من الأجر والثواب أضعافا مضاعفة " ، وبعد فتح السلطان المدينة حربا ؛ حطم الصنم وحمل بعضا منه إلى " غزنة " .

ويصف مؤرخ الدولة الغزنوية أبي النصر محمد بن عبد الجبار العتبي في كتابه " تاريخ يميني " ضراوة معركة زان ور لمساسها برمز مقدس عند الهندوس ؛ فيقول.... " تدفقت دماء الكفار بغزارة في تهانسير حتى أصبح الماء مخضبا بالدماء فلم يستطيعون شربه ؛ ولما حاولوا الهرب من الحصن عبر النهر قتلنا ١٥ الف من أصل خمسين الف حاولوا الهرب وأسرنا الباقين أو غرقوا ، و تجاوزت الغنائم الحدود والحسابات وبلغت السبايا نصف مليون" (٩٨) .

### تحالف الهنود

#### ضد السلطان

إنزعج بيذا ملك الكجرات وزعيم تحالف الهندوس من توسع السلطان وإقتراجه من مملكته ؛ وأغضبه تخاذل ملوك الهند في قتال السلطان فأسبغ عليهم حمايته وحرصهم على عدم الإستسلام ، ووعد الذين فقدوا ممالكهم بإستعادتها ؛ وفي سنة ١٠١٨م استسلمت "قنوج" للسلطان بعد أن هرب ملكها ، فغضب بيذا على ملك قنوج وتطور الأمر بينهما الى الإقتتال وهزم بيذا ملك قنوج وقتله ، وهنا اضطربت أقوال الرواة فيقول البعض أن ملكها راج يال هرب على عظمتة خوفا من السلطان ، ويذكر تاريخ فريشته أن ملكها عاد وأسلم بعد أن عفا عنه السلطان بينما يذكر البعض أنه قُتل في حربه مع بيذا .

بادر السلطان بمهاجمة ملك بيذا عام سنة ٤٠٩ هـ / ١٠١٨م قبل إستفحال أمره وفي قول آخر سنة ٤١٠هـ/١٠١٩م ؛ وفي الطريق تصادم مع الملك تروجنبال أحد

<sup>٩٨</sup> - المبالغة في هذه الأرقام من تجمل المؤرخين ؛ ولا يقبل بها عاقل فهذا العدد الهائل يحتاج لمائة الف لقيادته.



ملوك جبهة التضامن وهزمه فلما طلب الأمان إشتراط عليه الإسلام ؛ ففضل الهرب إلى حمى الملك بيذا لكن خدمه قتلوه في الطريق .

تابع السلطان المسير حتى التقى بيذا وجيشه وكان مكونا من ٥٥ الف فارس و ١٨٥ الف مقاتل و ٧٥٠ فيل ؛ وهزمه السلطان في معركة عظيمة إستمرت حتى الليل ، وفي الصباح لم يعثر السلطان على بيذا وجيشه فقد فروا ليلا تاركين الأموال والأسلحة فغنمها السلطان وطاردهم وقتل معظمهم.

فتح السلطان قلعة قلين جار "كالنجان"، سنة ٤١٠هـ/١٠١٩م وهي قلعة حصينة يُضرب بحصانيتها المثل ؛ و يقال أن راجا " ناندا " إنهزم بعد حرب ضروس رغم قوته العسكرية المؤلفة من ٣٦ الف فارس و ٤٥ الف راجل و "٦٤٠ فيلا ، وبلغ قتلاه ٥٠ الفا (رقم مُبالغ فيه) ، ومن فجاعة الهزيمة إنتحر الملك بعد أن قتل زوجته ؛ وغنم السلطان حوالي خمسمائة وثمانين فيلا .

### رسالة السلطان

#### الى الخليفة العباسي

#### عن حصيلة جهاده

كان السلطان محمود حريصا على إخطار الخليفة العباسي بحصيلة جهاده في الهند وجهوده في نشر الإسلام ، ففي رسالته الى الخليفة العباسي القادر بالله ذكر السلطان محمود الغزنوي ؛ أن زهاء عشرين ألفاً أسلموا في أولى حملاته (٩٩) ومن بين من أسلم ملك قلعة هردب وأسلم معه ١٠ الاف لما رأى قوة جيش السلطان.. ويقول ابن كثير أن ملك كشمير وكذلك ملك قنوج أسلما على يديه ، وتقديرا من الخليفة العباسي القادر بالله أبو العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر لجهاد السلطان محمود لقبه بيمين الدولة والملة .

كما أبلغه بفتح "قنوج" و مهرة أعظم المدن التي فتحها؛ فيقول عن قنوج " أنها مدينة شديدة التحصين أعيت كل الملوك الفاتحين قبله .. وأن غنائمه منها عظيمة من بينها صنم ضخم مصنوع من الذهب الخالص يزن "٩٨٣٠٠" مثقال بالإضافة الى "٢٠٥٣٠٠٠" درهم، و ثلاثمائة وخمسين فيلا ، ومن عظم الغنائم أطلق السلطان على المدينة اسم " خودا داد و تعنى بالفارسية عطاء الله " .

وعن مهرة قال " أن بناء مثل لدورها يحتاج مليون درهم سنويا لمدة مانتى عام ، بالإضافة لعمالة ماهرة يعاونها السحرة ، ويقول أنه غنم الشئ الكثير من الذهب

والفضة والياقوت من معابدها ؛ وقد بلغ جملة ما تحصل عليه من ذهبيات أصنام هذه المدينة حوالى ٧٨ ألف مثقال منا " .

### حملة سومنات

قام السلطان بحملته السادسة عشر سنة ٤١٦هـ/١٠٢٧م ؛ خصيصا لهدم صنم الإله شيفا المكنى سومنات إله النور فى الكجرات غرب الهند ؛ وسومنات أقدس أماكنه وأكثرها تعظيما يقصده الهندوس للحج حيث تطهر الإله من لعنة أصابته أفقدته نوره فغطس فى صورة عمود من الضوء الناري فى نهر ساراسفاتي ليسترد نوره .

### مكانة شيفا عند الهندوس

وفى رسالته الى الخليفة العباسى سالف الذكر يصف السلطان محمود مدى تعظيم الهندوس لشيفا سومنات ، فيقول " هو عند الهنود يُحى ويُميت ويُشفى من جميع العلل ... يحجون اليه ويُخصونه بكل نفيس... ويزعمون أن الأرواح إذا فارقت الأجسام اجتمعت لديه على مذهب أهل التناسخ فيُنشئها فيمن يشاء ..... " .

ويُضيف ابن كثير أنه الصنم الأعظم الذى يَفْدُونَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ كما يفد الناس إلى البيت الحرام ؛ وينفقون عليه الأموال الكثيرة التى لا توصف ولا تعد، موقوفا على خدمته عَشْرَةُ أَلْفِ قَرْيَةٍ ومدينة ملأت خَزَائِنُ المعبد بالأَمْوَالِ .... يتعيش من أوقافه آلاف المجاورين ، ويتمنى الهنود زيارته من أقصى المناطق ويتجشمون فى سبيل الوصول اليه مصاعب كثيرة " .

ويقول فيه ابن خلدون " هو أعظم أصنامهم يقع فى حصن حصين على ساحل البحر .... يضيء بقناديل الجواهر الفائق ، فيه سلسلة من ذهب بجرس وزنهما مائة ؛ تتحرك بأدوار معلومة من الليل ولما يدق الجرس يقوم سدنته البرهميين الى عبادتهم ؛ وعند الصنم خزانة فيها عدد كبير من الأصنام من ذهب وفضة عليها ستر منسوجة بالذهب تزيد قيمتها على عشرين ألف ألف دينار ، ... ويحج إلى الصنم ليلة خسوف القمر عوالم لا تحصى ، ... يقربون إليه كل نفيس ويعطون سدنته الأموال الجلييلة موقوف عليه ما يزيد على عشرة آلاف ضيعة ، ..... يُغسلونه يوميا بماء نهر كَنك (كنج) الذى يزعمون أن مصبه بالجنّة على مبعده مائتا فرسخ ، ويقوم ألف رجل من البرهميين عند الصنم كل يوم للعبادة ، غير ثلاثمائة لخلق رؤوس الزوّار ولحاهم ، وثلاثمائة رجل وخمسمائة امرأة يَغْنُون ويرقصون، ولهم على ذلك الجرايات الوافرة " ؛ وفى وصف آخر " عيناه جوهرتان وعلى رأسه إكليل من ذهب مرصع .

### هدف الحملة

أراد السلطان بحملته كشف ضعف هذا الإله الذي يُشيع الهندوس انه يسلط السلطان محمود ليحطم أصنام الآلة التي يغضب عليها ؛ لعلمهم يدركون أنهم على باطل فيؤمنوا ؛ ويقول ابن خلدون " كلما فتح محمود فتحاً أو كسر صنماً ، يَرُدُّ الهندود ذلك الى سخط سومنات عليه ."

### الطريق الى سومنات

تردد السلطان قبل أن يحسم أمره في القيام بالحملة ؛ لمعرفته مدى وعورة الطريق ومشاق السير الى سومنات من اجتياز الصحارى المقفرة التي يندر بها الزاد والماء ، وفوق كل هذا هول ما ينتظر جنوده من قتال يستमित فيه الهندوس لآخر رمق دفاعا عن موطن الإله الأعظم وقدس الأقداس عندهم ؛ ولم يحسم أمره إلا بعد صلاة الإستخارة فقاد الحملة الى مقصده في شعبان سنة ٤١٦ هـ ؛ بجيش من ثلاثين ألفاً من المقاتلة المميزين وبعض المتطوعة وجاس الصحراء الى الملتان وتزوّد بالقوت والماء ، ثم واصل المسير فإصطدم بحصون محتشدة بالمقاتلين غوّروا أبارها ليحرموه من مائها ؛ فقاتلهم السلطان حتى فتحها وقتل مقاتليها وكسر أصنامها وإستقى الماء ؛ ومن هذه الحصون أنهلوارا فهرب ملكها بهيم .

توالى فتح الحصون وكسر أصنامها ، وقاتل قفرا إجتمع فيه عشرون ألفا للدفاع وغنم أموالهم ، ولما بلغ مدينة "دبولواره" على بعد مرحلتين من "سومنات"، تصدى له أهلها لعلمهم بغرض الحملة معتقدين بنصرة "سومنات" لهم ، لكن المسلمون دمروا المدينة وقتلوا المقاتلة من أهلها ، وتابع السلطان السير حتى وصل بجيشه الى "سومنات" يوم الخميس ١٥ ذي القعدة سنة ٤١٦ هـ ، فرأى حصناً حصيناً على شاطئ النهر وأهله ينظرون من فوق الأسوار الى جيشه ، فأعلمهم المسلمون بكلمة الإسلام ولكنهم رفضوها ثقة في نُصرة سومنات.

### محاولة بعض ملوك الهند إثناء السلطان

#### عن تدمير سومنات

لما علم ملوك الهند بغرض الحملة ؛ بادر بعضهم ممن له علاقة طيبة بالسلطان بمحاولة إثنائه عن مهاجمة 'سومنات' وعرضوا عليه أموالاً طائلة وكنوزاً عظيمة ؛ فتردد قائلاً لأستخير الله عزوجل ، فلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ " إِنِّي فَكَّرْتُ فِي الْأَمْرِ فَرَأَيْتُ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أُنَادِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِكَاسِرِ الصَّنَمِ بِدَلَا مِنْ أَنْ أُنَادِيَ بِتَارِكِ الصَّنَمِ مِنْ أَجْلِ مَا يَنَالُهُ مِنَ الدُّنْيَا ، وَيُثَبَّتْ تَرَدُّدُ السُّلْطَانِ فِي الْأَمْرِ أَنْ هَدَمَ الْأَصْنَامَ مَسْأَلَةَ سِيَاسِيَّةٍ خَاضِعَةٌ لِتَقْدِيرِهِ الشَّخْصِيِّ وَلَيْسَ لَهَا عِلَاقَةٌ بِالْعَقِيدَةِ ."

## النصر

وفي يوم الجمعة ١٦ ذي القعدة تقابل الفريقان بضراوة حتى حجز الليل بينهما ، ثم أصبحوا فأخذ المسلمون في الهنود فكلما إشتد الأمر على الهندوس ؛ عنفوا الصنم و يتضرعون اليه باكون طلبا للنصر ثم يعاودون القتال ، ولما تمكن المسلمون من إعتلاء الأسوار وإحتلال المدينة إشتد القتال ضراوة وتوجه الهنود الى المعبد يعفرون وجوههم ويعتنقوا سومنات باكين سائلينه النصر ثم خرجوا للقتال فريفا تلو الآخر فقتلوا جميعاً وهرب الأحياء لما أدركتهم الهزيمة الى مراكب بالنهر فأدركهم المسلمون فما نجا منهم أحد ومات من الهندوس خمسين ألفاً.

ويصف السلطان المعركة فيقول كان معبد "سومنات" بقدر مدينة عظيمة ، ملكناه بأسرع مما توقعنا ؛ وَقَلَعْنَا هَذَا الْوَثْنَ وَأَوْقَدْنَا تَحْتَهُ النَّارَ ، فوجد السلطان داخله جواهر نفيسة ولآلى وذهب تزيد على ما عرضوه عليه بأضعاف مضاعفة على حد قوله ؛ " وبلغ ما حصده السلطان من غنائم هذا المعبد ٢٠ الف الف (٢٠ مليون) دينار ذهباً (١٠٠) وحمل أجزاء من الصنم الى غزنة ليراه الناس ؛ وجعل بعضها عتبة لجامع غزنة الكبير ولم يتأكد هذا فعندما غزى الإنجليز أفغانستان لم يعثروا على أى متعلقات من سومنات .

## تشدد السلطان مع الفئات المنحرفة

تشدد السلطان في محاربة الفئات المنحرفة عن الإسلام ؛ فحارب "أبو الفتوح داوود بن نصر" زعيم الباطنية زعيم إمارة الملتان العربية مرتين ؛ المرة الأولى سنة ٣٩٦هـ / ١٠٠٥م ، واستسلم فأقره السلطان على إمارته ، ولما تمرد هو وشعبه قبض عليه السلطان في حملته الثانية سنة ٤٠١هـ / ١٠١٠م وسجنه في قلعة "غور" في أفغانستان حتى مات ، كما طارد السلطان صاحب المنصورة لإرتداده عن الإسلام.

## رحيل السلطان الفاتح

### عن دنيا الجهاد

أنهكت السلطان محمود حملاته وتداعت صحته ؛ فعين نائباً له في مدينة بلخ في ١٠٢٩-١٠٣٠ وعاد إلى غزنة وتوفي بها في ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ وهو في التاسعة والخمسين من العمر ، وقد عاشت الدولة الغزنوية تحت رايته ألمع عهودها فقد بلغت أقصى إتساع جغرافى من خراسان وطبرستان بخارى - سمرقند أفغانستان وجزء كبيراً من شمال غرب الهند و الكجرات وقنوج وكشمير .

١٠٠ - أعتقد أن رقم الخمسون ألفاً مبالغ فيه ، فمن عادة المنتصرون تضخيم عدد قتلى معاركهم .

## بيان بمعارك السلطان الغزنوي

الرقم	اسم الواقعة وتاريخها	قائدها
١	توهي جود ٣٦٧هـ/٩٧٧م	سبكتكين
٢	لامغان، ٣٦٨هـ/٩٧٨م	سبكتكين
٣	بيشاور، ٣٩١هـ/١٠٠٠م	محمود الغزنوي
٤	تبرهنده، ٣٩٢هـ/١٠٠١م	محمود الغزنوي
٥	بهتية، ٣٩٣هـ/١٠٠٢م	محمود الغزنوي
٦	الملتان، ٣٩٦هـ/١٠٠٥م	محمود الغزنوي
٧	ويهند، ٣٩٨هـ/١٠٠٧م	محمود الغزنوي
٨	بيهار، ٣٩٩هـ/١٠٠٨م	محمود الغزنوي
٩	كنكار، ٤٠٠هـ/١٠٠٩م	محمود الغزنوي
١٠	الملتان، ٤٠١هـ/١٠١٠م	محمود الغزنوي
١١	تهانسير، ٤٠٢هـ/١٠١١م	محمود الغزنوي
١٢	كشمير، ٤٠٦هـ/١٠١٥م	محمود الغزنوي
١٣	كنوج، ٤٠٩هـ/١٠١٨م	محمود الغزنوي
١٤	كالنجار، ٤١٠هـ/١٠١٩م	محمود الغزنوي
١٥	الكجرات، ٤٠٩هـ/١٠١٨م	محمود الغزنوي
١٦	سومناث، ٤١٦هـ/١٠٢٧م	محمود الغزنوي
١٧	نهرواله، ٤١٦هـ/١٠٢٧م	محمود الغزنوي
١٨	نرسي، ٤٢١هـ/١٠٣٠م	احمد بن نيالتكين الغزنوي
١٩	سارساتي، ٤٢٢هـ/١٠٣٢م	مسعود بن محمود الغزنوي

### تداعى الدولة الغزنوية

كان خلفاء السلطان ضعفاء ؛ فهزم السلاجقة السلطان مسعود بن محمود الغزنوي فى معركة دانداناقان عام (٤٣٢ هـ / ١٠٤٠م) وتم إعدامه ، وتنازع الغزنويون العرش حتى وقع فى يد المملوك التركى قوام الدولة ارطغرل عام ١٠٥٢ - ١٠٥٣ م فذبح السلطان عز الدولة عبد الرشيد ١٠٤٩ - ١٠٥٢ ومعه ١١ أميراً غزنوياً .... ؛ وآل الملك العريض إلى السلاجقة ومن بعد الى الغوريين الذين أقاموا دولتهم على أنقاض دولة الغزنويين سنة ٥٨٢ هـ .

### هجوم المؤرخين على

#### السلطان محمود

لابد وأن نراجع إدعاءات المؤرخين فيما إدعوه عليه فى إثنين ، إجباره الهندوس على إعتناق الإسلام قسراً وكثرة قتلى فتوحه ، ونحن لا ننكر أن السلطان محمود الغزنوي فرض خلال بعض حملاته على سكان بعض الاقاليم إعتناق الإسلام ، بينما لم يفعل ذلك فى أقاليم أخرى ولا ندرى مبرراته فى هذا أو ذاك ؛ فقد أسلم بيده أهل وادي كشمير سنة ١٠١٥م ، وأسلم بفضله عشرة آلاف فى باران (بولاندشهر) بما فىهم الملك ، وأسلم معظم أسراه فى سبيل نيل الحرية ، وأسلمت قبائل جبال الغور فى غزنة بعد أن أخضعهم عام ١٠١٩ بسبب إغاراتهم المتكررة على القوافل العابرة بين خرسان والهند.

ونؤكد أن حالات الإعتناق القسرى للإسلام من جانب الأسرى ؛ قد تمت بلا إيمان حقيقى وإنما طمعاً فى حصاده من المنح والعطايا والمناصب أو إفتداء أنفسهم من الأسر بأسهل الطرق لمن لا يملك مالا ، إذن لهم مصلحة من إعتناق الإسلام فما بال السلطان هل له مكسب مادى من وراء هذا ، نقول لا ، فهو الخاسر الوحيد مادياً لتخليه طوعاً ومجاناً عن أسير فى خدمته بلا أجر سوى طعامه وملبسه ؛ ومكسبه الوحيد معنوياً عند الله ؛ وينفى عن السلطان دوام القسرية رضوخه لرفض ملك الهند الدخول فى الإسلام ، على نحو ما ذكره ابن الجوزي فى كتابه المنتظم " بأنه لا سبيل لك عندنا فى هذا الشأن " ؛ فإرتضى السلطان المصالحة وغمر الملك بالعطايا ؛ لدليل على أن حالات قسرية الأسلمة لم تكن مطلقة .

أما إتهامه بكثرة قتلى حروبه ؛ فقد يدحضها قلة عدد جنود جيشه الذى يتراوح فى العادة بين إثنى عشر الف الى خمسة عشر الف مقاتل ؛ إلا فى ملحمة سومنات التى حشد لها ثلاثين الفا ؛ ومن المستحيل على جيش بهذا الحجم أن يتمكن من قتل خمسين الفا وهو منهك بعد مسيرة طويلة ملئى بالمعارك حتى سومنات ؛ حتى ولو كان من قال هذا هو السلطان نفسه حسبما جاء فى رسالته للخليفة العباسى .

كما لا يوحى موقع المعبد بحالته الظاهرة في صورته بأنه يتسع لمعارك ضخمة لمثل الأعداد الضخمة المشار إليها ٩٠ ألفا لجيشا السلطان والهندوس حسب تقدير السلطان ، ونرى أن ما ذكره من رقم برسالة للخليفة جاء في محل التجمل وإثلاج صدر خليفة المسلمين بنصرته الدين.

ونعتقد أن المثالب الموجهة الى السلطان محمود لم تكن أمرا إختص به الهندوس بل كان أمرا مطلقا فى معاركه مع أعدائه أيا كانت ملتهم بما فيهم المسلمين ؛ فقتل خمسة آلاف من أهل أصفهان إنتقاما من قتلهم مندوبه فى حكمها فى ثورتهم بعد أن إحتلها ، و صلب كثير من أهل إمارة الباطنية فى الملتان لإلحادهم ، وعاقب حاكم طبرستان قابوس بن وشكمير الزيارى عام ١٠١٢م بفرض جزية مقدارها ٥٠ ألف دينار ، وعندما توقف عن دفعها عام ١٠٢٩م ؛ زادها نصف مليون دينار ، والزم بها ابنه أنشوروان بعد موت أبيه للإعتراف به حاكما على طبرستان ؛ وعندما إستولى على الدولة البويهية سنة ٤٢٠ هـ ؛ قبض على حاكمها مجد الدولة بن فخر الدولة بن بويه لفساده وصادر مليون درهم من أمواله و ما يساوي نصف مليون درهم من الجواهر .

### السلطان وتخريب سمناات

رغم شهرة محمود الغزنوى بمحطم الأصنام ومعابدها ، إلا أنه لم يكن من عادته أن يتعرض لها طالما صالح أهل البلاد ، وتؤكد رسالته الى الخليفة العباسى عدم مساسه بأصنام قلعة كواكير الستمائة بعد مصالحته أهلها ، وللتذكرة قال " أتيت قلعة ليس لها فى الدنيا نظير، وما الظن بقلعة تسع خمسمائة ألف إنسان (.....) وبها ستمائة صنم ، أعاننى الله عليهم حتى طلبوا الأمان فأمنت ملكهم وأقررتة على ولايته بخراج فأنفذ هدايا كثيرة وفيلة ... فتقبلت هديته وإنقلب (عاد) العبد (السلطان) بنعمة من الله وفضله".

وفى معركة سومناات لم يتحدث السلطان عن تدمير المعبد عمدا إنما ذكر أن ما لحقه من تلفيات كانت بسبب القتال ؛ وأن تكسير الصنم كان بغرض إستخلاص الخبيثة الذهبية من داخله ، وتفيد الدكتورة نهى مصطفى محمود أستاذة اللغة الأردية وآدابها بجامعة الأزهر ؛ أنه لا توجد مخطوطة أو نقش حجرى يفيد بتخريب السلطان الغزنوي للمعبد ؛ وإستشهدت ببحث للدكتور روميل تهابر، الأستاذ بجامعة دلهى ومؤلف كتاب " سومناات: أصوات عديدة للتاريخ" ، توصل فيه بعد دراسه مئات الكتب القديمة والوثائق المكتوبة بالسنسكريتية والكجراتية والفارسية ؛ والنقوش التى عُثر عليها فى المعبد أثناء تجديده عام ١٩٥١م ؛ بأنها جميعا تُثبت أن السلطان محمود الغزنوي لم يهدم معبد سمناات وإنما تضرر من القتال حوله ولم تتعطل العبادة فيه (١٠١) ؛ وإستندت الى ما

١٠١ - بحث الدكتورة نهى مصطفى محمود، الأستاذ بقسم اللغة الأردية وآدابها بكلية الدراسات الإنسانية جامعة الأزهر.

ذكره الحاكم الإقليمي لمدينة (جُوا) في كتابه " الرحلة من جوا لسومناات" باللغة السنسكريتية عن زيارته لسومناات عام ١٠٣٨م بعد إثنتي عشرة عامًا من حملة السلطان محمود الغزنوي على سومناات ؛ يؤكد فيه قيام المعبد بنشاطه في خدمة العباد

### تكرار هدم وإعادة بناء سومناات

تفيد المراجع أن سومناات تعرض للتخريب وإعادة البناء عدة مرات ؛ والمعروف أن ملك يادافا لفالابي اعاد بنائه عام ٦٤٩ م ، ودمره الجنيد حاكم السند العربي عام ٧٢٥م في حملته على الكجرات وراجستان ، وأعاد الملك ناغابهااتا الثاني بناؤه عام ٨١٥ م ، وفي ١٠٢٤م وخربه السلطان محمود الغزنوي خلال حملة هذه في عهد بهيم الأول ملك الكجرات ، وبسبب الدمار الذي لحق بالمعبد أثناء المعركة توقف الحج اليه لمدة ١٢ عامًا حتى عام ١٠٣٨ م كما أشيع ونفته الدراسات عاليه .

وأعاد كومارابالا ملك جاين (١١٤٣-١١٧٢م) بناؤه عام ١١٦٩م بحجر ممتاز ورسعه بالجواهر ، وفي عام ١٢٩٩ م ؛ هدمه أولوغ خان قائد جيش اسلطان دهلي علاء الدين الخلجي عند غزوه الكجرات بعد إنتصاره على فاجهيلا ملك كارنا ؛ ونقل تمثاله الى دهلي ؛ وتقول نصوص كانهاد برابندا (القرن الخامس عشر) وخياط (القرن السابع عشر) أن حاكم جالور/ كانهاد ديفا استعاد سومناات بعد هجوم على جيش دهلي بالقرب من جالور ، ويُشكك الموثقون في ذلك ويرون أن كانهادايفا قد يكون إسترد تمثال آخر من عدة تماثيل إستولى عليها جيش علاء الدين الخالجي.

وفي عام ١٣٠٨ م أعاد ملوك سوراشر/ ماهيالا/ وشوداساما بناء المعبد ، ودمره عام ١٣٩٥م ظفر خان (وهو هندوسي الأصل) وآخر ولاية سلطنة دهلي في الكجرات (قبل أن يستقل بها) بعد أن لاحظ توقف الحجاج المسلمين عند المعبد للتبرك وهم في طريقهم لأداء فريضة الحج ؛ وفي عام ١٤٥١ م دمره محمود بيغادا سلطان الكجرات ؛ ثم دمره الإمبراطور المغولي أورنجزيب عام ١٦٦٥م ، ثم أعاد تدميره عام ١٧٠١ م وحتى يضمن عدم إعادة الهندوس بناؤه بنى عام ١٧٠٦م مسجدا في فنائه.

### إعادة بناء سومناات

#### بعد الإستقلال ١٩٥٠-١٩٥١

بعد إستقلال الهند ؛ وافق غاندى في ١٢ نوفمبر ١٩٤٧ على إقتراح بعض نواب الكونغرس بإعادة بناء معبد سومناات ؛ على أن يتم ذلك بمجهود شعبى ، وفي أكتوبر ١٩٥٠ أزيلت الأنقاض ونقلت السلطات مسجد الإمبراطور المغولي أورنجزيب الى موقع بعيد لإخلاء المكان لعملية إعادة البناء



، وإفتتح راجندرا براساد أول رئيس لجمهورية الهند إحتفالية بدء البناء في مايو ١٩٥١



معبد سومنات بعد إعادة البناء

### محاولات ماراثا والإنجليز

#### إستعادة بوابات

#### سومنات من لاهور وغزنه

بعد إنتصار محداجي شيندى جواليور زعيم ماراثا على محمود شاه العبدلي ملك الدورانيين عام ١٧٨٢-١٧٨٣ في لاهور ، جلب أبواب ظنها التي إستولى عليها السلطان محمود الغزنى من معبد سومنات ؛ لكن الكهنة وحاكم ولاية كجرات رفضوا إعادتها الى المعبد لعدم إنتسابها اليه .

وأثناء إحتلال الجيش البريطاني أفغانستان قام بخلع بوابات قبر محمود الغزني وحملها إلى الهند عام ١٨٤٢ كسبا لود الهندوس ؛ على إعتبار أنها بوابات معبد سومنات ، وعند فحصها إتضح إنها مصنوعة من خشب الصندل الأفغانى ولا تخص المعبد ، فخزنوها في حصن أجرا .

(٢)  
السلطان شهاب الدين محمد الغوري  
(١١٦٢ - ١٢٠٦م)

الدولة الغورية  
ثاني سلاطين الفتح

ينتسب السلطان الى الغوريين سكان جبال الغور بوسط أفغانستان ؛ أسلموا على يد السلطان الغزنوي محمود بن سبكتكين (٤٠١هـ/١٠١٠م) بعد هزيمتهم على يديه ، وإستخدم الكثير منهم في جيشه لشدة بأسهم وتمرسهم على القتال ، وفي أواخر عهد دولة الغزنويين تصاهر قطب الدين الغوري مع السلطان بهرام الغزنوي ؛ ثم تمرد هو وابنه عز الدين وإستقل بإمارته ؛ وفي عام ٥٤٣هـ/١١٤٨م إقتحم قطب الدين محمد غزنة فقتله السلطان بهرام الغزنوي ، فهاجم أخوه الحسين بن الحسن الملقب بعلاء الدين غزنة عام ٥٤٧هـ وإستولى على الحكم وأقام الدولة الغورية بينما فر السلطان خسرو إبن بهرام الى "لاهور" وإتخذها مقرا للحكم الى وفاته عام ٥٥٥هـ ؛ ثم خلفه ابنه خسرو مالك آخر حكام الغزنويين ١١٦٠-١١٨٦ .

سيطرة الإخوة الغوري

غياث وشهاب على الحكم

في عام ٥٦٩هـ/١١٧٣م تمكن أبو الفتح / غياث الدين محمد بن سام الغوري من السيطرة على غزنة وأفغانستان وبعض ممتلكات الغزنويين ، وإستقر الأمر له ولأخيه شهاب الدين الغوري ؛ وكانا على تفاهم وثيق فى الحكم فأصبح غياث الدين الغوري الأخ الأكبر سلطانا وتولى شهاب الدين الفتوح العسكرية ، وكان تقسيما متوافقا مع طبع كل منهما ف/ غياث الدين كان سياسيا متسامحا بطبعه ؛ بينما كان شهاب الدين مقاتلا قاد توسعات الدولة على مدى أكثر من ثلاثين عاما فى معارك طاحنة ضد الخوارزميين والقراخطاي (الخطا) الوثنيين فى آسيا الوسطى ومعها مسئولية فتوح الهند ؛ وكان تركيز الأخوين على الهند يستهدف توفير أموالا لتمويل حروبهما فى آسيا الوسطى ضد مملكتين من أقوى ممالك المنطقة هما الخوارزميين والخطا.

الفتوح فى الهند

إستولى السلطان "شهاب الدين الغوري على "مولتان" من القرامطة عام ٥٧٢هـ ؛ كما صفى الوجود الغزنوي فى الهند ؛ فإستولى على لاهور مقر خسرو بن بهرام آخر ملوك الغزنويين عام ٥٨٠هـ/١١٨٦م وصالحه ثم فتح "تهتها" فى إقليم السند سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م ، ومدينة "سيالكوت" آخر معاقل الغزنويين عام ٥٨٢هـ/

١١٨٦م ، وطارد السلطان الغزنوي لعصيانه واودعه سجن قلعة غورست في غزنة حتى موته .

### هزيمة شهاب الغوري في "تبرهنده"

سنة ١١٩١/٥٨٧م

- وقعت معركة عنيفة في "تبرهنده" سنة ١١٩١/٥٨٧م ، هُزم فيها شهاب الغوري من تحالف ممالك الهندوس بقيادة راجا بتهورا (ملك بتهور) بالقرب من دهلي ، كاد أن يُقتل فيها شهاب الدين لهروب قياداته ، ومن شدة غضبه عاقب الأمراء الذين فروا من المعركة بالعودة الى غزنة سيرا على الأقدام وألتعيش على شعير خيلهم طوال الرحلة ، وأقسم على الإنتقام لهزيمته في العام التالي .

- وفي العام التالي ( ٥٨٨هـ ) قاد جيشاً من مائة وعشرين ألف مقاتل الى الهند ، وفي قول آخر اربعين ألفاً وتمكن من هزيمة جيش هندوسى ضخم من ثلاثمائة ألف محارب في نفس الموقع تبرهند نفس الموقع الذى هُزم فيه العام السابق وأسر ملكهم إجمير ، و رفض شهاب الدين إفتداء الملك نفسه بأموال طائلة وقتله وأقام ابنه ملكاً مكانه على أن يدفع الجزية وحطم أصنام أجمير .

- وقتل شهاب الدين في معاركه العديد من ملوك الهند ، ملك باثورا والراي خاندي والراي جاي تشاند وغنم غنائم كثيرة ، وهزم ملك "بنارس" وقتله بعد قتال عنيف ، شاركت فيه بنارس بجيش ضخم وعدد كبير من الجمال والفيلة وغنم الغورى ١٤٠٠ جمل وفيل .

- وفي طريق عودته من قنوج الى غزنه سنة ٥٨٨ هـ / صالح السلطان محمود الغورى ملك دهلي الهندوسى ؛ وفي العام التالي ١١٩٣/٥٨٩م فتحها الأمير " قطب الدين أيبك " وجعلها مقراً له بعد فتحه قلعة "قولي" القريبة من " أجرا" ، وفي سنة ٥٩١ هـ / ١١٩٥م فتح حصن كلنجر أمنع حصون الهند ؛ وإنتصر علي التحالف الهندوسى في سهل جندوار بعد قتال ضار و وفتح "نهرواله" سنة ٥٩٣هـ/١١٩٧م وغزا إقليم الكجرات .

### عودة الغورى للقتال

#### في آسيا الوسطى

غادر شهاب الدين الهند الفترة ٥٩٦ - ٦٠٣ هـ (١٢٠٠ - ١٢٠٦م) ؛ للفرار لمواجهة الخوارزميين وحلفائهم الخطا في خراسان ؛ تاركاً مسئولية فتوح الهند الى

نائبه قطب الدين أيبك ومحمد بختيار الخَلْجي ، وتمكن الأخير من فتح البنغال معقل البوذية عام ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م وحطم أصنامها.

وعندما أعد شهاب الدين نفسه للعودة الى الهند فوجئ في منتصف سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٣م بحصار ملك خوارزم لمدينة هراة من ممتلكات الدولة الغورية ، فإضطر للتصدي له مؤجلا العودة للهند ، وإنبت خطته على مهاجمة عاصمة خوارزم مباشرة و جيشها وملكها غائبان في حصار هراة ، فأربك بذلك ملك خوارزم فعاد مسرعا الى عاصمته وأغرق الطرق المؤدية اليها ونجح في عرقلة تقدم شهاب الدين اليها لأربعين يوما ؛ وإستنجد في نفس الوقت بـ طرخان ملك الخطا الذي أرسل قوة هاجمت شهاب الدين في معركة شديدة فقد فيها الفريقان قتلى كثر (١٠٢) ؛ وتابع الخطا بإرسال نجدة ثانية من أربعين الف فارس الى بلاد الغور للضغط على شهاب الدين ؛ فتصدى لهم في صحراء اندخوي ، لكنه تكبد خسائر فادحة وحصره الخطا بالصحراء وحجبه عن مصادر المياه ، وكادت الهزيمة تحل بجيشه لولا حيلة نصحه بها السلطان القراخاني عثمان صاحب بخارى وسمرقند وهو تابعا للخطا وكان معهم في الميدان بحكم خضوعه لهم ؛ فطالبه بالتهويل عليهم بأن يبعث عسكريا في الليل يعودون في النهار متسايلين للإيحاء بأنهم مددا جاء الى الغوري ؛ على أن يقوم السلطان عثمان بتأكيد ذلك للخطا ؛ وإنطلقت الحيلة فصالحوا شهاب الدين في عُجالة وبشروط ميسرة مقابل بعض الفيلة والمال (١٠٣) وذلك سنة احدى وستمائة ٦٠١هـ .

### شيوخ أخبار هزيمة شهاب الدين

و أثناء عُزلة شهاب الدين في الصحراء ؛ شاع بين الناس مقتله في المعركة وهزيمة جيشه ؛ فأربك الخبر القادة في غزنة لعدم وجود ولد يرث الحكم من بعده كما تمرد الهنود لما وصلتهم الشائعات ، ولما إتضح كذب الشائعة بعودة السلطان الى غزنة إستقرت الأمور ؛ وبدأ السلطان بالتجهيز للإنتقام لهزيمته بمهاجمة خوارزم وبعث الى أيبك في الهند طلبا للأموال ليغطي نفقات حملته على خوارزم ، ولكن الأمور كانت متعثرة في الهند فلم يتمكن أيبك من تلبية طلب شهاب الدين ؛ بسبب قطع بني كوكر الطريق بين الهند وبلاد الغور؛ وتفشى التمرد بين المهاندنين الهنود لما سمعوا عن هزيمة جيش شهاب الدين ؛ فقام دانيال أميرمنطقة الجودي بالتحالف مع بني كوكر وأغاروا على بلاد المسلمين ونهبوا قوافل التجارة وإرتدَّ عن الإسلام من سبق أن إعتنقه تملقا للغوري، فقرر شهاب الدين التوجه الى الهند أولا للقضاء على الفوضى التي أحدثها المتمردون.

١٠٢ - قتل شهاب الدين جماعة من الخوارزمية أسرهم دون سبب مفهوم.

١٠٣ - مستوفي قزويني وأبن الأثير.

## إغتياله

وبعدما قضى شهاب الدين على التمرد وفى طريق عودته الى غزنة فى رمضان (حسب ابن خلدون) أو ليلة غرة شعبان سنة ٦٠٢ هـ / ١٢٠٦ م ؛ إغتياله مندسون فى جيشه طعنا بالسكاكين وهو يُصَلِّي في خيمته فى دامياك على نهر السند ؛ ويتهم البعض الإسماعيلية بإغتياله إنتقاما لتخريبه بعض قراهم والضغط عليهم لتصحيح عقيدتهم ؛ وكان شهاب الدين قد قام فى منتصف ٥٩٧ هـ فى عهد أخيه غياث الدين بعد فتح نيسابور ؛ بتخريب قرية لهم فى قهستان وقتل وسبى ذراريهم ونهب أموالهم ثم سار الى حصن لهم آخر فى المنطقة فملكه بالأمان بعد الحصار ووليّ عليه بعض الغورية واقام شعائر الإسلام ، فشكاه صاحب قهستان الى السلطان غياث الدين بأن أخيه شهاب الدين نقض العهد الذى بينه وبين الغورية ، وكان وقتها شهاب الدين يُحاصر حصن آخر للإسماعيلية ؛ فأمره أخيه السلطان غياث الدين بفك الحصار والرحيل فامتنع وقطع أطناى سرادقه مغاضبا السلطان ورحل الى الهند.

وبموت السلطان شهاب الدين إنتهت مسيرة هذا الفاتح بعد ٣٠ سنة من المعارك فى خراسان والهند قاتل فيها المسلمين والوثنيين هندوسا و بوذيينا و خطا وإسماعيلية وباطنية .

## إقتسام الدولة الغورية

لم يكن للسلطان شهاب الدين الغورى ولد يرث الملك من بعده ، وكان دائم القول " أن مماليكه هم أبناؤة وورثة مُلكه " ، وهو ما حدث فعلا فقد تنازل ابن أخته عن الحكم الى محمود ابن السلطان السابق غياث الدين الذى تقاسم تحت ضغوط مماليك شهاب الدين الملك معهم ، واكتفى هو شخصا بحكم بلاد الغور ومنح الهند الى قطب الدين أيبك ومنح غزنه الى تاج الدين يالدىز .

## جدول بأسماء معارك الدولة الغورية في الهند

الرقم	أسم الواقعة وتاريخها	قائدها
١	موقعة "لوتشه"، ٥٧١هـ/١١٧٥م	معز الدين بن الغوري
٢	موقعة "الكجرات"، ٥٧٤هـ/١١٧٨م	شهاب الدين الغوري
٣	فتح بيشاور، ٥٧٥هـ/١١٧٩م	شهاب الدين الغوري
٤	موقعة "لاهور"، ٥٨٠هـ/١١٨٤م	شهاب الدين الغوري
٥	موقعة "تهنها"، ٥٨١هـ/١١٨٥م	شهاب الدين الغوري
٦	موقعة "لاهور"، ٥٨٢هـ/١١٨٦م	شهاب الدين الغوري
٧	موقعة "كبيرهنده"، ٥٨٧هـ/١١٩١م	شهاب الدين الغوري
٨	فتح "مارسوتي" و"هانمي"، ٥٨٨هـ/١١٩٢م	شهاب الدين الغوري
٩	فتح "دهلي"، ٥٨٨هـ/١١٩٢م	قطب الدين أيك
١٠	موقعة "فوج"، ٥٨٩هـ/١١٩٣م	شهاب الدين الغوري
١١	فتح قلعة "كولي"، ٥٨٩هـ/١١٩٣م	قطب الدين أيك
١٢	فتح قلعة "ديون" وقلعة "بهانكير"، ٥٩١هـ/١١٩٥م	شهاب الدين الغوري
١٣	غزوة "الكجرات"، ٥٩٣هـ/١١٩٧م	شهاب الدين الغوري

## الفصل الثاني سلطنة دهلى (جهلى)

دولة المماليك  
٦٠٢ - ٦٨٩ هـ  
١١٩٤ - ١٢١٠ م  
أولى دول المسلمين فى الهند

(١)  
السلطان قطب الدين أيبك  
مؤسس الدولة وسلطانها الأول  
٦٠٢ - ٦٠٧ هـ  
١١٩٤ - ١٢١٠ م

تمهيد  
فتوح أيبك فى الهند

### منذ عهد الغوريين

لم يتجاوز عهد أيبك سلطانا إلا سنوات خمس ؛ وبالتالي لم تكن كافية ليفعل الكثير تحت رايته الشخصية ؛ وكانت معظم فتوحه بها تمت وهو مملوك تحت راية الغورى ، فتسنى له فتح ١٢ حصن تقريبا تحت إمرة شهاب الدين الغورى فى الفترة من ٥٨٧هـ الى ٥٩٧هـ - أي بواقع معركة الى إثنين سنويا ، فتح فيها بينارس ٥٩٠هـ (غنم ٣٠٠ فيل) ، ونهرواله عام ٥٩١ هـ لإخماد تمرد حاكمها وأمراء الراجبوت فى الكجرات ، و- تانكر وكواليار ٥٩٢هـ التي وصفها حسن نظامى بأنها لؤلؤة حصون الهند ، وعاصمة الكجرات ٥٩٣ هـ ، و- بداوين ٥٩٤هـ ، وسيرهى عاصمة قنوج ، وكالينجار ٥٩٦هـ ، ماهوبا ٦٠٠هـ ، و رنتهاپور واجمير لإخماد تمرد هارى راجا بعد نقضه الصلح الذى عقده مع أيبك عام ٥٨٩هـ ، وتمكن من هزيمته ، فإنتحر هارى راجا حرقا عام ٥٩١هـ ؛ ونجح أيبك فى القضاء على تمرد الراجبوت وحاكم نهرواله فى الكجرات عام ٥٩٢هـ.

### أبيك سلطانا

يُعتبر قطب الدين أبيك المؤسس الحقيقي لسلطنة دهلي المستقلة عن أفغانستان بإعتباره أول سلاطينها ، بعد حصوله على حكم الهند بعد تصفية دولة الغورى ؛ ولما كانت الدولة وليدة حاول ترضية كبار المماليك الطامعين فى الملك ، بالتصاهر والمناصب ، فتزوج ابنة يالذر حاكم غزنه الجديد الذى قاسمه حكم مملكة الغورى وكان طامعا فى الإستحواز على الهند أيضا ، و زوج أبيك ابنتيه الإثنتين ناصر الدين قباجة واحدة تلو الأخرى وأسند اليه السند والمُلْتان ليرضيه ، وأقطع الخُلجى البنغال وبيهار .

### مطاردة الطامعين

لم تنجح المصاهرة مع يالذر في وأد أطماع الأخير فى الإستيلاء على حكم الهند الغنية فهاجم السند للإستيلاء عليها ، ولكن قطب الدين أبيك هزمه وطارده حتى غزنه لكن يالذر تمكن من الهرب .

### أسلوب الحكم

كان مُحبا للعدل والإنصاف والتسامح ؛ أحسن معاملة رعاياه بما فيهم الهندوس ومنع التعرض لهم في إحتفالاتهم وعباداتهم ؛ وكان كريما ينفق على الفقراء عطاء ومن كرمه لقبوه "لَاك بُخش" وهى كلمة فارسية تعنى صاحب عطايا المئة ألف ؛ وهو رقم لم يسبقه فى العطاء به سلطانا من قبل ؛ ويقول عنه القاضي منهاج السراج الجوزجاني فى كتابه طبقات ناصرى أنه أول من أظهر عطاء بهذا القدر، كما الغى الضرائب المخالفة للشريعة وأبقى على العُشر ، ويقول عنه حسن نظامى فى كتابه تاج المآثر أن أبيك كان على الإمام بالشريعة حريصا على تطبيقها .

ويذكر حسن نظام النيسابورى فى كتابه تاج المعاصر بعض التطرف فى معاملة أبيك للهندوس فعندما غزا مدينة ميرات هدم كل معابدها وأقام محلها مساجد ، وفى مدينة اليكرا حول هندوسها الى الإسلام وقطع رأس كل من رفض ..... وأسر ٢٠ الف من الكجرات عام ١١٩٥م فى عهد راجا باهيم ؛ وهى مبالغت تتنافى وحُسن طبعه ينفىها عنه العقل فما هي إلا من تضخيم القول وتفخيمه لأن النيسابورى لم يُعاصر هذه الأحداث التي وقعت عام ١٢٠٠ تقريبا اى قبل ميلاد النيسابورى بالتأكيد المجهول تاريخه ، ولكننا إستدللنا من تاريخ وفاته عام ١٣٢٨ م أنه يتحدث عن أحداث عمرها ١٣٠ سنة عند وفاته وهو بالتأكيد لم يعيش هذا القدر من السنوات كما أنه لن يكون قادرا على إستيعاب حقيقته بعد مرور زمن طويل .

### إسهاماته العمرانية

بنى "مسجد قوة الإسلام" مسجد دهلي الكبير ، وإشتهرت منارته بمنارة "قطب منار" ، وهى مبنية من الحجر الرملى الأحمر الجميل ، كما بنى مسجداً آخر فى أجمير



ما يزال يحمل اسمه ، وقد توفي قطب الدين أيبك في لاهور أتر سقطه من على جواده وهو يلعب الصوالة عام ٦٠٧هـ / ١٢١٠م، وخلفه ابنه بالتبني آرام شاه لثمانية أشهر ثم أزاحه التتمش .

ومن الجدير بالذكر ان السلطان قطب الدين ايبك كان اول من نقش على عملة الهند اسم الخليفة " الامام الاعظم نائب الله وخليفته في ارضه " .

وعن أسراه تحدثت المصادر بأنها بلغت خمسون الفا عام ١٢٠٢ م ؛ و ٢٠ الفا من حملته على سومنات " .

## جدول بمعارك الدولة المملوكية في الهند

الرقم	إسم الواقعة وتاريخها	قاتلها	المصدر التاريخي
١	فتح "سراي تالاراي"، السلطان التتمش، ٦١٢هـ/١٢١٥م	السلطان التتمش	البيدائيوني، ٩٠/١
٢	فتح حصن "بهاكار"، السلطان التتمش، ٦١٤هـ/١٢١٧م	السلطان التتمش	البيدائيوني، ٩٠/١
٣	مع جلال الدين الخوارزمي، السلطان التتمش، ٦١٨هـ/١٢٢١م	السلطان التتمش	البيدائيوني، ٩١/١
٤	احتلال بيهار ولكهنوت، السلطان التتمش، ٦٢٢هـ/١٢٢٥م	السلطان التتمش	البيدائيوني، ٩١/١
٥	فتح حصون "رافتهببور"، السلطان التتمش، ٦٢٣هـ/١٢٢٦م	السلطان التتمش	البيدائيوني، ٩٢/١
٦	فتح قلعة "ماندور"، السلطان التتمش، ٦٢٤هـ/١٢٢٦م	السلطان التتمش	البيدائيوني، ٩٣/١
٧	فتح مدينة "جواليبور"، السلطان التتمش	السلطان التتمش	البيدائيوني،

	١٢٢١هـ/١٢٢١م	
٨	فتح مدينة "أوتشن ونهلسا"، السلطان التتمش ١٢٢٣هـ/١٢٢٣م	
٩	مواجهة "مالك إيباس"، السلطانة رضية بنت التتمش ١٢٣٩هـ/١٢٣٩م	
١٠	احتلال مدينة "تيرهنده"، السلطانة رضية ١٢٣٩هـ/١٢٣٩م	
١١	دخول المغول "لاهور"، السلطان معز الدين بن التتمش ١٢٤١هـ/١٢٤١م	
١٢	سقوط "أوتشه"، على يد المغول، السلطان معز الدين بن التتمش ١٢٤٦هـ/١٢٤٦م	
١٣	استرجاع مدينة "الملتان"، السلطان ناصر الدين محمود ١٢٤٦هـ/١٢٤٦م	
١٤	استرجاع مدينة "ميوات"، السلطان ناصر الدين محمود ١٢٤٦هـ/١٢٤٦م	
١٥	قمع تمرد "راتيهور"، السلطان ناصر الدين محمود ١٢٤٧هـ/١٢٤٧م	
١٦	حملة تجاه "الملتان"، السلطان ناصر الدين محمود ١٢٥١هـ/١٢٥١م	
١٧	احتلال "كواليار ومالوا"، السلطان ناصر الدين محمود ١٢٥١هـ/١٢٥١م	
١٨	احتلال "أوتشه، وتيرهنده"، السلطان ناصر الدين محمود ١٢٥٣هـ/١٢٥٣م	
١٩	احتلال "أودهوبيجنور"، السلطان ناصر الدين محمود ١٢٥٤هـ/١٢٥٤م	

٢٠	مواجهة الغزو المغولي، ١٢٥٥هـ/١٢٥٧م	السلطان ناصر الدين محمود	البيديوني، ١٣٢/١
٢١	فتح "لاخنوتو"، ١٢٥٥هـ/١٢٥٧م	السلطان ناصر الدين محمود	البيديوني، ١٣٢/١
٢٢	حملة "ميووات"، ١٢٦٠هـ/١٢٦٥م	السلطان ناصر الدين محمود	البيديوني، ١٣٤/١
٢٣	حملة "باتيالي"، و"كانيلا"، ١٢٦٥هـ/١٢٦٥م	السلطان غياث الدين بلبن	البيديوني، ١٨٥/١
٢٤	موقعة "باغ سباز"، ١٢٨٣هـ/١٢٨٤م	السلطان غياث الدين بلبن	البيديوني، ١٨٨/١
٢٥	مواجهة الغزو المغولي، ١٢٨٦هـ/١٢٨٧م	السلطان معز الدين بن بلبن	البيديوني، ٢٢١/١

### نماذج مختارة من سلاطين

#### دولة المماليك

ولما كان من الصعب التعرض لكل سلاطين الحقبة ؛ فقد تخيرنا بعضا ممن يلقى الضوء على موضوع البحث .

(٢)  
سلاطين آل لُمِش  
(الْتُمِش Ilutmish)

**تمهيد**

أخذنا هذه الأسرة نموذجاً جامعاً ومتطابقاً للتكرار لنموذج الحكم طوال هذه الحقبة ، بمحتواى تاريخها من مؤامرات وإنقلابات القصر وإقتتال الإخوة تكالبا على العرش ؛ ومحاولات حكام الأقليم الإنفصالية عن دهلى لتكوين ممالك خاصة بهم ؛ ما أهرق الكثير من دماء المسلمين.

**ومن المستجدات على يد هذه الأسرة فى تاريخ الحقبة:**

- تدفق بواكير هجمات المغول على الهند ؛ فتصدت لهم دولة المماليك وهم أهل لذلك إسوة بأخوتهم ممالك مصر الحقوا بالمغول هزائم كبيرة متتالية فحفظوا الهند من غائلتهم.

- من هذه الأسرة خرجت أول سلطنة وإمرأة تحكم الهند هى راضية ؛ والثانية فى عالم الإسلام . (١٠٤).

- كما قدمت السلطان العابد ناصر الدين محمود نموذج الخلفاء الراشدين فى الزهد الذى عفا أن يأكل من بيت المال وكان ينسخ القرآن ليأكل من عمل يده ، تولى فى عهده عماد الدين ریحان الوزارة (نائبا للسلطان) عام ٦٥١هـ (١٠٥)، كأول مسلم هندی يحتل منصبا فى الإدارة العليا ، وكان نائب السلطان قبل ریحان المملوك بلبن الذى تمكن بحسن سياسته أن يمنع هولاءكو من مهاجمة السلطنة ؛ كما أخرجت الأسرة السلطان المترف الماجن ركن الدين فيروز شاه الذى حكم ٧ شهور فقط.

- وشهدت الحقبة فى عهد هذه الأسرة ، إشتراك المقاتلة الهندوس كمرتزقة فى صفوف جيش المسلمين لأول مرة ؛ عندما إستعانت السلطنة المخلوعة راضية وزوجها التانيا بـ خوچار البنجاب التابعين للزعيم ساهيج راي لتعويض النقص فى قواتهم لاستعادة عرشها المفقود فى مواجهة القوات الإمبراطورية لسلطنة دهلى حسبما ذكره المؤرخ الهندی بجامعة دهلى Banarsi Prasad Saksena ، وهى المرة الأولى التى يستعين فيها زعيم مسلم بمرتزقة من الهندوس لمقاتلة جيش مسلم آخر ، وهذه الفئة من المرتزقة هى من ساعدت طغلق الأب فى حربه ضد السلطان خسرو الهندوسى الأصل لاحقا لعلاقة نسب تربطه بهم .

<sup>١٠٤</sup> - كانت الملكة اليمينية / أروى بنت أحمد الصالحية أول مسلمة تتولى الحكم فى عالم الإسلام ، فقد حكمت اليمن ٥٥ عاما بعد موت زوجها الملك المكرم ٤٧٧هـ / ١٠٨٤م ، وتحلت السلطنة راضية الترتيب الثانى ، وبعدها بأربعة عشر عاما تقريبا حكمت شجرة الدر مصر لفترة وجيزة فى عهد المماليك أيضا .  
<sup>١٠٥</sup> - منهاج سراج الدين ٨٢١هـ - نقل من عيسى عبد الله الضفيان.

سلطنة دهلي  
دولة المماليك  
دولة للمش

(٣)

مؤسس الأسرة

السلطان

شمس الدين للمش

٦٠٠ - ٦٢٦ هـ

١٢٠٤ - ١٢٢٩ م (١٠٦)

## توليه العرش

كان للمش في الأصل مملوكا حسن الصورة ذو مواهب مكنته من تولي مناصب كبيرة ، ترأس حرس السلطان قطب الدين أيبك فكان يعده بمثابة ابنه فأعتقه وزوجه إحدى بناته (١٠٧) ؛ ولما مات أيبك بايع المماليك ابنه بالتبني ولكنهم لفظوه لعجزه عن الحكم ؛ وأرسلوا الى للمش بصفته زوج ابنة السلطان الراحل أيبك للقدوم الى دهلي ليتولى الحكم ؛ فدخلها منتصرا سنة ٦٠٠ هـ / ١٢٠٤ بعد قتال مات فيه آرام شاه ، وأظهر للقضاة وثيقة عتقه من العبودية ؛ فبايعوه سلطانا وتلقب شمس الدين التتمش.

## عدله

يصف المؤرخون للمش بأنه كان عظيما تقيا عادلا ؛ دعا أصحاب المظالم لإرتداء ملابس ملونة أمام باب الجامع الكبير بدهلي عقب صلاة الجمعة إعلانا عن مظلمتهم؛ لتمييز نفسه عن بقية سكان دهلي الذين يلبسون البياض ، وأمر بصنع تماثيلين لأسدين من الرخام على بوابة قصره بينهما سلسلة بها أجراس ؛ يدقها من لديه مظلمة لا تحتمل الانتظار فيستيقظ السلطان من نومه ويخرج ويستمع إليه .

وفي الحكم طبق السلطان نظاما ديمقراطيا يحكم من خلال مجلس ٤٠ مملوكا يُسمى مجلس الأربعين ، وفاق سيده السلطان الراحل أيبك كرما فكان يعطى بمئات الألوف وليس بمائة الف كما كان يفعل سلطانه ، وفتح أبواب دهلي أمام الفارين من أسيا الوسطى هربا من وحشية المغول والإستفادة بخبراتهم في تحقيق نهضة السلطنة .

١٠٦ - هناك تضارب حول تواريخ عهده ووفاته.

١٠٧ - للمش - وضبط إسمه حسب ابن بطوطة بفتح اللام الأولى وسكون الثانية وكسر الميم والشين معجمة.

### الفتوح والقضاء على الإضطرابات

فى بداية عهده نازعه تاج الدين يالذر الملك ؛ وكان قد إستعاد حكم غزنة بعد موت أيبك ، وما زال يحلم منذ عهد أيبك بأن يحكم الهند فطلب من للمش الخضوع له وتقدم غازيا السند ؛ فخرج اليه للمش وهزمه وقبض عليه وسجنه حتى مات سنة ٦١٤ هـ ؛ كما انفصل ناصر الدين قباچه بالسند و الملتان وإستولى على أعالي البنجاب ، فهزمه السلطان للمش سنة ٦١٢ هـ ، وإستمر فى صراع معه لسبعة عشر عاما ، وفى عام ٦٢٧ هـ طارده للمش فى السند و قنوج فحاول إسترضاء للمش بهدايا أرسلها مع ابنه ولما تأخر ابنه فى العودة خاف أن يكون السلطان قد رفض المصالحة فهرب ومات غرقا أثناء هربه .

كما إستقل غياث الدين عواج الخلجي بالبنغال وهى ولاية غنية بمواردها الطبيعية ودائما ما تحرص دهلى على التمسك ببقائها فى حوزتها ؛ وتمكن السلطان من إستعادة سيطرة إسمية عليها ٦٢٢ هـ صلحا مع الخلجى مقابل ثمانين لآك وثمانية وثلاثين ، ولما عاود تمرد هزمه السلطان وقتله .

وكان الخطر الأكبر الذى واجهه وسط هذه الإضطرابات ؛ قيام المغول عام ٦١٨ هـ / ١٢١١م بإختراق البنجاب الغربية فى مطاردتهم خوارزم شاه بعد إنهيار إمبراطوريته ، ولكنهم غادروا الهند بعد فترة وجيزة فى نفس العام (١٠٨).

ورغم هذه الإضطرابات لم يُهمل السلطان للمش فتوح الهند ؛ ففتح ٢٢ حصنا (١٠٩) بعد معارك شرسة منها بدوان بعد أن هزم راجامان ، بنارس ؛ رنتبهور ٦٢٣ هـ وهى قلعة حصينة يقول الهندوس أن سبعين ملكا قبله عجزوا عن فتحها (١١٠) ، حصن مندور (ماندو) ٦٢٤ هـ ، دبيل ، بهار ، بهكر ، الملتان ، وآجة ، سيوستان ، ديول ، أجين نكرى ٦٣١ هـ ، بهليسان ودمر معبدها ، وإستعاد كواليار من الهندوس ٦٢٩ هـ ، حصن تاج الدين ، لوهور ، تبرهنده ، سرستى ، كهرام ، مصاف ، لكهنوتى (عاصمة البنغال) ، ترهت ، قنوج ؛ مالوا ، وخراب معبد مهاكال ديو وأخذ تمثاله الى دهلى ، وخراب تمثال بكرماجيت جاندرى ٦٣٢ هـ .

١٠٨ - المصدر طبقات ناصرى - ص ٢٢٦-٢٢٧ ؛ لسراج الجوزجاتى الذى حدد التاريخ بسنة ٦٣١ هـ .

١٠٩ - هو قاضى السلطان ورفيق معاركه ، وهو من كتب تاريخ الهند .

١١٠ - طبقات ناصرى لسراج الجوزجاتى ص ٦٢٨ .

### محاولة الإسماعيلية إغتياله

نجا شمس الدين التتمش من محاولة اغتيال دبرتها الطائفة الإسماعيلية أثناء تأديته صلاة الجمعة، فشن حملة على الملتان معقلهم للقضاء على جيوبهم ؛ ولكنه مرض فحملوه الى دهلي حيث توفي في شعبان عام ٦٢٦هـ / ١٢٢٩ م ، وكان له ثلاث أبناء و بنت ، الشقيقين الأكبر ركن الدين والأصغر ناصر الدين ، والشقيقين معز الدين و راضية ؛ ويُقال أن السلطان أوصى بتولى إبنته من بعده العرش لثقتة في لياقتها للحكم عندما عاونت وزيره في حكم البلاد أثناء خوضه إحدى المعارك خارج دهلي ، و لكن هذا لم يمنع الأمراء المماليك من مبايعة ركن الدين للحكم ؛ لإستكافهم تولى امرأة الحكم عليهم.

### معارك التتمش

رقم	إسم الواقعة وتاريخها	قاتلها
١	فتح سراي تالآري، ٦١٢هـ/١٢١٥م	السلطان التتمش
٢	فتح حصن بهانكار، ٦١٤هـ/١٢١٧م	السلطان التتمش
٣	مع جلال الدين الخوارزمي، ٦١٨هـ/١٢٢١م	السلطان التتمش
٤	احتلال بيهار وكهنوتي، ٦٢٢هـ/١٢٢٥م	السلطان التتمش
٥	فتح حصون زانهمبور، ٦٢٣هـ/١٢٢٦م	السلطان التتمش
٦	فتح قلعة ماندور، ٦٢٤هـ/١٢٢٦م	السلطان التتمش
٧	فتح مدينة جوالبور، ٦٢٩هـ/١٢٣١م	السلطان التتمش
٨	فتح مدينة الوشن ونهاسا، ٦٣١هـ/١٢٣٣م	السلطان التتمش



### إنجازاته المعمارية والنهضة العلمية

أسس العديد من المدارس وأتم بناء مسجد قطب الدين أبيك في دهلي، وشيد مسجداً في أجمير وأنفق الأموال علي كتابة نسخ من القرآن الكريم ، و أصبحت دهلي في عهده معقلا للعلوم والآداب بفضل حضائته علماء آسيا الوسطى الفارين من وجه المغول.

### علاقته بالخلافة العباسية

اعترفت الخلافة العباسية بولايته على الهند ، وبعث له الخليفة المستنصر بالله العباسي بالخلع والألوية سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م ، ف ضرب نقود فضية نُقش عليها أسم الخليفة بجوار إسمه .

(٤)

## السلطان

ركن الدين فيروز شاه

٦٣٣ / ٦٣٤ هـ

(حكم ٧ شهور تقريبا)

وصف سراج الدين الجوزجاني مؤرخ البلاط في كتابه طبقات ناصرى ؛ السلطان ركن الدين / فيروز شاه بأنه جميل الطلعة كريما حليما ذو مروءة لا يؤذى مخلوقا .. ولكن الجوزجاني جرده فى نفس الوقت من محاسنه عندما إنتقده لميله للطرب والمجون فوصفه مبذرا يتجول وسط المدينة ثملا راكبا فيلا ينثر عملات الذهب الأحمر ؛ وكانت أكثر عطاياه لأهل الطرب واللهو والمخنثين ... وأول ما فعله بعد تولى الحكم قتله أخيه الأصغر غير الشقيق شقيق راضية لخوفه من شعبيته بين الناس كأصلح الأمراء للحكم ، ترك والدته تدبر شؤون لما إنشغل بلهوه ومجونه عن تصريف شؤون الحكم ما أغضب الأمراء فإنشق حكام البنغال و لاهور و بداوين و الملتان و هانسى ، و هجر وزير الدولة عمله فى دهلى وإنضم الي الأمراء المتمردين ضد السلطان .

ولما تدهورت الأمور خرج السلطان بجيشه الى السند للتصدى للمتمردين ووقع خلاف بين الأميرة راضية و والدة السلطان وشعرت أنها تُدبر مقتلها ، فإستنفرت عليها الناس وإستجلبت عطفهم بأفضال والدها ؛ فإقتحموا القصر وقبضوا على أم السلطان وبايعوا راضية للحكم ، و لما علم السلطان بذلك لما إنفض عن دعمه معظم أمراء الجيش وعادوا الى دهلى لمبايعة راضية سلطنة ؛ فر الى كيركهرى ؛ فأرسلت راضية قوة قبضت عليه عام ٦٣٤ هـ وحبسته الى أن مات ؛ وكان عهده ستة أشهر وثمانية وعشرين يوما (١١١).

## أخطاء المؤرخين

تناول ابن بطوطة تفاصيل الحدث على نحو مختلف عما ذكره الجزجاني مؤرخ بلاط الأسرة ، فسمي شقيق راضية الذى قتله السلطان ب عز الدين ، لكنه لم يكن هو فقد عاش عز الدين ليصبح سلطانا فيما بعد ، بينما سماه الجزجاني قطب الدين ؛ وهو الأصدق لأنه كان شاهدا عيان وليس ناقلا للرواية كابن بطوطة (١١٢)؛ وسرد ابن بطوطة تفاصيل مختلفة للحدث ؛ فيقول تأمر السلطان (وليست أمه) على قتل راضية لما

١١١ - طبقات ناصرى لسراج الجوزجاني

١١٢ - تعمدنا سرد القصتين لتأكيد عدم أخذ الروايات على محملها دون تدقيق وتباين الروايات بين المؤرخين - طبقات ناصرى ج ١ ص

إتهمته بقتل شقيقها ، فإنتهزت خروجه لصلاة الجمعة (أى لم يكن خارج دهلى مع الجيش) وصعدت الى سطح القصر بلبس المظلومين وألْبَتُ عليه الناس لتأمره على قتلها ، وذكرتهم بعدل والدها و أفضاله فذهب الناس الى المسجد وقبضوا على السلطان وأحضره الي القصر فأمرت بقتله قصاصا لشقيقها ؛ وبايعها الأمراء للحكم بدلا من أخيها ناصر لصغر سنه (١١٣) .

(٥)  
السلطانة  
جلالة الدين راضية  
( رازيا سلطنة )  
٦٣٤ / ٦٣٨ هـ  
أول امرأة تحكم الهند

وصف الجوزجاني راضية بأنها لم يكن لها من جمال الخلقة نصيب ، تجيد ركوب الخيل والفيلة وفنون القتال توسم فيها والدها النجابة في الحكم وخبر قدرتها على القيام به أثناء معاونتها وزيره أثناء غيابه في حملته على جواليور ، ؛ فأوصى لها بالحكم دون أولاده الذكور ، ولما راجعه الأمراء قال هم منشغلون باللهو وليس لديهم القدرة على ضبط المملكة ، بينما هي أكثر منهم لياقة للعهد .

تولت الحكم عام ١٢٣٥ وسنها ٣٥ عاماً ، كانت أول امرأة مسلمة تحكم سلطنة دهلي والثانية في عالم الإسلام (١١٤)؛ أخذت من الذكورة لباسها ولقبها فاستخدمت " سلطان " بدلاً من سلطنة ، ومن ألقابها على النقد " عمود المرأة - ملكة العصور - السلطان راضية - ابنه شمس الدين التتمش ، وكانت كريمة عادلة مُحبة للرعية إعتادت قيادة جيشها من فوق ظهر فيل ؛ أرضت مواطنيها بلا تفرقة ، فألغت بعض الضرائب من على الهندوس ، وقامت ببناء نظام للطرق والبريد لمتابعة شئون ولاياتها النائية وزودت الطرق بحصون صغيرة للحراسة ، وأنشأت المدارس والمكتبات العامة لحفظ المخطوطات الإسلامية والهندوسية لفلاسفتهم القدامي في علوم الفلسفة والأدب .

### ثورة الملاحدة

من أكبر الأحداث التي وقعت في بداية عهدا ثورة الملاحدة بقيادة نور ترك شخص وهو نكرة إجتمع اليه أوباش الخلق من الملاحدة والقرامطة من الهندوستان والكجرات والسند وسواحل جون والكنج في دهلي ، وكانوا يهاجمون الإسلام وأهل السنة ، وخرجوا في فوج من الف رجل مدججين بالسلاح في السادس من رجب

١١٤ - كانت الملكة اليمينية / أروي بنت أحمد الصالحية أول مسلمة تتولى الحكم في عالم الإسلام ، فقد حكمت اليمن ٥٥ عاما بعد موت زوجها الملك المكرم ٤٧٧ هـ / ١٠٨٤ م ، وتحل السلطنة راضية الترتيب الثاني ، وبعدها بأربعة عشر عاما تقريبا حكمت شجرة الدر مصر لفترة وجيزة في عهد المماليك أيضا .

٦٣٤هـ ، ودخلوا سوق البزازين وأعملوا القتل في المسلمين فمات خلقا كثر إما بالسيف أو دهسا ، وهاجموا المسجد فهب الناس الى أسلحتهم وقتلوهم جميعا .

### تمرد المماليك

إصطدمت السلطنة بأمراء مجلس الأربعين الذين إستهجنوا حكمها كإمرأة ، ولما جاء لنصرها حاكم أوده قاتله المعارضون على أبواب دهلي وقتلوه ثم صالحوها بعد ذلك ؛ لكن مؤيدوها تخلصوا من المعارضين وقتلوهم ؛ وإستقرت الأمور بعد تعيينها أيبك بهتو قائدا للجيش ؛ وتمكنت من فك حصار الهندوس عن قلعة "رنتهابور" وفتحت كاره ٦٣٥هـ .

وفي عام ٦٣٧هـ تعقدت الأمور ثانية بينها وبين أمراء المماليك الأتراك ؛ بدعوى تعلق السلطنة بعبد حبشي هو جمال الدين ياقوت أمير الأعلاف ، وراجت شائعات تمس سمعتها بسبب خروجها معه حاسرة وتصادف في إحدى المرات أن رفعها لتركب فيلها (١١٥) ؛ تصاعد الخلاف بين الفريقين فتمرد عز الدين كبير خان حاكم لاهور فخرجت اليه بجيشها ولكنها تصالحت معه وأرضته بتفويضه على الملتان ، ولم ينتهي الأمر فحرض المتآمرون إختيار الدين التونيا محافظ البنجاب صديق طفولتها فأبلغوه بحظوة الحبشي لديها ؛ وهى التي رفضت عرض التونيا الزواج منها ؛ فتمرد وهى التي ولته حكم البنجاب ؛ فخرجت لقتاله ومعها "جمال الدين ياقوت" العبد الحبشي فقتله أمراء الترك فى المعركة وأسروا السلطنة ، وسجنوها عند التونيا فساومته على مساعدتها مقابل زواجه بها ؛ فحشد لها قوات لإستعادة عرشها من أخيها غير الشقيق ناصر الدين محمود الذي نصبه المماليك سلطانا على عرش دهلي بعد أسرها ، وكان من ضمن القوات حشدها التونيا مرتزقة من جنود الملك الهندوسى ساهيج راي زعيم جماعة الخوخارس حسب المؤرخ Banarsi Prasad Saksena بجامعة دهلي.

فشلت محاولة راضية و التونيا فى إستعادة دهلي بعد هزيمة جيشهما أمام جيش أخيها السلطان بقيادة نائبه المملوك بلبن ٦٣٨هـ / ١٢٤٠م ، وماتت راضية مقتولة بيد فلاح فى أحد الحقول طمعا فى مقتنيات الثمينة بعدما غلبها النوم ؛ وعند عرض هذه المقتنيات للبيع إنكشف أمره وإعترف بقتلها واعدموه.

معارك السلطنة راضية طبقا لجدول د. جوارنة الحرب ضد مالك أياس و معركة تبرهند (لم يتضمن الجدول ثورة الملاحدة- معركةحاكم اوده مع المعارضة على ابواب دهلي لما جاء لنصرتها- لا نعرف هل قاتلت حاكم الملتان قبل مصالحته).

١١٥ - كتاب طبقات ناصرى لسراج الجوزجاني الذى عاصرها وعمل في معيتها ، وكان قريبا منها.

السلطانة رضية بنت التتمش	مواجهة مالك إياس، ١٢٢٧هـ/١٢٣٩م	٩
السلطانة رضية	احتلال مدينة تبرهنده، ١٢٣٧هـ/١٢٣٩م	١٠

(٦)  
السلطان  
معز الدنيا والدين  
بهرام شاه ٦٣٧هـ /

وصفه الجوزى بأنه صاحب جرأة وتهور سفاكا للدماء خجولا بغير تكلف ، كان عهده ملئ بالمؤامرات والصدام مع المماليك ، خرج على رأس الجيش في جمادى الأول سنة ٦٣٩هـ لمقاتلة المغول بعد تنكيلهم بأهل لاهور ، لكنه هجر الجيش في معسكره على شاطئ نهر بياة وعاد الى دهلي ؛ فتابعه الجيش الى العاصمة وحاصرها لمدة طالت حتى ذي القعدة ودار قتال بينه والجيش مات فيه خلق كثير من الجانبين وتخربت أطراف المدينة ، وتمكن الأمراء في النهاية من السيطرة على دهلي وقبضوا على السلطان ووزيره وقتلوهما ومثلوا بجنتهما ؛ وأخرج أمراء المماليك علاء الدين مسعود من السجن وبايعوه سلطانا .

١١	دخول المغول "لاهور"، ١٢٤١هـ/١٢٤١م	السلطان معز الدين بن التمش	البدايوني، ١٢٥/١
١٢	سقوط "لوتشه"، على يد المغول، ١٢٤٦هـ/١٢٤٦م	السلطان معز الدين بن التمش	البدايوني، ١٢٨/١

(٧)  
السلطان  
علاء الدين مسعود شاه  
٦٤٤هـ/

إستهل السلطان حكمه عام ١٢٤٣ م بالإفراج عن عماء من السجن محمود جلال الدين مسعود (شاه) و ناصر الدين محمود (السلطان اللاحق) ، وولاهما مقاطعتي قنوج وبهرايج وكانت لهما عديد من الفتوح ، والسلطان نفسه كما قال عنه الجوزي كثير الفتوح حسبما إقتضت السنة لكثرة الأموال التي كانت تصله من كل جهة ، ومكنته من حشد جيوشا لم يجمعها أحد قبله للتصدى لغزو المغول بلدة (أجه) بالسلطنة ؛ وكانت كثرة الجيوش التي حشدتها سببا في فرار المغول ، ولما مال السلطان للهو والطرب وشرب الخمر والقتل و تملكه الفساد أهمل شئون الحكم ، فقبض الأمراء على السلطان ٦٤٤هـ و أرسلوا الى عمه ناصر الدين محمود حاكم بهرايج الذي سبق أن أفرج عنه السلطان ليتولى الحكم.

## معارك السلطان معز الدين التتمش

لاهور عام ٦٣٩هـ/١٢٤١ م .

معركة أوتشه ضد المغول ٦٤٤هـ/١٢٤٦ م.

(و فتوح السلطان المشار اليه عليه محدودة و يُكذب الجوزي في قوله عن السلطان أنه كان كثير الفتوح)

١٣	استرجاع مدينة الملتنان،	السلطان ناصر الدين محمود	البيدليوني، ١٢٩/١
١٤	استرجاع مدينة ميوات،	السلطان ناصر الدين محمود	البيدليوني، ١٢٩/١
١٥	قمع تمرد رانتبهور،	السلطان ناصر الدين محمود	البيدليوني، ١٢٩/١
١٦	حملة تجاه الملتنان،	السلطان ناصر الدين محمود	البيدليوني، ١٣٠/١
١٧	احتلال كواليار ومالوا،	السلطان ناصر الدين محمود	البيدليوني، ١٣٠/١
١٨	احتلال أوتشه، وتبرهنده،	السلطان ناصر الدين محمود	البيدليوني، ١٣٠/١
١٩	احتلال أودهيجنور،	السلطان ناصر الدين محمود	البيدليوني، ١٣١/١



(٨)

ناصر الدين محمود بن شمس التتمش  
٦٤٤ - ٦٦٤ هـ (١٢٤٦ - ١٢٦٦)  
السلطان الزاهد

### التعريف به

هو أصغر أبناء السلطان التتمش سُمى على إسم أخيه الأكبر الذى توفى قبل مولده ؛ قضى في حكم سلطنة دهلي عشرون سنة ٦٤٤ - ٦٦٤ هـ ؛ وصفته نزهة الخواطر بأنه "السلطان العادل الفاضل نموذج الخلفاء الراشدين، كان ورعاً متعبداً ذا حلم وأناة ورأفة، مُحبا لفعل الخيرات ؛ زاهد ومُتقشف لم يكن لديه غير زوجة واحدة (هل هى زوجة بلبن) لم يتسرى عليها أى لم يتخذ سرية أى جارية ملك يمينه للتسرى أى للمتعة ، كما إعتذر لزوجته لما طلبت جارية تساعدها فى أعمال البيت الشاقة ، قال لها "إن بيت المال حق لعباد الله وليس لي، فإن أعطانا الله أشتري لك واحدة ، فاصبري ولسوف يجزيك الله تعالى أحسن الجزاء فى الآخرة."

كان ينسخ كل عام نسختين من القرآن الكريم ويبيعهما ليغضى بعضا من نفقاته ، ويُحكى أن أحد الأمراء إشتري نسخة مما كتبه السلطان بأكثر من ثمنها لما تعرف على هوية كاتبها ؛ فغضب السلطان ورد اليه ما زاده عن ثمنها ، ويقول عنه ابن بطوطة " كان من خيار السلاطين عادلا فاضلا حلما" ، ووصفه الجوزى بـ " الجلد والشجاعة والبذل والإحسان والعقل" .

نجح وزيره بلبن فى أن يكسب وُد هولاء لدرجة أنه حرم على المغول فى عهده مهاجمة حدود السلطنة حتى لا يتعرضوا للعقاب ، ولما وشى المماليك بنائبه بلبن عين عماد الدين ریحان عام ٦٥١ هـ وزيراً نائباً وهو أول مسلم هندي يتولى منصباً فى الإدارة العليا (١١٦) .

١١٦ - منهاج سراج الدين ٨٢١ هـ - نقلا من عيسى عبد الله الضيفان.

### المؤامرات الداخلية

تزوج السلطان إبنة بلبن عام ٦٤٧هـ تقديراً لانتصاراته (١١٧)؛ وكان يوصيه بإتقاء الله عندما يخرج قائلاً: "إننى أسلمت أمور السلطنة لك فلا تفعل ما تعجز عن الرد عليه أمام الله تعالى، ولا تخجلنى وتخجل نفسك" (١١٨) (١١٩)؛ وبعد مرور عام على تجريده من منصبه كوزير أعاده اليه تحت ضغط الأمراء وحكام الأقاليم الذين تمردوا وتوجهوا بعسكرهم الى العاصمة لعزل الوزير عماد الدين ریحان المكروه بينهم لدسائسه وأعادوا بلبن؛ ففي فترة تولي عماد الدين ریحان لم يكف هو وأعوانه من الأمراء عن التآمر ضد بلبن الذي تحصن في مرحلة ما عند ريبال هندو عظيم ملوك الهندوس في جبال سنتور؛ ومن عادة هؤلاء الهندوس إيواء اللاجئين وإكرامهم على حد قول المؤرخ العربى، وبعد عزل ریحان لم يكف عن الدس ضد بلبن، فعندما خرج بلبن من دهلى متوجها للقضاء على تمرد كشلو خان أرسل المتآمرون في دهلى للمتمردين خارجها يدعونهم لدخول العاصمة بعد أن خلت من القوات؛ لكن السلطان أفضل الخطة وتمت المصالحة.

### غزوات ناصر الدين محمود

#### بن شمس التتمش

أخضع السلطان هندوس بلاد أودة المتمردين وقتل زعيمهم برتوه الذى قتل مائة وعشرين الفا من المسلمين وأعتقد أنه مبالغة من الجوزجانى (١٢٠)، وإستسلمت له بسنكوت و لكهنوتى (البنغال)؛ بعد أن هزم حاكمها غياث الدين الخلجى وقتله وكان قد إستقل بها وأعلن نفسه سلطانا، وتمكنت القوات المملوكية من فتح دواب في قنوج عام ٦٤٤هـ، كاره، الرايس، إكمال فتح كواليار ٦٤٨هـ، فتح قلعة سلمور ٦٥٤هـ.

١١٧ - ، يقول ابن بطوطة أن السلطان ناصر الدين محمود بن للمش تزوج إبنة بلبن قبل أن يلى الملك ثم جعله نائبه لما رقى العرش بينما يؤكد الجوزجانى أن الزواج تم في عهد السلطان تكريما لبلبن على إنتصاراته.

١١٨ - المصدر - باحث مصرى منير عتيبة - .

١١٩ - منهاج سراج الدين ٨٢١هـ - نقلا من عيسى عبد الله الضفيان.

١٢٠ - طبقات ناصرى لسراج الجوزجانى ص ٦٢٨ .

١٣	استرجاع مدينة "الملتان"، ١٢٤٤هـ/١٢٤٦م	السلطان ناصر الدين محمود	البيدايوني، ١٢٩/١
١٤	استرجاع مدينة "ميوات"، ١٢٤٦هـ/١٢٤٦م	السلطان ناصر الدين محمود	البيدايوني، ١٢٩/١
١٥	قمع تمرد "رائتهور"، ١٢٤٦هـ/١٢٤٧م	السلطان ناصر الدين محمود	البيدايوني، ١٢٩/١
١٦	حملة تجاه الملتان، ١٢٥١هـ/١٢٥١م	السلطان ناصر الدين محمود	البيدايوني، ١٣٠/١
١٧	احتلال كراييار ومالوا، ١٢٥١هـ/١٢٥١م	السلطان ناصر الدين محمود	البيدايوني، ١٣٠/١
١٨	احتلال "لوتشه، وتبرهنده، ١٢٥١هـ/١٢٥٣م	السلطان ناصر الدين محمود	البيدايوني، ١٣٠/١
١٩	احتلال "اودهويجنور"، ١٢٥٢هـ/١٢٥٤م	السلطان ناصر الدين محمود	البيدايوني، ١٣١/١
٢٠	مواجهة الغزو المغولي، ١٢٥٥هـ/١٢٥٧م	السلطان ناصر الدين محمود	البيدايوني، ١٣٢/١
٢١	فتح "لاخنوتي"، ١٢٥٥هـ/١٢٥٧م	السلطان ناصر الدين محمود	البيدايوني، ١٣٢/١
٢٢	حملة "ميوات"، ١٢٦٠هـ/١٢٦٠م	السلطان ناصر الدين محمود	البيدايوني، ١٣٤/١

### علاقة السلطنة بالمغول

إزدادت هجمات المغول كثافة في عهد السلطان محمود ، ففي عام ٦٤٤هـ دخلوا اراضى السلطنة وإنسحبوا لما علموا بخروج السلطان بجيش جرار لمواجهتهم ، ولما فر المغول توجه السلطان الى معقل الإسماعيلية وقبائل الخوخار لتأديبهم على تعاونهم مع المغول .

وفى عام ٦٥٥ هـ أغار المغول على حصن بوج ، فتصدى لهم كشلو خان حاكم الإقليم ، ولما وصل المغول الى الملتان خرج السلطان بنفسه لمواجهتهم ، لكنه عاد الى دهلى لما علم بتمرد بعض الأمراء المتخلفين عن حملته ضد المغول .

ومن طيبة السلطان رحبت السلطنة بالفارين من بلاد آسيا الوسطى الإسلامية بسبب فضائع المغول.

### سفارة هولاکو

#### الى السلطان ناصر الدين محمود

لغرابة الحدث على هولاکو المعادى للمسلمين ؛ أن يرسل سفارة الى بلد مسلم يبلغه بأنه أصدر أوامره بمعاوية كل من يتجاسر من قادة المغول على مهاجمة السلطنة ؛ حرصنا أن نجوس خلال هذا الحدث الفريد ، لكن لم أستطع أن أجلى كامل تفاصيله بوضوح ؛ بسبب ركافة المصدر الذى نقلنا منه ، ولكنى اجتهدت فى فك غموضه ؛ فالبعثة نقلت الى السلطنة أن هولاکو أصدر تعليمات الى جيش المغول فى السند بعدم الإعتداء على حدود سلطنة دهلى ؛ وأن من يخالف ذلك سيُعاقب ببتير قوائم خيله " ، ولم يُفسر الجوزجانى أو المصدر الذى نقل عنه ؛ الأسباب العملية الداعية لقرار هولاکو ؛ عموما ما أمكنا إستخلاصه أن ما دفع هولاکو لإصدار هذه التعليمات التقدير الخاص الذى يكنه لشخص بلبن رغم عدم التقائهما وجها لوجه أو وجود علاقة تعارف مباشرة بينهما ؛ ولكن وصول هدية وخطاب منه كانا كافيين لتحقيق هذا التقدير .

والقصة تبدأ على النحو التالى " يقول الجوزجانى أن ناصر الدين محمد حسن قرلغ ملك القزلاق ؛ كان يرغب فى الإرتباط بعلاقة نسب بتزويج ابنته الى شاه ابن الوزير بلبن ؛ ليتفاخر بهذا النسب الرفيع بين الملوك ، فأرسل بلبن بموافقتة ولم يكن يرغب فى الإفصاح عن الأمر حتى تصل الرسالة لملك القزلاق ؛ فعلم المغول بأمر الرسالة أثناء مرور الرسول بأرضهم فى السند فأبلغوا هولاکو بمرور الرسول دون أن يعلموا مضمون الرسالة ؛ فلما عرف ملك القزلاق حاول إحاطة هولاکو برسالة مختلفة على غير الحقيقة ، فقام بتزييف رسالة كتبها ووقعها بإسم بلبن موجهة الى هولاکو

تهيب بشخصه ومعها هدايا (١٢١)، فتقبل هولوكو الأمر وقدر لبلىن حرصه على مراسلته وأصدر أمره لجيش المغول في الهند ، بعدم المساس بحدود دهلى (١٢٢).

نعود لإستقبال دهلى للبعثة ؛ وصل خبر وصول السفارة الى السلطنة عام ٦٥٧ هـ ؛ فأقترح بلبن على السلطان إحتجازها في باروتاه حتى يتم تجهيز ترتيبات خاصة لإستقبالها بشكل يبرز عظمة سلطنة دهلى وقوتها الرادعة ، وقام بلبن بتجهيز جيشا من مائتى الف من المشاة بكامل عتادهم وخمسون الف فارس بدروعهم ومعهم كثير من أهل دهلى المسلحين من الفرسان والمشاة ؛ وصفهم كتفا بكتف في عشرين صفا على طول الطريق من لكيوكهرى حتى قصر السلطان في دهلى بخلاف الفيلة .

ويصف الجوزجاني رد فعل أعضاء البعثة فيقول " عندما وقع بصر رسل خراسان (المغول) على هذا المشهد كادت أرواحهم أن تخرج من أجسادهم من هيبة الحشد وهول الإستعدادات والأبهة ، وأغلب الظن بل اليقين أن بعض أولئك الرسل سقط من فوق حصانه ووقع على الأرض عندما تحركت الفيلة هائجة " (١٢٣)(١٢٤).

### رُسل بركا خان

#### الى السلطان شمس الدين

وعلى خلاف المواقف العدائية للمغول تجاه دهلى ، أقام بعضهم علاقات طيبة معها فالسلطان بركا خان سلطان المغول المسلم وخان بلاد القبجاق وحفيد جنكيزخان ؛ والمعروف بدفاعه عن الإسلام والمسلمين كانت تربطه علاقة طيبة بدهلى ؛ ففي عام ٦٥٨ هـ بعث برسالة الى السلطان ناصر الدين محمود سلطان دهلى مع الإمام شمس الدين المغربى وهو من أكابر العرب ومعه ما يليق من إنعامات (هدايا)(١٢٥) .

### حزن أهل دهلى

#### لموت السلطان

توفى السلطان ناصر الدين محمود سنة (٦٦٤هـ / ١٢٦٦م) ، ويقول الجوزى اضطرب لموته أهل دهلى لمحبتهم له وطيب طباعه وبذلك انتقل الملك من أسرة شمس

١٢١ - القزلاق قبيلة تركية في فرغانة وتشغل المنطقة حتى الصين ومن القبائل الهامة .

١٢٢ - كان الجوزجاني متحيزا بشكل واضح الى غياث الدين الغ خان بسبب عطاياه .

١٢٣ - طبقات ناصرى لسراج الجوزجاني ص ١٠٠ .

١٢٤ - فى عام ٦٧٦ هـ عين السلطان بلبن ابنه محمود وولى عهده حاكما على لاهور بعد موت حاكمها ليتصدى للمغول فهزمهم هزيمة قاسية بعد عبورهم نهر البيز ، كما هزم حملة مغولية أخرى عام ٦٨٢ هـ لكنهم قتلوه فى المعركة لما تعرقل فى حفرة ، هاجم المغول بعد موت هولوكو عام ٦٦٣ هـ / عام ١٢٦٥ م بعض مناطق السند من جديد قبل إرتفاق بلبن العرش بعام ، وفى عام ٦٦٧ هـ من عهد السلطان غياث الدين بلبن ؛ قام السلطان بالزحف الى لاهور التابعة حيث مركز المغول فى هراة ، وأعاد بناء سورها الذى هدمه المغول .

١٢٥ - طبقات ناصرى ص ٢٣١ ، وسبب العثة ص ١٠٥ .

الدين التمش إلى أسرة غياث الدين بلبن ؛ ويتهم ابن بطوطة بلبن بقتل السلطان محمود .

دولة المماليك  
سلطنة دهلى  
سلالة بلبن

السلطان  
غياث الدين / بلبن  
٦٦٤ - ٦٨٤ هـ  
مؤسس الدولة

### تقديم

كانت حياة غياث الدين / بلبن صعبة فقد كان ذميم الخلقة ؛ باعه أولاد عمه دون علم أبيه لتجار النخاسة فى بخارى ؛ وفى قول آخر أسره المغول من قبيلة تركية وباعوه ، وعرضه تاجر النخاسة على السلطان شمس الدين للمش فرفض شرائه لذماته ؛ ولكن بلبن التمس من السلطان أن يشتري فأخذه تفضلا وجعله فى السقاية أدنى المهن عند السلطان ، و ترقى فى المناصب لما بانته نجابته الى أن أصبح ذا مكانة ثم حاجبا ثم واليا لمقاطعة ريوارى حيث نجح فى إخضاع متمردي الهيمالايا ، ثم تولى حكم هانسى ، ومن بعد نائباً للسلطان ناصر الدين محمود للمش وقائدا ناجحا لمجهوده الحربى.

### صفاته

كان بلبن حليماً كريماً عادلاً لا يداهن أحد فى العدل ولو من قرابته ؛ وحسب ابن بطوطة بنى " داراً وسماها دارا سماها دار الأمن من دخلها من أهل الديون قضى دينه، ومن كان خائفاً آمنه ومن قتل أحداً أرمى عنه أولياء المقتول وإن كان من ذوي الجنايات أرمى من يطلبه وتلك الدار دفن" سنة (٦٨٥هـ / ١٢٨٧م).

وكان السلطان لا يعرف الهزل يقول عنه المؤرخ بارنى كان يتشدد فى المحافظة على هيبة الحكم فكان يطبق آداب الجلوس والنهوض فى حضرة السلطان ، فلم يجرؤ أحد على المساس بهيبة مجلسه بالهزل أو الضحك فى حضوره .

### تأمين البلاد

قضى بلبن على إرهاب قبائل الميوز الهندوسية المتمردة القاطنة بجبال وأحراش دهلى وسببوا ذعرا لأحيائها وإضطروا المدينة لأن طغلق أبوابها بعد العصر ؛ وسلبوا القوافل العابرة ؛ فأرسل عليها السلطان جيشا كثيفا مزودا بفريق من الخشابين لتطهير الطريق بإزالة الأشجار تسهيلا لنفاد الحملة داخل الأحراش وصولا لأوكارهم

، وأمن الطرق فبنى الحصون وإقام الحاميات على الطرقات ، فساد الأمن لستين عاما قادمة حسب قول بارنى.

### إسترداد البنغال

خرج السلطان بنفسه عام ٦٧٨هـ على رأس حملة لإستعادة البنغال من حاكمها المتمرد ؛ فدخل لاکهنوتى عاصمة البنغال بدون مقاومة وتمكن السلطان من حاكمها وقتله هو وقادة التمرد ، وعين ابنه بوجرا خان حاكما عليها.

### التصدي للمغول

سبق التعرض لمعظم معاركه مع المغول في عهد سلفه السلطان محمود شمس الدين ، وكان حانقا على المغول الذين منعه هجومهم المتواصل من إستكمال فتوحه فى الهند وقال " لو لم يمنعنى خطر المغول ؛ لحاربت كل حصون الهند كل عام " .

### أعماله العمرانية

قام السلطان بلبن بأعمال عمران واسعة ومهد الطرق ليسهل السيطرة على الأمن ونظم البريد بين الأقاليم .

### إنقلاب القصر

مرض السلطان بعد ٢٢ عاما من الحكم ، فإستدعى ابنه بوجرا خان من البنغال ليتولى الحكم نيابة عنه ؛ ولكن ابنه لم يحتمل صرامة نظام والده في الشهرين الذين قضاهما معه في دهلى فعاد الى البنغال ، فأوصى السلطان بالعرش لحفيده كى خسرو ابن الشهيد محمود الذى مات في معركة له ضد المغول ، وبعد موت السلطان ٦٨٤هـ و أخذ البيعة لخسرو حاول كبير الوزراء حرمانه من العرش لكرهته له ؛ فأوهمه أن الأمراء يأترون به وقرروا مبايعة ابن عمه معز الدين بن ناصر الدين سلطانا ونصحه بالهرب وبطانته من دهلى ويسر له طريق الهرب؛ ثم بايع كبير الوزراء ناصر الدين بلبن حاكم البنغال سلطانا وبايعه معه الجميع.

### حملاته

٢٣	حملة "باتيالى" و"كاتبيل"، السلطان غياث الدين بلبن	البيدايونى، ١٨٥/١
٢٤	موقعة "باغ سيز"، السلطان غياث الدين بلبن	البيدايونى، ١٨٨/١
٢٥	مواجهة الغزو المغولى، السلطان معز الدين بن بلبن	البيدايونى، ٢٢١/١



(٢)  
السلطان  
معز الدين / قيقق باد بلبن  
أو (قايقق آباد)  
آخر سلاطين دولة المماليك

### صفات السلطان وعهده

ارتقى قايقق آباد العرش سنة ٦٨٤هـ بلقب معز الدين ، وكان شاباً لاهياً منصرفاً عن شئون الحكم ؛ يقول عنه المؤرخ ضياء الدين بارنى " إنغمس السلطان في الفسق وشرب الخمر ؛ وإمتلاً مجلسه بالمهرجين فضاعت هيبة الحكم ، وانتشرت محلات الخمر وعمت الخطيئة وختت المساجد من المصلين " ، ولم يلفت نظر ابن بطوطة الجوانب السلبية التي أشار إليها بارنى لعدم معاصرته السلطان فغابت عنه ، له قول آخر بشأنه فيقول " إستقام الملك لمعز الدين أربعة أعوام كانت كالأعياد ، من أدركها يصف خيراتها و رخص أسعارها، وعرف جود السلطان وكرمه" ، عموماً لم نلتفت لقول ابن بطوطة ولكننا وجدنا الإشارة إليه كدليل على قصور التأريخ عند من لم يعاصر الحدث .

### محاولة والد السلطان تأمين العرش

#### وإنفصاله بالبنغال عن دهلي

ترك السلطان قايقق آباد شئون الحكم لنائبه جلال الدين فيروز الخلجي ؛ الذي راوده طموحه بأن يرقى العرش بنفسه ، ولما إستشعر ذلك ناصر الدين بلبن والد السلطان (حاكم البنغال) أرسل يحذر ابنه من طموح الخلجي ، ولما لم يستجب للنصيحة توجه والده بعسكره الى دهلي للإستحواز على الحكم ، فخرج ابنه السلطان معز الدين لقتاله ولكنهما تصالحا بعد أن حذره من طموحات نائبه فيروز الخلجي وعاد الى البنغال ، و لما إستمر ولده اللاهى في عدم العمل بنصائح والده ناصر الدين ؛ انفصل الأخير بالبنغال وأعلن نفسه سلطاناً وعاش فيها بقية حياته (١٢٦).

### مقتل السلطان وتولى فيروز شاه

أصيب السلطان معز الدين قيقق باد بالشلل بعد مرور أربع سنوات من الحكم ، فأختلف المماليك على من يخلفه ؛ فالأتراك يريدون أن يبقى الحكم فى أسرة بلبن ؛ والأفغان يريدون نائبه جلال الدين فيروز شاه الخلجي سلطاناً ؛ ولما علم معز الدين

١٢٦ - من نسله فى البنغال غياث الدين بهادر الذى قتله السلطان مجد طغلق وسحل جلده فيما بعد.

قيق باد بالجدل الذى يدور حول هذا الموضوع ، أرسل مماليكه لقتل نائبه فيروز شاه الخلجى الموجود على تل خارج دهلى ؛ فكان كل يذهب لقتله ينضم اليه ويُبايعه حتى أصبح فى موقع قوة فدخل جلال الدين المدينة وحاصر القصر لثلاث أيام ودخله وقتل كيقاد وتولى الحكم عام ٦٨٩هـ / ١٢٩٠م ، وبذلك إنتهت دولة المماليك بعد ٩٠ عاما ، وقامت على أنقاضها الدولة الخلجية.

### معارك السلطان معز الدين التصدى للغزو المغولى ٦٨٦هـ/١٢٨٧م

٢٥	مواجهة الغزو المغولى، السلطان معز الدين بن بلبن	البيديونى،
	١٢٨٧هـ/١٢٨٧م	٢٢١/١

**دولة الخلجيين**  
**الدولة الخلجية**  
٦٨٩ - ٧٢١ هـ / ١٢٩٠ - ١٣٢٠ م

---

### تمهيد

في هذه الفترة أخذت فئة من المحاربين الأفغان الذين نشأوا في الهند في الظهور ؛ إقتسم بعضهم الدماء الهندية منذ أجيال منهم عائلة الخالجي ، التي تمكنت من حكم إقليم لكهنوتى (البنغال) التي إستقل بها غياث الدين الخلجى ؛ وهى عائلة إستقرت في الهند قبل قرن من الزمان في كنف السلطان الغوري ، ولما وصلت لحكم سلطنة دهلي لما إقتحم فيروز شاه الخلجى دهلي و تبوأ عرشها عام ١٢٩٠ ؛ عينت السلالة أسراها من الهنود بعد إسلامهم في مناصب القيادة العليا في الحكومة والجيش.

### أعظم الفتوح فى تاريخ الحقبة

وكان السلطان الجامح في الفتوح ورائد هذه السلالة هو السلطان علاء الدين الخلجى يعزز بقيادات جيشه منهم لما تحقق على يد هذه الفرقة من فتوح وتوسع حتى أنه فكر فى رفع شأنهم الى مستوى الصديقين ، ويُعد عهده أزهى عصور الفتح فى الهند فاقت ما حققته دهلي منذ قيامها ؛ فالسلطان علاء الدين الخلجى إنطلق بمسيرة الفتوح الكبيرة بقدر لم تبلغه أى مملكة سابقا ؛ فقد كانت دولته عاتية من الناحية العسكرية وغنية من الناحية الإقتصادية ، أغنتها غنائمها وأسراها من إتساع فتوحها ؛ وكان لهؤلاء العبيد بعد إسلامهم حظا وافرا من مناصب الدولة الكبرى وفي الجيش بوجه خاص ؛ بفضل مهاراتهم الحربية التي حازوها من الخدمة فى جيوش السلطان (١٢٧) ؛ الذى إندفعت جيوشه فى الفتوح بسرعة لافتة إكتسحت خلالها قطاع كبير من شبه القارة الهندية لأول مرة ، ما جعل السلطان من بين أعظم الفاتحين في تاريخ سلطنة دهلي حتى ذلك التاريخ (من اعظمهم بعده حسب التسلسل التاريخى وليس الأهمية جاء محمد طغلق وأورنجزيب) ، وهو ما أوحى إليه أن يتشبه بالإسكندر الأكبر وشطح به الخيال ليتطلع الى تقديس نفسه وقادته ؛ لولا أن رده عمه القاضي علاء الملك إلى الصواب بتنبئيه أن النبوة انتهى زمانها.

### توجيه ضربات ساحقة للمغول

وله أيضا يرجع الفضل بإلحاق هزائم ساحقة ومنتالية بالمغول الذين إستعصوا على الهزيمة فى مناطق أخرى من عالم الإسلام ؛ فبعد وفاة هولوكو أنهى المغول الحظر الذى فرضه على غزو سلطنة دهلي منذ عهد السلطان محمود شمس الدين للمش

<sup>١٢٧</sup> - عينت ظفر خان (وزير الحرب) ، نصرت خان (وزير دهلي) ، عين الملك مولتاني ، مالك كارفور ، غازي غازي مالك طغلق ، ومالك نايبك (سيد الحصان).

؛ فعاودوا بمن فيهم من سلاطينهم المسلمون هجماتهم على السلطنة بضاوارة ؛ ولم يكن ليتصدى لهم إلا مثل علاء الدين السلطان المحارب شديد المراس وأوقع بهم الهزيمة تلو الهزيمة ، وحال دون تسرب مد المغول الى الجنوب فجنب الهند ويلاتهم وأبقى الصراع معهم حبيسا في القطاع الشمالى.

ولم يختلف تاريخ هذه الأسرة في ملامحه العامة عن النموذج المتكرر للحكم طوال تاريخ الحقبة الإسلامية ؛ مؤامرات - إنقلابات - وحشية في تصفية ندمائهم المنافسين بمن فيهم من إخوة فنكلوا بإخوتهم قبل غيرهم من الطامعين ، ولكن دولة الخليجيين سقطت كما سقطت من قبلهم ومن بعدهم سلطنات المسلمين لنفس الأسباب ، فد / مالك كافور أقرب قيادات السلطان علاء الدين الى قلبه ، تأمر بوحشية على أبناء السلطان ليمهد لنفسه الطريق لينال العرش ؛ ثم تصرف على هديه ابن السلطان مبارك شاه الخلقى ذوى السنوات السبع عشر الذى أعمته شهوة الحكم فنكل بإخوته بلا رحمة ؛ وأضاع فسقه وفجوره دولة أبيه ، فألب عليه سوء عمله الكراهية والشروع ؛ فدبر مغتصبه وهو مملوك هندوسى الأصل مقتله ثم قفز الى العرش لبرهة قصيرة لأول مرة ؛ لكنه أضاع نفسه بتغاضيه عن عبث العابثين من قومه بالإسلام.

والجديد عند سلاطين هذه الدولة وامرائها زواجهم بأميرات راجبوتيات (هندوسيات) ، فزوجة علاء الدين الثانية أم السلطان الطفل شهاب هى ابنة راما شاندراس صاحب ديوجير (١٢٨).

## سلطنة دهلى دولة الخلجيين

السلطان  
جلال الدين  
فيروز شاه الخلجي  
٦٨٩ - ٦٩٤ هـ / ١٢٩٠ - ١٢٩٦ م  
مؤسس الدولة

### صفاته

ولى الأفغان فيروز شاه سلطانا فى الثانى من جمادى الآخرة ٦٨٩ هـ ١٣ / يونيو ١٢٩٠ م ؛ وتلقب بلقب جلال الدين (فيروز شاه) وكان فى السبعين من عمره ؛ سَمِحَ الطبع حسن الظن بالناس حلّما يسبق عفوه عقابه صاحب مؤدّة ؛ حسن السياسة عادلا ، يرفض إراقة دماء المسلمين أيا كانوا إلا عندما دخل دهلى ليتولى الحكم ، سريع العفو حتى مع أعدائه المتأمرين على حياته بل أَرْضاهم ، وكانت رحمته هذه محل إنتقاد خاصته ، وكان يبررها بقوله "لقد قضيت سبعين عاما فى مسالمة لم أرق دماء مسلم قط ، ولا أريد أن أريق دم المسلمين فى آخر العمر، لأثبت على نفسى صفة القهار والجبار"<sup>(١٢٩)</sup>.

وعندما دخل قاعة العرش فى دهلى بعد مقتل السلطان قيق باد ، صلى ركعتين شكر لله وجلس على العرش وقال: "لقد سجدت سنوات أمام هذا العرش والآن أطأه بقدمى " ؛ و محت طبيعة فيروز شاه السمحة نفرة بطانة السلطان الراحل بإمتداح وفائهم لقيق باد قائلا " لقد قمتم بواجبكم بوفائكم لأميركم ولا يمكن أن أحاسبكم على هذا الوفاء " ، وعفى عنهم وأرضاهم وكذلك فعل مع كل المماليك ، ومن سماحته ترك دار الإمارة لسكنى اسرة السلطان ، ولا يقلل مقتل السلطان معز الدين قيق باد من طبيعته الطيبة فهذه من عادات الأتراك عند زوال الدول .

### نبذة ببعض مواقفه :

#### ○ ثورة كارا ابن اخ بالبان وحاكم تشاجو:

فى عام ١٢٩١م ثار شاجو حاكم كارا ابن اخ بالبن ضد جلال الدين ؛ وحاول مهاجمة دهلى لكن ابن جلال الدين هزمه واسره ، وكعادته عفى عنه السلطان رغم معارضة القادة ، وأكرمه وارسله الى ملتان مشددا على توفير كافة وسائل الراحة له .

<sup>١٢٩</sup> - كتاب "المسلمون فى الهند من الفتح العربى إلى الاستعمار البريطانى"، لنظام الدين أحمد بخشى الهروى، ترجمة د.أحمد عبد القادر الشاذلى، الصادر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٩٥م.

## تآمر القادة على السلطان

### إستخفافا بسماحته

إستهان كثير من القادة بالإمبراطور جلال الدين بسبب لين سياسته وتسامحه ، وبدأت وتيرة الإعتراض تعلوا علنيا ، فصرخوا بنيتهم الإطاحة به فى حفل أقامه تاج الدين كوتشي ، ولكن السلطان عفا عنهم لما علم بالمؤامرة .

### حملاته الهندية

إعتمد السلطان فى قيادة الجيش على ابن أخيه وزوج إبنته علاء الدين واليه على مدينة كرا ؛ وكان محاربا عظيما توالى الإنتصارات على يديه فذاع صيته ؛ وإمتدح الشاعر أمير خسرو مؤرخ البلاط إنتصارات جيوش جلال الدين فيروز فى قصيدته "مفتاح الفتوح" (١٣٠) .

### فتح الدويقر/ الديكان

غزا علاء الدين الدويقر بالديكان سنة ٦٩١هـ / ١٢٩١م ؛ (يقال إستخفافا بعمه) فلم يعلمه مسبقا وتصالح مع ملكها وهو من أكبر ملوك الهندوس وأغناهم ؛ وغنم منه ذخائر ثمينة وعثر حصانه بمحض الصدفة على كنز عظيم مدفون بأرضها ، كما فتح ماندوار فى نفس العام ولم يعط عمه شيئا من غنائمها.

### الغزو المغولي

غزا المغول الهند فى عهد جلال الدين فيروز شاه ؛ ورغم كبر سنه ذهب للحرب بنفسه وإنتصر عليهم أعوام ٦٩١هـ / ١٢٩١م و ٦٩٢هـ / ١٢٩٢م ؛ وفى عام ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م ، غزا الحاكم المغولى المسلم نيجوداري عبد الله نجل حفيد جغاتاي خان البنجاب بجيش جرار من مئة ألف وخربها ؛ فهزمه جيش الإمبراطور جلال الدين فيروز شاه الخلقى بقيادة ابن أخيه علاء الدين وأسر ٤ آلاف من المغول تقبل منهم جلال الدين فيروز شاه الإسلام بسماحة دون تقييد بحقيقة إيمانهم وفك أسرهم وأنزلهم بضاحية فى دهلى عُرفت باسم مُغال بورا (محل المغول) وتزوجوا وكونوا أسرا (١٣١).

١٣٠ - كتبه أمير خسرو الدهلوي المكنى بأبي الحسن والملقب بيمين الدين ؛ من أم راجبوتية نبلاء الهندوس وأب مسلم من نبلاء الإلخانيين من وسط آسيا ، وُلد ببتيالي بالهند عام ٦٥١ للهجرة (١٢٥٣ م) وتوفي عام ٧٢٥ هـ (١٣٢٥م) ؛ شاعر يُعرف بـ "أبو الأدب الأوردي" ؛ كتب أشعاره بالهندوكية والفارسية ، وله فيهما أعمال كثيرة ؛ عمل ببلاط فيروز شاه ومن بعده علاء الدين الخلقى ؛ ومجد إنتصاراتهما فى أشعار كثيرة ، إعتبره رئيس وزراء الهند جواهر لال نهرو بما تركه من تراث أدبي عامل توحيد للهند.

١٣١ - تعرض هؤلاء وأسرههم بأطفالهم لمذبحة رهيبة فى عهد السلطان علاء الدين عاقبا لهم على تمردهم لرفضهم تسليم خُمس الغنائم من معاركهم فى كجرات وهم تحت إمرة أولغ خان ونصرت خان ؛ فتم سحق التمرد ومعاقبة عائلاتهم بوحشية.

### إغتيال جلال الدين فيروز شاه الخلجي

كانت زوجة علاء الدين ؛ ابنه عمه فيروز شاه ؛ سببا في وقوع الوحشة بينه وبين عمه ، فاستغلت الحاشية النفور بينهما وأوغرت صدر السلطان على علاء الدين بدعوى إستثنائه بكنوز الدويقر؛ فإستدعاه عمه لبحث الموضوع فلما امتنع ذهب اليه في ولايته حيث دبر علاء الدين إغتياله<sup>(١٣٢)</sup> ، فنادت زوجة السلطان القتل بإبنها "ركن الدين إبراهيم" سلطاناً خلفاً لأبيه فيروز شاه ، فسارع علاء الدين بالتوجه إلى دهلي لحسم الموقف ، ففر السلطان الجديد / ركن الدين إبراهيم إلى "الملتان" ، فنصّب علاء الدين نفسه على عرش سلطنة دهلي سنة ٦٩٥ هـ / ١٢٩٥ م .

جدول بأسماء معارك الدولة الخلجية في الهند

الرقم	اسم الواقعة وتاريخ وقوعها	قاتلها
١	مواجهة المغول، ٦٩١هـ/١٢٩١م	السلطان فيروز شاه الخلجي
٢	حملة مانداولر، ٦٩١هـ/١٢٩١م	السلطان جلال الدين خلجي

<sup>١٣٢</sup> - هناك رواية اخرى تقول أن علاء الدين أشار الى احد رجاله فضرب الملك بالسيف، ولما حاول الملك جلال الدين الهرب فاجأه رجل اخر وقطع راسه ووضعوه على راس رمح وساروا به عبر مقاطعات كار ومانيكبور ، ولكننا لم نعثر لهذه القصة على أثر في أى من المراجع العربية المعروفة .

(٢)  
السلطان  
علاء الدين سكندر شاه  
(الخليجي)  
١٢٩٦ / ١٣١٧ م  
العظيم  
هازم المغول

### السلطان المقاتل (١٣٣)

نصّب "علاء الدين" نفسه سلطانا على عرش دهلي سنة ٦٩٣ هـ / ١٢٩٦ م ؛ بعد إغتياله عمه فيروز شاه وفرار ركن الدين إبراهيم ابن السلطان القتيل إلى "الملتان" ، وقضى علاء الدين حياته في حرب دائمة ضد الهندوس والمغول خاض فيها أكثر من ٨٤ معركة ؛ ويصفه المؤرخ برني " بأنه كثير البذل سفاكا للدماء خبيراً في ادارة الجيوش " ، وإمتدح ابن بطوطة قوة سياسته الداخلية فقال أن أهل الهند أثنوا عليه بسبب ضبط الأسعار والنظام .

### حرب المغول

تعرضت السلطنة لغارات عنيفة من المغول في السنوات الثلاث الأولى من حكمه ، قامت بها جيوش ضخمة من مائتي ألف فارس غير الراجلين<sup>(١٣٤)</sup> ؛ نهبوا وأحرقوا كل ما صادفهم في الطريق الى دهلي ، وفاجأهم السلطان علاء الدين بجيش ضخم ومعه أكثر من ألفين وخمسمائة من الفيلة المدربة على القتال فهزمهم وكبدهم تلالاً من القتلى واعدم قادتهم سحقاً تحت أقدام الفيلة على أبواب دهلي ، ورغم تلك الهزيمة الضخمة واصل المغول حملاتهم فبلغت خمس حملات في ثلاث سنوات من عهد علاء الدين منها :

١٣٣ - أخرجت السينما الهندية فيلماً باسم "بادمافات" Padmavat مرتكزا على قصيدة ملحمية عن قصة خيالية للكاتب المسلم الشاعر الصوفي مالك محمد جياسي في ١٥٤٠م عن حصار علاء الدين الخليجي لشيتورا في راجبوتان (راجستان) سنة ١٣٠٣ م ؛ لغرامه بزوجة ملكها ؛ ورغبته في أخذها بالقوة لما خالفت وعدها له ؛ ولما كاد أن يقع الحصن في يده ، قامت الملكة ونساء القلعة بابتحار ملكي جماعي (الجوهيار) ، بالقاء أنفسهم في النار للموت بشرف للنجاة من مهانة الاسترقاق والاعتصاب من قبل المهاجمين ؛ أثار الفيلم غضب اليمين الهندوسي المتطرف بالهند وطالبوا بعدم عرض الفيلم ؛ لكن المحكمة العليا لبعض الولايات رفضت ؛ وعلق رئيس المجلس المركزي المسنول عن الرقابة في موافقته على عرض الفيلم بأنه مأخوذ عن أحداث تاريخية غير حقيقية .

١٣٤ - يتهم المدققون المؤرخين الرواة بالمبالغة في تقدير جيوش المغول التي كثيرا ما احتسبوا عددها ما بين مائة ألف الى مائتي ألف فارس ؛ بينما كانت جيوش إمبراطورية المغول بأكملها المنتشرة في آسيا الوسطى و الشرق الأوسط تقارب ١٥٠ ألف رجل ، وإستدلوا على ذلك بأن قادة المغول من الفئة المميزة كانباء وأحفاد جنكيز خان الذين شاركوا في الغزوات المختلفة كانوا يستحوذون على قيادة أكبر الفيالق التومينات وهي وحدات لا تتجاوز ١٠ آلاف رجل ، بينما يقود القادة العاديون جيوشا ما بين ١٠-٣٠ ألف خيال .



معركة جران منجر فبراير عام ١٢٩٨ خربوا فيها البنجاب ؛ وأسر منهم علاء الدين عددا كبيرا هزم السلطان علاء الدين (١٢٩٦ - ١٣١٦ م) بقيادة أولغ خان قوات تشاجاتاي عدة مرات الفترة ١٢٩٦-١٢٩٧ ؛ في معركة جران منجر شتاء فبراير عام ١٢٩٨ بعد أن خرب المغول البنجاب وأسر عدد كبير منهم.

### حصار سهوان

وفي ١٢٩٨-١٢٩٩ ، هزم ظفر خان قائد جيش علاء الدين قوات مغولية غزت السند ، واحتلت حصن سيفستان وأسر عدد منهم ، وبينما كان فريق من جيش علاء الدين بقيادة أولغ خان ونصرت خان عائدا بعد معاركه في الكجرات تمرد بعض جنوده المغول الذين رفضوا تسليم خمس ما لديهم من غنائم وتم سحق التمرد بوحشية ومعاقبة عائلاتهم في دلهي بنفس الوحشية.

### معركة كيلبي

في أواخر عام ١٢٩٩ ، أرسل دوا خان ابنه "قتلق خواجه" لغزو دلهي ؛ ولم يكن قد إكتمل تحصينها ، وكان علاء الدين خارجها بجيشه فحاول تأخير المعركة ، على أمل أن يتراجع المغول لندرة المؤن ووصول تعزيزات من مقاطعاته ؛ ولكن جنراله ظفر خان هاجم المغول دون إذن السلطان ؛ وحاول المغول خداعه بالانسحاب ليتبعهم ؛ فقتلوه ورجاله بعد أن أوقعوا خسائر فادحة في صفوفه ، لكن زعيمهم قتلخ خواجه أصيب بجروح خطيرة في المعركة فانسحبوا وتوفي قتلخ بسبب ذه الجروح أثناء العودة .

### حصار دلهي

في شتاء ١٣٠٢-١٣٠٣ ، وجيش علاء الدين منشغلا في فتح وارانجال عاصمة كاتاكيا، شن المغول هجوما في أغسطس ١٣٠٣ على دهلي وكان علاء الدين قد تمكن من الوصول إليها قبل الغزاة وهي تفتقر لاستعدادات دفاعية قوية ، تحصن علاء الدين في قلعة سيربي شديدة التحصين ، و نهب المغول دلهي وأحيائها ، لكنهم تراجعوا في النهاية بعد عدم تمكنهم من اختراق سيربي .

### معركة عمروها

وفي عام ١٣٠٤ بعد تسوية خلافات خانات المغول ، خططوا للهجوم على الهند لكن الخطة لم تتحقق ؛ وفي ديسمبر ١٣٠٥ ، أرسل دوا خان جيشا آخر تجاوز مدينة دلهي لشدة حراستها ، وتوجه إلى الجنوب الشرقي إلى سهول الغانج على طول سفوح جبال الهيمالايا ؛ هزمه جيش علاء الدين البالغ ٣٠ ألف جندي بقيادة مالك ناياك في معركة عمروها تم أسر وقتل عدد كبير من المغول .

### معركة رافي

في عام ١٣٠٦، غزا جيش مغولي أرسله دوا خان نهب الأراضي على طول الطريق إلى نهر رافي ؛ هزمته قوات علاء الدين بقيادة مالك كافور ؛ وتوقف الغزو لوفاة دوا خان المغولي نفس العام للتنازع حول خلافته.

### هجمات دهلي المضادة

قام مالك طغلق ، قائد جيش علاء الدين ، بالإغارة على الأراضي المغولية الواقعة في أفغانستان.

### توقف غزوات المغول

توقفت غارات المغول بوفاة دوا خان عام ١٣٠٦ لإنشغالهم بالخلافات حول من يخلفه ؛ فاستغل علاء الدين الفرصة وشن غارات منتظمة على الأراضي المغولية في أفغانستان تولاها مالك طغلق (السلطان غياث الدين طغلق فيما بعد) قائد علاء الدين .

### فتوحه الهندية

في نفس الوقت الذي تصدى فيه "علاء الدين" للمغول؛ فتح قائديه "ألغ خان" و"نصرت خان" سنة ٦٩٦ هـ/١٢٩٩ م حصن "رنتنبهور" أعظم حصون إقليم "راجبوتانا" بعد حروب دامية ، ثم إمارة "ميوار" ، وكانت أمنع إمارات "الراجبوت" لوجود قلعتها الحصينة على قمة جبل منحوتة في الصخر، وفتح قائده الحبشي "كافور" ، أقاليم "ملوة" والكجرات و"أوجين" و"دهري نجري" وديوكر ، وبحلول عام ٧٠٦ هـ/١٣٠٦ م كان قد فتح "الهندوستان" من "البنغال" إلى "البنجاب" ، تبعها بحملة هائلة سنة ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م أخضعت معظم جنوب الهند .

### هدم علاء الدين

#### صنم سومنات

قام أولوغ خان ! (السلطان محمد طغلق فيما بعد) عام ١٢٩٩ م بغزو ولاية الكجرات وبعد إنتصاره على فاجهيلا ملك كارنا نقل تمثال سومنات إلى دهلي ، وتقول مصادر أن حاكم جالور/ كانهاد ديفا استعاد التمثال لما هاجم جيش دهلي بالقرب من جالور ؛ ويشكك البعض بأنه إسترد تمثالا آخر من التماثيل العديدة التي أخذها جيش علاء الدين إلى دهلي(١٣٥) .

١٣٥ - سجل خسرو شعرا في كتابه "خزائن الفتوح" ما قام به السلطان من أعمال الانشاء والحروب والخدمات الإدارية.

## إغترار علاء الدين بانتصاراته وتفكيره في التنبؤ ( ادعاء النبوة )

إغتر علاء الدين بانتصاراته وضخامة ما جناه من غنائم ، فترأى له أنه قادر على فتح العالم بقاتته وجنده كما فعل الإسكندر الأكبر ، وتشبها به تُلَقَّب بالإسكندر الثاني ، وشطح به الخيال ليقس نفسه وقادته ، ويُقال أنه فكر في إعلان دين جديد هو فيه نبيا وقادته بمنزلة الخلفاء الراشدين<sup>(١٣٦)</sup>، ولكن عمه القاضي علاء الملك حذره بأن النبوة إنتهى زمانها وإنغلق بابها بعد رسول الله فعاد إليه عقله.

## مكانة العلماء لدى السلطان

### وخضوعه للشرع

كان السلطان علاء الدين يُقدر علماء الدين وكان من خاصة جلسائه القاضي مغيث الدين اليبانوي رأس الحنفية في الهند ، وكان له تأثير كبير على قراراته في كثير من الأمور ، وكان القاضي يعترض على كل ما يخالف الشرع ، ولا يخاف في الله لومة لائم فهو من ألزم السلطان بإيداع أموال الغنائم بيت المال ونهاه عن الإحتفاظ بها لنفسه ، وأقر له موقف الشرع في راتب الحاكم ونفقة بيته ، كما أفتى بقبول الجزية من الهندوس ؛ والزوم السلطان بتقييد البذخ في إنفاق أسرته .

وحققت سياساته نجاحا كبيرا ، ويصف "ابن بطوطة" علاء الدين بأنه كان من خيار السلاطين إستقام له المُلْك ٢٠ سنة نعم فيها المسلمون بالرخاء ، وسجل بَرَنِي (١٣٥٧-١٢٨٥ م<sup>(١٣٧)</sup>) "..... أن كل شئ سار طبقا لرغبته وإمتلأت خزائنه وأصبح كثير البذل و أسبغ رعايته على العلماء ، ومجد الشاعر أمير خسرو في قصيدته "خزائن الفتوح" ، إنجازات السلطان في الحرب والإقتصاد والمعمار .

<sup>١٣٦</sup> - كان علاء الدين معتزا بقيادة جيشه خاصة ظفرخان والنج خان القائد غازي ملك طُغلق الذين تلاشى خطر المغول على ايديهم وفتح ظفرخان والنج خان "رنتبهور" أعظم حصون "الراجبوتانا" بعد حروب دامية ، كما إعتز بقائده كافور الحبشى الذى فتح ملوة وكجرات وديوكر وجنوب الهند عام ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م ، وكان أكثرهم قُربا الى قلبه .

<sup>١٣٧</sup> - ضياء الدين بَرَنِي (١٢٨٥ - ١٣٥٧ م) مؤرخ ومفكر سياسي عاش في سلطنة دلهي إبان حكم كل من محمد بن طُغلق و فيروز شاه طُغلق، غطى كتابه "تاريخ فيروز شاهي" حكم غياث الدين بالبان إلى الست سنوات الأولى من حكم فيروز شاه طُغلق أي من (٦٦٢ هـ - ١٢٦٣ م) إلى (٧٥٨ هـ - ١٣٥٧ م). ، ولد لعائلة مسلمة من علية القوم سنة ١٢٨٥ م من مدينة بلند شهر ، كانوا يشغلون مناصب رفيعة في حكومة سلطنة دلهي. جده لأمه كان موظفاً مهماً لدى غياث الدين بالبان ووالده مؤيد الملك شغل منصب "نائب" لدى أركلي خان ابن جلال الدين فيروز خلجي؛ عمه علاء الملك كان (الكتول) رئيس الشرطة في دلهي إبان حكم علاء الدين خلجي.<sup>[٢]</sup> ترعرع في وسط متقف وكان من مريدي نظام الدين أولياء وصديقاً مقرباً للموسيقي والشاعر أمير خسرو ويبدو أنه عاش حياته منعماً غير مبال. لم يتقلد ضياء الدين برني أي منصب ولكنه كان نديماً للسلطان محمد طُغلق لسبعة عشر عاماً ؛ وبعد موت السلطان فقد الحظوة التي كان يتمتع بها لدى البلاط إثر تشجيعه لخواجة جهان الذي كان متصرفاً في غياب السلطان بتصيب ولد صغير سلطاناً ؛ دون أن يعلم أن فيروز بن طُغلق ابن عم السلطان الراحل قد بايعه الأمراء سلطاناً ، سجنه القادة خمسة أشهر ، وكاد بعض رجال البلاط بقتله ولكن السلطان فيروز بن طُغلق منعهم ، و صادر أملاكه فصار فقيراً وكان برني في التاسعة والستين. ، تحول برني لكتابة سيرة الرسول (سنة مجدي) ليكفر بها عن سيناته وطفق يكتب الكتاب تلو كتب كذلك مؤلفين تناول فيهما الحكم والدين والتاريخ وبهما كان يتمنى أن ينال رضا السلطان الجديد لكنه لم يفلح في ذلك إذ لم يكرمه السلطان على الكتابين ومات على فقره سنة ١٣٥٧ م.

## العمارة

وفى مجال العمارة قام بتوسعة مسجد قوة الاسلام وبنى منارة وبوابة ومدرسة تحمل إسمه "علائي دروزة" في مجمع قطب بدھلي عام ١٣١١ م .

## محاولات إغتياله

تعرض علاء الدين لعدة محاولات إغتيال قام ببعضها أقرب الناس اليه ؛ فرماه ابن أخيه سليمان شاه بسهم فى رحلة صيد فأغمى عليه ؛ فغطى العبيد جثته وإدعوا موته ، فذهب سليمان الى القصر ليُعلن نفسه سلطانا لكن علاء الدين كان قد أفاق وتوجه الى القصر فإتقلب العسكر الى جانبه وقتل ابن أخيه ، وأراد علاء الدين أن يستجلى من خاصته أسباب خروج الناس على السلاطين فحصروها فى انتشار الترف وغفلة الملوك عن سلوك الناس وإدمان الناس الخمر وعلانية شربها ، ومصاهرة الملوك والأمراء فيما بينهم.

فدس علاء الدين العيون والجواسيس للتعرف على المفاصد والمفسدين وقطاع الطرق وضرب بيد من حديد عليهم ، ومنع مجالس اللهو والطرب والخمر فى عموم البلاد حتى لا ينشغل الناس بها عن جهاد الهندوس والتتار وعاقب بائعى الخمر بالقائهم فى جب بظاهر دهلي ، وصادر أموال الخواص التى حصلوا عليها من السلاطين السابقين وأعاد توزيعها على الناس جميعاً ؛ ووضع قواعد لضبط الأسعار وفى هذا يقول ابن بطوطة كان يستجوب المحتسب يوميا بشأنها ؛ وكان أهل الهند يثنون عليه كثيرا لشدته فى رقابة الأسواق ، وابتكر من أجل هذا عقوبات شديدة مخالفة للشرع لم يقره عليها علماء الدين ، وهو ما دفع المؤرخون لوصفه بالقسوة والدموية ؛ فكان يأمر بقطع ما إختزله التجار من الأوزان غشا من لحومهم أحياء عظة لغيرهم وكان يُعين التجار والمزارعين على حل مشاكلهم فترة المجاعات ، فلما علم بغلاء أسعار اللحم لكثرة الضرائب على البقر أمر بالغائها ، وأعطى التجار أموالا لشراء البقر والغنم وبيعها لحساب بيت المال ولهم أجر على ذلك ؛ وإذا غلا الزرع باع ما لديه من مخزون حتى يرخص السعر.

## معارك علاء الدين الخلجي

٤	المواجهة الثانية للمغول، السلطان علاء الدين خلجي	١٢٩٨هـ/١٢٩٨م
٥	المواجهة الثالثة للمغول، السلطان علاء الدين خلجي	١٢٩٨هـ/١٢٩٨م
٦	المواجهة الرابعة للمغول، تغلق غازي الدين	١٢٩٨هـ/١٢٩٨م
٧	المواجهة الخامسة للمغول، مالك مانيك، مالك تغلق	١٢٩٨هـ/١٢٩٨م
٨	المواجهة السادسة للمغول، مالك نائب	١٢٩٨هـ/١٢٩٨م
٩	موقعة نيرواله في الكجرات، ألغ خان	١٢٩٨هـ/١٢٩٨م
١٠	حملة زانتبهور، ١٢٩٩هـ/١٢٩٩م	ألغ خان
١١	حملة تشيتور، ١٢٩٩هـ/١٢٩٩م	ألغ خان
١٢	حملة مالوا، ٧٠٠هـ/١٣٠٠م	عبد الملك شهاب الملتاني
١٣	حملة جالور، ٧٠١هـ/١٣٠١م	كمال الدين كرك
١٤	حملة تيلانق، ٧٠٢هـ/١٣٠٢م	مالك كافور
١٥	حملة ارنكال، ٧٠٩هـ/١٣٠٩م	مالك كافور



الخلجى دولة علاء الدين  
اللون الأخضر الفاتح خاضعة بالجزية

## مناورات مالك كافور لإغتصاب العرش في آخر سنوات السلطان

### من هو مالك كافور

حين تقدم السن بالسلطان علاء الدين وأصابه المرض ؛ أوكل تصريف شؤون الدولة ؛ الى الطواشى (الخصى) ملك كافور أكبر قادة جيشه وأحبهم الى نفسه ، وهو عبدا هندوسيا من "ماراثا" يقال ذو جمال جسدي ؛ أسره جيش علاء الدين عند غزوه ولاية الكجرات عام ١٢٩٩ ، فألحقه السلطان بالجيش وترقى بسرعة لنبوغه فأصبح قائدا كبيرا ؛ وفي عام ١٣٠٦ أرسله علاء الدين على رأس أحد فيالق جيشه إلى البنجاب لصد المغول وكان معه فيلقان يقودهما قادة كبار منهم مالك طغلق ؛ ثم تم تكليفه بسلسلة حملات كبرى فى ديكان أرست أسس القوة الإسلامية في تلك المنطقة فأخضع يادافاس (١٣٠٨) - وارانجال عام ١٣٠٩ - كاكاتياس عام ١٣١٠ (إستسلم حاكمها براتا بارودرا بعد حصارشهر ووافق على دفع الجزية) ، وأخضع دوارا سامودرا عاصمة هويسالاس (١٣١١) بقوة من عشرة آلاف جندي ، وغنم منها ثروة هائلة كجزء من مفاوضات السلام ووافق حاكمها على دفع الجزية ، و سيطر على البندا (١٣١١) ؛ وأعاد السيطرة على راما شاندرامادوراي في نفس العام ، وأينما حل تحصل على الكثير من الكنوز والعديد من الأفيال والخيول ؛ ما أسعد علاء الدين فكافأه بسخاء فميزه على كل مساعديه ورفع قدره فوقهم ؛ وأصبح علاء الدين مفتوناً بكافور .

في عام ١٣١٣ ضم كافور ديفاجيري الى دهلى لما إمتنع سينغانا (أو شانكاراديفا) خليفة راماشاندرام عن دفع الجزية ، وبقي كافور في ديفاجيري عامين من ١٣١٣ إلى ١٣١٥ ، أدار فيهما الإقليم بكفاءة ، حتى تم استدعاؤه بشكل عاجل إلى دهلي عندما بدأت صحة علاء الدين تتدهور ليكون بجانب السلطان نائبا له حتى وفاته عام ١٣١٦ ؛ فسلم كافور إدارة ديفاجيري إلى عين الملك مولتاني .

بلغت ثقة علاء الدين خلال مرضه أوجها فى كافور ، فليس له مطمع في العرش لأنه مقطوع لا ولد له ولا عائلة ؛ وأثارت هذه الثقة حفيظة منافسيه في البلاط ؛ ولما إستشعر خطرهم نصح السلطان بتطهير الإدارة فأعدم وزير البلاط شرف قاعيني وألغى منصب الوزير (رئيس الوزراء) وعزل العديد من ذوي الخبرة ؛ وزاد إستحواذ كافور على السلطة كلما زاد المرض على علاء الدين ؛ ووفقاً للمؤرخ عصامي أصبح كافور الحاكم الفعلي للسلطنة خلال الفترة الأخيرة فى حياة علاء الدين ولم يسمح لأحد برؤية السلطان .

لم تطمئن زوجة السلطان الثانية مهرو وشقيقها لنوايا مالك كافور بسبب إصغاء السلطان له فوقع بينهما وبينه العداء وحاولا التصدى له ؛ ولكنه إستبقهما وأقنع علاء

الدين بأن هناك مؤامرة لتسميمه تدبرها زوجته الثانية مهرو أم خضر خان ولى العهد وشقيقها ألب خان حاكم ولاية الكجرات بالتعاون مع والد زوجتا ابن السلطان خضر خان (ولي العهد) وشقيقه شادي خان ، بهدف دفع أطماع كافور وتمكين خضر خان من العرش ؛ فأمر علاء الدين بقتل الب خان خال ولديه وصهرهما ؛ ولما علم ابنه خضر خان ولى العهد وكان في مهمة خارج دهلي بمقتل خاله حزن حزنا شديدا فأغضب ذلك علاء الدين فنفاه الى عمروها ثم أمر بحبسه في قلعة جواليور ، وأمر كافور حراس القلعة دون علم السلطان بمعاملته بشدة دون إعتبار لذاته الملكية.

ولما أحس علاء الدين بدنو أجله وأصبح غير قادر على الحركة أو الكلام ؛ طلب من كافور إحضار ابنه خضر خان ولى العهد من سجنه فى جاليور ليتولى الحكم ، فراوغ كافور ولم يُنفذ أمر السلطان ، وتمادى بأن سجن شادي ابن السلطان الآخر ، وقام بترتيب اجتماع للسلطان مع كبار الأمراء وهو على فراش المرض لا يقدر على الكلام ؛ أبلغهم فيه إختيار السلطان ابنه الأصغر شهاب الدين البالغ من العمر ست سنوات للحكم تحت وصاية كافور دون أن يعي السلطان الأمر لضعفه الشديد وعدم تركيزه ، وإعتبر الأمراء بناء على تفسير كافور لهم بموافقة السلطان رغم صمته على ما ابلغهم به ،وسهل له الأمر الأمراء المتحالفين معه ؛ كمال الدين "قرق"من أصل أفغانى وضباط آخرين من غير الترك الذين تضامنوا لمواجهة أي تحرك مخالف لكافور .

أرسل كافور حليفه كمال الدين "قرق" لقمع تمرد الكجرات بسبب مقتل حاكمها ألب خان حاكم الولاية ؛ و إقترح عين الملك مولتاني حاكم ديفاجيري الكجرات بناء على طلب كافور بجيشه لقمع التمرد فقتل محافظها الجديد كمال الدين وتولى حكم الولاية.

ولما مات السلطان علاء الدين إتهم ضياء الدين براني مؤرخ الأسرة أن "بعض الناس" إتهموا كافور بتسميمه ، وأيا كانت الحقيقة فمن الواضح من تدبيره بتصعيد الطفل شهاب الدين سلطانا وإبعاد ابن السلطان الكبير ولى العهد عن العرش هدفه السيطرة على الحكم .

### مؤامرة مالك كافور

#### يوم موت السلطان

إنزع كافور خاتم الملك من إصبع السلطان قبل دفنه ؛ وأعطاه أحد جنرالاته المقربين ، وطلب منه السير إلى قلعة جواليور حيث سجن ولى العهد ويأمر حاكم الحصن بسلطه الخاتم الملكى بترك مسئولية الحصن له ويرحل إلى دهلي ، ثم يقوم هو بفقئ عيون ولى العهد السجين خضر خان ، وكافأه على ذلك بمنصب أمير الحجاب ،



وأمر حلاقه الشخصى بأن يفتأ عينا شادي خان الإبن الثانى لعلاء الدين ، ثم تطاول على ملكة جهان حرم السلطان علاء الدين الكبرى بحرمانها من مخصصاتها وممتلكاتها والقاها فى سجن حصن جوالبور ؛ و سجن مبارك شاه الإبن الثالث للسلطان (السلطان مبارك فيما بعد) ، وحتى يُضفى الشرعية على وصايته العرش تزوج كافور وهو خصى بجاتيابالى أرملة علاء الدين الراجبوتية ووالدة السلطان الطفل شهاب الدين ؛ قبل إنقضاء عدتها بحسب فيريشته .

### إغتيال كافور

#### و إعتلاء مبارك العرش

حرضت أرملة علاء الدين بعض حراس كافور على قتله إنتقاما لما فعله بأبناء سيدهم السلطان السابق علاء الدين ؛ فقتلوه وقطعوا رأسه فى فبراير ١٣١٦ ؛ ويروى فيريشته القصة على نحو آخر فيقول أرسل كافور بعضا من حرسه ليفتأوا عينا الأمير مبارك شاه ، لكن الأمير الأسير أعطاهم عقدا مرصعا بالجواهر وأقنعهم بقتل كافور ففعلوا وحملوا رأسه الى مبارك شاه فى محبسه بالقصر وأطلقوا سراحه ؛ فتولى وصاية العرش على أخيه ؛ وبعد بضعة أشهر سمل عينا السلطان الطفل أخيه غير الشقيق شهاب الدين وخلعه من الحكم وسجنه فى جوالبور بعد أن قطع إصبعه ؛ وأخذ البيعة لنفسه سلطانا سنة ٧١٦ هـ / ١٣١٦م وهو فى ١٧ من العمر ، كما أعدم قتلة كافور أصحاب الفضل فى وصوله الى العرش لما طالبوه بمناصب عليا فى الديوان الملكي.

### تردد الوزير مولتانى

#### فى قبول تولى مبارك العرش

ارسل كافور قبل إغتياله بأيام الوزير عين الملك مولتانى لسحق تمرد ولاية الكجرات، وهو فى الطريق كان قطب الدين مبارك شاه قد تولى الحكم ، فأرسل مبارك طغلق برسالة الى مولتانى يأمره بمواصلة السير إلى الكجرات لكنه رفض تنفيذ الأمر لأن ضباطه لم يتحققوا من توليه العرش ؛ فعاد طغلق الى دهلي ونصح السلطان بإرسال تفويضات ملكية الى القادة يؤكد فيها توليه الحكم ، فلما فعل بنصيحته إستأنف مولتانى ومعه طغلق السير إلى الكجرات.

(٣)  
السلطان  
قطب الدين مبارك الخلجي  
نهاية الدولة الخلجية

السلطان الفاسق

بدأ السلطان الجديد بداية موفقة فرفع كثيرًا من الضرائب عن كاهل الناس وأعاد الأراضي المغتصبة لأصحابها وأطلق المعتقلين ، إلا أنه إنقلب فجأة وبدأ يتجاهل الواجبات الإلزامية للحكم وإنغمس في الفساد الذي بدأ يترأى علنا في أنحاء دهلي فأبطل ما كان السلطان علاء الدين قد أبطله من مظاهره ، فعادت الخمر إلى الظهور والصبية والمطربات بعدما أصبح السلطان نفسه منغمسا وبشكل صارخ في المعصية والفجور بشكل علني .

إنجرف السلطان الى الرذيلة وأصبح مفتونا بإبنا باروار وهما شقيقين حسنا الصورة من الهندوس ؛ أسرهم جيش والده علاء الدين من أحد المعسكرات في في إحدى حملاته في مالوا عام ١٣٠٥م ، وكلف علاء الدين حاجبه الخاص بالإشراف على تربيتهما ؛ فإعتنقا الاسلام وتسمى أحدهما حسن (خسرو خان) والآخر حسام الدين ؛ وكانت لحسن مكانة مميزة عند السلطان مبارك ، ولم يُخف السلطان علاقته الفاحشة به فقد كان يحتضنه ويُقبله في العلن (١٣٨) ؛ وأغدق عليه العطاء فأقطعه بعض الأراضي وعينه قائدا في الجيش ولقبه خسرو (خسرو خان) ؛ وعين شقيقه حسام الدين حاكما لولاية الكجرات .

كان السلطان يُعاملهما بلين لا مبرر له حتى في المسائل التي تتطلب الشدة ولها في الشرع أحكام ؛ ووفقا للمؤرخ ضياء الدين براني ؛ لما إرتد حسام الدين عن الإسلام إقتاده القادة المحليون إلى دهلي مقيدًا بالسلاسل لعرضه على السلطان فما كان منه إلا أن صفعه ترضية للقادة ثم إسترضاه بعدها بتعيينه في وظيفة عالية في الديوان السلطاني ، كما وافق السلطان بدون ميرر لخسرو على تكوين مليشا خاصة به قادتها هندوس ، فقد كانت رغباته بالنسبة للسلطان أوامر على رقاب رجال البلاط ، وقد أثبت حسن(خسرو) جدارة عسكرية بتحقيقه العديد من الإنتصارات ، ففي عام ١٣١٧ م تمكن من القبض على زعيم يادافا الهندوسي المتمرد ومعه رئيس وزرائه ؛ وفي العام

١٣٨ - براني ص٣٨٣-٨٤ حسبما ذكره الشاعر أمير خسرو مؤرخ بلاط الخجيين.

التالي حاصر وارانجال لمعاقبة حاكم پراتا پارودرا لعدم دفعه الجزية لدلهى وأرغمه على دفعها بانتظام (١٣٩).

تذمر الأمراء من علاقة السلطان المُشينة بخسرو وتأمروا على خلعه وتنصيب ابن خضر خان أخى السلطان ذو السنوات العشر الحكم ، و لما علم السلطان بذلك وكان فى طريقه الى دولة أباد على مسيرة ٤٠ يوما من دلهى (١٤٠)؛ و معه الصبى المعنى بهذا الموضوع ؛ أمر السلطان بإحضار الطفل المذكور وأمسك برجليه وأطاح به ضاربا رأسه فى الصخر فتناثر مخه ؛ وأمر بقتل أخوته الثلاث أبناء السلطان الراحل علاء الدين السجناء بقلعة جوالبور ، وهم خضر ولى العهد السابق و والد الصبى المرشح للحكم الذى قتله السلطان ، وشادى خان وأبو بكر خان الذين سمل كافور أعينهما سابقا كما أمر بقتل السلطان المخلوع الطفل شهاب الدين (١٤١).

### إغتيال خسرو خان السلطان مبارك (دموية جماعة الإغتيال الهندوسية)

ولما ضاق خسرو ذرعا بإغتصاب السلطان مبارك له ؛ خطط للتخلص منه بالتعاون مع بعض الكارهين له منهم بارانى ؛ وكانوا وقتها فى جنوب الهند فى حملة عسكرية محتجزين بفعل الأمطار الموسمية ؛ إستشعر بعض القادة بالمؤامرة فحرصوا على إبلاغ القاضى ضياء الدين حاجب السلطان الخاص بعد العودة لدلهى ؛ ولكن السلطان رفض بغضب التحقيق فى الأمر لفرحته بالغنائم الطائلة التى أحضرها خسرو وبارانى من الجنوب وهى مئة فيل وكنوز الخواجة تقي الذى احضره خسرو أسيرا ؛ والأدهى أن السلطان تقبل مبررات خسرو وعاقب الوشاة بتخفيض رتبهم وحرمانهم من مخصصاتهم .

وعند تنفيذ المؤامرة ؛ مهد خسرو لدخول مسلحيه الى القصر بدعوى مقابلة السلطان لإعلان إسلامهم على يديه وتسلم جائزتهم ؛ وفى ليلة ٩ يوليو ١٣٢٠ تسلل عدد منهم بقيادة عمه بارادو بخناجرهم مخفاة تحت ملابسهم ؛ ولما فوجئوا بنوبة تفتيش القاضى ضياء الدين على حرس القصر قتلوه ؛ فسمع السلطان جلبة العراك فأقنعه خسرو خان وكان بصحبته فى الطابق العلوي ، بأن الحراس يطاردون بعض الخيول الهائجة ؛ ونجح رجال خسرو فى الوصول الى الطابق العلوي حيث مقر

١٣٩ - لم يتضمن حصر د. جرانه عملياته الحربية ؛ باعتبارها تأديبية لمن إمتنع عن دفع الجزية.  
١٤٠ - وصف ابن بطوطة الطريق والتسهيلات التى وفرها السلاطين عليه لراحة المسافرين قائلا " تكتنف الأشجار جانبى الطريق وكأنه بستان ، مجهز كل ميل بثلاث داوات (مقر خدمات البريد) ، وفى كل داوة ما يحتاجه المسافر يمشى فيه وكأنه يسير فى سوق مسيرته ٤٠ يوما حتى يصل بلاد التلنك والمعبر على مسيرة ٦ شهور ، وفى كل منزلة قصر للسلطان وزاوية للصادر والوارد فلا يفتقر الفقير لحمل زاد فى ذلك الطريق ( ذكر البعض أن محمد طُغلق هو من جهز الطريق على النحو المشار اليه لراحة المهاجرين الى عاصمته الجديدة لكن ما ورد فى وصفه كان فى عهد مبارك الخلقى قبل عهد محمد طُغلق بعقود ).  
١٤١ - أرملة السلطان الراحل علاء الدين ، أم شهاب الدين هى ابنة راما شاندرنا صاحب ديوجير (ابن بطوطة ص ١٣١ )

السلطان وقتلوا حارسا السلطان الخاصين ؛ فأدرك السلطان الأمر وحاول الهرب إلى الحرم ملك فإعترضه خسرو وأوقعه أرضاً وجلس على صدره حتى إجتز أحد رجاله رأس السلطان وألقي به في فناء الطابق الأرضي فهرب بقية الحرس السلطاني ، و ذبح المسلحون من فى القصر .

إقتحم رجال بارادو ( عم خسرو ) سكن الحريم بحثا عن الأمراء وقتلوا أكبرهم فريد خان ( ١٥ عامًا ) وأبو بكر خان ( ١٤ عامًا ) بعد أن سمحوا لهما بأداء الصلاة ، وقتلوا والدة السلطان وفقوا أعين إخوة السلطان المغتال وأبناء السلطان الراحل علاء الدين الباقر بهاء الدين خان ( ٨ سنوات ) وعلي خان ( ٨ سنوات ) وعثمان خان ( ٥ سنوات ) وأودعوه السجن بالقصر الأحمر ( قصر لال ) .

وبعد أن أصبح القصر تحت سيطرة الفريق الهندوسى ؛ أقنعوا خسرو خان بالتخلي عن تثبيت أحد أبناء السلطان القاتل مبارك شاه على العرش خوفا من أن يقتص منه ومنهم لمقتل أبيه السلطان ، ونصحوه بإرتقاء العرش بنفسه ، وتحقيقا لهذا المخطط إستدعى المتآمرون قادة الدولة الى القصر فى منتصف الليل وإحتجزوهم حتى شروق الشمس ؛ حتى قبلوا خسرو خان سلطانا بلقب ناصر الدين وكتب بذلك إلى جميع حكام الأقاليم ، وبعث لكل أمير خلعة فأذعنوا جميعا بالطاعة إلا طغلق الأب أمير دبالبور من بلاد السند الذى طرح خلعة السلطان خسرو خان بالأرض .

كافأ خسرو خان شركاء التآمر وأهمهم شايستا خان بتعيينات فى مناصب هامة ؛ فعين شايستا وزيرا للحرب وأعطى جهاري قاتل السلطان لؤلؤ وماس ( ١٤٢ ) ؛ وكافأ عائلة بارادوس الهندوسية أقارب خسرو خان بألقاب وأموال فحصل حسام الدين الأخ الأصغر لخسرو خان على لقب خان خنان ، وحصل عمه راندهول على لقب راي ريان ومعها بيت وثروة بالإضافة لعبيد القاضي ضياء الدين القاتل بعد فرار زوجته وإبنة خوفا ، ومنح خسرو خان عماء وهما من البراهما أعلى المناصب فى فرقة بارادو العسكرية التابعة له .

### وبذلك سقطت دولة الخليجين

## السلطان ناصر الدين خسرو خان الهندوسي / المسلم

### تمهيد

هو حالة فريدة ومنفردة سلطان قائم بذاته ؛ فرض عليه السلطان الراحل علاقة شاذة جبرا ؛ فاستنفر عصبته الهندوسية لينتقم لذاته ؛ فإذا به بين ليلة وضحاها سيد العرش بمحض الصدفة ، ليقع من جديد ضحية لجماعته من الهندوس الذين جروه الى نهايته بتجرؤهم على المقدسات الإسلامية.

### بهجة الهندوس

إبتهج الهندوس بصعود خسرو العرش بإعتباره سلطانا من أصول هندوسية وإطمأنوا الى إنحيازه باطنيا اليهم بعدما حرم ذبح البقر وتراخيه في التصدى لتجاوزهم الحدود بعبادتهم أوثنانهم في القصر ؛ ويُعدد براني تصرفاتهم المسيئة للإسلام بالجلوس علي القرآن ، و يُقال أن خسرو إستعبد نساء قطب الدين الخلجي ووزعهن سبايا على البارادو جماعة الإغتال الهندوسيه ، وأدت هذه التجاوزات الى غضب القادة والجماهير .

### الإطاحة بـ خسرو خان

كان طُغلق حاكم دييبالبور / البنجاب (السلطان غياث الدين فيما بعد) ، غير راض عن إعتلاء خسرو العرش ، وعبر عن تدمره بإزدراء خلعة السلطان خسرو التي تقرب بها الى حكام الأقاليم بطرحها أرضا وجلس فوقها ، ولكنه كان يفتقد المقدرة على فعل شيء فما لديه من قوات قليل ولا تضاهي الجيش الإمبراطوري ؛ ولكن ابنه جونا (اعتلى العرش لاحقا باسم فخر الدين محمد بن طغلق) بادر وبعض زملائه في التخطيط سرا للإطاحة بخسرو خان وأرسل إلى والده في دييبالبور طالبا مساعده في الأمر ، وكان جونا ضابطا رفيع المنصب بالقصر بمرتبة وزير يتولى الإشراف على الخيول منذ عهد السلطان المُغتال مبارك أبقاه السلطان خسرو خان في منصبه بعد الانقلاب .

وافق طغلق الأب على تنفيذ الخطة وحاول إشراك حكام الأقاليم المجاورة لحشد قوة كافية ؛ فأرسل الى بهرام حاكم أوتش (المعروف أيضا بـ / كشلو خان) ؛ فتحفظ لوجود ابنه في دهلي وإشترط إخراجة أولا منها قبل أن يدعمه ؛ و وافق والي السند رغم تمرد ضباطه ولما حل مشكلته معهم كان طغلق قد اعتلى العرش فعينه حينها حاكما على أجمر؛ و رفض حاكم مولتان الإنضمام الى طغلق ؛ فقام سراج ابن

بهرام صديق طُغلق بعد تحقيق طُغلق طلبه بعودة ابنه من دهلي ؛ بتحريض قوات الولاية على التمرد وكان واليا عليها سابقا وله معارف بها ؛ وهزموا حاكم مولتان وإجهزوا عليه ، ومع ذلك لم ينضم جيش مولتان إلى قوات طُغلق في معركة دهلي ضد السلطان .

أما ياك لآخي والي سمانه وهو في الأصل عبداً هندوسياً ؛ فقد إنحاز الى خسرو ورفض دعم طُغلق و أرسل محذرا خسرو خان من مؤامرة طُغلق ؛ وبادر من تلقاء نفسه بمهاجمة ديبالبور مقر طُغلق ولكنه فشل في إقتحامها وعاد إلى ولايته ليُعد العدة للانضمام إلى السلطان في دهلي لصد المتمردين ، لكن المواطنين الغاضبون قتلوه قبل أن يتمكن من فعل ذلك .

وراسل طُغلق صديقه مولتاني وزير البلاط طلبا لنصرته ، لكن الوزير وهو رجل متردد أثر الحيلة وأفشى الأمر للسلطان خوفا من تسربه اليه ؛ ولما خاطبه طُغلق ثانية أبلغه بأنه لن ينحاز إلى أي طرف في المعركة لكنه سينسحب عند اقتراب قوات طُغلق من دهلي ، وبإمكان طُغلق بعد ذلك عندما يصبح سلطانا الاحتفاظ به أو قتله<sup>(١٤٣)</sup> .

### قصة ابن بطوطة عن المؤامرة

#### (هروب فخر الدين جاونا (الغ) بن طُغلق)

ونسلم ما قاله ابن بطوطة بتصريف عن سير المؤامرة فيقول :

"ولى السلطان مبارك مالك طُغلق عمالة ديبالبور وجعل ولده جونة أمير خيله ، ولما تولى خسرو خان الحكم أبقى جونه في منصبه ، وعندما فكر طُغلق في التمرد لم يكن لديه سوى ثلاثمائة من أصحابه يعتمد عليهم في القتال ، فكتب إلى كشلو خان والي ملتان يطلب نصرته ؛ فقال له كشلو خان لو كان ولدي عندي لأعنتك وكان ولده بداهلي ؛ فكتب طُغلق إلى ولده جونه (محمد شاه) يعلمه بما عزم عليه ويأمره أن يفر إليه ومعه ابن كشلو خان دون أن يلفت نظر عيون خسرو؛ وقام في نفس الوقت بتأمين طريق هروبهم من دهلي الى ديبالبور .

قام جونه بتنفيذ خطة والده ، وتحجج للسلطان بأن الخيل سمنت وتحتاج تضمير (أي بتخصيسها بالمسير فترات طويلة لتضمير)، فكان يخرج بها مع أصحابه كل يوم وعود إلا في يوم هروبهم طال غيابه إلى وقت الزوال، وهو وقت طعامهم فأمر السلطان بالركوب في طلبه فلم يجدوا له خبر ، وعندما علم خسرو خان بحشد طُغلق

<sup>١٤٣</sup> - كان للعلاقة السابقة بين مولتاني وطُغلق المشار إليها آنفا في حملة إخمادها تمرد ولاية الكجرات في آخر عهد السلطان علاء الدين بتكليف من مالك كافور، ظلها على طلب طُغلق من مولتاني تأييد الانقلاب لما بينهما من علاقة سابقة ، ويتظهر موقف مولتاني الراض عن عدم إنحراف ولانه الوظيفي للحاكم بصرف النظر عن صلاحه من عدمه ، لما رفض الانقلاب على خسرو خان .

جيشاً ، نصحه مستشاروه بالقضاء على بقية اسرة علاء الدين يحق لهم إرتقاء العرش ؛ فأمر بقتل أطفال السلطان علاء الدين الذكور الثلاثة الذين سبق أن فقأ عيونهم ومعهم المتصوف مالك نصرت ابن أخت علاء الدين (١٤٤) ."

### معركة ساراسواتي

#### طُغلق بين الهزيمة والنصر

ولأول مرة في تاريخ الحقبة ، حارب هندوسا في صفوف جيشا المسلمين المتناحران ؛ فحاربت جماعة بارادو في صفوف جيش دهلي مع خسرو ضد غريمه المنقلب عليه غازي مالك طُغلق الذي شكل الخوخار الهندوس القوة الأساسية في جيشه لقرابة بينه وبينهم ولعشرته معهم في منطقة ولايته (١٤٥) ، وإذا ما قارنا ذلك بما جرى في عهد السلطانة راضية فالهندوس حاربوا كمرتزقة في صف طرف مسلم واحد .

قصد المتمردون دهلي وفي طريقهم صادفتهم قافلة قادمة من السند بالجزية ومعها عدد من الخيول فإستولوا عليها ووزعوا الغنائم بين الجنود ؛ فإستفز الأمر السلطان فأرسل أخاه خان خانان من دهلي على رأس جيش يضم ٤٠ ألف فارس بين صفوفه تشكيل من جماعة بارادو الهندوسية التي ينتسب اليها خسرو خان قادوا الجناح الأيمن (١٤٦) ؛ وكانت تفصل صفوف الجيش الثلاث اليمين والوسط واليسار أعمدة.

وضم جيش طغلق فريقا من جات قبائل ميواس الهندوسية من البنجاب التي منهم جده محمد طغلق ؛ فكانت طليعة جيشه من الخوخار بقيادة الزعيمين جول شاندرنا ونيجو ؛ وبحسب المؤرخ خليك احمد نظامي كان لهم فضل إرباك طليعة جيش دهلي المنهك من مسيرته ليلا في البرية وفقا لطغلق ناما ؛ وأسر قائدها على قتلوه الذي أفصح عن هويته وطلب نقله الى طغلق معتقدا أن في هذا إنقاذه ؛ لكنهم تجاهلوصياحه وقطعوا رأسه.

ولما إندحرت طليعة جيش دهلي فر قائده خان خانان ومعهم معظم القيادات ومعهم فريق بارادو الهندوسى ، وحسم زعيم الخوخار جول شاندرنا الأمر بإختراقه قلب جيش دهلي حتى وصل مظلة القيادة وقتل حاملها وأخذها الى طغلق وعلقها فوق

<sup>١٤٤</sup> - تزوج خسرو خان بأرملة السلطان القتيل مبارك شاه بعد أيام من توليه الحكم قبل إتمامها العدة بالمخالفة للإسلامية التي لا يحق للأرملة أن تتزوج قبلها ، ويذكر المؤرخ براني ؛ أن الزواج أبطل بعد موت خسرو خان ،... وأيده تاريخ فيريشتا - نقلا عن محمد حبيب ص - ٤٤٦ ، ولعل هذا سبب إعدام طغلق تلك السيدة بتهمة الزنا .

<sup>١٤٥</sup> - يقول مير خسرو مؤرخ بلاط الطغلق ، تألف جيش طغلق الصغير نسبياً من محاربين أترك ، مغول ، يونانيون ، روس ، طاجيك وخراسانيين ، ويضيف اليهم الباحث الهندي عناصر من قبائل هندية هم " بانارسي براساد ساكسينا " الخوخار والمواتيس وجات ( الميوس ) .

رأسه إعلاناً لإنتصاره ؛ أشرف طُغلق على جمع الغنائم ؛ وسامح الأسرى من جيش دهلي فإِنضم اليه عسكر السلطان وأعاد ترتيب جيشه ثم سار الى دهلي.

### معركة لاهروات

خرج خسرو خان من دهلي في جيش آخر لقتال طُغلق ؛ وعند آصيا أباد أمر بفتح الخزائن وبدر الأموال بلا عد على الجنود ؛ وقاتل الهنود قتلاً شرساً فإِنهزمت عساكر طُغلق ونهبت محلته وأصبح في قلة من عسكره ومنهم أصحابه الثلاثمائة ، ولكن الحظ إنقلب لصالحه لما إنشغل عساكر خسرو خان بالتهب وتفرقوا عن السلطان ولم يبق معه إلا نفر قليل ؛ فلما أدرك طُغلق وأصحابه تفرق العسكر عن السلطان هاجمه وهو تحت مظلته ، ففر حرس السلطان وتركوه وحده ، فنزل عن فرسه ورمى بثيابه وسلاحه وأرسل شعره بين كتفيه كما يفعل فقراء الهند وإختفى في بستان قريب .

### طُغلق و كشلو خان

#### يتعازمان أيهما يتولى الحكم

بعد هروب السلطان قصد طُغلق دهلي ونزل بالقصر وتجاوز مع كشلو خان صديقه وزميله في القتال متسائلاً ايهما يحكم البلاد ؛ فرشح كل واحد منهما الآخر لتولى الحكم ، ولحسم الموقف بسبب تعازمهما رشح كشلو خان محمد ابن طُغلق للحكم كحل وسط ؛ بقائلاً " إن أبيت أن تكون سلطاناً فيتولى ولدك ؛ لكن لسبب في نفسه رفض طُغلق هذا الإقتراح ووافق على أن يتولى الحكم بنفسه وبإيعه الخاص والعام (١٤٧).

### إعدام خسرو خان

وبعد ثلاثة أيام من هروب خسرو خان اشتد به الجوع ، فخرج بحثاً عما يقات به فعثر على حارس بستان فأعطاه خاتمه ليبيعه وشراء طعام فشك التجار في أمر حيازته خاتم ثمين كهذا فأبلغوا أمره الى السلطان طُغلق فإعترف عن صاحب الخاتم فبعث السلطان ولده محمداً ليأتي به ؛ فلما مثل بين يديه قال له إني جائع فلما أكل قال: يا طُغلق افعل معي فعل الملوك ولا تفضحني فقال له لك ذلك وأمر به فضربت رقبتة في الموضع الذي قُتل فيه قطب الدين ورموا برأسه وجسده من أعلى السطح كما فعل مع قطب الدين، وبعد ذلك أمر بغسله وتكفينه ودفن في مقبرته وهو ما يعنى أنه لم يكن مرتداً في أى وقت ، واستقام الملك لَطُغلق أربعة أعوام وفي قول آخر ستة أعوام ؛ وكان عادلاً فاضلاً "

الباب الثالث

<sup>١٤٧</sup> - ومن غرائب الأمور أن محمد طُغلق (جونة) بعد أن أصبح سلطاناً بعد وفاة والده ؛ تنكر لهذا الرجل (كشلو خان) ؛ وإجتز رأسه لما استنكر تصرفاته الوحشية .



## دولة الطغلقا

## تمهيد

تركت سلالة الطغلقا ظلالة رمادية على تاريخ الحقبة الإسلامية ؛ فسلطانها الثانى فخر الدين / محمد بن طُغلق الذى طال عهده لربيع قرن حكم الفترة ٧٢٥- ٧٥٢ هـ / ١٣٢٥-١٣٥١ م ؛ هو بيت القصيد فى بحثنا وعصب إتهام المؤرخين للحقبة الإسلامية بالدموية ، وقد أتحفنا ابن بطوطه الذى عاش فى كنفه وقريبا منه لثمان سنوات ؛ بفصل كامل ومطول فى كتابه عن سلوكه الدموى (١٤٨).

والغريب أن هؤلاء المؤرخون تجاهلوا فى مجمل إتهاماتهم الإشارة اليه بالإسم ؛ بينما إنصبوا بإتهاماتهم على معظم سلاطين الفتح الكبار محمود الغزنوى والغورى وأورنجزيب ؛ ويثير هذا التجاهل التساؤل حول غموض أصل سلالة الطغلقا فمن قائل أنهم إستقروا فى الهند وتقاسموا الدماء الهندوسية مع أهلها ، وهناك من يقول أن الجد الأكبر للأسرة تزوج نجاحات Najhat وهى سيدة من أشراف الهندوس بوها راجا (ملك) ديبالبور (١٤٩-١٥٠) ينتمى لعرق جات Gat أنجبت له طغلق الأب (السلطان غياث الدين طُغلق فيما بعد) ، والجات فرع من الخوخار أو من المجاورين لهم بالبنجاب.

وقد يكون من دواعى هذا النسب ؛ ميل السلطان محمد طغلق لإستخدام الحرفيين الهندوس بكثرة فى القصر وعدم التعرض لحريتهم الدينية أو التعرض لمعابدهم ، وكان معروفا عنه أنه كان مُجاملا يحضر إحتفالات الهندوس بأعيادهم ؛ ومن الأدلة التى نسوقها على تجاوبه مع بعض مقدساتهم تقديم لحم الأحصنة فى ولائم القصر على نطاق واسع ؛ ولا نعرف إن كان هذا بسبب مراعاته تقاليد الهندوسية فى عدم ذبح البقر أم لا ؛ وقد يكون هذا النسب أيضا من دواعى دعم الخوخار والجات لطغلق الأب فى حربه ضد خسرو خان .

ويشهد تاريخ السلطان محمد طغلق له بدقة التنظيم وثناء عهده وعظم إقتصاد دولته ما أتاح له الإغداق ببذخ فادح على إحتفالاته وفتوحه وكرمه العظيم على كل من رضى عليه ؛ فبدد ثروات البلاد ؛ فإنتكست فى نهاية عهده أحوال السلطنة السياسية والإقتصادية والحربية ، ولحقت بقواته الهزيمة الواحدة تلو الأخرى ؛ وأغرى ضعفها حكام الأقاليم على الإستقلال فإنفصل عنها ١٥ إقليم .

١٤٨- الثانى عشر من الجزء الثالث من كتابه

١٤٩- دوي ، جيمس م. البنجاب الشمالية الغربية الحدودية وكشمير (١٩١٦). كامبريدج ، إنجلترا: مطبعة جامعة كامبريدج. ص .

١٧١

١٥٠- دوي ، جيمس م. (١٩١٦) كامبريدج. ص ١٧١ .

### من أهم أحداث عهد الطغالقة :

- تأجج الحرب الأهلية فى دهلى وتقسيم الحكم بين سلطانين / ناصر الدين نصرت شاه طغلق الذى أقام من نفسه سلطانا فى فيروز آباد حاكما غرب البلاد الفترة (١٣٩٤-١٣٩٨) ؛ وبين ناصر الدين محمود شاه بن محمد شاه بن فيروز شاه سلطان دهلى وحاكم شرق البلاد الفترة (١٣٩٤-١٤١٣) .

- جر هذا الإنقسام على البلاد وبالا مغوليا مدمرا عندما غزاها تيمور لذك الغازى المرعب ؛ ودخل دهلى قاهرا منتصرا فى حدث غير مسبوق فى تاريخ السلطنة أن يغزو عاصمتها غازيا وهى التى قهرت جيوش المغول وحرمتهم الإستقرار فى الهند .

- كان من بين الخمس عشر إقليما التى انفصلت عن دولة الطغالقة فى نهاية عهدها ، إمارتين هندوسيتين فى البنغال والديكان تطمح لأول مرة بث روح الإستقلال لدى الهندوس عن حكم المسلمين ليبدأ فصل جديد فى تاريخ كل من سلطنة دهلى والهندوستان ؛ فوضع الأولى على طريق الإندحار ومعها حكم المسلمين ووضع الثانية على طريق بناء الوحدة الهندوسية ومن ثم إمبراطريتهم من جديد ، فبث قيام إمبراطورية فيجاياناجارا بالديكان روح المقاومة لدى قبائل الماراتا بالمنطقة فقاموا فيما بعد بالإستقلال عن سلطنة الديكان .

### ويهمنا من سلاطين الأسرة :

- غياث الدين طغلق مؤسس السلالة .
- محمد طغلق السلطان السادى .
- فيروز شاه ، السلطان الطيب .

معارك الطغاة  
١٣٢٠-١٤١٣

+سلالة السيد خضر خان + سلالة  
الخلجيين مبارك شاه

٢١	مواجهة لقوة الأفغانية، السلطان محمود شاه	١٤٠٦هـ/١٤٠٩م
٢٢	سقوط دلهي على يد اللوديين، السلطان ابراهيم لودي	١٤٠٧هـ/١٤١٠م
٢٣	فتح "هيسار فيروز"، محمود تغلق	١٤٠٨هـ/١٤١١م
٢٤	فتح قلعة "روهاك" و"فاتحبور"، خضر خان	١٤١٠هـ/١٤١٣م
٢٥	غزوة "مارنول و"ميوات"، خضر خان	١٤١١هـ/١٤١٤م
٢٦	احتلال "كوتلا و"تالوا"، خضر خان	١٤٢١هـ/١٤٢٤م
٢٧	احتلال "كابل"، السلطان مبارك شاه	١٤٢٣هـ/١٤٢٦م
٢٨	احتلال "ميوات"، السلطان مبارك شاه	١٤٢٤هـ/١٤٢٧م
٢٩	احتلال "بيانا"، السلطان مبارك شاه	١٤٢٦هـ/١٤٢٩م
٣٠	حملة ضد ابراهيم الشرقي، السلطان مبارك شاه	١٤٢٧هـ/١٤٣١م
٣١	إخضاع "كولبار و"زبيري"، السلطان مبارك شاه	١٤٢٩هـ/١٤٣٣م
٣٢	حملة ضد الشيخ علي، السلطان مبارك شاه	١٤٣٠هـ/١٤٣٤م

الرقم	اسم الواقعة وتاريخ وقوعها	قاتلها	المصدر
١	حملة لدكن، ١٣٢٢هـ/١٣٢٢م	أوغ خان	Majumdar.307
٢	حملة لدكن الثانية، ١٣٢٢هـ/١٣٢٢م	أوغ خان	البيديوني، ٢٩٧/١
٣	حملة "تيلانك"، ١٣٢٣هـ/١٣٢٣م	أوغ خان	البيديوني، ٢٩٩/١
٤	حملة البنغال، ١٣٢٤هـ/١٣٢٤م	السلطان غياث الدين تغلق	البيديوني، ٢٩٩/١
٥	موقعة "كاتور"، ١٣٢٩هـ/١٣٢٩م	السلطان غياث الدين تغلق	البيديوني، ٣٠٥/١
٦	حملة "ميهاتشال"، ١٣٣٧هـ/١٣٣٧م	السلطان غياث الدين تغلق	البيديوني، ٣٠٨/١
٧	موقعة "الخنسوتي"، ١٣٣٨هـ/١٣٣٨م	قندر خان	البيديوني، ٣٠٩/١
٨	حملة تركانو، ١٣٤٠هـ/١٣٤٠م	السلطان محمد بن تغلق	البيديوني، ٣٠٩/١
٩	موقعة "تيلانك"، ١٣٤١هـ/١٣٤١م	السلطان محمد بن تغلق	البيديوني، ٣٠٩/١
١٠	موقعة "كابل"، ١٣٨٠هـ/١٣٨٠م	السلطان فيروز شاه تغلق	البيديوني، ٣٣٥/١
١١	مواجهة المغول، ١٣٩٧هـ/١٣٩٧م	مالك تاج بختيار	البيديوني، ٣٥٢/١
١٢	مواجهة "تيمورلنك"، ١٣٩٨هـ/١٣٩٨م		البيديوني، ٣٥٥/١
١٣	مواجهة "تيمورلنك الثانية"، ١٣٩٨هـ/١٣٩٨م	محمود بن فيروز شاه تغلق	البيديوني، ٣٥٦/١
١٤	موقعة "كابل"، ١٣٩٩هـ/١٣٩٩م	إقبال خان	البيديوني، ٣٥٩/١
١٥	موقعة "تال"، ١٤٠٠هـ/١٤٠٠م	إقبال خان	البيديوني، ٣٦٠/١
١٦	موقعة "أودهان"، ١٤٠٠هـ/١٤٠٠م	خضر خان	البيديوني، ٣٦٠/١
١٧	موقعة "كولبار"، ١٤٠٢هـ/١٤٠٢م	إقبال خان	البيديوني، ٣٦١/١
١٨	موقعة "تيلانك"، ١٤٠٤هـ/١٤٠٤م	إقبال خان	البيديوني، ٣٦٢/١
١٩	موقعة "زوبار"، ١٤٠٥هـ/١٤٠٥م	إقبال خان	البيديوني، ٣٦٢/١
٢٠	موقعة "أودهان"، ١٤٠٥هـ/١٤٠٥م	إقبال خان	البيديوني، ٣٦٣/١

٢١	مواجهة القوة الأفغانية، ١٤٠٦هـ/١٤٠٦م	السلطان محمود شاه
٢٢	سقوط دلهي على يد اللوديين، ١٤٠٧هـ/١٤٠٧م	السلطان ابراهيم لودي
٢٣	فتح "هيسار فيروز"، ١٤٠٨هـ/١٤٠٨م	محمود تغلق
٢٤	فتح قلعة روهتاك وفاتحپور، ١٤١٠هـ/١٤١٠م	خضر خان
٢٥	غزوة تارنول وميوات، ١٤١١هـ/١٤١١م	خضر خان

(١)  
السلطان  
غياث الدين طُغلق  
١٣٢٠ - ١٣٢٥ م  
مؤسس أسرة الطغلقية

### أصوله وسيرته

ينحدر غازي مالك (اسمه قبل تولي الحكم) طُغلق حسب تاريخ فيريشته من أصول تركية / هندية مشتركة من أب تركيٍّ من القرونة وأم أميرة هندوسية من عرقية جات البنجاب ، ويذكر مير خسرو مؤرخ بلاط الأسرتين الطغلقية في كتابه طغلق ناما أن مؤسس الأسرة بقي بلا مناصب لفترة قبل أن ينضم إلى الحرس الإمبراطوري للسلطان الطيب جلال الدين الخالجي ؛ لعدم قدرته على منح ولاءه إلى علاء الدين قاتل السلطان ؛ نقلته كفاءته إلى الحربية إلى الصدارة في جيش علاء الدين لمهارته القتالية كواحد من عظماء قادة جيوش علاء الدين (١٥١) الذين خاضوا معارك طاحنة هزموا فيها عتاة المغول خانات جغتاي في عمرها عام ١٣٠٥ وعام ١٣٠٦ م .

ولخبرته في قتال المغول عينه السلطان علاء الدين حاكما على المقاطعات الحدودية ملتان ومن بعدها ديبالبور التي يعبر منها المغول إلى الهند ؛ ويذكر مير خسرو أن غياث الدين طغلق هزم المغول ١٨ مرة بينما يصل بها ضياء الدين براني في كتابه تاريخ فيروز شاهي إلى ٢٠ مرة ؛ ويزيدها ابن بطوطة إلى ٢٩ انتصارا على التتار الترك والمغول رآها في نقش بجامع ملتان ، قد يكون بعضها مناوشات على الحدود ، وعلى أية حال كان غياث الدين طغلق قاسيا في تعامله مع أسرى المغول فقتل مبعوثي جغتاي خان ؛ وفي نهاية عهد علاء الدين ، قام هو (طغلق) ومولتاني وزير الدولة قبل موت مالك كافور وبناء على تكليف منه بقيادة حملة للقضاء على تمرد ولاية الكجرات كما سبقت الإشارة .

### غياث الدين سلطانا

وتولى غازي مالك حكم دهلي عام ١٣٢٠ وتلقب بإسم غياث الدين طُغلق ، ويصفه ابن بطوطة بأنه كان فاضلا عادلا ، وفي عام ١٣٢٣ فتح ابنه الأكبر وولى عهده وقائد جيشه أولوغ خان (ويُسمى أيضا جونه خان وهو فيما بعد السلطان محمد

<sup>١٥١</sup> - مالك نايك و مالك كافور.

طُغلق) وارانجال وسماها سلطانبور وغنم وسبى وقضى على سلالة كاكاتيا ؛ وفي عام ١٣٢٤ ، تدخل طغلق في الحرب الأهلية للبنغال لدعم ناصر الدين وجعلها على دولة تابعة وضم شرقها أيضا ؛ وفي طريق عودته إلى دهلي في فبراير ١٣٢٥ قاتل تيرحوت شمال بيهار في أفغانبور .

### ثراء السلطنة

#### وتجارتها الخارجية

ترك غياث الدين طُغلق المملكة من ورائه فى وضع إقتصادي جيد من جراء ما حصده من غنائم هائلة من فتوحه ؛ فرغم قصر عهده جمع ثروة عظيمة حتى أنه بنى صهريجاً كبيراً أفرغ فيه الذهب إفراراً فأصبح كتلة واحدة ، وعكست أعماله الإنشائية ثراؤه فبنى بقصرها الأعظم فى قلعة طُغلق آباد من قراميده مذهّبة، فإذا طلعت الشمس كان لها نور عظيم وبصيص يمنع البصر من إدامة النظر إليها ،وقد اختزن الأموال الكثيرة .

كما كانت المملكة فى وضع تجارى متعاضم ؛ وإستدل ابن بطوطة على ذلك بوجود عدد كبير من السفن الضخمة فى موانى الهند ؛ قدرها بمائتى ألف مركب صغير بجانب السفن الضخمة فى ميناء لکنهوتى ، وحتى يستوعب القارئ ضخامة هذه السفن ؛ ذكر أن ركابها لا يتعرفون على بعضهم البعض إلا بعد مدة لاتساعها ويوجد بها الطواحين والأفران والأسواق ويتعهد حماية كل سفينة من قرصنة الهنود خمسين راميا معظمهم من الأحباش ؛ وجاراه فى تأكيد ذلك الرحالة الإيطالى ماركو بولو بأن السفن الصينية الضخمة التى يخدم فيها ألف رجل كانت موجودة بكثرة فى الموانى الهندية ، فلقد كانت الصين أهم الشركاء التجاريين للهند فى العصور الوسطى ، فقد كانت أكبر مشتري للعقاقير الهندية (الأفاويه) (١٥٢).

#### إغتياله وإبنة المرشح للعرش

وعند عودته من حملاته هو وإبنة الأصغر محمود ، أعد إبنة الأكبر ألوغ خان - جونا صوانا لإستقبالهما إنهار عليهما وماتا ، ويعتقد ابن بطوطة أنها مؤامرة دبرها جونا للتخلص من أبيه ومنافسه على العرش لما علم بما فعله أباه السلطان بأخذ عهدا على نبلاء الدولة عام ١٣٢٣ بأن يتولى ابنة الأصغر والمفضل محمود شاه الحكم من بعده بدلا من إبنة ألوغ خان (جونه خان - محمد طُغلق) ؛ ويبدو من سياق الأحداث أن الوغ خان (جونه) كان يطمح بالعرش لنفسه وليس لأحد آخر لما بادر بالتخطيط للإنقلاب على السلطان خسرو خان ؛ لكن دخول والده فى الأمر أضاع منه هذا المنصب ، ويبدو أن رفض غياث الدين إقتراح كشلو خان إعتلاء جونه العرش إن لم

يرغب هو فيه بشخصه ؛ لم يأت من فراغ وإنما لمعرفته بطبيعة شخصية ابنه السادية وأنها لا تؤهله للحكم.

ولم يفلت أباه من ساديته هذه عندما إغتاله ؛ ويقول ابن بطوطة " لما استقرّ غياث الدين طغلق بدار الملك بعث ولده محمداً ومعه عسكرياً عظيماً ليفتح بلاد التلنك وهي على مسيرة ثلاث أشهر من دهلي ، فلما بلغها أراد المخالفة أي تمرد على والده ؛ فأشاع بين الناس أنّ والده السلطان قد توفي على أمل أن يُبايعه الناس سلطاناً " ؛ وقد يُفسر هذا سبب إغتياله لوأله وأخيه .

ومن بعده جاء سلطانين على طرفي نقيض ، وهم من أهمنا أمرهم هما :

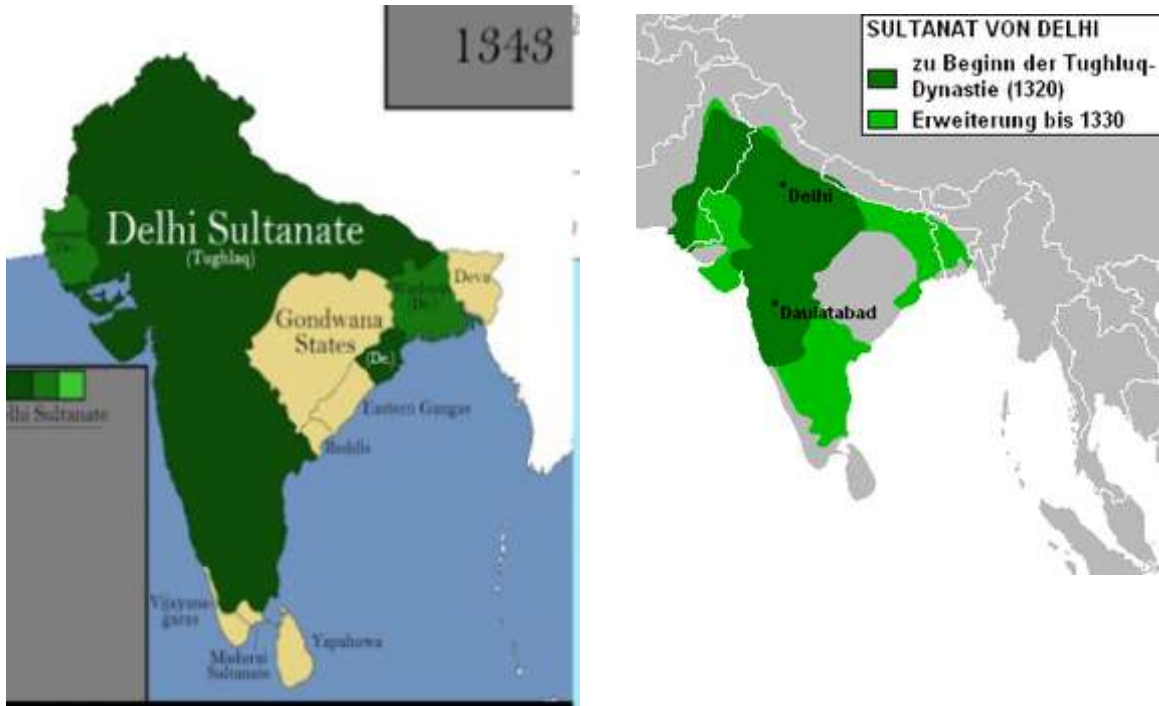
### محمد شاه طغلق السلطان الدموي (١٣٢٥ - ١٣٥١)

السلطان الدموي سوداوي المزاج ؛ عصب هذا الكتاب وقد إختصه ابن بطوطة بالفصل الثاني عشر من الجزء الثالث من كتابه ، وفي عهده إتسعت فتوحه حتى غطت السلطنة معظم شبه القارة الهندية ، وإمتدت خطته للتوسع خارج الهند بغزو خراسان وفارس ، و لم ينفذ ذلك لعجزه عن توفير المال اللازم لحملاته ؛ كما إعتقد البعض بالخطأ أنه تحرك فعلاً بجيشه لغزو الصين ولكن حملته لم تكمل مسيرتها بعد إندحارها على الهيمالايا ، بينما في حقيقة الأمر كانت الحملة تستهدف أحد ممالك الجبل ، وقد أنهكت كثرة حروبه الجيش ومالية الدولة فلحقت به الهزائم وتوالى إنفصال الأقاليم عن السلطنة ، فتراجعت حدودها في آخر عهده ، وتواصل إنفصال الأقاليم بعد غزو تيمور لنك في عهد السلطان ناصر الدين محمود شاه آخر سلاطين الأسرة.

### فيروز شاه طغلق ١٣٥١-١٣٨٨

الحاكم العادل الذي حاول أن يُرضى الله والعباد ؛ بمعالجة مآسى سلفه محمد طغلق ، وكما يقول المثل يخرج من ظهر الفاسد عالم أي بعد سلطان فاسد آخر عادل .

تطور الدولة الطغلقية خلال ٢٠ عاما  
منذ بدايتها عام ١٣٢٠



- دولة الطغلقية في بدايتها
- ١- عام ١٣٢٠ (الأخضر الغامق)
  - ٢- عام ١٣٣٠ (الأخضر الفاتح)
- دولة الطغلقية في أقصى توسعها عام ١٣٤٣



(٢)

السلطان محمد بن طُغلق  
٧٢٥-٧٥٢ هـ / ١٣٢٥-١٣٥١ م  
السلطان الوحشى

### معايشة ابن بطوطة

#### للسلطان فى دهلي (جهلى)

زار الرحالة الأمازيغى ابن بطوطة الهند فى عهد السلطان محمد طُغلق ؛ وقضى فى كنفه ثمان سنوات تقريبا الفترة ١٣٣٤-١٣٤١ ؛ وأرخ لعهدة فصلا كاملا فى كتاب رحلاته كشاهد عيان على أخباره (١٥٣) ، تضمنت عجائب لم يُسمع بمثلها من قبل عند أحد من السلاطين ممن تقدموه أو اللاحقين له ، وحيرنا ابن بطوطة بالإسهاب فى سرد متناقضات هذا السلطان من الفضائل تارة ومن مآثره تارة أخرى ، ورغم إحجامه لوهلة عن الحديث عن الفضائل ومراوغته فى هذا الشأن إلا أنه عاد والقى بثقله فى كشفها ؛ ولا ندرى إن كان طول المدة التى قضاها شبه أسير مرتعبا تحت يد السلطان ؛ قد وُظنت فى نفسه خوفا دائما منه حتى بعد رحيله (السلطان) عن دنيا ابن بطوطة فارتبك فى تسجيل سيرته ، أم أن مآثره عليه أخلته فحاول أن يدارى عليه ؛ وعلى أية حال روى الرجل مشاهداته بأمانه رغم تحفظنا على بعضها ؛ وبتنا مُقتنعون بغلبة صبغته الدموية على مآثره مهما كانت ؛ فالسيئات يُذهبن الحسنات إذا تعلق الأمر بالحكم.

#### مؤهلات السلطان

بعد مقتل السلطان غياث الدين/ طُغلق وإبنه غيلة بيد إبنه جونه خان ؛ تولى جونة السلطة باسم فخر الدين/ محمد شاه طُغلق بلقب / أبى المجاهد حكم ٢٦ عاما وكان أديبا شغوفا بالشعر الفارسي كتب عدد من النثرىات الفارسية، عليم بالفلسفة والطب والرياضيات والدين ، كان يقرب المشتغلين بالعلوم والأداب؛ وكانوا يخشون مجادلته لقوة منطقته ، محبا للعلم عارف بالفارسية والعربية والتركية والسنسكريتية ؛ والأوردو / الهندوستاني .

كان إداريا ماهرا دقيقا؛ كانت دولته شديدة التنظيم ما يوحى بقدرات إدارية خارقة ؛ لا يتسامح فى الهفوات ؛ ما جعل أمور دولته تسير بنفس الإيقاع من

الإنضباط القائم على الرعب ؛ فالسلطان لا يتسامح ولا يغفر الصغيرة ولا الكبيرة يُقيم الحق حتى على نفسه متدينا ملتزما بالمناسك ؛ وهذا لم يمنعه من أن يكون خبيثا مروغا لا تعرف الرحمة الى قلبه طريقا ؛ فإندفاعه فى العقاب لا يحول دونه حائل ؛ لا يعرف الندم أو مراجعة الذات وكان يصلح من نكل بهم إن أفلتوا من الموت على يديه بالعطايا والمناصب أو يرضى أوليائهم إن غيبيهم بقتلهم .

و هذا السلطان المُتقلب المزاج غريب الأطوار ؛ لا يستمع للنصح على حد قول ابن بطوطة الذى وصفه بأنه " أكثر الناس عطاء وكذا إراقة الدماء، فلا يخلو بابه من فقير يغبى أو حي يقتل ، وقد شهرت في الناس حكاياته في الكرم والشجاعة، وحكاياته في الفتك والبطش بذوي الجنائيات ، ومع ذلك فهو من أشد الناس تواضعا وأكثرهم إظهارا للعدل والحق ، عنده شعائر الدين محفوظة يتشدد في عقوبة ترك الصلاة " .

حريصا على أداء العبادات ومناسكها من صلاة وزكاة وتوزيع الصدقات والمساعدات الغذائية والمالية بصفة دورية وبكميات كبيرة ، فقد كان يتصدق عند رؤية هلال كل شهر بـ ٢ لآك (٢٠٠ ألف دينار)، بجانب راتب دائم لحوالى أربعين ألف فقير

ومن مآثره عند ابن بطوطة نُصرة المظلوم ولو من ذاته إن حكم القاضى عليه بحق يقتص بذاته من شخصه لأصحاب الحقوق ؛ فمثلا أعاد الاراضي الزراعية والاملاك التي أغتصبها الامراء السابقون الى اصحابها الشرعيين ؛ (درهم + ٥ أرطال خبز قمح أو أرز لكل واحد منهم )، علاوة على رواتب لألف فقيه يعلمون الناس القراءة والكتابة .

و أفادنا ابن بطوطة بصورة مُعبرة عن عبقرية هذا السلطان فى الإدارة تهمننا الإشارة إليها:

أولا .. قدراته التنظيمية

مراسمية الدولة

لعل الدليل على ذلك ما سجله ابن بطوطة عن تعليمات الدولة لحرس الحدود بعدم السماح بدخول البلاد إلا لمن يرغب فى الإقامة الدائمة ؛ بناء على سياسة هجرة حكيمة وهادفة الداعمة للهجرة من بلاد المسلمين لزيادة نسبة الكثافة البشرية للمجتمع الإسلامى فى الهند لتعزيز التوازن الجيو/إثنى الإسلامى فى مواجهة الكثافة الهندوسية الكاسحة ، وهو ما يتسق أيضا سياسة فى رفض رحيل الوافدين حتى بلغ به الأمر قتل من فكر فى الرحيل هربا دون إذنه ولو كان قريبا منه فأبن بطوطة ظل حبيسه حتى ساءت علاقته بالسلطان فسجنه عدة أشهر بسبب علاقته ببعض المغضوب عليهم من الشيوخ؛ وحاول ابن بطوطة الفكاك من قبضة السلطان ليعود الى بلاده ؛ فإدعى الرغبة

في أداء فريضة الحج ولكن السلطان لم يمكنه من هذا إلا عندما كلفه بمرافقة بعثته الى الصين .

ومما يُذكر أنه كان يرحب بالمسلمين من كل بلاد الدنيا ويوليهم أعلى المناصب مثل المصرى صاحب ديوان السلطان ثقة الملك علاء الدين علي المصري المعروف بابن الشرابشي ؛ ومهمته الاشراف على الادارة في الاقاليم ومُحاسبة المسؤولين فيها .

ولتعزيز قبضته فى حكم الأقاليم البعيدة كان من الضروري متابعة أخبارها أولاً بأول فقام بتطوير ديوان البريد السريع الذى أقامته السلطان راضية وحوله والده السلطان غياث الدين طغلق الى بريد سريع ، فوفر هذا النظام قدرة هائلة على المتابعة ونقل الأخبار ؛ ومن خلاله تم إبلاغ السلطان في دهلى بوصول ابن بطوطة الى السند في اقل من خمسة ايام والمسافة الجغرافية طويلة جداً بين المكانين ، وولى إدارة نظام البريد السريع أحد الغرباء وهو الملك دهقان السمرقندى فى سياسة تشجيع الإقامة للمسلمين بالهند .

كما أن مخططه لنقل العاصمة من دهلى الى دولت آباد ؛ يدل على قدرة تنظيمية هائلة ؛ فمشروع بهذا الحجم يتطلب إعدادات وترتيبات هائلة وإعداد بنية تحتية ضخمة للنقل كبناء الطريق الطويل من دهلى الى دولت آباد وهو ما سنتعرض اليه لاحقاً بتفصيل .

### ترتيب إحتفالات القصر

#### ومهرجاناته وأعياده

إنبهر ابن بطوطة بإحتفالات دهلى في عيدى الفطر والأضحى ؛ من دقة الترتيبات المراسمية للإحتفالات وعظمة وثراء الهدايا التي أهديت الى السلطان من حكام الأقاليم من الذهب وأحجار كريمة ، وإسترسال فى وصف الكم الهائل من المصنوعات الذهبية الضخمة ؛ ولا يفوتنا أن ننقل (بتصرف) بعضاً من روح كتابات ابن بطوطة ؛ توفيرا على القارئ عبث البحث فى المراجع فيقول "... وإذا كانت ليلة العيد ؛ بعث السلطان الخلع إلى الملوك والخواص وأرباب الدولة ..... والعبيد وأهل الأخبار ؛ فإذا كانت صبيحة العيد زينت الفيلة كلها بالحرير والذهب والجواهر، ومنها ستة عشر فيلا لا يركبها إلا السلطان ويرفع عليها ستة عشر شطرا (هودج أو خيمة أو مظلة) من الحرير مرصعة بالجواهر، قائم كل منها ذهب خالص، وعلى كل فيل مرتبة حرير مرصعة بالجواهر يركب السلطان إحداها وترفع أمامه الغاشية وهي ستارة سرجه مرصعة بأنفس الجواهر ويمشي بين يديه عبيده ومماليكه وكل واحد منهم على رأسه شاشية ذهب وعلى وسطه منطقة (حزام) ذهب مرصع بعضها بالجواهر ويمشي بين يديه النقباء وهم نحو ثلاثمائة وعلى رأس كل واحد أقروف ذهب، وعلى وسطه منطقة ذهب وفي يده مقرعة نصابها ذهب ."

" ويركب قاضي القضاة وسائر القضاة وكبار الأعزة من الخراسانيين والعراقيين والشاميين والمصريين والمغاربة ، كل واحد منهم على فيل ، وجميع الغرباء عندهم يسمون الخراسانيون، ويركب المؤذنون على الفيلة وهم يكبرون.... وفي مجلسه يضعون كرسي ذهب بين كل شجرتين عليه مرتبة مغطاة وينصب السرير الأعظم في صدر المشور(الدوار)، وكله من الذهب الخالص ، مرصع القوائم بالجواهر، وطوله ثلاثة وعشرون شبرا وعرضه نحو النصف من ذلك، وهو منفصل وتجمع قطعه فتتصل، وكل قطعة منه يحملها جملة رجال لثقل الذهب وتجعل فوقه المرتبة ويرفع الشطر المرصع بالجواهر على رأس السلطان.

وعندما يستقر السلطان على السرير ؛ يُنادي الحجاب والنقباء بأصوات عالية بسم الله، ثم يتقدم الناس للسلام على السلطان واحد إثر الآخر من غير تراحم ولا تدافع أولهم القضاة والخطباء والعلماء والمشايخ وإخوة السلطان وأقاربه وأصهاره، ثم الأعزة، ثم الوزير ثم أمراء العساكر، ثم شيوخ المماليك، ثم كبار الأجناد، ....ومن عوائدهم في يوم العيد أن كل من بيده قرية منعم بها عليه يأتي بدنانير ذهب مصرورة في خرقة مكتوبا عليها اسمه فيلقبها في طست ذهب ، فيجتمع منها مال عظيم يعطيه السلطان لمن شاء! فإذا فرغ الناس من السلام وضع لهم الطعام على حسب مراتبهم.

### العطايا والهدايا

(ثراء الهدايا - المبخرة العظمى - برج من خالص الذهب)

" .... وبأيدي الفتیان براميل الذهب والفضة مملوءة بماء الورد وماء الزهر يصبونه على الناس صبا، وسرير السلطان والمبخرة لا يخرجان إلا في العيدين خاصة، ويجلس السلطان على سرير الذهب بقية أيام العيد....وينصب في ذلك اليوم المبخرة العظمى وهي شبه برج من الذهب الخالص مكونة من عدة قطع ، وتحمل القطعة الواحدة منها جملة من الرجال، وفي داخلها ثلاثة بيوت يدخل فيها المبخرون يوقدون العود القمارى والقاقلى والعنبر الأشهب والجاوي ، حتى يعم دخانها المشور كله!!!..... ، ويقف الناس على مراتبهم وشحنة الباركة ملك بيده عصا ذهب وبيد نائبه عصا فضة يرتبان الناس ويسويان الصفوف، ويقف الوزير والكتاب خلفه ويقف الحجاب والنقباء، ثم يأتي أهل الطرب أولهم بنات الكفار من الهنود المسيبات في تلك السنة فيغنين ويرقصن ويهب السلطان بعضا من هؤلاء النسوة للأمراء والأعزة ؛ ثم يأتي بعدهن سائر بنات الكفار فيغنين ويهبهن لإخوانه وأقاربه وأصهاره وأبناء الملوك! ويكون جلوس السلطان لذلك بعد العصر، ثم يجلس في اليوم الذي بعده بعد العصر أيضا على ذلك الترتيب، ويوتي بالمغنيات فيغنين ويرقصن ويهبهن الأمراء المماليك ؛ وفي اليوم الثالث يزوج أقاربه وينعم عليهم ، وفي اليوم الرابع يعتق العبيد،

وفي اليوم الخامس يعتق الجوارى وفي اليوم السادس يزوج العبيد بالجوارى، وفي اليوم السابع يعطي الصدقات ويكثر منها".

"ويكون ما بين القباب مفروشا بثياب الحرير يطأ عليها مركب السلطان وتزين حيطان الشارع الذي يمر به من باب المدينة إلى باب القصر بثياب الحرير، ويمشي أمامه آلاف من عبيده ، وتكون الأفواج والعساكر خلفه .....ورأيت في بعض قدومه على الحضرة وقد نصبت ثلاث أو أربع من الرعادات الصغار على الفيلة ترمي بالدنانير والدرهم على الناس فيلتقطونها من حين دخوله إلى المدينة حتى وصوله القصر".

### ترتيب الولائم

يؤتى بالطعام وأمامه النقباء يصيحون: بسم الله ، ونقيب النقباء أمامهم بيده عمود ذهب، ونائبه معه بيده عمود فضة ، فإذا دخلوا ....وسمع من بالمشور (الساحة) أصواتهم قاموا أجمعين ولا يبقى أحد قاعدا إلا السلطان وحده، فإذا وضع الطعام بالأرض اصطف النقباء وأمامهم أميرهم يمتدح السلطان ويثني عليه، ثم يخدم (ينحني) للسلطان ويتبعه في الخدمة بقية النقباء ، ثم جميع من بالمشور كبيرا وصغيرا.

والعادة أن من حضر كلمة نقيب النقباء ؛ عليه الا يتزحزح عن مقامه حتى ينتهى من كلمته ؛ ومن كان ماشيا يلزم موقفه ، ثم يتكلم نائبه نحو ذلك ويخدم ويخدم النقباء وجميع الناس مرة ثانية، وحينئذ يجلسون ويكتب كتاب الباب معرفين بحضور الطعام، ..... ويعطى المكتوب لصبي من أبناء الملوك موكل بذلك، فيأتي به إلى السلطان، ليعين من شاء من كبار الأمراء لترتيب الناس وإطعامهم.

ويجلس في صدر سماط الطعام القضاة والخطباء والفقهاء والشرفاء والمشايخ، ثم أقارب السلطان ثم الأمراء الكبار ثم سائر الناس، ولا يقعد أحد إلا في موضع معين له فلا يكون تزاحم بينهم ؛ فإذا جلسوا أتى السقاة بأيديهم أواني الذهب والفضة والنحاس والزجاج مملوة بالنبات المحلول بالماء فيشربون ذلك قبل الطعام، فإذا شربوا، قال الحجاب: بسم الله، ثم يشرعون في الأكل ويجعل أمام كل إنسان من جميع ما يحتوي عليه السماط يأكل منه وحده، ولا يأكل أحد مع أحد في صحفة واحدة، فإذا فرجوا من الأكل أتوا بالفقاع في أكواز القصدير فإذا أخذه قال الحجاب: بسم الله، ثم يوتى بأطباق التنبول (مادة مخدرة) والفوفل فيعطي كل إنسان غرفة من الفوفل المهشوم وخمس عشرة ورقة من التنبول مجموعة مربوطة بخيط حرير أحمر، فإذا أخذ الناس التنبول قال الحجاب: بسم الله، فيقومون جميعا ويخدم الأمير المعين للإطعام .

مثل هذا الترتيب ؛ فى زمن لم يكن يعرف مثل هذه الترتيبات فائقة الدقة ؛ عمل يدل على أعلى المعايير المراسمية المطبقة فى عصرنا هذا فى ترتيب الإحتفالات ومستوى إدارى عالى ويذكر المؤرخون أن والده غياث الدين طغلق إكتشف فيه هذه القدرات القيادية والتنظيمية مبكرا فإرسله الى جنوب الهند لإخضاع عدد من الأقاليم منها منطقة تيلنجانه التي إنتزعتها من يد الراجا برتاب الثاني.

### ثانيا شخصية السلطان

ونبدأ بالجانب الذهبى فى شخصية السلطان و مآثره قبل الولوج فى الجانب الدموى :

#### - الإغداق على الغرباء

##### وإستغلال التجار كرم السلطان

كان السلطان شديد الكرم الى الغرباء فكان يخصصهم فى عطايا بالغالى النفيس وعظيم الوظائف ورفيع المقام فاتخذ منهم خواصا وحبابا وقضاة ؛ وكان إذا أهدى غمر المهدي اليه بالعطايا ؛ ويقول ابن بطوطة أن التجار إستغلوا تطرف السلطان فى كرمه وعطاؤه لمن يقصده أو أهده شيئا للإثراء ؛ فكانوا يحثون زوار السلطان على تقديم هدايا تليق بمقامه ويقرضونهم المال لتدبيرها ليقدمونها عند مثولهم بين يديه ؛ ثم يتحصلون من الزائر فوق ما أقرضوه له من عطايا السلطان له ، وقد إنتفع ابن بطوطة هذه الخصلة فأحضر هدايا للسلطان منها ثلاثين من الخيل وعبيدا وسيوف مصريه وثياب من خراسان ، ويبدو أن إحتجازه عند حرس الحدود كان غرضه الحصول على تفويض القصر بدخوله لإعفائه من المكوس الجمركية المرتفعة على ما معه من خيول بإعتبارها هدايا للسلطان التي كانت من أحب الهدايا الى نفسه وكانت تُستورد عادة من آسيا الوسطى والجزيرة العربية (١٥٤) .

ومن أمثلة كرمه البالغ إقطاعه غياث الدين ابن الخليفة العباسى المستنصر بالله مدينة ومائة قرية ، وأعطى الحاج كاون ابن عم أبي سعيد ملك العراق وكان حاضرا إحتفالات العيد حفا مما هاداه به حكام الأقاليم ، منها ثلاث صوان واحدة مملوءة بأحجار الياقوت وأخرى بأحجار الزمرد وثلاثة باللؤلؤ الفاخر.

و أقطع شيخا فى بلدة المعبر بالهند مدينة ظهر لما إستطاب بطيخا يزرعه الرجل ؛ وأقطع ملك التجار شهاب الدين الكازروني مدينة كنبايه مقابل هداياه كما أعطاه اوان من الذهب فيها تنور كبير يسع جوفه الرجل القاعد، وقدران اثنان وصحاف

١٥٤ - كان السلطان يستورد الخيل بأعداد كبيرة ؛ لكثرة ما كان يوزعه منها كهدايا ؛ فقد كان يفرق فى كل سنة عشرة آلاف فرس عربى ، ويوزع بلا حساب الخيل البراذين التي تُستخدم لحومها للطعام وتقدم ضمن مائدة السلطان ، ومن الأسباب التي ذكرها العمرى أنها إن طال بها العهد بالهند انحلت ..... لذا يتم تعويضها بجلب الكثير منها من البحرين و بلاد الترك و اليمن والعراق".

وجملة أكواز وركوة وتميسنדה ، ومائدة لها أربعة أرجل ومحمل للكتب كل ذلك من ذهب خالص وغيرها الكثير.

### التسامح مع الديانات الأخرى

كان محمد بن طُغلق متسامحا مع الأديان الأخرى ، فهو السلطان الوحيد حتى ذلك الوقت الذي كان يُشارك الهندوس احتفالاتهم ؛ وكان مسموحا لهم بناء المعابد طالما كانوا مواطني السلطنة ويدفعون الجزية على ذكره في رده على خان الصين الذي بعث له سفارة محملة بالهدايا طالبا السماح له بإعادة بناء معبد بوذي يحج إليه الصينيون في منطقة سمبهال الهندية هدمته جيوش الإسلام ؛ فبين السلطان للخان أن الذين يعيشون في منطقة إسلامية ويدفعون الجزية هم فقط الذين يمكن السماح لهم بترميم المعابد ، وهو ما أكدته يوميات السلطان فيروز شاه طُغلق بقوله في مذكراته " قبل عهده (ويعنى سلفه محمد طُغلق) كان مسموحا ببناء معابد الوثنية رغم مخالفته الشريعة" ، كما كرم الراهب جينا برا بها صوري عام ١٣٢٨ .

### إنصاف المظلومين

صار السلطان يجلس بنفسه للنظر في المظالم كل يوم اثنين وخميس ، برحبة (مكان متسع) أمام المشور (الباحة) ولا يُمنع أي شاك من الوقوف بين يدي السلطان ، وكلف أربعة من كبار الأمراء والأقارب بالجلوس على أبواب باحة القصر لتسجيل الشكاوى ، من بين هؤلاء ابن عمه فيروز (السلطان فيروز فيما بعد) ، ورتب نظاما لضمان وصول الشكوى ، فإن لم يأخذ أمراء الأبواب الأربع الشكوى ؛ يسلم الشاكي شكواه الى قاضي الممالك فإن لم يأخذها شكا إلى السلطان فإن صح ما بلغه من الشاكي ؛ أدب الأمير الذي لم يأخذها من أمراء السلسلة .

و إستكمل النظام وأمر أخاه مبارك خان أن يقعد مع قاضي القضاة في قبة مرتفعة بالمشور ، فمن كان له حق عند أحد الأمراء امتنع عن أدائه ؛ يُحضره معاونوا أخو السلطان للقاضي لينصفه ؛ ويحكي ابن بطوطة أن مجير بن أبي الرجاء حاكم مدينة بيانة وأحد كبرائها ، وهو فُرشي الأصل كان مُتجبرا ظلم وقتل ومثل بكثير من اهل المدينة من ضمنهم رجلا حسن الهيئة قطع مجير يديه ورجليه ؛ فشكاه الناس الى السلطان عند زيارته المدينة فأمر بالقبض عليه وجمع سجلا بمظالمه ، فأمره بإرضائهم بالأموال فأرضاهم ثم قتله بعد ذلك.

ولم يستتف السلطان المثل أمام القاضي والخضوع بذاته السلطانية لأحكامه والإقتصاص من ذاته بذاته لأصحاب الحقوق ؛ وما كان يجلس في حضرة القاضي إن إستحضره للرد على إتهامات البعض ضده ؛ وكان قد أمر القاضي أنه إذا جاء إلى مجلسه فلا يقوم ولا يتحرك وأمره ألا يطلب منه الجلوس ؛ وكان ينفذ ما يحكم به

القاضي ؛ فعندما إدعى عليه صبي من أبناء حكام الأقاليم بضربه من غير موجب ؛ حكم عليه القاضي بإرضاء الصبي بالمال إن قبل وإلا تمكينه من القصاص ، فاستحضر الصبي فلما رفض المال أعطاه عصا وقال له وحقّ رأسي لتضربني كما ضربتك فأخذها الصبي وضربه إحدى وعشرين ضربة حتى طارت الكُلا عن رأسه على حد قول ابن بطوطة.

وإدعى علي السلطان رجل من كبار الهنود ؛ بأنه قتل أخاه من غير موجب فدعاه القاضي فسلمّ وخدم (سجد إحتراما) ، فصعد السلطان إلى المجلس ووقف بين يدي القاضي فحكم عليه أن يرضى خصمه عن دم أخيه فأرضاه ؛ وخاصم رجل مسلم السلطان بأنّ عنده أموال له ؛ فحكم القاضي لصالح الرجل فأعطاه السلطان المال.

### التخفيف عن الناس

#### (إطعامهم في الغلاء – إزالة المكوس- ملاجئ العجزة)

كان السلطان في سنوات القحط يأمر بخروج الفقهاء والقضاء لتسجيل أهل الحارات ، وكان عطاء في سنوات المجاعة فأعطى جميع أهل دهلي مؤونة ستة أشهر من مخزون الدولة يقتون بها ، بحساب رطل ونصف لكل إنسان في اليوم صغيرا أو كبيرا حرا أو عبدا ، وفي بعض الأحيان إستمرت المجاعات والقحط لعشر سنوات مات فيها الملايين ، وفي سنة إحدى وأربعين سنة جذب أمر السلطان برفع المكوس وألا يؤخذ من الناس إلا الزكاة والعشر تخفيفا عنهم.

وأقام السلطان العديد من دور الشفاء وملاجئ العجزة وأشرف عليها بنفسه ، وكانت للسلطان دار تطريز خاصة لصناعة الأقمشة ، يعمل بها أربعة آلاف عامل يفرق من إنتاجها كل عام مائتي ألف كسوة على الفقراء والخاصة.

### تشدد في إقامة صلاة الجماعة

وكان السلطان يعاقب على تركها أشد العقاب، ولقد قتل في يوم واحد تسعة نفر لتركها من بينهم مغنيا ؛ وكان مفتشوه يجوسون خلال الأسواق عند إقامة الصلاة لمعاقبة المتخلفين ولم يستثنوا العاملين بالقصر، وأمر بتعليم الناس الوضوء والصلاة وشروط الإسلام وأن يتم إختبارهم فمن لم يُحسن عوقب فصار الناس يتدارسون ذلك ، كما حرم شرب الخمر وتشدد في معاقبة من يشربها حتى من خاناته الكبار فكان الناس يشربون التنبول لأنه يشبه الخمر في مفعوله فراجت تجارته .

### الإحسان الي ابن بطوطة

كلف السلطان وزيره بإستقبال ابن بطوطة في القصر وتدبير المأوى له ونفحه عشر جوارى من سبى تصادف وصوله بخلاف عطايا مالية لزوجته (الف دينار دراهم



وأساور ذهب مرصعة وتهليلا من الذهب مرصعا وقميص كتان مزركشا بالذهب وخلعة حرير مذهبة وتختا بأثواب) ، وأقطعه من القرى ما يوفر له خمسة آلاف دينار دخلا سنويا وولاه فيما بعد قضاء دهلي ١٣٣٧ .

### دموية أفعال السلطان

وبعد التعرف على مآثر السلطان سابقة الذكر ؛ لا يصدق أحدا أن هذا الشخص يُخفى جانبا ساديا من شخصيته ولكن هكذا سارت الأمور ، فيقول فيه ابن بطوطة .. " جامح الدموية متطرف في فظائعه يقتل على الصغيرة والكبيرة ، كثير التجاسر على إراقة الدماء لا يخلو بابه من قتلى إلا نادرا ، وكثيرا ما رأيت الناس يقتلون على باب قصره وي طرحون هنالك " ، وأفزع ابن بطوطة أن يرى صدر رجل وقد قُطع ثلاثا على الأرض أمام باب المشور.....، ويقول في كل يوم يُحضر مئات المسلسلين والمغلولين ، فمن للقتل قُتل .. ومن للعذاب عذب ومن للضرب ضرب".

وصنف ضياء الدين برني مؤرخ الطغالقة ؛ طرق التعذيب التي مارسها زبانية السلطان ؛ بتر أطراف وفقى عيون ونشر وإحراق أجساد الناس وسحق عظامهم وسلخهم أحياء ، وسكب الرصاص المنصهر في الحلق وخلع أظافر اليدين والقدمين والطعن بالفيلة ، فكان الزبانية يشقون أجساد الناس ، وتوجيه الأفيال بطعن السجناء بالسيوف التي تُربط بأنيابها وتعليق جثث القتلى على أعمدة تحذيرا للآخرين ؛ فأصبح الموت رحمة من عذابه يطلبها كل من ترصده.

### معظم قتلى السلطان

#### من المسلمين

أكد ضياء الدين برني وابن بطوطة أن معظم قتلى السلطان كانوا من المسلمين ؛ فيقول برني " لا يمر يوم أو أسبوع دون إراقة الكثير من دماء المسلمين "؛ ويقول ابن بطوطة " كان السلطان يعدم السادة من الشيعة والصوفية وغيرهم من المسلمين بشكل منتظم ، ولا يحترم أحدا من أهل العلم والصلاح والشرف "، وهذه التصرفات لا تستقيم مع وصف ابن بطوطة للسلطان بالورع والتدين ؛ كما جانبه الصواب في قوله " شهرت في الناس حكاياته في الفتك والبطش بذوي الجنايات " ؛ لأن ما أطلعنا عليه كان فتكا وبطشا بكل الناس لا واحدا من الناس ، فأصابته فتكاته بلا رحمة من هم ليسوا من ذوي الجنايات ؛ ولو كانت لديه ذرة من الورع أو رحمة بالناس عامة لتذكر أمر رسول الله أحسنوا القتل عند ذبح الحيوان رافة به فكيف بالإنسان .

وقد دعتنا غرابة الأسباب التي الحقها السلطان بأوامر قتل الناس ؛ أن ننقلها بتصريف من مذكرات ابن بطوطة ؛ لإظهار مدى جنون وسطوة الحاكم المنفلت غريب الأطوار الذي لا رادع له ؛ نذكرها على سبيل المثال لا الحصر حتى ما ذكره ابن

بطوطة كان جزءا محدودا من سيرة السلطان يختص فقط بثمانية أعوام من عهده الطويل ؛ عاشها معه ابن بطوطة شاهدا عليها ؛ بخلاف أحداث تسع سنين أخر تمت قبل وصوله الهند نقل ابن بطوطة أحداثها عن ثقة ، ولا يعلم ابن بطوطة بالطبع ما أحدثه السلطان في بقية سنوات حكمه التي طالت لثمان سنوات اخرى بعد رحيل ابن بطوطة ؛ ولم ينقل أحد أخبارها إلينا فلا نعلم ما أحدثه فيها بتفصيل مماثل .

### سلسلة فضائع السلطان

إستهل السلطان محمد طُغلق عهده بفضيحتين سبقت الإشارة إليهما ، إغتتيال والده وشقيقه ، وقتل ابن خالته بهاء الدين لرفضه البيعة له سلطانا وتعذيبه وسلخ جلده على نحو ما ذكرنا ؛ كما قتل في نفس الوقت بهادر بورة حاكم أحد الأقاليم لتمرده وسلخ جلد الأثنين وحشاهما تبنا وطيف بهما على البلاد ، ما أدى لإستهجان كشلو خان أمير أمراء السند عند وصول الجلدين الى مقره ؛ وتصور كشلو خان أن مكانته هذه تشفع له في دفن جلدا الجنتين دون إثارة غضب السلطان بما له من فضل على سلالة الطُغالقة في إرتقاء العرش كما سبق أن عرضنا ، ولكن ظنه خاب ولم يجد إلا السلاح بينه وبين السلطان ليحسم غضبه عليه فأضافه السلطان الى سلسلة ضحاياه.

وهذه قصص تُحكى لغرابتها ؛ فقصة بهاء الدين سبق التعرض لها بإيجاز تحت عنوان الشهامة الهندوسية ؛ ولكن تفاصيلها على لسان ابن بطوطة تزيل ضغط مواصلة القراءة الجافة للتاريخ ؛ و تبدأ القصة بعد موت غياث الدين وتقدم إليه جونا (محمد طُغلق) لطلب البيعة من الأمراء سلطانا ؛ فرفض بهاء الدين ابن خاله (محمد طُغلق) مبايعته ، وبعد حرب قصيرة بينهما إنهزم بهاء الدين وهرب لاجئا الى حمى راى كنبيلة (ملك بلاد كنبيلة الهندوسى) ؛ وقصة هذا الملك تُعبر عن شهامة لا حدود لها في جيرة المستجبرين حتى لو دفع المرء حياته وحياة من يرتبط به ثمنا لها ، وملك كنبيلة هذا كان من أكابر ملوك الهندوس ، تقع بلاده في جبال منيعة، فلمّا حاصر عسكر السلطان بلاده وإشتد الأمر على الملك بعد نفاذ مؤنه ، قال لبهاء الدين إن الحال بلغت ما تراه وأنا عازم على هلاك نفسي وعيالي ومن تبعني، فأذهب إلى الملك فلان (من الهندوس) فأقم عنده فإته سيمنعك وبعث معه من أوصله إليه.

وأمر راى كنبيلة بنار عظيمة وأحرق أمتعته وقال لنسائه وبناته " إنّي أريد قتل نفسي، فمن أرادت موافقتي فلتفعل ، فكانت المرأة منهتّ تغتسل وتدهن بالصنديل وتقبل الأرض بين يديه وترمي بنفسها في النار حتّى هلكن جميعا ، وفعل امرائه ووزرائه وأرباب دولته ومن أراد من سائر النساء مثل ذلك ، ثم اغتسل الراى وأدهن بالصنديل وليس السلاح ما عدا الدرع ، وفعل فعله من أراد الموت معه من ناسه ، وخرجوا إلى عسكر السلطان فقاتلوا حتّى قتلوا جميعا واسر العسكر أهل الحصن ومنهم أحد عشر ولدا هم أولاد راى كنبيلة ، فأتوا بهم الى السلطان فاسلموا جميعا فعظّمهم لأصالتهم

ولفعل أبيهم وجعلهم أمراء ، ويقول ابن بطوطة " رأيت عند السلطان منهم نصرا وبختيار والمهردار ، وهو صاحب الخاتم الذي يختم به على الماء الذي يشربه السلطان وكنيته أبو مسلم، وكانت بيني وبينه صحبة ومودة".

### و تقول بقية القصة:

توجّهت عسكر السلطان إلى بلد الكافر الذي لجأ اليه بهاء الدين وأحاطوا به ، فقال ملكها أنا لا أقدر على أن أفعل ما فعله راي كنبيلة فقبض على بهاء الدين وأسلمه إلى عسكر السلطان، فقتلوه وغلّوه وأتوا به الي السلطان ، فأمر بسلخه وهو حى وطبخ لحمه مع الأرز، وبعث به الي أولاده وأهله ؛ وطرح بقيته للفيلة فأبت أكله! وأمر بجلده فحشى بالتبن ؛ وحشى جلد المتمرد بهادر بوره بالتبن وطيف بالجلدين على البلاد .

### قصة تمرد بهادر بوره

هو من سلالة ناصر الدين حاكم البنغال والد السلطان معز الدين / كيبقاد بلبن ؛ و كان معتقلا منذ عهد غياث الدين طغلق (الأب) ، فأفرج عنه محمد طغلق بعد توليه العرش وأجزل له العطاء وأعادة الي مملكته على أن يكون حكمها مشاطرة بينهما بشرط أن يرتهن بهادر بوره ابنه عند السلطان ، فحنث بهادر بالإتفاق ورفض إرسال ابنه وأساء الأدب على السلطان ، فتقاتلا وهُزم بهادر وواجه نفس مصير بهاء الدين فحشى جلده بالتبن وارفقه بجلد بهاء الدين وطوف بهما في البلاد.

### الغدر بـ .. كشلو خان

تداخلت قصة كشلو خان مع قصتنا بهاء الدين وبهادر بوره ؛ فعند وصول جلدیهما الي مقر كشلو خان حاكم السند أمر بدفنهما ، فشق ذلك على السلطان و اراد الفتك به رغم تعظيمه له لدعمه إنقلاب طغلق الأب ضد خسرو خان ؛ فأرسل يستدعيه ؛ فتوقع كشلو خان غدر السلطان فأعلن التمرد ؛ وخرج السلطان بنفسه لقتاله وانتصر عليه بالخدیعة فقد أوى شبيها به معه تحت الشطر (شمسية السلطان في المعركة) ، ولما حمى وطيس القتال انسحب السلطان في أربعة آلاف من عسكره بعيدا عن الشطر وترك شبيهاه مع قليل من الحرس ، فقصده عسكر كشلو خان معتقدين أنه السلطان وقتلوه ، فشاع في العسكر أنّ السلطان قُتل ؛ فأنصرفوا عن القتال وإنشغلوا بالغنائم وتفرّقوا عن كشلو خان ولم يبق معه إلا القليل من العسكر، فقصده السلطان بمن معه وجزّ راسه ففر جيش كشلو خان ؛ وأمر بتعليق رأس كشلو خان على بابيه ، وعوض أسرة شبيهاه المقتول بمائه قرية ، ودخل السلطان ملتان وقبض على قاضيها كريم الدين وأمر بسلخه.

وفى نفس الحملة أمر السلطان وزيره خواجه جهان أن يذهب إلى مدينة كمال بور ، وكان أهلها قد تمردوا وأمر بسلخ جلد القاضي وخطيب المسجد ، فقالا اقتلنا بغير ذلك، فقال لهما بما استوجبتما القتل؟ قالوا بمخالفتنا أمر السلطان، فقال فكيف أخالف أنا أمره وقد أمرني أن اقتلكما بهذه القتلة.

قتل السلطان أخيه غير الشقيق مسعود خان  
قتل السلطان أخيه غير الشقيق مسعود خان (ابن بنت السلطان علاء الدين) بتهمه التمرد ، وكان مسعود خان قد أقر بما يدعيه عليه السلطان بتهمة لم يرتكبها تجنا لإنتزاع إعترافا منه بالتعذيب ؛ لأن من أنكر ما يدعيه عليه السلطان يُعذب ويُقتل فى النهاية ؛ والقتل أهون من العذاب ؛ فأمر السلطان به فضربت عنقه.

### ذبح سكان قنوج الهندوسية

أمر السلطان بذبح جميع سكان مدينة قنوج الهندوسية ، ويقول المؤرخ برنى (كان من سكان أحد المناطق المبتلاة) ، عانى الفلاحون كثيرا من الضرائب الباهظة وهجروا أراضيهم ؛ وفى غضب عظيم قام السلطان ببعض الخطوات الانتقامية فقام بمطاردة الهنود البؤساء مثل الحيوانات البرية وحاصرهم فى الغابات وأوقع بهم مذبحه وقتل كل من قبض عليه من الرجال فى مدن دواب وقنوج وقطعت رؤوسهم وعلقت على متاريس المدن .

### إعدام السلطان فقيهين فى السند

طلب السلطان من الفقيهين أن يرافقا أميرا عينه على بعض البلاد ؛ قائلا سلّمت لكما البلاد والرعيّة على أن يتصرّف هذا الأمير بما تأمرانه به ؛ فقالا إنّما نكون كالشاهدين عليه نبيين له الحقّ ليتبعه ، فقال لهما السلطان أقصدكما أن تأكلا أموالى وتضيّعاهما وتنسبا ذلك إلى هذا التركيّ الذى لا معرفة له بالأمر، فقالا حاشا لله ياخوند عالم ما قصدنا هذا، فقال بل لم تقصدا غير هذا اذهبوا بهما إلى الشيخ زاده النّهاونديّ (الموكّل بتعذيب الناس) العذاب فقال لهما النّهاونديّ : السلطان يريد قتلكما، فأقرّا بما قوّلكما إيّاه ولا تعدّبا انفسكما ؛ فقالا والله ما قصدنا إلا ما ذكرنا ، فقال لزبانيتّه ذوّقوهما بعضا من العذاب فبطحا على أقفائهما وجعل على صدر كلّ واحد منهما صفيحة حديد محمّاة وقلعوها بعد هنيهة فذهبت بلحم صدورهما، ثمّ القى البول والرماد على تلك الجراح ، فأقرّا على نفسيهما أنّهما لم يقصدا إلا ما قاله السلطان وأنّهما مجرمان مستحقّان القتل ، وإعترفا بهذا عند القاضي فسجّل على العقد وكتب فيه أن اعترافهما كان عن غير إكراه ولا إجبار" ، ويقول ابن بطوطة لو قالوا أكرهنا لعدّبا أشدّ العذاب فرأيا خير لهما تعجيل الموت طالما أنه واقع تجنبا للعذاب الأليم ."

### تعذيبه الشيخ شهاب الدين لإمتناعه عن السجود أمامه

رفض الشيخ شهاب طلب السلطان الإلتحاق بلاط السلطان ؛ وبرر إمتناعه بأن السلطان رجل ظالم عذب الناس بتهجيرهم من دهلي ؛ ولما رأى تمنعه في العمل مع السلطان سلمه للموكلون بالعذاب وهم من كفار الهنود ، وكان الرجل صائماً إنتظاراً للموت فأطعموه غائطاً قسراً ومدّوه على ظهره وفتحوا فمه بالكلبتين وحلّوا العذرة (الغائط) بالماء وسقوها له ثم قتلوه .

### سجن ابن تاج العارفين وقتله أولاده

كان الشيخ شمس الدين ابن تاج العارفين من اهل كول كبير القدر منقطعاً للعبادة، ولما دخل السلطان المدينة بعث اليه فلم يأتته فذهب السلطان إليه فلم يتمكن من رؤيته فلم ينساها له ؛ واتفق أن أميراً تمرد على السلطان وبايعه الناس ، فنُقل الى السلطان أن الشيخ شمس الدين أتى علي صلاحية المتمرد للملك، فبعث السلطان بعض الأمراء إلي الشيخ فقتلوه وأولاده ، وكذلك قيدوا القاضي ومحتسب المدينة، لمجرد تواجدهما في المجلس الذي وقع فيه ثناء الشيخ على الأمير المخالف ؛ وأمر بهم فسجنوا بعد أن سمل عيني القاضي والمحتسب! ومات الشيخ بالسجن ؛ وأفرج السلطان عن أولاد الشيخ لما مات أبوهم وقال لهم لا تعودوا إلى ما كنتم تفعلون فقالوا وما فعلنا ؟ فاغتاظ من ذلك وأمر بقتلهم جميعاً فقتلوا ثم استحضر القاضي المذكور، فقال أخبرني بمن كان يرى رأى هؤلاء الذين قتلوا ويفعل مثل أفعالهم فأملى أسماء رجال كثيرين من كبار البلد، فلما عرض ما أملاه على السلطان، قال هذا يجب أن يخرب البلد اضربوا عنقه.

### قتله طوغان الفرغاني وأخيه

وهما من كبار أهل مدينة فرغانة ؛ وفدا على السلطان وأقاما عنده مدة فأحسن إليهما وأجزل لهما العطاء ، فلما أرادا الرجوع إلى بلادهما بعد طول مقام ، كان السلطان يمنعهما دون سبب مفهوم فحاولا الفرار، فوشى بهما أحد الأصحاب إلى السلطان فأمر بتوسيطهما فوسّطاً (قُطِعَا نصفين من الوسط) ؛ وأعطى للذي وشى بهما أموالهما، ومن عادة تلك البلاد إذا وشى أحد بأحد وثبت عليه ما وُشى به ويُقتل ؛ أعطى ماله للواشى وهو من عادات المغول منذ عهد جنكيز خان .

### قتله ابن ملك التجار

#### و صهره ابن قطب الملك

كان ابن ملك التجار شاباً شارك في تمرد عين الملك ؛ فقبض عليه ومعه صهره ابن الملك بعد إخماد التمرد ، وأمر بهما فعُلِقَا من أيديهما في خشب ، وأمر أبناء الملوك (حكام الأقاليم) برميهما بالنشاب حتى ماتا ، ولما علق الحاجب للقاضي كمال

الدين بأن ذلك الشاب لم يجب عليه القتل عاقبه لعدم قول ذلك قبل موته؟ بالضرب مائتي مقرة أو نحوها وسُجن وأعطى جميع ماله لأمير السيفيين.

### ضربه خطيب الخطباء حتى مات

فى السفر ؛ ولى السلطان خزانة الجواهر لخطيب الخطباء ؛ فجاء سراق الكفار ليلا وكسروا الخزانة وذهبوا بشيء منها فأمر بضرب الخطيب حتى مات.

### قتله فقهاء لمجرد إنتقادهم له سرا

قتل السلطان الفقيه عفيف الدين الكاساني وفقهين آخرين ؛ لمجرد إنتقادهم السلطان فى جلسة خاصة فيما بين أنفسهم فقط .

### ثورة هلاجون حاكم لاهور

عام ١٣٣٥هـ / ١٣٣٥ م

تمرد هلاجون حاكم لاهور فهزمه جيش السلطان بقيادة الوزير خواجه جهان ولما دخل لاهور سلخ جلد بعض المتمردين وقتل البعض الآخر ونكل بنسائهم فسجن ثلاثمائة منهن بسجن كاليور ؛ وتعهد نائب الوزير محمد بن النجيب المعروف بصك السلطان أي كلبه القتل بكل أنواعه للمتمردين وكان ظالما قاسيا ينهش بأسنانه أرباب الجنايات ويسميه السلطان أسد الأسواق .

### تهجير أهل دهلى

#### بالقوة الى العاصمة الجديدة

ومن عذاباته التى جعلت أهل دهلى ينقمون عليه ، معاناتهم من قراره القسرى بتهجيرهم الى دولت آباد عاصمته الجديدة فى الديكان على مبعده ٦٠٠ ميل ؛ والتى هلك خلالها الكثير من المسلمين من النساء والأطفال والرجال بسبب الجوع والإرهاق والمعاناة من طول الرحلة .

قرر السلطان عام ١٢٢٧م نقل العاصمة من دهلى بسبب قربها من الحدود الشمالية ممر غزوها من قبل المغول ؛ الى مكان آمن بوسط البلاد وإختار دولت آباد على مبعده ٦٠٠ كم عاصمته الجديده ؛ يصفها ابن بطوطة بأنها مدينة ضخمة عظيمة الشأن توازى حضرة دهلى فى رفعة قدرها وإتساعها وهى منقسمة ثلاثة أقسام منفصلة كل منها يخص فئة من الناس<sup>(١٥٥)</sup> ؛ دولة آباد وهى مخصصة لسكنى السلطان

<sup>١٥٥</sup> - وصف ابن بطوطة دهلى أو جهلى على حد قوله قاعدة بلاد الهند، بأنها تضم ٤ مدن ، المدينة الإدارية للمسلمين بناها قطب الدين أيبك سنة ١١٩٢هـ / ٥٨٩م والثانية سيرى شيدها وسكنها السلطان علاء الدين ؛ والثالثة طغلق آباد بناها السلطان طغلق والرابعة جهان آباد مقام السلطان محمد آباد ؛ وأكد كتابان سنسكريتيان مؤرخان ١٣٢٧ و ١٣٢٨ م ، الى أن التهجير لم يشمل مدينة دهلى الهندوسية عندما أشارا الى إزدهار هندوس دهلى والمناطق المجاورة فى تلك الفترة .

وعساكره والثانى يسمى الكتكة وتعنى باللغة السنكريتية المعسكر الملكى والقسم الثالث القلعة وتسمى الدويقر التى لا مثيل لها ولا نظير فى الحصانة ويسكن بها المفردون الزماميون (جنود) بأولادهم وفيها سجن الجرائم العظيمة .

وبترتيباته الدقيقة لمثل هذه العمليات ؛ وفر السلطان التسهيلات اللازمة لعملية الانتقال ؛ وقدم معونات مادية للمهاجرين لتغطية أعباء الانتقال ؛ ولما تباطأ الأهالى فى الانتقال إشتري بيوتهم لدفعهم على تنفيذ النقل<sup>(١٥٦)</sup>، وإستخدم كل وسائل الضغط والإرهاب لإرغامهم على سرعة الانتقال ولم يستثنى الأمراء من عقابه ، وفى عام ١٣٢٩ إنتقلت والدة السلطان برفقة النبلاء والعبيد والخدم و العلماء الى العاصمة الجديدة ، ويصور المؤرخ برنى دهلى وهى خالية بقوله " فلم يبقَ فيها كلب أو قطة " .

وينقل ابن بطوطة عن ثقة سببا سادجا لعملية التهجير التى تمت قبل وصوله الهند ؛ فقال " عزم السلطان على تخريب دهلى لقيام أهلها بشتمه كتابة فى بطائق ويرمونها ليلا بساحات القصر ؛ فإشتري من أهلها جميعا دورهم وأمرهم بالرحيل إلى دولة آباد على مبعدة ٦٠٠ ميل ، ولما أبوا أمهلهم ثلاثة أيام ، وخلت المدينة إلا من رجلين أحدهما مُقعد والآخر أعمى، فأمر برمى المُقعد من المنجنيق وسحل الأعمى من دهلى إلى دولة آباد بمسيرة طولها أربعين يوما ، فوصلت رجله فقط بعد تآكل جسده فى الطريق ؛ ولما خوت دهلى ؛ كان السلطان يصعد ليلا إلى سطح قصره وينظر إلى الي فضائها وليس بها نار ولا دخان ولا سراج ، فيقول الآن طاب قلبي ثم كتب إلى أهل البلاد ليرجعوا الى دهلى ليعمروها .

### منطق الانتقال والعودة

إن ماله ابن بطوطة أن قرار الانتقال جاء ليشفى غليله من أهل دهلى لشتهم إياه ؛ فهو سلطان أخرج ومريض نفسيا يذكرنا بنبيرون لما أحرق روما غضبا على أهلها؛ وإن كان يستهدف عاصمة جديدة فى عمق البلاد لتأمينها فهو الأقرب الى الصواب و حكيمًا من وجهة النظر الإستراتيجية ؛ فما بال قراره العودة إلى دهلى عام ١٣٣٥! هل بسبب صعوبة المناخ فى وسط البلاد أم نجاحه فى الحصول على ضمانات من طر مشرين ؛ خان المغول المسلم مقابل بعدم مهاجمة دهلى مقابل أموال وهدايا .

وهناك تفسيرات أخرى ؛ فيقول البعض إن إندلاع الطاعون فى بيدار وموت الكثير من جنوده وهو فى طريقه لقمع تمرد ملبار عام ١٣٣٤ أرغمه على الإرتداد دون قمعه ، وإستتبع ذلك سلسلة تمردات فإفصلت مابار ودوارسامودرا وتمردت

<sup>١٥٦</sup> - ما قاله البعض عن إنشاء السلطان التسهيلات العظيمة ومؤسسات الخدمة القائمة على هذا الطريق لخدمة المسافرين محض هراء ، لأن ابن بطوطة أشار فى وصفه هذا الطريق أثناء رحلة السلطان مبارك الخلقى الى المعبر قبل ذلك بعهود الى أن هذه التجهيزات كانت قائمة .

البنغال ، ولما خشى طغلق تعرض الحدود الشمالية للسلطنة للهجمات قرر عام ١٣٣٥ العودة الى عاصمته القديمة في دهلي<sup>(١٥٧)</sup> حسب ما ذكره الباحث شاندا الهندي وهو في ذلك إبتعد عن الصواب ، ولا أحد يعلم على وجه اليقين سبب قرار الإنتقال في الإتجاهين سوى أنه رجل مريض متعسف يستمتع بمضايقه الخلق.

### عظمة دهلي

يحدثنا ابن بطوطة عن عظمة دهلي عند قدومه الى الهند لأول مرة ؛ فيقول وجدناها خالية لم تُعمر لاتساعها وضخامتها وليس بها إلا قليل من العمارة ، وهي من أعظم مدن الدنيا سورها ليس له نظير في بلاد الدنيا ؛ عرض حائطه ١١ زراعا بطول المدينة من أولها لأخرها ؛ يسمح بأن يمشى عليه الفرسان والرجال ، ذو أبراج كثيرة متقاربة وله ٢٨ بابا يضم مقار لحراس الأبواب ، ومخازن أسلحة وأخرى لتخزين الحبوب ، بها خزين منذ عهد السلطان بلبن مر على تخزينه تسعين سنة ، ويضيف أن السلطان كان ينوي أن يمد السور حول أحياء دهلي الأربع لكن عظم الكلفة منعتة .

### العلوم كتاتيب المساجد

كان السلطان محمد طغلق وهو صاحب حس أدبي ومتبحر في العلوم حسب ما ورد عنه في التعريف بشخصه ، بتشجيع العلم والعلماء وكان يُغدق عليهم ؛ فبرز الطبيب ضيا محمد الذي ادخل الطب اليوناني الى دهلي ؛ والطبيب صدر الدين بن شهاب الدين الدهلوي الذي ذاع صيته في تلك الفترة ؛ واشتهر في عهده عدد من علماء الرياضيات مثل الشيخ المعمر ابي الرضا رتن الهندي الذي يعتبر من الحدّاق بالحساب وسمي بـ(عظيم السند) وتولّى ادارة مدينة سيوستان واعمالها .

وإهتم السلطان بتدريس علوم الحديث والقرآن ؛ وقام مسجد قوّة الاسلام بداهلي بدور الكبير ؛ وكان السلطان محمد قد وسع باحاته ليستوعب أعداداً أكبر من الطلبة ، وآوت المساجد الطلبة الغرباء في مدينة دفتن والجامع الكبير بمدينة هيلي الذي كان يأوى الطلبة ويخصص لهم المرتبات ومطبخاً لأطعمهم لفقراء المسلمين " ، ويُغطي النفقات من الاوقاف الخاصة بالمسجد ، وقام مسجد مدينة سيوستان بعمل مماثل وهو مسجد قديم وُجد فيه اقدم مخطوط اسلامي في الهند يعود الى اواخر القرن الاول للهجرة وهو كتاب الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز ( ٩٩-١٠١هـ/٧٠٧-٧٠٩م ) الذي يأمر بموجبه أن تتولّى عائلة الشيباني الخطابة في جامع المدينة ونصه يقول:

<sup>١٥٧</sup> - Chandra, Satish (١٩٩٧). Medieval India: From the Sultanate to the Mughals . New Delhi, India: Har Anand Publications. Pp. ١٠١-١٠٢.



" هذا ما امر به عبد الله امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز لفلان وتاريخه عام تسع وتسعين " ، ولم تزل تلك الاسرة تتوارث الخطابه حتى وقت زيارة ابن بطوطة للمدينة وكان الخطيب الشيباني مصدرا لتلك المعلومة .

### مشروعاته الإنشائية

من بين أهم مشروعات السلطان محمد بن طُغلق ، إنشاء بحيرة طُغلق شاه بالقرب من مدينة عادل آباد ؛ وهي بحيرة ضخمة لتخزين المياه ، وبحيرة قتلق خان المسماة على إسم مُعلمه .

## علاقاته الخارجية

### • العلاقة مع علاء الدين

#### طرمشيرين خان المغول

غزا جيش طرمشيرين خان زعيم الدولة المغولية ؛ مدينة الملتان في الهند عام ٧٢٧هـ ؛ وهي السنة الثانية من عهد محمد طُغلق وكانوا في طريقهم الى دهلي ، فصالحهم محمد طُغلق بالأموال ليردهم ووقع معهم إتفاق سلام مجحف ؛ بينما يقول ابن بطوطة أن السلطان محمد طُغلق كانت تربطه علاقة قوية بالخان نفسه فقد كانت بينهما مكاتبة ومهاداة وكان محمد طُغلق يخاطبه بالأخ ، وان طرمشيرين بعث بعدد من المغول للعمل في خدمة محمد طُغلق بالهند ومن بينهم أطباء إستقروا في دهلي غير ٤٠ الفا من المغول والترك من قوم طرمشيرين (١٥٨).

ومع تسارع الأحداث ؛ عزل مجلس أسرة جنكيزخان طرمشيرين في إجتماعه بقراقورم نفس العام ؛ لعدم التزامه باليساق دستور جنكيز خان وبايعوا ابن عمه بوزن أغلى خانا وكان مسلما فاسد العقيدة سئ السيرة حسب قول ابن بطوطة ولما ملك ؛ هرب طرمشيرين الى غزنة وهرب ولده وإبنته وزوجها الى الهند ؛ حيث أكرمهما السلطان محمد طُغلق لما كان بينه وبين أبوهما من مودة .

١٥٨ - التقى ابن بطوطة بطرمشيرين خان المغول في مقره بتركستان ، ويصفه بأنه مسلما متواضعا بسيطا ؛ ويحكي أنه قال (لاين بطوطة) " إذا مشيت الى بلادك فحدث أن فقيرا من فقراء الأعاجم ؛ فعل هكذا مع سلطان الترك" ؛ واصل القصة أن السلطان طرمشيرين أرسل خادمه الى المسجد بسجاده طالباً من الإمام أن يؤخر الصلاة حتى ينتهي السلطان من الموضوع؛ فرفض الإمام ونادى بالإقامة قانلا الصلاة لله وليست لطرمشيرين ، ولحق السلطان الصلاة في الركعتين الأخيرتين وكان المسجد ممتلئاً فصلى عند باب المسجد حيث نعال الناس ، وبعد إنتهائه من الصلاة قام وسلم على الإمام وهو يضحك وجلس بجانيه وعندها قال ما قاله لابن بطوطة ، وها أنا ذا أنقل رسالته ثانية، " ويستطرد ابن بطوطة في حديثه بأن هذا الإمام كان وهو يعظ الناس في خطبة الجمعة ؛ يأمر السلطان بالمعروف وينهاه عن المنكر ويغلظ له القول ؛ والسلطان يئصت ويبكى ، ويقول عن الشيخ أنه لم يكن يقبل عطاء من أحد حتى من السلطان ؛ لعهد بينه وبين الله منذ ٥٠ عاما بالألا يقبل من أحد عطاء رغم ما يُبديه مظهره وملبسه ومعيشته من شديد الإحتياج لكنه كان عفيفا راضيا قانعا ؛ رفض محاولة ابن بطوطة إهدانه كسوة بدلا من البالية التي يرتديها - المرجع ابن بطوطة ج ٣ ص ٣١ -

وحاول طرمشيرين الوصول اليهم في الهند فلما بلغ السند ؛ أكرمه حاكمها وبعث للسلطان محمد طغلق في دهلي بخبره وكان قد بلغه ما أشيع عن مقتل طرمشيرين ودفنه بسمرقند ؛ فبعث السلطان بطبيب سبق له معالجة دمل في ركبة طرمشيرين ليتحقق من شخصه ، فعاد وأكد له صدق حقيقته ؛ لكن الوزير خواجه جهان أحمد بن أياس وكبير الأمراء قطلوخان مُعلم السلطان ؛ حذرا السلطان من خطورة ما قد يجلبه وجود طرمشيرين على أمن السلطنة في ظل وجود ابنه وابنته وزوجها وجالية كبيرة من قومه مقيمة إذا ما التفتوا حوله .

فلما دخل طرمشيرين على طغلق أنكره وهو يعلم حقيقته ؛ وإتهمه بالكذب وهدده بالقتل إذا أستمروا في إنتحال شخص الخان وأعطاه خمسة آلاف دينار ، وبعث به لإبنه وابنته بحجة التعرف عليه من قبلهما وكأنه يريد له زيارتهما ؛ فرحبا بالدهما وكتما أمره وبات عندهما حتى الصباح والعسكر في حراسته ثم رحل الى مكران ؛ فكان محل ترحيب مستقبليه طوال الطريق يكرمونه ويضيفونه حتى وصل شيراز فآكرمه سلطانها أبوا إسحاق وأجرى له كفايته.

## • العلاقة

### مع الخلافة العباسية

#### في مصر

إستضاف السلطان محمد طُغلق احد احفاد الخليفة العباسي المستنصر بالله عام ١٣٤١هـ/١٣٤١م ؛ هو غياث الدين محمد بن عبد القاهر بن يوسف بن عبد العزيز واقطعه خراج قرية سيدي وأحاطه برعايته ، وفي عام ١٣٤٤هـ/١٣٤٤م أرسل بعثة برئاسة رجب البرقي احد وزرائه الى الخليفة العباسي أبي العباس الحاكم بامر الله احمد بن المستكفي (حكم الفترة ٧٤١-٧٥٣هـ/١٣٤٠-١٣٥٢م ) طالبا الحصول على الخلعة السلطانية ، وجَهَّز مركبا مُحمل بالملايس والأقمشة الهندية الفاخرة واربعة عشر حُفَّا مُلئت بفصوص الماس وغير ذلك من هدايا نفيسة " ، ومعها كتابين أحدهما الى صاحب مصر السلطان الناصر والخليفة المستكفي؛ وكان كتاب الخليفة موضوعا في مقلمة من ذهب زنتها الف مثقال ومرصعة بالجواهر ؛ و ذكر المؤرخ الشوكاني (١٢٥٠هـ/١٨٣٤م) ؛ أن القراصنة سطو على البعثة بالقرب من عدن وجردها من كنوزها ، ولكن حاكم اليمن الرسولي تمكن من قتل القراصنة وإستعادة الكنوز وإيصالها الى الناصر محمد في مصر.

أرسل الخليفة العباسي سفير الخلافه حاج سعيد صرصري الى السلطان طُغلق ؛ حاملا الخلعة والتفويض ومعه هدية ، ولما علم طغلق بوصول مبعوث الخلافة فرح بوصولها وخرج لإستقبال البعثة ومعه عدد من وزرائه واتباعه ؛ وأمر بنقش اسم الخليفة على نقود البلاد ؛ وكانت النقود تسك سابقا بإسم السلطان غياث الدين طُغلق ثم

بأسم محمد طُغلق فأزال اسمه ووضع اسم الخليفة بدلا منه...ومما يُذكر ان السلطان قطب الدين ايبك كان اول من نقش اسم الخليفة على عملة بلادة ؛ وكتب عليها : " الامام الاعظم نائب الله وخليفته في ارضه "

### • العلاقة مع ممالك عربية

العراق كانت علاقة طغلق جيدة بالعراق فقد كان بدهلى عدد كبير من التجار والعلماء العراقيين وكان العديد من امراء العراق يزورون السلطان .

الشام إستقبل السلطان الامير غدا سيف الدين بن مهتّى امير عرب الشام (عام ٧٣٣ هـ/١٣٣٣م) واكرمه وانزله في القصر الاحمر ؛ محبة سلطان الهند للعرب المسلمين ، ولم يكتف بذلك بل زوج الامير باخته ؛ ولكن السلطان غضب عليه ؛ وسجنه لسوء تصرف الامير وتطاوله على حراس السلطان .

### • العلاقة مع الصين

تبادل السلطان طغلق البعثات والهدايا مع خاقان الصين هيون تي Shun-Ti ٧٣٤-٧٦٩هـ/١٣٣٣-١٣٦٨م فى أواخر عهد دولة المغول فى الصين ؛ فأرسل خاقان الصين سفارة من ١٥ شخصا الى السلطان محمد طُغلق محملة بالهدايا طالبا السماح له بإعادة بناء معبد بوذى يحج اليه البوذيون من أهل الصين في ارض تابعة للمسلمين في منطقة سمهل عند جبل قراجيل الحدودي كان قد دمره جيش المسلمون كما سبق القول ؛ فرد عليه "بأنه لا يجوز فى ملة الإسلام بناء معبد فى أرض المسلمين إلا لمن يعطى الجزية فإن إرتضيت إعطائها (لنا) أبجنا لك بناءه" .

كانت هدية ملك الصين الى السلطان طُغلق ؛ مائة جارية ومملوك و ٥٠٠ ثوب من الكمخا منها مائة مصنعة فى مدينة الزيتون الشهيرة (قوانغتشو) (١٥٩) ، ومائة من الخنسا ،بالإضافة الى ٥ سيوف و ٥ امان مسك و ٥ من التراکش المزرکشة و ٥ من أثواب مرصعة بالجواهر ، بينما رد السلطان هدية الى الخاقان فاقت هديته فأرسل له مائة فرس من الجياد الملجمة و ١٠٠ مملوك وجارية مغنيات وراقصات من كفار الهند وخمسة عشر من الفتيان ؛ و مائة ثوب قطن بيرمية لا مثيل لها فى الحسن ؛ قيمة الثوب فى زمنها مائة دينار ومائة شقة من ثياب الحرير المعروفة بالجزّ ، وهي التي يكون حرير إحداها مصبوغا بخمسة ألوان وأربعة، ومائة ثوب من الثياب المعروفة بالصّلاحية، ومائة ثوب من الشّيرين باف ، ومائة ثوب من الشان باف ، وخمسمائة ثوب من المرعز، مائة منها سود، ومائة بيض، ومائة حمر، ومائة خضر، ومائة زرق، ومائة شقة من الكتان الرّومي، ومائة فضلة من الملف، وسرّاجة وستّ من القباب، وأربع حسك من ذهب، وست حسك من فضة منيّلة، وأربعة طسوت من الدّهب

<sup>١٥٩</sup> - ميناء كوانتون فى الصين ويقول عنه ابن بطوطة أكبر ما شاهده من مدن .

ذات أباريق كمثلها، وستة طسوت من الفضة، وعشر خلع من ثياب السلطان مزركشة، وعشر شواش من لباسه، إحداهما مرصعة بالجواهر وعشرة تراكش مزركشة، وأحدها مرصع بالجواهر، وعشرة من السيوف، أحدها مرصع الغمد بالجواهر، ودشت بان وهو قفاز مرصع بالجواهر " .

ورافق ابن بطوطة وأهله القافلة ؛ في حراسة الف من عسكر السلطان عبر الأراضي الهندية ؛ انطلقت البعثة في يوم السابع عشر من صفر عام ٧٤٢هـ/ الثاني والعشرون من مارس ١٣٤١م بطريق الدواب شرقاً باتجاه البحر ، مروراً بمدينة قنوج ومدينة عليكره التي تبعد ثمانين ميلاً عن دلهي حتى يصل الى ميناء السفر ؛ وأثناء الرحلة نزلت القافلة بمدينة قرب بلدة الجلالى ؛ فهاجمتها فرقة من الكفار قاطنو الجبال مكونة من الف فارس واربعة الاف رجل المدينة وكادوا أن يملكوها ؛ فتطوعت البعثة بالتصدي لهم وأفتتهم جميعاً واستولت على خيلهم وأسلحتهم وأستشهد من القافلة ٢٣ فارساً و ٥٥ رجلاً منهم كبير مسئولى القافلة الملك كافور ؛ فأرسلوا بخبره الى السلطان الذى ارسل بديلاً له سنبل الجامدار وامرهم بمواصلة السير .

وأثناء إنتظار القافلة رد السلطان ؛ كان عسكر البعثة يُعينون أمير الناحية على مدافعة كفار الجبل ، وفي إحد المطاردات إفترق ابن بطوطة عن زملائه وضل الطريق فأسره الكفار وكلفوا ثلاثة مسلمين من بينهم بقتله ، ولما إبتعدوا به إختلفوا في أمره ولما جاءهم مندوباً من الكفار كلفوه بقتله وغادروا ؛ فلما خلا مع ابن بطوطة ساومه ولما لم يجد معه شيئاً تركه حراً وأرشده الى طريق الهرب ، حتى لحق بالقافلة وإستأنف السفر (١٦٠).

### التخطيط لغزو

#### خراسان / الصين / إيران

لما كانت الأمور غير مستقرة في ممالك المغول ؛ طمح طُغلق فى ضم خراسان بعد عزل السلطان ترماشيرين ؛ وإيران بعد موت هولاکو ؛ فبالنسبة للأولى كلف عام ١٣٢٩ بعض أهل خراسان ومنها معظم جنوده ليأتونه بأخبارها ، ولكنه لم يتحرك فى هذا الإتجاه لعدم وثوقه فى الأمر ، فإتجه الى غزو إيران وجهاز جيشاً من ٣٧٠ الف جندي و ٣٠٠ الف حصان لكنه لم يُقدم على التحرك وبقي الجند فى دهلى مدة عام ثم صرفهم بعدما أنفق عليهم الكثير ؛ رد البعض سبب الغاء الحملة الى صعوبة توفير الأموال اللازمه لها .

أما ما كتبه المؤرخان بادوني و فيريشته عن حملته لغزو الصين عام ١٣٣٣ م بأنها تعثرت في جبال الهيمالايا ومات من جنودها وخيلها الكثير لعدم تحملهم البرودة القاسية في المرتفعات وعدم معرفة جنودها بفنون حرب الجبال فالحقت بفلولهم مملكة كانجرا الهندوسية في هيماشال وخسرت الحملة ١٠ الاف من جنودها أكثرهم جراء البرد ؛ ولا يوجد أى إشارات بأن الصين كانت هي المقصد الحقيقي للحملة ، وما ورد عنها يُشير الى أن مقصدها كان إحتلال مملكة هيماتشال حسب ما ذكره الدكتور الجوارنه في سرده للمعارك الإسلامية (١٦١) ، وهو الأقرب الى التصديق ؛ فلا يستقيم مع المنطق أن يفكر محمد طغلق في غزو الصين رأس الإمبراطورية المغولية آنذاك ؛ في وقت يتهيب فيه الصدام مع المغول علي أرضه في الهند ، وإشتري أمنه منهم بمرضاة سلطانهم تارماشيرين حتى يتراجع عن غزو دهلي ؛ ثم ما الداعي لمغامرة غزو خارجي و ظهره مكشوف في فضاء الهند المتسع الذى يلقى فيه الهزيمة تلو الأخرى و أنهكته ثورات أقاليمها في الفترة الأخيرة من عهده .

### تدهور الوضع الإقتصادي لداهلي في أواخر عهد السلطان محمد طغلق

أفرغ إسراف السلطان وحملاته ؛ خزينة الدولة التى تجاوزت نفقاتها ٣٦ لآك في السنة (١٦٢)، في وقت تدهور فيه اقتصادها نتيجة المجاعة والأوبئة والجذب ما أدى الى نقص المحاصيل مصدر الضرائب ؛ فزاد السلطان الضرائب بشكل لم يحتمله الناس ، ويقول مؤرخ البلاط ضياء الدين برني كان يُطلب من أهل الذمة (غير المسلمين) التخلي عن نصف محصولهم للضرائب التى تشدد السلطان فى تحصيلها فهجر الهندوس الزراعة وهربوا إلى الأدغال وعملوا بقطع الطرق والإغارة على القوافل ؛ فطارد عسكر السلطان الفلاحين البؤساء مثل الحيوانات وحاصرتهم فى الغابات وأوقعت بهم المذبح فى دواب وقنوج وغيرها ؛ وقطعت رؤوس من قبض عليه وعلقت على متاريس ؛ وتزامن مع ذلك مجاعة قرابة عقد من الزمان أودت بحياة الملايين من الأشخاص فى الريف .

والجديد فى ذلك الزمان ؛ سبق السلطان محمد طغلق اللجوء الى حلول إقتصادية مبتكرة لمعالجة تدهور الوضع الإقتصادي بإصداره عملات نحاسية من المعدن الرخيص بدلا من العملات الفضية ؛ فزيفها الهنود وهم المهرة فى صياغة المعادن وسددوا بها الجزية والضرائب فأغتنى الراجات ورؤساء القرى وملاك الأراضى بينما أصبحت الدولة هى الخاسر الوحيد ؛ فتراجعت قيمة العملة وأصبح لا قيمة لها وزاد الأمر سوءا تدهور التجارة ، فإضطر السلطان لسحب العملة من التداول .

١٦١ - أ.د. احمد محمد الجوارنه- جامعة اليرموك - الأردن ص ٧٣ .  
١٦٢ - (الكرور = ١٠٠ لآك) و(اللاك = ١٠٠ ألف دينار)

## تدهور قوة السلطنة العسكرية بعد موقعة مضيق جبل قراجيل

هزت هزيمة جيش دهلي في جبل قراجيل هيبة السلطنة العسكرية ، وهو جبل كبير تُغطى مساحته مسيرة ثلاثة أشهر، يملكه ملك من أكبر ملوك الكفار، وكان السلطان قد بعث جيشا من مائة الف فارس غير الراجله وآخرين كُثر لمحاربتة ، فاستولوا على المنطقة أسفل الجبل بعد أن خربها الكفار وفروا إلى أعلى الجبل ، فتبعهم الجيش عبر ممر ضيق لا يسمح إلا بمرور فارس واحد وتملكوا مدينة ورنكل وكتبوا إلى السلطان بالفتح ، فأمرهم بالإقامة فيها وبعث لهم قاضيا وخطيبا ، وفي موسم المطر لم يحتمل العسكر وخيلهم جو الجبل فاستأذنوا السلطان بالنزول الى سفحه الى أن ينصرم فصل المطر ، فلما علم الكفار تربصوا بأعلى المضيق والقوا علي العسكر كتل الأشجار الضخمة فقتلوا منهم الكثير وأسروا وغنموا الخيل والسلاح ، ولم يفلت من العسكر إلا ثلاثة من القادة كبيرهم نكببة وبدر الدين الملك دولة شاه ؛ وزاد الأمر سوءا قضاء الوباء على آلاف العسكر في مدينة بدركوت ؛ أثناء حملة الجيش على المتمردين في المعبر التي استمرت لستة شهور.

### إنفصال الأقاليم

مرض السلطان في تلك الأثناء وهو في دولة آباد بعيدا عن دلي ؛ فأشاع الناس موته فاندلعت الفتن بين قادة الأقاليم وتوالت الثورات في موجه عامة شملت معظم الأقاليم بدأت عام ١٣٢٧ هلك في معاركها أمم من الناس ؛ ولما إستعاد السلطان صحته سيطر على الوضع ونكل بأهل الأقاليم بأنواع القتل المختلفة.

وفي عام ١٣٣٦ تمكنت قوى هندوسية ناشئة من الحاق الهزائم بدھلي في معركة سينجولي فحرر هاميرسينغ - راجبوتانا ؛ واستعاد موسوناري نايك - وارانجال بعد إنتصاره على جيش سلطنة مادوراي (١٦٣) التي كانت تحكم جزءا كبيرا من جنوب الهند كما انفصل أحد جنرالات طغلق وأسس مملكة بهماني في الديكان الغنية .

### موت السلطان وانهيار الإمبراطورية

مات السلطان محمد طغلق في مارس عام ١٣٥١ وهو في طريقه لتأديب طاغي حاكم ولاية كوجرات لتمرده ؛ تاركا سلطنة متداعية عسكريا وإقتصاديا وجغرافيا وفوق

١٦٣ - ظلت مادوراي تحت سيطرة سلالة تشولا حتى بداية القرن ال ١٣ ، ثم خضعت لإمبراطورية البانديون الثانية بعد وفاة كولاسيكارا بانديان (١٢٦٨ - ١٣٠٨ م)، أصبحت مادوراي تحت حكم سلطنة دهلي عام ١٣٠٨ ثم انفصلت عن دهلي ؛ كسلطنة مستقلة تحت حكم السلطان جلال الدين أحسن خان، أول حاكم لسلطنة مادوراي ١٣٣٥-١٣٣٩ م ، ثم سيطرت عليها إمبراطورية فيجايانا جارا عام ١٣٧٨ م.

هذا كله بلا وريث من عقبه يرقى عرشها ؛ وحاول وزيره خواجه جهان شغل المنصب بصبي إدعاه ابنا لمجد بن طغلق ؛ ولكن الناس رفضوه وبايعوا فيروز شاه طغلق ابن عم السلطان الراحل وكان عازفا عن الحكم ؛ وبصعوبة بالغة أقنعه الأمراء وعلماء الدين بقبول المنصب بعد الحاح ، وبذلك إنتهت حقبة ليس لها سابقة من قبل ومن بعد .

### الخلاصة

وإنتهى أمر السلطان الدموى محمد طغلق أبو المتناقضات ، ليصبح إسمه رمزا للحماقة فى الثقافة الشعبية الهندية ؛ ويبدو أن الهندوس لم يعيروا دمويته ذكرا لكونهم كانوا فيها أدوات تعذيب فى معظم الأحوال وليسوا بمُعذِّبين ، ولعدم نيّله منهم بصفة أساسية لإنصابتها على المكون المسلم المحيط بالسلطان ، أو لأنها كانت بالنسبة لهم أمرا أصيلا وإعتياديا فى ضمير التاريخ الهندى منذ القدم فلم يعينهم الإشارة إليها ، أو تجاهلوا وحشيتته مجاملة لأصوله الهندوسية .

(٣)

السلطان

فيروز شاه طغلق

٧٥٢ / ٧٨٩ هـ

١٣٥١ - ١٣٨٨ م

## شخصه وسياساته

تولى الحكم سنة ٧٥٢ هـ / ١٣٥١ م ؛ وهو فى السبعين من العمر له جذور مشتركة تركية / راجبوتية ، عمه غازي مالك (السلطان غياث الدين طغلق) ؛ أمه بيبي نيلا بهاتى أميرة راجبوتية كاياسة من هاريانا ، كان عادلا رحيمًا مسالما محبا لفعل الخيرات ؛ إنعكست صفاته على سياساته ، فأبطل طرق التعذيب الوحشية التى كان يتبعها السلطان محمد طغلق بسكب الرصاص المنصهر فى الحلق وإنتراع أظافر اليدين والقدمين وسلخ الناس أحياء وما سبقت الإشارة اليه من طرق العذاب ، وتخلص من القائي على التعذيب فى عهد محمد طغلق وكل من كان فى خدمته (١٦٤) ؛ وأزال المظالم التى إرتكبها وعوض أصحابها ومن الطريف أنه أستكتبهم عفوا وبراءة عن السلطان الراحل ووضعها فى قبره .

أنشأ ديوانا للخيرات لتزويج الفقيرات ومشافى لرعاية المرضى والضعفاء والشيوخ ؛ وقرر معاشا للعجزة والقاعدين عن العمل ؛ ومن رحمته تضخمت حيازته للعبيد فبلغوا ١٨٠ ألفا حسبما يُشاع خصص لرعايتهم إدارة خاصة تعتنى بشئونهم ؛ ولم يكن غرض السلطان الإستعباد بقدر ما كان الرحمة بهؤلاء ؛ فمن عطفه كان يشتري بنات الأسر الفقيرة المعروضة للبيع بسبب الفاقة فترة الجذب والمجاعة لعدم قدرة أهاليهم على إعاشتهم ؛ وكان يعيدهم الى أسرهم بعد زوال الأسباب أو يعلمهم الحرف ليتعيشوا منها ويدفع النجباء لدراسة الدين والأدب.

ولا نعرف على إحتساب المؤرخون كثرة عبيده ، فمره يقولون ١٨٠ الفا ومرة ٤٠ الفا الذين فى قصره ، ولا نرى فى أى الرقمين معقولة ؛ فإذا قبلنا الرقم الأكبر على أساس أنهم منتشرون فى حقول الدولة فلا يمكن قبول رقم ٤٠ الفا الذين يعملون بالقصر فمقرات السلاطين فى الهند لا تتسع لإيواء هذه الرقم بل أقصى ما يمكن مئة أو أكثر قليلا من هذا العدد على أكثر تقدير ، وعلى حال ؛ فلا يلقى المهاجمون على عرقيته التركية كل العبء فهو يحمل الدماء الهندوسية أيضا .



كان مسلماً ملتزماً رفع من شأن علماء الدين وأجزل لهم العطايا ، حارب مظاهر الشرك والبدع فأصدر قراراً بمنع زيارة قبور الأولياء ، شجع إعتناق الإسلام بالعطايا ، وذكر في مذكراته "شجعت الرعايا الكافرين على اعتناق الإسلام وأعفيت كل من يسلم من الجزية" ، وله فضل إعتناق راجبوت تشواهان الإسلام في القرن الرابع عشر؛ وهم معروفون في راجاستان حالياً باسم Qaimkhanis ؛ والغى إعفاء البراهمة (كهنة الهندوسية) من الجزية ، وأحرق واحداً منهم حياً لتحريضه المسلمات على إعتناق الهندوسية ؛ وتشدد مع جماعات الشيعة حسب ما ذكره شمس سراج عفيف مؤرخ بلاطه ، وبدأ في تطبيق صارم للشيعة في البلاد عام ١٣٧٦ م بعد وفاة حفيده ووريثه في الحكم ؛ ويشير كتاب " فتوحات فيروز شاه " إلى تشدد السلطان مع الرافضة التي لا تعترف بالخلفاء الراشدين الثلاثة الأول ويعتبرون القرآن من ملحقات عثمان أي لا يعترفون به ؛ ولا نعرف ما إذ كانت مسميات الرافضة والباطنية شيئاً واحداً يندرج تحت الإنحراف عن الإسلام أم شيئين مختلفين .

كان فيروز شاه متسامحاً مع الهندوس ؛ وحظر بعض مناسكهم فأبطل الساتى ( حرق الزوجة مع جثمان زوجها المتوفى إذا لم يكن لها ولد) ، ووصفه البعض بمحطم الأصنام فقد هدم معابد جوالا - موخي في كانغرا وجاغاناث بوري في أوريسا و في حصن نكركوت ، ويُقال أنه كان يُعيد بناء المعابد التي دمرتها جيوشه ، ولا نعرف سبب التناقض المؤرخون في امر كهذا ؛ كان مالك مقبول أو خان جهان مقبول<sup>(١٦٥)</sup> كبير وزراءه هندوسياً حسن إسلامه وإخلاصه كان السلطان يلقبه بالأخ ؛ أدار مالك مقبول البلاد بكفاءة عندما قاد فيروز شاه طغلق حملة إلى السند وجوجارات لمدة ستة أشهر .

### سياسته الزراعية

الغى إقطاع الدولة وضم إقطاعات أراض للأمرء والقادة وضمها لممتلكات الحكومة ، و عوض ملاك الأراضي الذين فقدوا أراضيهم ، ألغى ٢٣ ضريبة غير قانونية ولم يُبق إلا المذكورة في القرآن (الخراج، والزكاة، والجزية، والخمس) ؛ وأعفى المزارعين من الديون المتركمة منذ عهد محمد طغلق ؛ وشدد الرقابة على محصولها لمنعهم من تحصيل زيادات لأنفسهم ؛ وإستصلح الأراضي ، وحفر القنوات والآبار وانشأ خزانات المياه ( ٣٠ خزانا وسدا) في شكر خان وسد وزيراباد ،

<sup>١٦٥</sup> - كان ياجندهار (مالك مقبول) قيل إسلامه ؛ وزيراً لدى براتابرايدرا ملك ورنجل في تاميل نادو جنوب الهند ؛ أسره محمد طغلق مع ملك البلاد عام ١٣٢٣ ؛ ورحلوهما إلى دهلي فاتحراً الملك في الطريق غرقاً في نهر نارامادا ؛ بينما أسلم ياجندهار وتسمى "مالك مقبول" ، وولاه السلطان حكم ملتان ثم البنجاب وتيلانجانا الشرقية ؛ ولما تمرد الملك كما واستعاد ورنجل فر مالك مقبول إلى دهلي ففاز بثقة آل طغلق ورافق السلطان في رحلته إلى غوجارات لإخضاع المتمردين ، واستطاع إخماد الثورة ثم أصبح وزير المالية ، وأخيراً وزير سلطنة دهلي في عهد فيروز شاه طغلق (١٣٥١ - ١٣٨٨) وبعد وفاة مالك مقبول عام ١٣٦٩ م، عين السلطان فيروز شاه طغلق ؛ ابنه جونان خان بن مالك مقبول وزيراً خلفاً لوالده ولكنه فشل في إخماد الثورات وانتهى أمره بأسره وإعدامه .

وقناتين طولهما ١٦٠ ميل ، واقام شبكة قنوات تربط أنهار اغار ويامونا وسوتليج والجسور ، وأنشأ بحيرة شاه زاده فتح خان (باسم ابنه الأكبر)، وبحيرة شاه زاده مبارك (ابنه الآخر) وبحيرة ضخمة عند حصن فيروز ، و كبار الإقطاعيون بحيرات صناعية فى مقاطعات راجاستان ؛ فأنشأ مالك بن فيروز بن محمد بحيرة بحر فيروز ، ووفرت شبكة القنوات التي قام على إدارتها مهندسون أكفاء ؛ المياه للأراضى الزراعية البعيدة عن مجار الأنهار، واستمرت هذه الشبكة فى خدمة الري حتى نهاية القرن التاسع عشر ؛ وعدد نزهة الخواطر ما أقامه من مشوعات بأنها ٥٠ نهرا و ١٠٠ جسر و ١٥٠ بئر و ١١٠٠ حديقة فى ناحية دهلى و ٨٠ بناحية سادرى و ٤٠ فى جتور (١٦٦) ؛ وبلغ دخل الدولة سنويا من حدائق منطقة دواب ثمانين لك ، و دهلى ٦ كرور و ٨٥ لك ، وقدمت ألف ومائتى قرية ١٨٠ ألف تنكة سنويا.

### آثاره العمرانية

أسس العديد من مدن جونبور وفاتح آباد و فيروز بور وفيروز آباد وحفر قناة تربطها بنهر جمنا ، وبنى أكثر من ٣٠٠ قرية واربعين مسجدا منها مسجد وزير آباد قرب دهلى - و ٢٠ زاوية ومائة قصر وخمسين مارستانا (مشفى) ومائة مقبرة - ٣٠ مدرسة- ورتب ارزاق الأئمة والمدرسين والعمال.

### الثقافة

إهتم بجمع التراث فحصل من مكتبة حصن نكرکوت على ١٣٠٠ كتاب بعد فتحه وكلف المترجمون بترجمتها من السنسكريتية الى الفارسية ؛ وكلف العلماء بكتابة عدة كتب منها دلائل فيروز شاه و تاريخ فيروز شاه عن تاريخ ملوك دهلى ؛ وله هو نفسه كتابا فى السياسة والرئاسة ، وإخترع ساعة يخرج منها صوت كل ساعة وعند كل صلاة نصبها فى مدينته (١٦٧) .

### غزواته

غزى البنغال مرتين بين عامي ١٣٥٣ و ١٣٥٤م، فى عهد حاكمها إلياس شاهوبين عامي ١٣٥٩ و ١٣٦٠ م مرة أخرى فى عهد إسكندر شاه بن إلياس ؛ ثم تصالح مع حاكمها شمس الدين بعد أن رق لتوسلاته وتقبل هداياه ، وعفى عن علاء الدين البهمنى حاكم الديكان بناء على تدخل الخليفة العباسى فى القاهرة ٧٥٧هـ/١٣٥٦م ؛ وترك حصار السند وعاد دون قتال ؛ فأخذ حاكمها أسرى جيش السلطان الى السلطان فى دهلى طالبا العفو.

<sup>١٦٦</sup> - ص ١١١ ج ٢ ( نقلا عن الأستاذ النمر ١٣٦ )  
<sup>١٦٧</sup> - النمر نزهة المشتاق ص ١١٢ ج ٢

وفتح جيش السلطان حصن "جنكر" الهندوسى عام ٧٦٠هـ - ١٣٥٩م ؛ وحطم معابده وأرغم أمير الإقليم الهندوكى على دفع جزية كبيرة وأجبر راجا جاجباتي من جاجناغار في أوريسا على دفع الجزية ، كما إستولى على حصن "نكركت" سنة (٧٦١هـ / ١٣٦٠م) ؛ و كوتاك ، حطم معابد جاغاناث ، بوري وأجبر ناجاركوت على دفع الجزية ، وفعل الشيء نفسه مع ثاتا .

### محاولات إغتياله

#### و حرب الوراثة

تعددت المؤامرات لاغتيال فيروز شاه ؛ قام بإحداها ابنة محمد بن طُغلق وقام بأخرى ابن عمه ؛ وفي أواخر سنوات عمره كثرت المؤامرات والفتن فاندلعت الحرب الأهلية عام ١٣٨٤ بين فصائل النبلاء وإستمرت حتى وفاته في رمضان سنة ٧٩٠هـ / ١٣٨٨م ، وبعد عشر سنوات من وفاته لما غزا تيمور لنك دهلي زار قبر فيروز شاه تقديرا منه لمكانته وصلى ركعتان بجوار القبر شكرا لله .

### تمرد الهندوس

تولى أبو بكر شاه الحكم لكنه توفي في نفس العام ، فتجدد الصراع على السلطة عام ١٣٩٤ بين محمد طُغلق الثاني وابن عمه أبي بكر ؛ إنتهى بتولى محمد طُغلق الثاني الحكم سنة ٧٩٣هـ / ١٣٩٠م ؛ وبدأ في مطاردة ابن عمه أبي بكر والأمراء المتضامنين معه ، فإستغل هندوس سفوح جبال الهيمالايا الوضع فتوقفوا عن دفع الجزية وانضم اليهم هندوس منطقة دواب الجنوبية ؛ فهاجمهم السلطان محمد شاه عام ١٣٩٢ وأعدم جماعة من الفلاحين ، وبعد عامين عام ٧٩٥هـ / ١٣٩٤م بعد سنتين من الحكم قُتل السلطان محمد شاه ، وتمرد هندوس منطقة لاهور وشمال غرب جنوب آسيا وأعلنوا الإستقلال عن السلطنة ، وتولى السلطان همايون شاه (إسمه الشخصى علاء الدين سكندر شاه) ٧٩٥ هـ / ١٣٩٤م ؛ الذى قُتل بدوره بعد شهرين وفى قول آخر مات مريضا .

(٤)

السلطان ناصر الدين

محمود شاه طُغلق

(الفترة الثانية)

٧٩٦ - ٨١٥ هـ / ١٣٩٤ - ١٤١٣ م

تولى ناصر الدين محمود شاه الملك خلفاً لأخيه همايون شاه (علاء الدين سكندر شاه) ، في جمادى الأولى ٧٩٦ هـ الموافق سنة ١٣٩٤م، ولكنه لم يتمكن من السيطرة على الأمراء المتمردين فقام زعيمهم تترار خان بتنصيب / نصير الدين نصرت شاه حفيد فيروز شاه سلطاناً ثانياً في فيروز آباد ٧٩٦ هـ/١٣٩٤م ؛ وانقسمت المملكة بين سلطانين أحدهما السلطان ناصر الدين محمود ومقره دهلي وحكم المناطق الشرقية ، والآخر السلطان نصير (ناصر) الدين نصرت شاه ومقره فيروز آباد ويحكم المناطق الغربية ، واستمرت الحرب بينهما حتى عام ١٣٩٧ الذي توفي فيه السلطان نصرت شاه المُقيم في فيروز آباد بعد ٤ سنوات قضاها في الحكم ؛ وفي عام ٨٠١ هـ/١٣٩٩م احتل تيمورلنك دهلي بعد أن هزم جيش ناصر الدين محمود شاه .

## غزو تيمور لنك العابر لدهلي

شتاء ١٣٩٧-١٣٩٨

كان تيمور لنك (١٣٣٦ - ١٤٠٥م) مؤسس الإمبراطورية التيمورية واحدا من أعظم القادة العسكريين في التاريخ وآخر عظماء بدو السهوب الأوراسية الفاتحين وأكثرهم وحشية أو هكذا روج له الرواة حتى يبث الرعب في قلب الأعداء ؛ وأقوى حكام العالم الإسلامي في زمنه فلم يُهزم أبدا في تاريخه المديد فكان نكبة على عالم الإسلام ؛ لم يتورع في الخوض في دماء المسلمين وإرتكب مجازر لا تُغتفر في سوريا والعراق وإيران والهند وهزم الإمبراطورية العثمانية الناشئة ونقل سلطانها أسيرا في قفص الى سمرقند ولم يرع حرمة النساء المسلمات في زوجة السلطان العثماني فأبقاها عارية ، إكتسح آسيا الوسطى والقوقاز وجنوب روسيا وما حولها وهزم القبيلة الذهبية ؛ ورأى الأوروبيون في أفعاله المرحب بها ضد المسلمين ما يستوجب التحالف معه وأوضاعهم ما زالت غير مستقرة في الأندلس ؛ فأرسلوا اليه بعثة لهذا الغرض قبل إنقضاضهم على غرناطة.

### إنقضاضه على الهند

لما سمع تيمور لنك وهو فى الستين من العمر بإضطراب سلطنة دهلى بعد موت فيروز شاه طغلق ؛ فكر فى غزوها ولكنه تردد بناء على نصيحة قواد جيشه ، لولا ابنه ميران شاه الذى دفعه الى غزوها محفزا إياه بأن يكون على قدم المساواة مع الشاهنشاهات الكبار قيصر وخاقان التتار وملك الصين ؛ فلم يكن الغرض من الغزو الحصول على أي منفعة مادية بقدر ما كان رفعة الشأن.

إستفتح تيمور القرآن ليحسم أمره ؛ فجاء الفتح على آية التوبة آية ٧٣ " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَا وَأُوْلَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ " ؛ فإستبشر بها وجهاز جيشا من ٩٠ الفا تقريبا ؛ و بعث حفيده بير محمد جهانجير بمقدمة الجيش فإحتل البنجاب عام ٧٩٩ هـ ؛ ولكن تعذر عليه إحتلال حصن اتشه (اوجه) الذى صمد حتى وصول نجدة دهلى لتفك الحصار لكن المغول التيموريين خدعوا جيش دهلى بعد ذلك وأوقعوا به وقتلوا منه الكثير ، وتقدموا لحصار الملتان الى أن جاء تيمور بعد ستة اشهر على رأس قواته الرئيسية وإستولى عليها فعين خضر خان اللودهى وهو من أشرف دهلى حاكما عليها.

واصل تيمور لنك مسيرته الى دهلى باطشا بكل من فى طريقه من قلاع فإستولى على قلعة بهات وقتل سكانها وعلى سامانا ديبالبور ونكل بسكانها كعادته بسبب قتلهم عامله الذى عينه حفيده قبلا حتى وصل سارسوتى الهندوسية فدخلها بدون قتال ؛ ولكنه أظهر الشدة وقتل البعض فأسلم من أراد أن يشتري حياته ، ثم دخل فتح أباد بعد هزيمة قبائل الزط التى تسكنها ثم كيتاهل ، وسوى حصن ميروت بالأرض لمقاومته الشديدة .

مهدت دموية مسيرته الطريق الى دهلى فهرب السكان من وجهه حتى أصبح على مبعده اميال من دهلى ، وهناك قتل أسراه الثلاثة الاف بناء على نصيحة قواده حتى لا يكونوا عبئا عليه خلال المعركة (١٦٨) ؛ وخرج السلطان محمود الدين محمود شاه من دهلى للقائه فى شتاء ١٣٩٧-١٣٩٨ وكان تعداد جيشه ٤٠ الفا و ٢٧ فيلا محملة بأجراس وأبراج محتشد بالمقاتلين ، ولم يعبأ تيمور لنك بالفيلة فقد إستعد لها بنثر أشواك من الحديد فى طريقها بأرض المعركة ؛ فألمها المسير عليها فهاجت وفشل دورها القتالى وإنقلبت تدهس جيشها الذى انهزم رغم إستبسال جنوده وفر السلطان

١٦٨ - البدايوني - ٣٥٦/١ - المصدر د احمد جوارنه - جامعة اليرموك - ص ٧٥ ؛ وهنا يبطل القول أنه قتل مائة الف أسير هندوسى قبل معركة دهلى وإدخر صغار السن من القتل ، بينما يقول البعض ان القتلى كانوا من أهل دهلى نفسها بفناتهم المختلفة مسلمين وهندوسا ويونيين أثناء الإقتال الذى جرى بينهم وبين جنده عند جمعهم الإتاوات فقتل هندوس دهلى أحد جنود المغول بعد التشاحن معه وإنضم بقية أهل دهلى الغاضبين لقتال المغول .

ناصر الدين محمود طغلق الى الكجرات وهرب وزيره اقبال خان الى بيرن وتفرق جنده في الجبال .

استسلمت دهلى بعد ثلاثة أيام من الحصار فدخلها تيمور و صلى ركعتين شكر لله بجوار قبر فيروز شاه طغلق واستقبل الساداتية الأشراف والمشايخ طالبين الأمان للمدينة ، ولكن الأحداث سارت على غير ما إعتقدوا عندما قتل الأهالى أحد جنود تيمور لتعسفهم فى جمع الإتاوات ؛ فإستباح جنوده المدينة وأحدث ١٥ الفا من جيشه فوضى فيها لثمانية أيام ذبحوا فيها الكثير من أهلها ولم يسلم غير الحى الذى يسكنه الأشراف ؛ وقد علق تيمور لنك فى مذكراته عن غضبه من تصرف جنوده ؛ ويقول أن قادة جيشه الذين أرسلهم لفض الشغب إنغمسوا فيه (١٦٩) .

### غنائم تيمور لنك

وبعد أسبوعين علم تيمور لنك بموت برقوق سلطان ممالك مصر ؛ فطار فرحا لرغبته فى غزو مصر وكان يخشاه ؛ فغادر الهند فى عجلة ولم ينتظر ليستقر وضعه فيها ؛ فكلف خضر خان اللودهى حاكمه على الملتان بالسند (١٧٠) بالإنقال الى دهلى ليستكمل فتح الهند ولم ينتظر وصوله وغادر مسرعا عائدا الى سمرقند .

حمل تيمور لنك من الهند الى سمرقند غنائم هائلة منها سبعين فيلاً محملة بالأحجار والرخام والخامات النادرة اللازمة لتشبيد مدرسته الشهيرة الرائعة فى سمرقند ، ومعهم علماء وحرفيين مهرة اللازمين لبناء منشآته فى سمرقند ، و حمل أسراه من دهلى ومعظمهم من المسلمين منهم خمسة عشر من رجال الدين بخلاف الهندوس للخدمة فى جيشه أما قتلاه فمعظمهم أيضا من المسلمين .

### مذابح تيمور

#### بين الحقيقة والخيال

إتهم المهاجمون تيمور لنك بأنه قتل مائة الف من سبيه مضطرا قبل معركة دهلى عام ١٣٩٨ ؛ لصعوبة السيطرة على مثل هذا العدد الضخم أثناء القتال ، ويحق لنا التساؤل عن حقيقة تدبير مقتلة بهذا الحجم لعدد مائة الف؛ وهو شأن عظيم يستحيل تنفيذه عمليا فى وقت قصير خاصة قبل معركة ؛ فهل من الممكن لجيش عدده تسعين الفا أن ينشغل بمثل هذه المقتلة التى تتطلب شهورا كم أنهليس من المعقول أن يحشد

١٦٩ - ترجمة , John Dowson و H.M.Elliot .

١٧٠ - خضر خان بن شرف الدين بن سليمان ويشتهر بلقب الرايات الأعلى والمسند العالى لأنه لم يرض بلقب السلطان ؛ مؤسس دولة السادات لسلطنة دهلى ؛ رباه ملك مرادن والى ملتان وبعد وفاته ؛ ولاء السلطان فيروز شاه طغلق الملتان بعد وفاة ملك شيخ ، ولما دخل تيمورلنك الهند تقرب إليه فنصبه نائبا له وظل على عرش دهلى سبع سنوات وشهرين، حتى توفي فى ١٧ جمادى الأولى ٨٢٤ ٢١هـ /١٤م، وانتقل العرش لولى عهده مبارك شاه.

تيمور لنك وهو الخبير بالقتال تسعين الفا بتكاليفهم الباهظة وهو يعلم جيدا أن جيش دهلى لا يزيد عن اربعين الفا .

صحيح أن تاريخ تيمور لنك ملئ بالدموية كما ورد بالمصادر عن مذابحه في بلاد الإسلام الأخرى العراق والشام بأرقام تجاوزت المائة الف ، والأمر برمته يُجهض التفكير في تصديقه ؛ ففي حلب كما يقول الرواة سبى أكثر من ثلاثمائة ألفا و في بغداد قتل مئة ألف ؛ وضخامة مثل هذه الأرقام يجعلها من ترهات المؤرخين ومجرد طنطنة إعلامية لبث الرعب بين الأعداء ؛ وكان من المتعارف عليه أن تيمور لنك في غزواته التي نستشف منها ما فعله في الهند ؛ أنه كان يجمع أكبر عدد من أمهر الحرفيين والصُّناع وأفضل العلماء ورجال الدين بخلاف من يسببهم لخدمة مجهوده الحربى ويشحنهم الى عاصمته سمرقند ؛ وهو ما فعله في الهند.

### احتضار دولة الطغالقة

عاد الوزير اقبال خان (وزير السلطان محمود طُغلق) الى دهلى بسرعة بعد رحيل تيمور لنك ؛ ليحكم قبضته على العاصمة قبل أن يسبقه اليها خضر خان اللودهى نائب تيمور لنك فى حكم الهند ؛ وكان فى نيته الإستثار بالعرش لنفسه دون سيده السلطان ؛ وبعد سيطرته عليها إستعد للخروج لملاقاة خضر خان اللودهى قبل وصوله فعين عليها حاكما عسكريا وخرج لقتال خضر خان نائب تيمور لنك ولكنه مات فى المعركة ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م ؛ فقام الحاكم العسكرى لدهلى بإستدعاء السلطان محمود طُغلق من ملجئه فى الكجرات ليعود الى عرشه فعاد وإستكمل عهده (فترة ثانية) ٧٩٦-٨١٥هـ / ١٣٩٤-١٤١٣م ؛ لكنه لم يكن قادرا على وقف تدهور دهلى حتى وفاته سنة ٨١٥هـ / ١٤١٣م ؛ بعد أن ظل على العرش حوالي عشرين سنة .

وبوفاته انتهت دولة الطُغالقة بعد أن افقدت دهلى هيبتها وسيطرتها بعدما إنسلخ من عبااتها ١٥ مملكة مستقلة إنتثرت على إمتداد شبه القارة الهندية منها السنى ومنها الشيعى ومنها الهندوسى (مملكتان هندوسيتان أجمر و راجبوتانا ) ، وفى سابقة إنفصالية ليس لها مثل فى تاريخ الحقبة أصبحت دهلى مجرد مملكة من بين ممالك أخرى متنافسة أوقعت الهند فى فوضى دموية سعيها وراء النفوذ والثروة (الجدول -<sup>(١٧١)</sup>).

## ملحوظة

تضخمت سلطنة دهلي في عهد علاء الدين الخلجي بشكل كاسح ؛ وزاد عليها السلطان محمد طغلق فغطت السلطنة معظم شبه القارة الهندية لأول مرة وبشكل غير مسبق (الخرائط عاليه) ؛ لكن السلطنة تعثرت في نهاية عهد محمد طغلق واضطربت أحوالها وتمرد حكام الأقاليم وتعددت الثورات وقبل مماته عام ١٣٥١ إنفصل ٤ أقاليم أهمها سلطنة بهمن بالديكان جنوبا ؛ وخلال نصف قرن من وفاته وقعت الخلافات والحروب الأهلية بعد وفاة خليفته فيروز شاه بين الطغلقية وعم الضعف السلطنة ؛ وأغرى تردى الوضع تيمور لنك بغزو دهلي في نهاية القرن الرابع عشر في ديسمبر ١٣٩٧م لمدة شهر وتركها في فوضى ؛ فإنفصل عنها ١١ إقليما جديدا بعد رحيله ؛ فبلغ عدد الأقاليم المنفصلة منذ وفاة محمد طغلق ١٥ إقليما مبينة في الجدول التالي :

ت	الامارة	موقعها	الوالي المستقل بها	تاريخ الاستقلال
١-	المولتان	غرب الهند	سارنك خان	٨٠١هـ / ١٣٦٦م
٢-	ديبالبور	غرب الهند	سارنك خان	٨٠١هـ / ١٣٦٦م
٣-	جاونبور	جنوب شرق الهند	جيهان سرور	٨٠٢هـ / ١٣٦٦م
٤-	مالوه	غرب دلهي	ديلاور خان حسين الغوري	٨٠٣هـ / ١٤٠١م
٥-	بيانة	جنوب دلهي	شمس الدين الاوجي	٨٠٢هـ / ١٣٦٦م
٦-	كجرات	الساحل الغربي للهند	مظفر خان	٧٩٤هـ / ١٣٩١م
٧-	موات	جنوب دلهي	بهانور نهير	قبيل الغزو التيموري
٨-	بهيت	غرب دلهي	شهاب الدين مبارك	قبيل الغزو التيموري
٩-	ميروث	جنوب شرق دلهي	التياس افغان	قبيل الغزو التيموري
١٠-	فَنُوج	شمال اقليم البنغال	ابراهيم شاه شرقي	٨٠٢هـ / ١٣٦٦م
١١-	سومانا	جنوب دلهي	بيرم خان	٨٠٢هـ / ١٣٦٦م
١٢-	ايتاوى	جنوب الهند	في حوزة الهندوس	
١٣-	كواليار	شمال اقليم البنغال	في حوزة الهندوس	
١٤-	البنغال	الجنوب الشرقي للهند	سيف الدين حمزة بن اعظم شاه	٨٠٢هـ / ١٣٦٦م
١٥-	الدكن	المناطق الجنوبية من الهند	شمس الدين بن غياث الدين حفيد كانكوي	قبيل الغزو التيموري



## الفصل الثالث

### مخاض ما بعد الطغالة الى حقبة أكبر

#### خريطة العرض

شهدت الفترة بين سقوط دولة الطغالة وقيام دولة المغول الثانية دولة أكبر مخاضا سياسيا ودينيا ، شاركت فيه الدول التى إنسلخت عن دولة الطغالة ؛ منها المسلم ومنها الهندوسى وهى

#### • سلطنات الشرق والغرب :

- البنغال .... جنة الهند ؛ ميناء رئيسى فى الشرق وغنية .
- الكجرات .... أكبر السلطنات ومن أغناها ؛ ميناء تجارى هام تقع على الساحل الغربى - جرت فى مياها معركة ديو بين الاسطول البرتغالى وسفن تحالف تجارى من الكجرات وقاليقوط ومصر .

#### • ممالك منطقة الديكان :

- سلطنات الديكان الست بهمن وتوابعها ؛ تفككت عام ١٥١٨ .... ليخرج منها

#### خمس سلطنات :

- (١) بيجابور ..... ١٤٩٠ - ١٦٨٦ .. (سلالة عادل) وهم من أصل هندوسى .
- (٢) أحمد ناجار ..... ١٤٩٠ - ١٦٣٦ ... (سلالة نظام) وهم من أصل هندوسى بدأت سنوية ثم إنقلبت شيعية .
- (٣) جولكوندا ..... ١٥١٨ - ١٦٨٧ . (سلالة قطب) (براهمية الأصل) .
- (٤) برار ..... ١٤٩٠ - ١٥٧٤ (سلالة عماد) هندوسى الأصل .
- (٥) بيدار ..... ١٤٩٢ - ١٦١٩ . (سلالة بريد) .

#### • إمبراطوريات الهندوسية :

##### الديكان

- فيجاياناچارا ... ١٣٣٦ - ١٦٤٦ ؛ كان هدفهما الإستراتيجى محدودا بالتصدى للمد الإسلامى جنوبا .
- ماراثا .... ١٦٧٤ - ١٨١٨ كان هدفها تحقيق وحدة الشعوب الهندوسية وقيام حكمهم الذاتى فى كافة شبه القارة .

##### الشمال

- ميوار .

• دول غير هندوسية :

(١) إمبراطورية السيخ

الإتحاد ١٧٩٩-١٧١٦ .

الامبراطورية ١٨٠١-١٨٤٩

نتاج المخاض الدينى ، بدأت حركة دينية لتتحول لحركة سياسية إمبراطورية ؛  
طموحها يتوقف عند قيام دولة سيخية فى البنجاب ذات الأغلبية المسلمة .

صاغ المخاض السياسى تاريخ شبه القارة الهندية حتى فُدوم المستعمر الغربى فإستقر مُلك  
شبه القارة الهندية فى يد بريطانيا التى وحدت المنطقة على إتساعها تحت رايتها بالقوة العسكرية ،  
بعد أن قضت على دول المسلمين والهندوس ؛ الا سلطنة حيدر أباد المتحالفة معها التى إستمرت  
مستقلة الى أن ضمتها الهند بعملية عسكرية مباغته عام ١٩٤٨ بعد عام من إعلان الإستقلال  
والتقسيم .

أسفر المخاض الدينى لفلاسفة الصوفية المولدين المسلمين من أصول هندو/ مسلم وبعضا  
من الهندوس ؛ عن ميلاد عقائد جديدة قائمة على التوحيد و خليط من الهندوسية ؛ وإنغمس السلطان  
جلال الدين أكبر فى هذا المخاض بقوة فإبتدع "دين الهى" ؛ حاكى فيه نهج فلاسفة الصوفية من  
شتات عدة ديانات .

وأسفر الحراك فى هذا الخصوص عن :

التوحيدية الهندوسية – السيخية – دين إلهى ( توحيدية الإمبراطور أكبر).

الإصطراع على دهلى بين الدول التالية:

- دولة جونبور(ملوك شرق)
- دولة الرايات الأعلى والمسند العالى الساداتية (خضر خان) ١٤٢١ - ١٤٤٥ .
- دولة اللودهيون ١٤٥٢ - ١٥٢٦ .
- دولة المغول الأولى – دولة بابر/همايون ٩٣٧-٩٤٦ هـ / ١٥٢٦ - ١٥٤٠م .
- دولة شير شاه (آل صورالأفغانية) ١٥٤٠ - ١٥٥٥ .
- دولة المغول الثانية دولة همايون/أكبر ٩٦٢ - ٩٦٣ هـ ١٥٥٥ - ١٨٥٧ .
- دولة ميسور - مسلمة .
- دولة حيدر أباد – مسلمة .

المستعمرات الهندية للدول الاستعمارية

- (١٥١٠-١٩٦١)
- الهند البرتغالية (١٥١٠-١٩٦١)
- الهند الهولندية (١٦٠٥-١٨٢٥)
- الهند الدنماركية (١٦٢٠-١٨٦٩)
- الهند الفرنسية (١٧٥٩-١٩٥٤)
- شركة الهند الشرقية الإنجليزية (١٧٥٧-١٨٥٨)
- الراج البريطانى (١٨٥٨-١٩٤٧)



العرض  
الفصل الرابع  
المخاض السياسى والدينى

المخاض السياسى

السلطنات الوليدة

(١)

سلطنة البنغال

١٣٥٢ - ١٥٧٦

(بالفارسية شاهى بنغالاه و شاهى بانغالاه)

كانت السلطنة القوة المهيمنة في دلتا نهر الغانج فيما بين القرنين القرن الرابع عشر الى السادس عشر، بلغت ذروة نموها في أوائل القرن السادس عشر بسيطرتها على ولايتي كاماروب وكاماتا في الجهة الشمالية الشرقية ومنطقة جوبور وبهار في الغرب ؛ كانت عاصمتها خاودا من أضخم مدن العالم ؛ صُنفت عام ١٥٠٠ خامس أكثر المدن ازدحامًا بالسكان في العالم ، وأهم مدنها باجيرهاث مدينة المساجد ، و ميناء شيتاغونغ ولنكوتى وعاصمتها السابقة بونة ؛ مُتعددة الاعراق والعقائد أتراكا هنود وعربا وأحباشا وبنغالاه مسلمين وغير مسلمين ساد بينهم السلام ؛ كانت اللغة البنغالية الأكثر انتشارًا والفارسية لغة التعاملات الرسمية والتجارية .

كانت البنغال أهم مركز تجاري في خليج البنغال ومن أغنى الدول التجارية ، وأقوى دول البنغال في العصور الوسطى ، سيطر عليها الصوريون وضمها المغول ثم تفككت إلى ممالك صغيرة ؛ تركت إرثًا معماريًا عظيمًا كدهلى وسلطنات الديكان .

غزاها اختيار الدين محمد بن بختيار الخلجي في عهد السلطان محمد الغوري بين عامي ١٢٠٢ و ١٢٠٤، وبعد اغتياله بيد معاونه مردان عام ١٢٠٦ وقيام الأخير بالحكم ، خلا العرش فترة ثم حكمها الخلجيون ، غزاها ناصر الدين محمود بن التتمش ابن سلطان دهلي شمس الدين التتمش عام ١٢٢٥ ؛ تمرد نواب دهلى في حكم البنغال وإستقلوا بها في عهد يزيك شاه (١٢٥٧) وطغرل طوغان خان (١٢٧١ - ١٢٨٢) وشمس الدين فيروز شاه (١٣٠١ - ١٣٢٢)، وقام الأخير بغزو سيلهيت وأنشأ حكومة قوية في شرقي وجنوب غربي البنغال ؛ ثم ضمها غياث الدين طغلق سلطان دهلي عام ١٣٣٨، وقسمها مقاطعات فإستقل بها حكامها كالعادة :

- السلطان فخر الدين مبارك شاه إستقل بـ/ سونارغون ، وغزا شيتاغونغ عام ١٣٤٠.
- إستقل السلطان علاء الدين علي شاه بـ / خاودا.
- إستقل شمس الدين الياس شاه بـ/ ساتغون ، وخلفه ابنه اختيار الدين غازى شاه عام ١٣٤٩ ، الذى ضم سونارغون.

### حكم الياس شاه

و بحلول ١٣٥٢ برز الياس شاه من بين الثلاثي البنغالي وأسس بونه عاصمتها الإمبراطورية وضم دلتا نهري الغانج و براهمابوترا ودلتا نهر ميچنا وسيطر على المنطقة من أسام في الشرق إلى فاراناسي في الغرب ، و شن الياس شاه حروبًا على ممالك شبه القارة الشرقي فغزا شرق البنغال وشمال بهار ، ونيبال ووادي كاتماندو وعاد بكنوز وغنائم ؛ وفى عام ١٣٥٣ إستولى سلطان دهلي فيروز شاه طغلق على البنغال بعد هزيمة الياس شاه الذى وافق على دفع الجزية لدهلي وخسر عدة مناطق ، وفى عام ١٣٥٩ تصالح الطرفان فضمنت سلالة الياس استقلال البنغال لمدة قرنين ؛بني الياس شاه مسجد أدينا على نسق طراز الجامع الأموي.

### علاقاتها الخارجية

أرسل غيث الدين عزام الشاه الثالث سفارات إلى حكام أسرة مينغ الحاكمة في الصين، وتبادل الرسائل والشعر مع الشاعر الفارسي حافظ الشيرازي. تعهد السلاطين البنغاليين بالولاء الشكلي للدولة العباسية في القاهرة غالبًا ما كان يُحفر على عملات السلاطين البنغال اسم الخلافة العباسية الحديثة .

### ويهمنا من سلاطينها

#### السلطان جلال الدين محمد شاه

ويهمنا من بين سلاطين البنغال ؛ السلطان جلال الدين محمد شاه بوجه خاص لتعلق سيرته بالمدى الذى بلغه التعايش بين المجتمعين الإسلامى والهندوسى ومدى التسامح ، و لو كانت هذه الروح إستمرت لكان شيئًا عظيمًا ؛ وهذا السلطان فى الأصل من نبلاء الهندوس ؛ كان والده راجا كانيشا يعمل لدى سلاطين أسرة الياس حكام البنغال المسلمين وإنتزع الحكم منهم ولما واجه ضغوط من اولياء المسلمين الرافضون لتولى هندوسى حكم المسلمين ؛ إضطر كانيشا أن يعقد صفقة مع رجل الدين بمقتضاها يعتنق ابنه الإسلام ويتولى الحكم بدلا من أبيه الذى رفض التخلّى عن هندوسيته من أجل ذلك ؛ ولنتعرف على سيرته كليهما فيما يلى..

**راجا كانيشا (هندوسى)**  
**و الإطاحة بأسرة إلياس شاه**  
**( الإسلام او الرحيل )**

ينتسب غانيشا الى أسرة عريقة من ملاك الأراضى ؛ خدم فى جيش البنغال تحت إمرة سلالة إلياس شاه ؛ ولوه حكم باتوريا (وفقاً لكتاب رياض السلاطين المكتوب عام ١٧٨٨)، أو حكم ديناجبور فى شمال البنغال (وفقاً لفرانسييس بوكانان هاملتون) ؛ وقويت شوكتة فلما مات شهاب الدين بايزيد شاه (حكم ١٤١٣-١٤١٤) ؛ وتولى من بعده ابنه علاء الدين فيروز شاه (حكم ١٤١٤ - ١٥١٥) الحكم ؛ أطاح به غانيشا وفى قول إغتاله وإرتقى العرش مكانه (كان غانيشا متزوجاً من فولجاني أرملة غياث الدين عزام شاه<sup>(١٧٢)</sup>).

**شخصه**

يقول عنه فريشته " لم يكن راجا غانيشا مسلماً، إلا أنه كان قريباً من المسلمين يُحبهم لدرجة أن بعض المسلمين شهدوا على إيمانه بالإسلام وأرادوا دفنه بالطريقة الإسلامية"؛ وعلى خلاف ذلك يتهمه رياض السلاطين بقمع المسلمين وقتل عدداً منهم بعد فترة وجيزة من توليه السلطة ؛ فأتار بذلك حفيظة شيخ الطريقة الجشتية نور قطب العالم فقام بمكاتبة إبراهيم شاه الشرقي سلطان جونبور يدعوه للإطاحة براجا غانيشا ، وكان للشيخ كلمة مسموعة عند سلاطين المسلمين<sup>(١٧٣)</sup> فاستجاب إبراهيم شاه لدعوته .

وعندما علم غانيشا أن إبراهيم شاه وجيشه فى الطريق ، إلتمس العفو من الشيخ وصالحه فوافقه الشيخ بشرط أن يتنازل عن العرش لإبنه جادو البالغ من العمر ١٢ عاماً على أن يعتنق الإسلام فتم له ما أراد.

**جلال الدين شاه**

**فترة أولى ١٤١٥-١٤١٦**

**(صفقة الإسلام لإرتقاء العرش)**

تولى جادو الحكم عام ١٤١٥ م بعد إسلامه وتسمى جلال الدين محمد شاه ؛ ونتيجة لذلك الصلح توقف إبراهيم شاه عن مهاجمة البنغال بعد ضغوط خان الصين يونغ لو و شاه روخ (حكم ١٤٠٥-١٤٤٧) إمبراطور خراسان وما وراء النهر ؛ وهو ابن تيمور لنك والجد الأعلى لبابر إمبراطور الهند فيما بعد ، وكانت هرات مقره وقتها ؛ وذكر عبد الرزاق السمرقندي مؤرخ بلاط هرات فى كتابه مطلع السعدين ومجمع البحرين (عام ١٤٤٢) ؛ أن تدخل شاه رخ تم بناء على طلب جلال الدين سلطان

<sup>١٧٢</sup> - Jagadish Narayan Sarkar, Hindu-Muslim relations in Bengal: medieval period (١٩٨٥), p.٥٢

<sup>١٧٣</sup> - مضمون الرسالة كتبه أشرف جهانكير سمناني، شيخ صوفي فى جونبور. نقلنا عن الملا تقيّة واحد من حاشية أكبر وجهانغير.

البنغال ؛ ؛ فأرسل شاه روك مُحذرا إبراهيم شاه بالامتناع عن مهاجمة البنغال أو يتحمل العواقب ويبدو أن هذا التحذير كان فعلا فغادر إبراهيم شاه البنغال ، بينما يرد مصدر صيني السبب في إنسحاب إبراهيم شاه حصوله على أموال وذهب .

### عودة جلال الدين للعرش

وبعد عام أى عام ١٤١٦ م ؛ توفى الشيخ نور قطب ، فتشجع راجا غانيشا على خلع ابنه وتولي العرش من جديد باسم دانوجاماردانا ديفا ، ورد ابنه جلال الدين السلطان المخلوع إلى الهندوسية مرة أخرى ؛ لكن بعض عبید جلال الدين قتلوا راجا غانيشا عام ١٤١٨ م ؛ فوضع الحزب الهندوسي في البلاط ابنه الثاني ماهيندرا ديفا على العرش بدلا من جلال الدين الابن الأكبر لقتله أبيه ولأنهم إستشعروا فيه ميلا للإسلام فضلوا عليه أخيه الهندوسى ، لكن جلال الدين أطاح بشقيقه وإرتقى العرش لفترة ثانية وعاد للإسلام .

### حكم جلال الدين شاه

#### فترة ثانية (١٤١٨-١٤٣٣)

إستمرت فترته الثانية ١٦ عامًا ، ساعد خلالها منغ سومون نارميخلا، ملك أراكان على استعادة مملكته من بورما فأصبح السيد الأعلى لمملكة مروق يو فى اراكان وحكم أجزاء من تريبور و جنوب بيهار ، امتدت سلطته إلى شرق البنغال موزامباباد (سونامغانج الحالية) وجنوب شرق البنغال (شيتاغونغ الحالية) ، وغزا فتآباد وجنوب البنغال ؛ كانت له علاقات جيدة مع دولة المغول البابين وكذلك مع كل من يونغ لو إمبراطور مينغ فى الصين ، ومع شاه روك حاكم هرات المغولى ، والأشرف برسباي حاكم مصر المملوكي الذى أهدى جلال الدين (حسب كتاب السخاوي الضوء اللامع لأهل القرن التاسع) ، ثوب تكريم وخطاب ، ولكن جلال الدين قبل ماتقبل إرسال هديته إلى برسباي فتولى ابنه شمس الدين أحمد شاه إرسالها ؛ وفى عهده زار أسطول الكنز الصينى بقيادة تشنغ خه ميناء شيتاجونج وزار جور مرتين فى ١٤٢١-١٤٢٢ و ١٤٣١-١٤٣٣ .

### دوره فى نشر الإسلام

ضغط جلال الدين على هندوس البنغال لإعتناق الإسلام ؛ وكانت وسيلته فى ذلك إما القرآن أو الموت حسب د. جيمس وايز فى مجلة الجمعية الآسيوية للبنغال - ١٨٩٤ ، وتحت هذه الجبرية هرب كثير من الهندوس إلى كامروب وغابات آسام، وبفضله زاد عدد المسلمين خلال سنوات حكمه السبع عشرة (١٤١٤-٣١) فكان من أسلم فى عهده أكثر من الذين أسلموا فى البنغال فى الثلاثة قرون السابقة ، وكان يُحسن

الى غير المسلمين وإستخدم الهندوس فى الجيش والقصر فكان قائد جيشه راجيادهار هندوسي وإستخدم منهم بريهاساباتي ميشرا البراهمي من كولنجرام فى منصب عالم فى البلاط الملكي وعين ابنه فيشفاسراي وزيراً.

ومن تسامحه رعى الثقافة السنسكريتية وعلمائها وقدم لهم منحا لدراسة البراهمانية الكلاسيكية ؛ وكرم العديد من شعراء البراهمة ؛ ووصف فريشته السلطان جلال الدين بأنه أنوشيروان عصره وإمتدح تمسكه بمبادئ العدل والإنصاف .

### سلوكه الإسلامى

أعاد بناء وإصلاح المساجد والمباني الدينية التي دمرها والده راجا غانيشا ؛ و بين عامي ١٤٢٨ و ١٤٣١ أقام مؤسستين إسلاميتين فى مكة المكرمة والمدينة معروفة بالمدرسة الغيائية ؛ وأقام علاقات وثيقة مع بركات بن حسن شريف مكة وتبادل معه الهدايا وأردية الشرف؛ وفي عام ١٤٢٧، وصف جلال الدين نفسه فى نقش بأنه السلطان أعظم المعظمين خليفة الله على الكون جلال الدنيا والدين ، ومن الواضح أن إمامه بالدين كان ضعيفا رغم أنه كان صادق الإسلام من ظواهر سلوكه ؛ بما إستوجب تجاوب علماء الإسلام معه ؛ ففى عام ١٤٢٧ لقب نفسه فى نقش على أحد المساجد " أعظم المعظمين على الكون جلال الدنيا والدين " ؛ وفى عام ١٤٢٧ أدرج خليفة الله لقبا له على عملة سكها فى باندر ، ولكنه فاق فى عام ١٤٣١ م وأصدر عملة جديدة نقش عليها الشهادتان وإستدام إصدار العملة على هذا النحو الذى كان معمولا به قبلا فى إصدار عملات البنغال لعدة قرون .

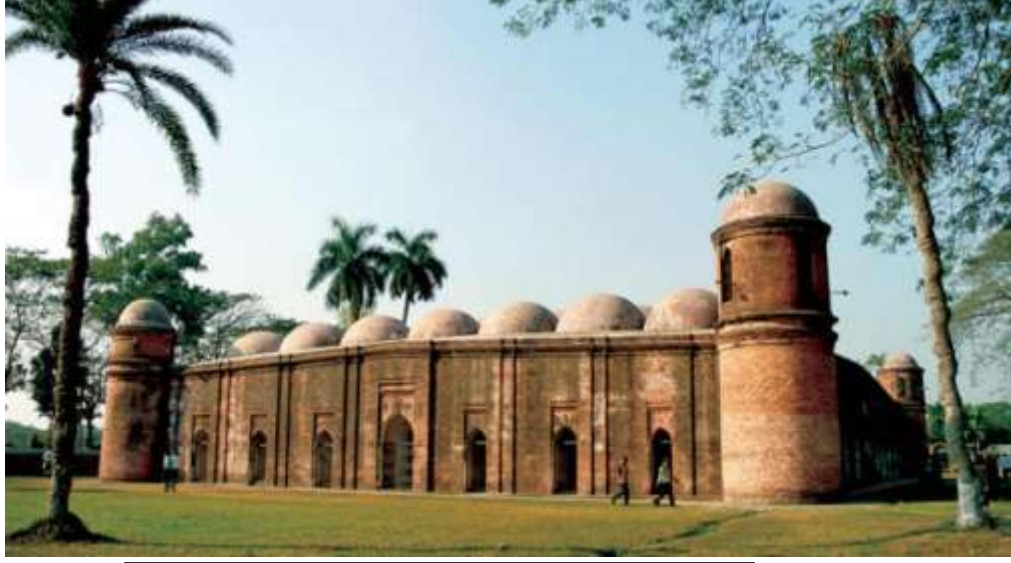
### الوفاة

توفي فى ربيع الثاني ٨٣٧ هـ ( ١٤٣٣ م ) ودفن فى ضريح الإكلخي فى باندوا .

### بعض المنشآت الإسلامية فى البنغال







مسجد الستين قبة- مدينة المساجد - القرن الخامس عشر  
- البنغال



قلعة لاباغ - البنغال - بناها محمد عزام شاه عام  
١٦٧٨

(٢)

**سلطنة الكجرات**

١٥٧٣ - ١٣٩١

**سلالة آل مظفر****هندوسية الأصل****تمهيد**

أهمنا تناول تاريخ الكجرات بوجه خاص ليس فقط لأن السلالة الحاكمة هندوسية الأصل وهو محل إهتمام هذا المبحث الذى يوجه رسالة خاصة الى المنددين بالحقبة الإسلامية ، ولكن أيضا لأن معركة ديو البحرية التى قادها الأسطول المملوكى لسلاطين مصر جرت على أرضها (مياها الوطنية) ؛ والغرض من الخوض فى هذا الموضوع بتوسع تصحيح النظرة الخاطئة التى روج لها الكتاب والمؤرخون بما فيها مناهجنا الدراسية عن هزيمة الوحدة البحرية من الأسطول الى إطلاقها بدون علم وعلى نحو غير صحيح مؤرخون مصريون .

**إنفصال الكجرات عن دولة الطغالقة****(مؤسس الدولة هندوسى الأصل)**

إعتنق ظفر خان بن سادهاران الإسلام على يد السلطان محمد طغلق الذى ولاه حكم بلدة " فتن " في الكجرات ؛ وكان ظفر خان على علاقة قوية وقريبا من فيروز شاه خليفة محمد طغلق حتى أنه عرض عليه شقيقته ليتزوجها ؛ فلما تولى فيروز شاه طغلق الحكم ولاه حكم الكجرات ؛ وفى هوجة تفكك دولة الطغالقة إستقل بالولاية سنة ١٣٩٦ وأسس سلالة آل مظفر ؛ وقام بمطاردة القبائل الوحشية بالمنطقة لتوطيد الأمن .

إغتصب منه ابنه محمد الحكم لبرهة ؛ فقتله ظفر خان وعاد الى الحكم ، و بعد سنين قتله حفيده أحمد بن محمد إنتقاما لمقتل أبيه ، وإستمرت السلالة فى الحكم ٢٠٠ سنة تقريبا ، ووصلت السلطنة ذروة توسعها ١٤٥١ م فى عهد محمود بكادا (بغادا)سلطان الكجرات بلغت حدودها مالوا شرقاً وخليج كوتش غرباً ، وضمها إمبراطور المغول أكبر عام ١٥٧٢ .

بنت السلالة عددا من المدن أحمد آباد بناها أحمد شاه الأول ٨١٣ - ٨٤٥ هـ (١٤١١-١٤٤٣ م) ؛ و محمد آباد ومصطفى آباد ، غير الحقائق الرائعة التى إشتهر سلاطين الحقبة الإسلامية بنشرها كتقليد إنفردوا به فى الهند .

الحكم	الاسم الشخصي	حكام الكجرات
١٣٩١ - ١٤٠٣ - العهد الأول	ظفر خان	شمس الدين مظفر شاه الأول
١٤٠٣ - ١٤٠٤	تتار خان	نصير الدين محمد شاه الأول
١٤٠٤ - ١٤١١ - العهد الثاني	ظفر خان	شمس الدين مظفر شاه الأول
١٤١١ - ١٤٤٣	أحمد خان	ناصر الدين أحمد شاه لأول
١٤٤٣ - ١٤٥١	كريم خان	معز الدين محمد شاه الثاني
١٤٥١ - ١٤٥٨	جلال خان	قطب الدين أحمد شاه الثاني
١٤٥٨	داود خان	محمد شاه
١٤٥٨ - ١٥١١	فاتح خان	محمود شاه
١٥١١ - ١٥٢٦ - أرسل للسلطان قنصوه الغوري	خليل خان	شمس الدين مظفر شاه الثاني
١٥٢٦	سكندر خان	سكندر شاه
١٥٢٦ (معركة ديو البحرية)	ناصر خان	ناصر الدين محمود شاه لثاني
١٥٢٦ - ١٥٣٥ (فترة أولى)	بهادر خان	قطب الدين بهادر شاه
(تحت حكم سلطنة مغول الهند/ الإمبراطور همايون ١٥٣٥- ١٥٣٦)		

١٥٣٦ - ١٥٣٧ (فترة ثانية)	قطب الدين بهادر شاه الثاني
١٥٣٧ - ١٥٥٤	محمود شاه الثالث
١٥٥٤ - ١٥٦١	أحمد شاه الثالث
١٥٦١ - ١٥٧٣	مظفر شاه الثالث
١٥٧٣ - ١٥٨٣	دخول المغول
١٥٨٣ - ١٥٨٣	مظفر شاه الثالث

## نُبذة عن بعض سلاطين الأسرة

أحمد شاه الأول ٨١٣ - ٨٤٥ هـ

(١٤١١-١٤٤٣ م)

تولى أحمد شاه الأول ٨١٣ - ٨٤٥ هـ (١٤١١-١٤٤٣ م) بعد وفاة والده مظفر خان فى دورته الثانية ؛ بنى مدينة أحمد آباد واتخذها عاصمة ، واستقبلت السلطنة فى عهده علماء الإسلام من كل الأنحاء ، ومن بينهم العالم المصرى السكندرى الشيخ بدر الدين محمد بن أبى بكر الدمامينى المدفون فى إحسان آباد .

### أبو الفتح محمود شاه

أبرز سلاطين الأسرة السلطان أبو الفتح محمود شاه ، ولد عام ٨٤٨ هـ وتولى الحكم وعمره ١٥ سنة وحكم ٥٢ سنة ؛ من مآثره العدل والإحسان وإنفاذ الشرع ، عمر البلاد وأسس المدارس والمساجد الخانقانات وحفر الأبار فتمت الزراعة وعمر الحدائق والمنتزهات ووفد عليه البنائون والمعماريون وأهل الصنائع من بلاد العرب والعجم، فصارت الكجرات فى عهده مملكة عظيمة ، كان كثير الجهاد فتح قلعتا باردو و كارنال وهى من أمنع القلاع وقلعة بيت ودواركا وقلعة الشابانير .

بنى مدينة مصطفى آباد، وكان فيها صنم من أعظم أصنام الهنود يحجون إليه كل سنة ؛ ومن الصالحات أنه عمّر رباطاً بمكة المكرمة بجوار باب الدريبة عُرف بالكنبائية نسبة للمملكة ، وأنفق عليه وعلى مدرسته ويرسل إليه الصدقات ولأهل الحرمين ولكنه قطعها لَمَّا بلغه استيلاء النظَّار عليها، توفِّي فى رمضان سنة ٩١٥ هـ بأحمد آباد ودفن بها و تولى ابنه مظفر الحلیم وسار على طريقته.

### نصرته ضعفاء ملوك المسلمين

لم يعتد محمود شاه على ممالك المسلمين رغم طول حكمه بل كان ينتصر لهم ، ففي سنة ٨٦٦ هـ ساعد صاحب مالوه (السند) ضد عدوان سلطنة الديكان ، ولما عاودت عدوانها فى السنة التالية ؛ كتب إلى سلطانها الخلجي يقول " ليس من المروءة قصد طفل لم يبلغ الحلم (مهاجمة السلطان الطفل) ؛ وقد إتزمت حفظ ملكه حتى يبلغ مبلغ الرجال، فإن دخلت إلى حده خرجت إلى حدك ، وفيما يليك من جهات الكفر ما يُغنيك عنه ويرفع درجتك بالجهاد " ، وفى حادثة أخرى سارع الى نجدة مالوه لما بلغه خروج الهندوس لقتالها فكان يجتهد فى السير فكان يسير ٦٠ فرسخا فى اليوم ، فلما إقترب منها علم بتراجع الكفار فعاد إلى بلاده ؛ و لما مات سلطان مالوا محمود شاه خلجي سنة ٨٩٣ هجرية رفض غزوها لما حرضه بعض قادتها أثناء قيامه بالعزاء فى سلطانها رغم أن مالوا كانت عدو الكجرات الدود ، سبق لسلاطين مالوا (غياث الدين

الخلجي) أن ساندوا الهندوس ضد الكجرات فى مناسبتين أيام محمد شاه وفى عهد محمود شاه.

### بهاذر شاه - العهد الأول

١٥٢٦ - ١٥٣٥

كانت الكجرات إقليمًا غنيًا ، أتاح غناها لسلطانها بهاذر شاه تكوين قوة عسكرية كبيرة جهزها بفرقة مدفعية أنشأها القائد العثماني مصطفى بن بهرام الرومي الذى حضر الى الهند لمقاومة البرتغاليين ، و بدأ توسعه بمساعده فيكراماديتيا سينغ " رانا (أمير) ميوار فى الإستيلاء على مدن أحمد نگر- برار - كواليار - مالوة ، وأمدّه البرتغاليون بمدافع متطورة ؛ فتقدم حتى أصبحت أجرا القريبة من دهلي فى مرمى مدفعيته.

إصطدم همايون فى ولايته الأولى مع بهاذر شاه ؛ فإضطر همايون لمهاجمة الكجرات قبل أن يستفحل خطره لكنه لم يستأنف الهجوم من منطلق الفروسية لإنشغال بهاذر شاه بقتال صاحب جيتور الراجپوتي ، وبعدها حاصر همايون الكجرات ولما اشتدت المجاعة بأهلها وإستشعر بهاذر شاه الهزيمة ، دمر مدافعه ٩٤١هـ / ١٥٣٤م حتى لا يستولي عليها المغول ، ولجأ إلى البرتغاليين فى ديو وعقد معهم معاهدة باسين سنة ١٥٣٤م وتنازل لهم بمقتضاها عن مدن دمان ومومباي وديو وباسين مقابل مده بمدفعية متطورة لإسترداد مملكته .

### إسترداد بهاذر الكجرات

ولما توترت أحوال الكجرات تحت حكم العسكرى نائب همايون وأخيه ؛ للهوه وغلظته مع الأمراء ؛ إستغل بهاذر شاه ثورة عماد الملك أحد قادته الموثوقين على العسكرى وتمكن من إستعادة أحمد آباد ، وبعد معركة صغيرة مع عسكرى قرّر هذا الأخير الانسحاب إلى چمپانير ، فرفض حاكمها تاردي بك إستقباله، فعاد إلى أجرا، واستولى بهاذر شاه وسرعان ما استعاد الكجرات و مالوا ، وفى ذلك الوقت كان البرتغاليون يتابعون أخبار الحملات القادمة من مصر وإتصالات بهادور بشأنها ؛ فإستدعوه الى ديو وقتلوه على متن الأسطول سنة ٩٤٤هـ / ١٥٣٧م ، والقوا بجثته فى بحر العرب .

### ضم أكبر الكجرات

سادت الفوضى فى الكجرات فى عهد سلطانها الضعيف مظفر شاه الثالث حفيد بهاذر شاه ؛ فأرسل وزيره اعتماد خان إلى أكبر يلتمس منه إنقاذ البلاد ؛ وكانت حدود أكبر تجاور سلطنة الكجرات بعد ضمه الراجپوتانا ، وكان أكبر غاضبا من إيواء الكجرات المتمردين على أكبر من الأوزبك وأمراء المغول ومنهم ابن عمه إبراهيم

حسين ميرزا ، فأرسل جيشًا إلى أحمد آباد عاصمة الكُجرات، ولحق به هو شخصيا في شهر ربيع الآخر ٩٨٠هـ الموافق لشهر آب (أغسطس) ١٥٧٢م، فاستسلم مظفر شاه فكرمه السلطان أكبر وأجرى عليه رزقًا حسنًا.

طاردت قوات أكبر ميرزا حتى سورات ، وكان للبرتغاليين فيها مركزًا تجاريا وحامية من الجند ساعدت المتمردين المغول ، وعندما رجحت كفة قوات المغول مال البرتغاليون للصلح حرصًا على مصالحهم التجارية، وعقدوا مع أكبر معاهدة سورات تعهدوا فيها بعدم التعرض للحجاج المسلمين المسافرين الى الأراضي المقدسة من سورات ؛ التي كانت المنفذ الوحيد لسفر الحجيج من كافة أنحاء الهند .

دخل أكبر سورات بعد فرار إبراهيم ميرزا ؛ واستقبل عددًا من التجار من مختلف بلدان العالم ، وقام برحلة بحرية قصيرة فلم يكن قد رأى البحر من قبل ؛ ثم دخل كامبي وبعد أن استقر له الوضع في الكُجرات ؛ عاد إلى عاصمته الجديدة فتحپور سكري ، وبعد التغلب على إبراهيم ميرزا في ديسمبر ، تمردت الكُجرات من جديد بزعامة محمد ميرزا، ففاجأ أكبر المتمردين في ربيع الأول ٩٨١هـ/ أغسطس ١٥٧٣م وهزمهم ودخل أحمد آباد و كامبي و باردوا، واقتحم حصن سورات ؛ واستقرت الامور في الكجرات لعشرة أعوام ، و سنة ٩٩١هـ/ ١٥٨٣م تمكن مظفر خان سلطان الكُجرات السابق من جمع قوات ودخل مدينة أحمد آباد واستولى على كمباي وباردوا فتم له بذلك السيطرة على أغلب الكُجرات، لكن قوات المغول دحرته عام ١٠٠٠هـ/ ١٥٩٢م ؛ فإنتحر بموسى اخفاه في ثيابه ، وخضعت الكجرات لدولة المغول قرنين من الزمان.

## روائع المعمار فى الكجرات

### مدينة أحمد أباد

بنى الإمبراطور أحمد شاه مدينة أحمد أباد بأسوارها عام ٦٠٦ م ، وصفها الشاعر أولفي شيراز فى القرن الـ١٥ ، بأنها شامة جميلة على وجه الأرض، وسماها الرحالة الإيطالي غيميلي كاريري فى القرن الـ١٧ بفينيسيا .

### بحيرة كانكاريا

كانت تعرف فيما مضى بحوز القطب، أنشئت البحيرة فى القرن الـ١٥ فى العهد الطغلقى ، فى الجزء الجنوبي الشرقي من المدينة.

### تين داروازا

تين داروازا ؛ يعنى الاسم حرفياً الابواب الثلاثة ؛ وهى أقدم وأطول بوابات المدينة عمرها ٦٠٠ عام؛ تم الانتهاء منها عام ١٤١٥ م فى عهد السلطان أحمد شاه مؤسس المدينة ، هذه الأعجوبة المنحوتة هى مدخل إلى الساحة الملكية فى قلعة بهادرا ؛ يُعتقد أن الإمبراطور المغولي جهانكير (جيهانكير) اعتاد زيارة هذه البوابة الملكية مع زوجته نور جهان لمشاهدة موكب يبدأ منها إلى المسجد الجامع.

ويضم مبنى تين داروازا نوافذ مزينة نصف دائرية وشبكية ونافذة مركزية تصور شجرة الحياة وخمس أشجار نخيل مغطاة بصور و منحوتات لأفاعي ؛ تقول الأسطورة إن لاکشمي إله الثروة كانت تغادر المدينة عندما طلب منها الحارس خواجه صديق كوتوال ألا تغادر المدينة حتى يتم إبلاغ الإمبراطور أحمد شاه بهذا فوافقت على الانتظار حتى يعود، لكنه لم يعد لأن السلطان قطع رأسه حتى يضمن الا تغادر الإلهة المدينة أبداً، وتكريماً لهذه التضحية ، تم بناء ضريح بالقرب من قلعة بهادرا ؛ وكانت العائلات المسلمة تضيء مصباحاً فى إحدى فتحات تين داروازا تبركاً للإلهة وتقديم قربان من للتقرب.

وعلى البوابة إشعار ملكي صادر عن شيمانجي راجونات حاكم مارثا يقرر فيه حقوقاً متساوية للمرأة فى الميراث مع الرجال موجهة نداءً الى الهندوس والمسلمين لمنح النساء حقوق متساوية.





### مئذنتا " جهولتا منار "

وترجمتها الأذن المتمايلة ؛ و يتجاوز عمرهما ٥٠٠ عاماً ، وهي عجيبة معمارية ليس له تفسير علمي ؛ فعندما تهتز واحدة منهما تهتز الأخرى في غضون ثوانٍ ، رغم أن الممر الواصل بينهما لا ينقل أي حركات أو نذببات ، ويبلغ ارتفاع كل منهما ثلاثة طوابق ؛ والمئذنتان كانتا جزء من مجمع مسجد سيدي بشير، الذي بني عام ١٤٥٢ م على يد خادم للسلطان أحمد شاه ؛ وفي عام ١٧٥٣ ، تم تدمير المبنى الرئيسي خلال حرب بين الماراثا وسلطنة جوجارات.



المآذن المتمايلة

### مسجد جامع

يعد مسجد جامع في أحمد آباد واحداً من أكبر المساجد على مستوى الهند، بنى عام ١٤٢٤ بتناغم بين التراثين الهندوسي والمسلم ويصنفونه كواحد من أجمل التحف المعمارية في الشرق ويضم ٣٠٠ عمود تدعم ١٥ قبة، تزدان بزخارف دقيقة ومتشابكة.



المسجد الجامع - احمدآباد -منظمة المعرفة

### مسجد سيدي سيد

أيضاً، تضم المدينة مسجد سيدي سيد، الذي يعود تاريخ تأسيسه إلى ١٥٧٣م، ويعد واحداً من أفضل المزارات داخل أحمد آباد لروعته المعمارية والهدوء المحيط به؛ ويشتهر المسجد على نحو خاص بالتفاصيل المعقدة للزخارف الموجودة على نوافذه، التي تصور أغصاناً متشابكة.



## دادا هرير

" دادا هرير فاف " يعني لفظيا البئر ذو الأدرج ؛ يقع بئر دادا هرير فاف في قرية أساوارا على بعد حوالي ١٥ كم من أحمد آباد ؛ وهو بئر ثمانى الشكل على الطراز المعماري سولانكي ؛ بني في ديسمبر عام ١٤٩٩ م طبقا لرغبة دهاي هرير زوجة السلطان محمود شاه بيغادا بتكلفة قدرها ٣،٢٩،٠٠٠ محمودي (٣ لاک) ، طبقا للنقوش الفارسية المكتوبة على جدران البئر ؛ وكان الغرض منه تخزين مياه الأمطار ، ومنتجع استجمام للحريم خلال حرارة أيام الصيف ، فبمجرد الوصول لقاع البئر ، يتلطف الجو وتتردد أصداء الأصوات على نحو مثير ويخترق الضوء أسفل البئر فى وقت الظهيرة .



بئر دادا هرير

### بئر "اداجالا" المدرج

وبحسب الأسطورة المحلية، قامت الملكة رودا ديفي بتشيده في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي كنصب تذكاري لزوجها الذي قتل على يد المسلمين، ويُعتقد أن الملكة طلبت من السلطان محمد بغاده، إكمال بناء البئر ، وبمجرد اكتماله قفزت إلى قاع البئر منتحرة لتجتمع بزوجها، و البئر يجمع بين العمارة الإسلامية والهندوسية، ويقع في قرية صغيرة تحمل الاسم ذاته بالقرب من "أحمد آباد" ويتكون من خمسة طوابق ومناهة من الغرف، والممرات، والقاعات المنحوتة بشكل معقد.



بئر اداجالا



### معبد هاوثيسينج اليانى

بُنِيَ المعبد عام ١٨٤٨ م ، تقديراً للقديس ( تراثكار شري دارمانثا ) الخامس عشر ، تكلف البناء حوالي ٨٠٠ الف روبية خلال أعوام المجاعة ؛ كانت الفكرة من بناؤه توظيف مئات من العمال والحرفيين لتعويض دخولهم وينتمي الحرفيين إلى مجتمعي سومبورا وسالات، من ذوى المهارات في مجال النحت وخاصة في المعابد الهندوسية واليانية. لسوء الحظ أثناء بناء المعبد ، توفي كيساريسين ، البالغ من العمر ٤٩ عامًا فقط حينذاك. وكانت زوجته ، سيتاني هاركونفار ، تشرف عليها وأكملت بناؤه. كما في معظم معابد اليانية الأخرى ، نجد البناء مصنوع من الرخام الأبيض مع نقوش دقيقة، ويوجد في المعبد ما يعرف باسم ماندابا وهي عبارة عن قاعة في الهواء الطلق مغطاة بقبة كبيرة ، وترتكز على ١٢ عمودًا مزخرفًا؛ وفي الطرف الشرقي من القاعة الضريح الرئيس للمعبد يصل ثلاثة أبراج منحوتة ؛ ويحيط به ٥٢ ضريح صغيرًا للعديد من القديسين ، وفي الفترة الأخيرة ، تم إنشاء برج يبلغ ارتفاعه ٧٨ قدمًا يسمى ماهافير ستامبها في الساحة عند المدخل الأمامي، وهو يشبه البرج الشهير في شيتور في ميوار براجاستان ؛ والعديد من النقوش المستخدمة في تصميم البرج ترجع إلى أحد مآذن فترة حكم المغول.



معبد هاوثيسينج المعقدة اليانية

## الصراع التجارى فى بحر العرب بين البرتغال وتحالف قاليقوت / الكجرات/مصر

### المخطط البرتغالى الإستعمارى

#### فى جنوب وشرق آسيا

فى نطاق الصراع القديم المتجدد ؛ الدائر بين عالم الإسلام وأوروبا منذ الحروب الصليبية ، إنطلقت الكشوف الجغرافية البرتغالية للوصول الى الهند بعيدا عن طرق التجارة الدولية المارة عبر عالم الإسلام للحصول على منتجاتها من التوابل مباشرة ؛ فإكتشف البرتغالى بارثولوميو دياذ رأس الرجاء الصالح عام ١٤٨٨ ، ولم يكن مساره معلوما من قبل فى وعى الجغرافيا الأوروبية ؛ بينما كان حيا فى وعى الملاحين العرب منذ قرون لكنهم تجاهلوه لبعده الجغرافى بينما بلادهم تسيطر على كل ممرات التجارة الدولية فى البر والبحر من أقصى شرق العالم الى أقصى غربه بما فيه بحاره الوسيطة .

وفى مايو ١٤٩٨ ؛ نجح فاسكو دى جاما فى الوصول إلى الساحل الغربى لشبه القارة الهندية عبر هذا الطريق مسترشدا بخبرة الملاحين المسلمين ، وبدأ بالتمهيد بإيجاد مرتكز تجارى للبرتغال فى قاليقوت وهى من أقوى ممالك المنطقة وأغناها لسيطرتها على إنتاج وتجارة التوابل الدولية خاصة الفلفل الأسود المعروف فى مصطلحات التجارة الأوروبية بالذهب الأسود .

قابل مندوبو دى جاما ساموثيرى حاكم قاليقوت ؛ بناء على نصيحة إثنين من مسلمى تونس يتحدثان القشتالية التقاهم بحارة الأسطول هناك ؛ وقدم مندوبوا دى جاما هدايا الى ساموثيريليس فيها ذهب أو فضة ما أثار إستهجان الساموثيريين ، وفسر التجار المسلمون ذلك لرجال البلاط بأن دى جاما مجرد قرصان وليس سفيرا ملكيا ؛ ولم تكن مفاوضات دى جاما سهلة لمعارضة التجار العرب منح البرتغاليين حقوق الإتجار بالمنطقة ، وقد ضايقه نفوذ التجار المسلمين الكبير لدى البلاط الساموثيرى .

وافق ساموثيرى على منح فاسكو دى جاما حق الإتجار فى قاليقوت تحت تأثير سمعته التى سبقته الى الهند عن الوحشية التى إرتكبها فى بلاد الإسلام على إمتداد مسيرته الى الهند ؛ فقد كان البرتغاليون مشحونون برصيد من العداة التاريخى للإسلام منذ أن كانت له دولة على أرضهم فى شبه الجزيرة الأيبيرية ، فصبوا كراهيتهم جحيما على كل بلدان الإسلام التى مرت بها أساطيلهم فى شرق أفريقيا وجنوب جزيرة العرب

وصولاً الى قاليقوت في ملبار ؛ وقد عبر فاسكو دي جاما عن هذه المشاعر العدائية عندما وصل موزمبيق قائلاً " الآن طوقنا المسلمين ولم يبق إلا أن نشد الخيط) (١٧٤)"

حدثت بعض المشاكل في ميناء قاليقوت بسبب عدم دفع دي جاما الرسوم الجمركية بالذهب على بضائعه التي أدخلها البلاد وإصرار أمير التجار العرب المشرف على الجمارك بتنفيذ أوامر الملك في هذا الشأن ؛ فاضطر أن يترك بعض رجاله مع البضائع التي لم تُبع وحمل ستة عشر صياداً معه بالقوة وغادر قاليقوت ليلاً في ٢٩ أغسطس عائداً الى البرتغال ، فأغضب ساموثيري حاكم قاليقوت .

وعند إفادة دي جاما الملك مانويل الأول بنتائج رحلته الى الهند ؛ أخبره بوجود أعدائهم الألداء العرب المسلمين في المحيط الهندي وقاليقوت وأبدى دهشته لنفوذهم الكبير الذي يحظون به لدى بلاطها - وأنهم ان لم يبذلوا جهداً متواصلًا للتواجد المستمر في المنطقة ، فلن تعود عليهم منافع استكشافاتهم لهذا الطريق بأية جدوى (١٧٥).

وفي ضوء هذا التوجه ؛ تبني البرتغاليون إستراتيجية التواجد الدائم في البحار الجنوبية للكرة الأرضية ، وتأسيس مستعمرة لهم في الساحل الغربي للهند وإحكام السيطرة على حركة التجارة الدولية للمنطقة وإنتزاعها ليس فقط من يد التجار العرب بل وقاليقوت وإحتكار توريد التوابل الى أوروبا عن طريق رأس الرجاء الصالح لجنى مكاسبها وحدها ؛ وهو سبب حفاظها على سرية الطريق عن دول أوروبا البحرية .

أرسلت البرتغال أسطول من ثلاثاً وثلاثين سفينة بقيادة بيدرو ألفاريز كابرال ، الى قاليقوت في سبتمبر عام ١٥٠٠م وصل منها ستة سفن فقط ، وكانت مهمة بيدرو إرغام قاليقوت على الموافقة على إنشاء مركز تجارى والسماح للأباء الفرنسيين بالتبشير ؛ فحصل على ما أراد وغادر الي كوشين ؛ وفي غيابه وقع خلاف في قاليقوت بين مساعده و الساموثيريين فهاجم الساموثيريون المركز التجارى البرتغالي وخرّبوه بتحريض من التجار العرب ؛ وقُتل خلال الهجوم ٥٠ برتغاليا منهم مساعد كابرال والوكلاء التجاريين ، فعاد كابرال الى قاليقوت للإنتقام وهاجم عشر سفن عربية راسية في وإستولى على أحمالها وأحرقها بمن فيها ؛ و قصف

<sup>١٧٤</sup> - ذكر عمانويل (١٤٩٥-١٥٢١) ملك البرتغال أن الغرض من اكتشاف الطريق البحري الى الهند هو نشر المسيحية والحصول على ثروات الشرق ؛ ولما سأل التونسيان اللذان التقاهما بحارة فاسكو داجاما في قلايقوت عن سبب مجئ الأسطول قالا "جننا بحثاً عن مسيحيين وعن أطياب!" - نارايانان

<sup>١٧٥</sup> - غطت البضائع التي جلبها دا جاما من الهند ؛ ستين ضعف تكلفة رحلة آسيا بأكملها" ، وكانت البرتغال وقتها تركز على البرازيل بحملات متتابعة في نفس التوقيت ١٥٠١ و ١٥٠٣م على أمل العثور على ذهب أو فضة ؛ ولكن عدم تحقق ذلك دفعها للتركيز على تجارة الهند.

قاليقوط ليوم كامل انتقاما للحادث ثم رحل؛ وراح ضحية هذا الهجوم ستمائة شخص من بينهم البحارة (١٧٦) .



لقاء فاسكو دى جاما بساموثيرى- قاليقوت

عاد فاسكو داجاما الى قاليقوط في أكتوبر ١٥٠٢م بأسطول من ١٥ سفينة لتأديب الساموثيريين والاقصاص من العرب ، فرفض الساموثيرى طلبه طرد المسلمين من قاليقوط ؛ فدمر ٢٩ مركبا من أسطول قاليقوط ؛ و شقق ٣٨ صيادا وقطع رؤوسهم وأيديهم وأرجلهم والقى بأشلأهم فى مياه الشاطيء لإرهاب الساموثيريين ؛ و نهب السفن العربية فى الميناء قبل إغراقها ، وأكثر جرائمه وحشية ما فعله بالسفينة مريم ؛ وهى سفينة تابعة لدولة المماليك المصرية تحمل حجاجا وبضائع قيمتها ١٢ الف دوكة ،وقصتها جديرة بأن تُحكى .

### السفينة مريم

كانت سفينة تجارية كبيرة مملوكة لسلطان مصر المملوكية؛ أبحرت من قاليقوط تُقل أثرياء حجاج الهند واسرهم المتوجهين الى الأماكن المقدسة (١٧٧) من بينهم أغنى ١٠ مسلمين هنود برفقة سفير مصري ؛ وبلغ مجموع من عليها بملاحيتها ٤٠٠ شخص

١٧٦ - ابن الديبع - ص ٦٣٠ .. نقلا من كتاب ديو البحرية وأثرها في إنهيار دولة المماليك للدكتورة إيمان مصطفى ود.طارق أبو الوفا.

١٧٧ - يوافق شهر ذو الحجة الاشهر الميلادية سبتمبر وأكتوبر عام ١٥٠٢ ؛ وكانت وقتها مصر هى المشرفة على تنظيم الحج لسيطرتها على الحجاز ، وقد يكون وجود السفير المصرى هو سبب إصرار فاسكو دى جاما على حرق المركب ليقنتله إنتقاما من مصر من ناحية وليمنع وصول أخبار النشاط البرتغالى عن طريقه الى مصر .



بينهم ٣٠ سيدة و ٢٠ طفلا ، وبعد عدة أيام من إبحارها (يوم ٢٩ سبتمبر ١٥٠٢م) إعترضتها خمسة عشر سفينة برتغالية بقيادة فاسكو دي جاما ؛ فعرض عليه جواهر الفقيه احد أكبر أغنياء قاليقوت أن يأخذ الأموال والبضائع وإخلاء سبيلهم لكن دي جاما رفض، وجرّد رجاله السفينة مما عليها بما في ذلك مدافعها وحملها على خمس مراكب ؛ بخلاف ما أخذه من الركاب من جواهر وذهب وفضة واضرم النار في أجزاء السفينة وتركها تحترق ورحل ؛ وقبل أن يبتعد لاحظ دي جاما أنهم تمكنوا من إطفاء النيران فعاد وحاول من على متنها المقاومة لكنهم فشلوا ، وطالبهم بتسليم ما يخفونه وإخافتهم القى احد الحجاج في البحر بعد أن قيد يديه وقدميه ؛ وانتزع الأطفال من أمهاتهم وكانوا ٢٠ طفلا ونقلهم لسفينته ولم يُجديه إستعطاف النساء ترك أطفالهن لأنه كان يُضمر شرا لهن ، فحبس الرجال والنساء في بطن السفينة وأضرم فيها النيران وتركها في حراسة بعض سفنه حتى لا يهرب منها أحدا ؛ فغرقت بعد خمس أيام ومات ٣٨٠ رجل منهم ٣٠ امرأة ، ويقدر الشهود وهم من البرتغاليون الذي حضروا الواقعة الذهب الذي جمعه دي جاما من السفينة بما يكفي لإقتداء آلاف الأسرى العاملين بالسخرة وقتها في مملكة فاس ؛ وأنه كان ينظر من كوة في السفينة على المسافرين والامهات تبكى وتستعطفه دون أن يتأثر ؛ ولما عاد الى البرتغال أودع الأطفال بكنيسة القديسة ماري في بيليم في لشبونة لتعميدهم وتربيتهم على المسيحية ؛ ومن غير المعروف مصيرهم .

### وحشية فاسكو دي جاما

#### مع قاليقوت

توجه دي جاما الى قاليقوت وراح يهددهم ، وحاول ساموثيرى مصالحته فأشترط دي جاما عليه طرد المسلمين من بلاده ودفع تعويض يرضيه ؛ فرفض ساموثيرى وأرسل اليه الكاهن " تالابانا نامبوتيري " لمعرفته بفاسكو دي جاما منذ جاء أول مرة ، يفاوضه فإتهمه فاسكو دي جاما بأنه و زميله جاسوسين و جز شفقتاهما وأذناهما و خاط مكانهم أذنا كلب ، وقصف قاليقوت بالمدافع على مدار يومين ؛ وجمع ٣٨ صياد من مراكبهم وأعدمهم ، وجدع أنف وآذان البعض وبعثهم الى ساموثيرى طالبا تعويضا ؛ فطارده قراصنة آل ماراكار بعشرة مراكب لكنه إنتصر عليهم.

ثم ذهب الى كوشين حليفهم لتتويج حاكمها ملكا ؛ تابعا للبرتغال مستقلا عن الساموثيرى وعاد إلى البرتغال في سبتمبر ١٥٠٣ ؛ و تعاضم غضب الساموثيرى من جراء هذه التصرفات الوحشية فهاجم كوشين حليفة البرتغال بسبب إنفصالها عن قاليقوت ؛ وكان أسطول برتغالي آخر بقيادة لوبو سوارس قد وصل فإلتحم بمراكب الساموثيرى المنهكة وتوجه بعد ذلك الى كوشين للتمركز بها .

في مارس ١٥٠٥ ؛ تم تعيين فرانسيسكو دي ألميدا نائبا لملك البرتغال في حكم الهند ، وكان من مهامه إقامة أربعة حصون في جزيرة انجديفا ، كنانور ، كوشين ؛

كويلون ؛ وفي عهده حدث شغب فى المركز التجارى البرتغالى فى كويلون بتحريض من التجار العرب قُتل فيه البرتغالى أنطونيو دي سا وخمسون من رجاله؛ فأرسل فرانسيسكو دي ألميدا ابنه لورانزو مع ٦ سفن الى ميناء كويلون فى قاليقوت فى أكتوبر ١٥٠٥ م ودمر ٢٧ سفينة فى إنتقاما للحادث ، فهاجم ساموثيرى الجديد الحامية البرتغالية ؛ فحاصر لورينزو دي ألميدا أسطول ساموثيرى فى ميناء كانور فى مارس ١٥٠٦ ودمره؛ و بدأ البرتغاليون تطبيق حظر على حركة تجارة المنطقة ؛ فلا يمكن لأى سفينة أن تمر إلا بعد الحصول على تصريح منهم وإلا تعرضت للمصادرة.

### دعوة الكجرات وقاليقوت مصر

#### للتدخل ضد البرتغال

ومع عدم قدرة قاليقوت على التصدى لوحشية الأساطيل البرتغالية المتدفقة على بلاده ؛ طلب الساموثيرى مساعدة القوى الإسلامية فى الكجرات المستهدف ساحلها (الغربى الهندى) من البرتغال ؛ ومصر الشريك التجارى ؛ فبعث السلطان مظفر شاه بن محمود شاه بن محمدشاه سلطان كجرات (٩١٧ - ٩٣٢ هـ) ومعه ساموثيرى (حزف Zamorin ساموثيرى) الى سلطان مصر المملوكى الأشرف قنصوه الغوري (حكم ٩٠٦ - ٩٢٢ هـ / ١٥٠١ - ١٥١٦ م)، يستعينون به لدفع البرتغاليين (١٧٨).

ويثور التساؤل عن السبب الذى دعا الكجرات وقاليقوت لطلب مساعدة مصر وهى بعيدة وليس لديها أسطول بحرى له باع فى معارك أعالى البحار قادر على الوصول الى المنطقة فى وقت مناسب ، وكان الأجر بهما الإستعانة بسلطنات الإسلام الهندية وعلى رأسها دهلى للتصدى للبرتغال الوافد البحرى الغربى الذى أجم بوجوده مزيدا من التوتر على وضع الهند المضطرب أصلا والذى دائما ما يموج بالحروب ؛ ولكن المخاوف الأبدية الراسخة فى ضمير الهند من الجيرة الطامعة ؛ كانت وراء طلب العون من قوى خارجية بعيدة ليس لها أطماع مباشرة فى الهند ؛ ولم يكن هناك غير مصر فهى شريك أساسى فى إدارة تجارة شرق العالم ومفتاح تدفقها الى سائر بلاده ؛ و لا تشكل تهديدا فهى لا تسعى لتأصيل وجود لها فى الهند لا تملك معطيائه .

### دوافع قاليقوت

وعن سبب لجوء ساموثيرى الى مصر ؛ فمرجعه العلاقات التاريخية القديمة مع العرب من ناحية ومصر من ناحية أخرى ؛ فساموثيرى بطبعه يميل الى المسلمين أبناء مملكته فسلالتهم الهندية (مابلا) جزء من شعبه ومن جيشه وقادة بحريته ؛ وتجارهم نافذوا القوة الإقتصادية يديرون تجارة قاليقوت ؛ وكان يجلب من ممالك الخليج

<sup>١٧٨</sup> - قطب الدين النهروالى (٩١٧ - ٩٩٠ هـ) صفحة ٥٧٠ - ٥٧١. " بينما فى مراجع أخرى السلطان محمود بكادة أو بغادا أو بجادة أو محمود مظفر شاه

عاملين لديه ، وكان يعتبر المسلمين مواطنيه ومسئولا عن حمايتهم وقد عبر عن غضبه لحاكم كانور من إيذاء البرتغاليون لمسلمي كانور ١٥٠٦ .

### ميررات التدخل المصري

كانت تجارة التوابل الهندية العابرة لمصر ؛ هي نقطة الارتباط بين مصالح مصر الإقتصادية في أعالي البحار و كل من قليقوت والكجرات<sup>(١٧٩)</sup>؛ ولكنه لم يكن المبرر الوحيد لتدخل مصر ؛ بل العداة التاريخي المستحكم لدى البرتغال ضد المسلمين الذي عبرت عنه بصدق بالغ وحشية اساطيلها بداية بهمجية فاسكو دي جاما على مسار رحلته عبر سواحل الإسلام بما فيها التعدى الوحشى على سفن مملوكية في ميناء قاليقوت تنقل التجارة والحجيج ونهب ما بها وإحراقها بمن عليها ، وكان الأخطر في المخطط البرتغالى تواجد أساطيل البرتغال فى البحار الخلفية لمصر وبالذات البحر الأحمر لمساسه بقمة الأمن القومى المصرى فى أعلى درجاته ؛ وهو علم السلطان الغورى بأن من بين أهدافه تهديد الأماكن المقدسة فى الحجاز ، وكانت وقتها ضمن ممتلكات دولة المماليك المصرية ؛ والإستعانة بالحبشة التى تطوعت ملكتها فى رسالة الى ملك البرتغال بدعمه ؛ بعدما تيسر للبرتغال التواجد بالقرب منها فى البحار الخلفية عبر الساحل الشرقى لأفريقيا.

أما عن الخسائر الإقتصادية التى تكبدتها مصر نتيجة تحويل مسار التجارة العابرة لأراضيها الى الرجاء الصالح فيصفها المؤرخ المصرى ابن إياس الحال سنة ٩٠٩ هـ / ١٥١٤ بقوله خربت الأسكندرية ودمياط فلم تدخلهما السفن منذ زمن ، ولم تدخل بندر جدة سفنا من ست سنين " .

هب قنصوه الغورى للمساعدة، ولما كان لا يملك سفنا قادرة على الإبحار فى أعالي البحار لتنفيذ مثل هذه المهام ؛ طلب المساعدة من السلطان العثماني ؛ فأمدته بقادوس حربى متوسط بطاقمه ؛ وقدمت البندقية أحد شركاء التجارة المتضررين دعما فنيا محدودا للحملة المصرية ؛ حرجا من إتهامهما بمعاونة قوى إسلامية ضد قوى مسيحية ، فساعد نجاروها فى تفكيك السفن العثمانية فى الأسكندرية وإعادة تجميعها فى السويس على ساحل البحر الأحمر، وإختار قنصوة الغورى / شاهبندر تجار القلزم حسين الكردي للإشراف على بناء عدد من السفن وقيادة الأسطول الصغير ، وأنعم عليه بلقب "أمير" وأقطعه مدينة جدة لتحصينها ضد التهديدات البرتغالية ؛ والتعاون مع سلطان اليمن لتحصين عدن لسد مدخل البحر الأحمر فى وجه الأساطيل البرتغالية ؛ ثم مهاجمة السفن البرتغالية فى الهند.

<sup>١٧٩</sup> - أشار ابن بطوطة وماركو بولو الى إزدحام الموانئ الهندية بالسفن الضخمة إذ كان يرسوا فى ميناء لكونتى وحده أكثر من مائتى ألف مركب صغير بجانب السفن الصينية الضخمة التى يبلغ طاقمها الف رجل وتحمل معظم صادرات الهند.

أبحرت الحملة المصرية أو حملة "الروم" كما سماها البرتغاليون ؛ بقيادة الأمير حسين الكردي في نوفمبر ١٥٠٥م (جمادى الآخرة ٩١١هـ)، وكانت تضم خليطا من العسكر بعضا من المماليك السلطانية غالبيتهم مغاربة ومصريين و رماة من العبيد ، و أطقم من البحارة الأتراك واليونانيين ، بصحبتهم جماعة من البنائين والنجارين والعمال لتحصين ميناء جدة ضد أى عدوان برتغالى محتمل يستهدف الوصول الي مكة والمدينة ، و تحصين جدة هو الاذى أخر الحملة عن الوصول الى الهند مدة عام.

كانت الحملة مكونة من ثلاث برشا وثلاث أغربة حسب وصف المؤرخ اليمنى نجم الدين عندما وصلت عدن فيقول " وصل الأسطول الجهات اليمانية من ثلاث برشا وثلاث أغربة ولا يعلم أحد مقصوده حتى مر بباب المنذب فلما قرب من عدن ، أنزل سنبوفا فيه قاصد من قبله إلى الأمير مرجان الظافري حاكم عدن يستأذنه في الدخول إلى حقات فأذن له، فدخل في غاية ما يكون من الأدب لم يضرب نفطا (مدفع) ولا دق طبلا ولا شوش ولا غلوش، حتى أنه إعتذر عن طلب أمير اليمن مرجان ضيافته بقوله " لولا أني مأخوذ علي من قبل السلطان قنصوه ألا أدخل عدن لدخلت إليك ومثلت بين يديك، ولكن لا يمكن مخالفة أوامر السلطان "، واستأذن في التزود بماء وحطب وغير ذلك لأنه متوجه إلى الهند ، فأذن له الأمير مرجان.

### الوصول الى ديو

وصل الأسطول ديو" فى الهند في مارس ١٥٠٨ ، فوجد أسطول ساموثيرى قد عاد الى قاليقوت لتأخر الحملة عاما ؛ فإنضمت السفن المملوكية الى أسطول الكجرات الراسى في ديو تحت قيادة حاكم المدينة "مالك أياز" وهو عبد روسى مسلم.

### معركة چاول (شاول)

#### جنوب الكجرات

عام ١٥٠٨م

هاجمت سفن التحالف المصرى /الكجراتى / الساموثيرى الأسطول البرتغالى فى ميناء جاول ؛ وبعد معركة شرسة إستمرت لثلاثة أيام دمر التحالف معظم السفن البرتغالية (طبقا للمصادر البرتغالية) ؛ و يصف المؤرخ الهندى بانىكار المعركة بأنها كانت حرب مدفعية بين السفن لفشل البرتغاليون في القيام بعمليات إنزال على ظهر السفن المصرية الأدنى إرتفاعا ولا تطاول السفن البرتغالية العملاقة ؛ ورغم إستخدام البرتغاليون ستار من القصف المدفعي تمكنت السفن المصرية من عزل سفينة القيادة البرتغالية وإغراقها ولقى لورانزو دى ألميدا قائد الأسطول حتفه ؛ و أسر تسعة من طاقمها ، وتمكنت سفينتان من الهرب والعودة إلى قاعدتهما في كوشين ، وعاد الأسطول المصرى الى مرساة في ديو وسلم الأسرى الى حاكمها.

## تقدير الموقف القتالي لأطراف المعركة البحرية

منقول من الموسوعة الويكيبيديا

### التحالف المصري / الكجراتي / الساموثيري

#### القيادات

- الأمير حسين الكردي ، القبطان المصري - قائد أسطول التحالف.
- خادم سلمان ريس ، قبطان مساعد عثماني.
- مالك عياذ الحساء، حاكم ميناء ديو الكجراتي .
- كونجالي ماراكار الأول (المسلم) أمير البحر الهندية وامتولى حماية  
السيادة البحرية لساموثيري قليقوط.
- (حددت المراجع خدمته ١٥٢٠-١٥٣١ ولكن مصادر اخرى تؤكد وجوده فى المعركة)

#### السفن

- أربع نواويس (كجرات)
- أربع نواويس (مصرية مملوكية)
- اثنتان كرقل
- أربعة galeotas
- اثنتان gales

#### الجانب البرتغالى:

قائد الأسطول لورينزو دي ألميدا

سفن الأسطول

- خمس ناووس كبير
- أربع ناووس صغير
- أربع كرفلات
- قاربين لاتينية
- اثان gales
- سفينة مجاديف.

#### تعقيب

كان إنتصار الأسطول المصرى فى جاول معجزة بكل المعايير ؛ فقوادسه صغيرة لا تطاول السفن البرتغالية العملاقة لا إرتفاعا ولا تُضاهيها تسليحا ولا أمنا ؛ فكان البرتغاليون يرمون القنابل من سطح سفنهم الأعلى على سفن التحالف وهم فى مأمن ؛ وكانت السفن البرتغالية تقذفهم بمدافعها ؛ بينما قاتلت السفن المملوكية إعتمادا على الرماة لتعذر تجهيزها بالمدافع لصغر حجمها ؛ بالإضافة للفارق الكبير فى خبرات الجانبين فى المعارك البحرية فالبرتغال قوة بحرية لها باع فى القتال أعالي البحار

بينما مصر قوة برية غير متمرسة في المعارك البحرية ، و تظهر تركيبة أطقم السفن المملوكية السابق الإشار إليها الفارق بين الفريقين .

### إعادة تأهيل الأسطول المصري في ديو إستعدادا للمعارك التالية

قضى الأسطول المصري الفصل المطير في اصلاح سفنه إستعدادا للمعارك التالية ؛ وأرسل الى السلطان الغوري طالبا مددا من السفن والرجال والمال لدفع رواتب بحارة الأسطول المملوكى لتمردهم ؛ وأمد الساموثيرى بأربعين غرابا صغيرا من قاليقوط ، بينما أهمل مالك عياذ قائد اسطول الكجرات سفنه فتفرقت أطقمها .

### خيانة مالك عياذ وسلطان الكجرات للاسطول المصري

كان فرانسيسكو دى ألميدا نائب ملك البرتغال في الهند غاضبا لمقتل ابنه ، وإعتبر الثأر لمقتله همه الأول ؛ وعصى فى سبيل ذلك تنفيذ أمر الملك بعودته الى البلاد رافضا تسليم مهام منصبه الى ألفونسو دي ألبورك نائب الملك الجديد فى حكم الهند ، إلا بعد الانتقام من قائد الأسطول المصري لمقتل ابنه لورانزو ، و كان لديه ثمان سفن كبيرة وحوالي ١٥٠٠ مقاتل برتغالي علاوة على ٤٠٠ مقاتل محلي من الممالك الحليفة للبرتغال وعلى رأسها مملكة كوشين الهندوسية (بعد انفصلها عن ساموثيرى) ، ولما وصله مددا من خمس عشرة سفينة وأكثر من ألف ومائتي جندي، أرسل الى حاكم ديو مهيدا بتدمير المدينة ، قال فيها:

"أنا نائب الملك ؛ أخبرك يا مالك عياذ المبجل حاكم ديو، أني سأحضر بفرساني إلى مدينتكم، وألقي القبض على الأشخاص الذين رحبتم بهم وقتلوا رجالي وإبني في چاول ، ساتي أملا من رب السماء أن أثار منهم وممن ساعدهم ، وإذا لم أجدهم فسوف أستولي على مدينتك بسبب مساعدتك لهم في چاول" ؛ فرد عليه عياذ بدون علم الأمير حسين الكردي برسالة ترصيه أعلنه فيها بحسن معاملته للأسرى الموجودون لديه .

وتقول بعض الروايات الغير موثقة أن الأسطول البرتغالي هاجم الإسطول المصري القابع فى ديو فى ٣ فبراير عام ١٥٠٩م وهزمه ؛ وقام البرتغاليون بالتنكيل بأسراهم وحرقوهم ثأرا لمقتل ابن نائب الملك ، ودخل الميدا ديو واخذ منها ٣٠٠ ألف قطعة من الذهب عقابا لها، وينفى المؤرخان البرتغاليان باروس و كاستنهيديا<sup>(١٨٠)</sup> هذه

<sup>١٨٠</sup> - جواو دي باروس João de Barros (١٤٩٦ - ١٥٧٠)، مؤرخ برتغالي، من أشهر مؤلفاته عقود آسيا Décadas da Ásia، والذي يروي تاريخ البرتغاليين في الهند وآسيا وجنوب شرق أفريقيا.

الرواية (١٨١) ، ولكنهما أكدا حدوث الإتصالات السرية وأن تهديد دى ألميدا لمالك عياد بتدمير المدينة هو الذى جعله يمتنع عن دعم الأسطول المصرى بل و سلم البرتغاليين أسراهم بل ومدهم بالمؤن .

### معركة ديو الثانية

#### لا غالب ولا مغلوب

وحسنت اتصالات الميدا و عياد المعركة التالية قبل أن تبدأ لتحديها مالك عياد ؛ فخرج الميدا بأسطوله الى الكجرات واستولى في طريقه على الديبل وسلها ببحر العرب ، وعندما بلغت تلك الأنباء الأمير الكردى خرج بسفنه دون استعداد ومعه بعض سفن ملبار و الكجرات واشتبك مع الميدا عند ميناء ديو في الثالث من فبراير عام ١٥٠٩م ، ولم يحسم المعركة أيا من الطرفين وأكد المؤرخ الهندى بانىكار أن الأسطولين تكبدا خسائر فادحة و خرجا من المعركة متعادلان لا غالب ولا مغلوب ، وإنسحب ما تبقى من الأسطول المملوكي وعلى رأسه سفينة القيادة الى الكجرات ؛ وكان كل ما غنمه البرتغاليون من المعركة ثلاث رايات ملكية لسلطان مصر معروضة اليوم في دير المسيح (كونفتو دى كريستو) في مدينة تومار معقل فرسان المعبد.

ولو كان إنتصار البرتغاليين حقيقيا لقضى الميدا على سفينة القيادة في الأسطول المصرى ثارا لموت ابنه كما كان يهدف أو قبض على الكردى ، لكن خسارته الفادحة أعجزته عن تحقيق ذلك وهو ما يُثبت تعادل الأسطولين؛ و ينفى ما ذكره المؤرخون المسلمون سلبا و دون تيقن وتدقيق فقالوا وصلت الأخبار إلى القاهرة في صفر عام ٩١٥ هـ (مايو ١٥٠٩م) "بهزيمة الأسطول المصرى في الهند وتعرضه لكسرة فاحشة ومقتل العسكر المصرى عن آخره" ، وهو خبر ليس صحيحا جملة وتفصيلا ولكنه كان ضربا من التهويل.

و يؤكد باروس و كاستنهيدا أن غرور الكردى وإستهانته بالبرتغاليين و إهماله نُصح مالك عياد قائد أسطول الكجرات بالبقاء في ديو لحماية ظهره بالمدفعية الأرضية لتحديد فعالية مدفعية السفن البرتغالية الأبعد مدى ؛ كانت جميعا سبب خسارة الكردى المعركة ، لخروجه من مكنه فى الميناء لمنازلة البرتغاليين في عرض البحر ، وفترت علاقات مالك عياد مع الكردى نتيجة الإتصالات السرية بين الميدا ومالك عياد فلم يعد الأخير مرحبا ببقاء السفن المصرية في ديو بعد المعركة وامتنع عن تموينها .

١٨١ - تقول بعض الروايات الغير موثقة أن الأسطول البرتغالى هاجم الإسطول المصرى القابع فى ديو فى ٣ فبراير عام ١٥٠٩م وهزمه ؛ وقام البرتغاليون بالتكليل وحرق أسراهم من الأسطول ثارا لمقتل ابن نائب الملك ، ودخل الميدا ديو واخذ منها ٣٠٠ ألف قطعة من الذهب عقابا لها .

ويبدو أن موقف مالك عياد كان بإيعاز من سلطان الكجرات في محاولة منه إسترضاء البرتغاليين ؛ مما إضطر الكردي للعودة الى مصر ، وهو ما يؤكد المؤرخ البرتغالي سوسا بأن الأسطول المصري بقى في الكجرات بعض الوقت الى أن طلب سلطانها من الأميرال الكردي بطريقة دبلوماسية الرحيل وشحن له سفنه الثلاث التي بقيت من أسطوله بالتوابل والأقمشة وغيرها من بضائع لكي يستعمل ثمنها في تحصين ميناء جدة والدفاع عنها ضد البرتغاليين ، ورافقت بعض سفن الكجرات الأسطول لتتأكد من مغادرته المياه الهندية في ١٥٠٩ .

### حملة مصر الثانية الى الهند

#### ( إنزعاج البرتغال من أخبار الحملة )

بعد عودة الأسطول الى مصر ؛ واصل قنصوه الغوري تجهيز الأسطول لحملة ثانية على الهند ، بعدما وصلت له الأنباء بأن البرتغاليون عازمون على غزو الحجاز لتدمير الأماكن المقدسة ؛ وكان الشريف بركات أمير مكة قد أرسل اليه ثلاث جواسيس من بلاد الفرنجة في شهر جمادى الأولى ٩١٦ هـ (أغسطس - سبتمبر ١٥١٠م)، دخلوا مكة على أنهم مسلمين تأكد له أنهم دواسيس (جواسيس) من بلاد الفرنجة فقبض عليهم ووضعهم في الحديد وبعث بهم إلى السلطان الغوري " .

قام السلطان الغوري وسط الظروف الصعبة التي كانت تعيشها دولة المماليك ، بتوفير الأموال لبناء مزيد من السفن ، واستغل حالة الوئام مع الدولة العثمانية في تلك الفترة من حكمه فطلب منها سفناً إضافية وأسلحة ، أزجعت أخبار الحملة الجديدة الفونسو دي البوكريك حاكم الهند البرتغالية ؛ فقرر المبادرة بحملة على البحر الأحمر ، و كتب رسالة الى الملك أمانويل الأول بتاريخ ١ إبريل ١٥١٢م ، ذكر فيها " أن أعظم ما يتهدد جوا (١٨٢) الأنبياء المتواصلة عن مجئ الروم (المصريون)، إنهم مصدر خطر عظيم على الهند وتسبب أخبار قدومهم كثيراً من القلق وعدم الاستقرار للمواطنين والنصارى على السواء ، وما لم تُثبت لهؤلاء الناس أنه لا يوجد من المخلوقات ما يسمى بالروم فلن يشعر رعاياكم بالسلام في هذه الأطراف" .

١٨٢ - استولى البوكريك على جوا من يوسف عادل شاه سلطان بيجابور عام ١٥١٠م بمساعدة القرصان الهندوسي تيموجي واتخذها مقراً بدلاً من كوتشي ؛ لحكومة مستعمرة البرتغال الهندية ؛ قاوم ساموثيرى البرتغاليين بشدة منذ معركة ديو الاولى ولما تأخرت الحملة المصرية الثانية ؛ ولما أنهك النضال قوى قاليقوت وقوى المسلمين بالمنطقة اضطروا لعقد معاهدة تصالح مع البرتغاليين ، ولما وصلت الحملة العثمانية عام ١٥٣٨ لم يجدوا سنداً .



فدعمته البرتغال بأسطول كبير بقيادة البوكريك عام ٩١٩ هـ (١٥١٣م) للإستيلاء على عدن وإغلاق مدخل البحر الأحمر في وجه الملاحة المملوكية لعرقلة سير الحملة المصرية إلى الهند ، لكن حاكم اليمن هزم الحملة البرتغالية أمام أسوار عدن ، وعندما علم الغوري ولم يكن قد إنتهى من تجهيز الحملة ؛ أرسل على الفور حسين الكردي ومعه جماعة من الجند الى جدة لحماية الأماكن المقدسة في مكة والمدينة ، وأمره بالبقاء هناك إلى أن يتم تجهيز حملة الهند بكاملها ؛ و قرر الغوري إغلاق البحر الأحمر بالتعاون مع اليمن في وجه البرتغاليين لمنعهم من الوصول الى جدة ، وكان سلطان اليمن عامر بن عبد الوهاب قد وافق بالسماح للغوري بإقامة قاعدة بحرية في عدن .

أبحرت الحملة المصرية في محرم ٩٢١ هـ (فبراير ١٥١٥م) وهي مكونة من عشرين سفينة من نوع الغراب تكلف بنائها أكثر من أربعمئة ألف دينار مزودة بالمدافع وغيرها من الأسلحة التي حصل عليها من العثمانيين ، وعليها ستة آلاف مقاتل بقيادة الرئيس سليمان العثماني مع بقاء القيادة العامة للإسطول في يد الكردي؛ وكانت مهمتها الأولى تأمين عدن وهي في طريقها الى الهند .

### تراجع سلطان اليمن

#### عن دعم الاسطول المملوكي

وعند وصول الحملة الى عدن ، فوجئت بتراجع سلطان اليمن عامر بن عبد الوهاب عن عوده بإقامة قاعدة بحرية للدولة المملوكية ، لشكه في نية المماليك السيطرة على اليمن من ناحية ؛ و شعوره من ناحية أخرى بعدم إحتياجه للدعم المملوكي بعد تمكنه وحده من صد الهجوم البرتغالي عام ١٥١٣ على عدن لما تأخر وصول الإسطول المملوكي ، وبالمقابل راودت الأميرال الكردي قائد الأسطول الشكوك في نوايا سلطان اليمن بعدما تسلم رسالة في مقره في جزيرة كمران تتهم الملك بالخيانة وأنه عدو الله ؛ و شجع الإمام شرف الدين الزيدي حسين الكردي على غزو الدولة الطاهرية اليمنية ، فأنحرفت الحملة المملوكية عن مسيرتها الى الهند وهاجمت سواحل اليمن وغاصت في شراك الخلافات اليمنية وصراعاتها القبلية .

ورغم إنصراف الحملة عن مواصلة الإبحار الى الهند ؛ ظل القلق يراود البرتغاليون من خطر دولة المماليك المصرية حتى زوال دولة المماليك على يد السلطان سليم الأول بعد موقعتا مرج دابق ١٥١٦م (بالخيانة) ثم الريدانية ١٥١٨ م؛ وعليه لم تستكمل الحملة إبحارها الى الهند .

## الحملة العثمانية / المصرية الثالثة

### ديو الثانية سنة ١٥٣٨

انتقلت مهمة دعم الكجرات/ قاليقوت تلقائياً للعثمانيين بعد إحتلالهم مصر ، بناء على طلب جديد من الكجرات وساموثيرى(زامورين) قاليقوت ؛ فكلف السلطان العثماني سليمان القانوني واليه في مصر الطواشي / سليمان باشا الخادم ، بإعداد حملة الهند ؛ وجهه فيها بالأتى " عليك يا بك البكوات إعداد العدة في السويس للجهاد في سبيل الله ، حتى إذا تهيأ لك إعداد أسطول وتزويده بالعتاد والميرة والذخيرة وجمع جيش كافٍ، فعليك بالخروج إلى الهند، وتستولي عليها .....(ترجمة غير دقيقة) ، فإنك إذا حاصرت السبيل المؤدية إلى مكة والمدينة وأزلت رأيهم من البحر جنبتهما سوء أفعال البرتغاليون."

فأعد والى مصر أسطولاً بقيادته من ٧٢ سفينة مزوّد بالمدافع والبنادق ، علي متنها أربعين ألف مقاتل غادرت السويس الى عدن ، فوصلتها في ٢٧ يوليو ١٥٣٨م ووصلته رسائل من الزيديين في شمال اليمن تتهم أمير عدن الطاهري عامر بن داود الثالث بموالة البرتغاليين (نفت المصادر اليمنية هذه الفرية عنه) ؛ فاستدرجه الخادم الى سفينته وغدر به وشنقه على صاريها ؛ وسيطر الاسطول العثماني على عدن بعد هذه الحادثة وحصنها بالمدافع، وعيّن عليها قائداً تركياً<sup>(١٨٣)</sup> ؛ و لما علم البرتغاليون بشأن الحملة استدعوا بهادر شاه سلطان الكجرات وقتلوه على مركب القبطان والقوا بجثته في البحر .

وصلت الحملة ديو سنة ١٥٣٨ ؛ وكانت أكبر قوة عثمانية أرسلت إلي المحيط الهندي ؛ وحاصرت قلعة ديو البرتغالية ب/ ١٣٠ مدفعا ؛ ولما لم يجد الخادم امير الأسطول العثماني تعاوناً من سلطان الكجرات الجديد لقلقه من نوايا العثمانيين وخوفه من رد فعل البرتغاليين ؛ فلم يزوده بالمؤن ؛ ففك الخادم الحصار وعاد الى مصر ١٥٣٨ ؛ وأعاد العثمانيون المحاولة عام ١٥٤٧م بحصار قلعة ديو، ولكنهم لم يتمكنوا من احتلالها، وهي آخر محاولات العثمانيين لمد نفوذهم إلى المحيط الهندي .

<sup>١٨٣</sup> - إنتقد أحمد حلبي دفتردار مصر في خطاب له الى داود باشا والي مصر الجديد خلفاً لسليمان باشا الخادم ؛ إغتيال سلطان اليمن الطاهري بقوله " ما رأينا مسبغاً (فرنّاً) لعسكرنا مثل اليمن فكلمنا أرسلنا اليها عسكراً ذابوا فيها ذوبان الملح ولا يعود منهم إلا القليل ، ولقد راجعنا دفاتر ديوان مصر من زمن إبراهيم باشا الى الآن (١٥٤٦م)، رأينا أنه قد أرسل من مصر إلى اليمن خلال هذه المدة ؛ ثمانون ألفاً من العسكر، لم يبقَ منهم إلا أقل من سبعة آلاف ؛ وبالتأكيد أن عشرات الآلاف من قتلى العثمانيين لا بُد وأن يقابلهم عدد أكبر من القتلى اليمنيين ؛ في ظل تسليح الأتراك الأقوى والأكثر وأوفر عدّة وإستخدامهم البنادق في وقتٍ لم يعرف فيه أهل اليمن البارود".

## صراع ما بعد ديو ضد البرتغاليين التحالف الإسلامي الهندوسى آل ماركار / قاليقوت

### قيادة آل ماركار اسطول قاليقوت

بعد رحيل الحملة المصرية الأولى ؛ وصل أسطول برتغالى جديد بقيادة المارشال فيرناو كوتينييو عام ١٥٠٩ ، بتعليمات محددة لتدمير أسطول قاليقوت فتمكن من القبض على الساموثيرى وتدمير قصره وأحرق المدينة ؛ ولكن قوات ساموثيرى قتلت كوتينييو وجرحت البوكيرك ؛ وإنتهى الأمر بصلح بين ساموثيرى والبرتغاليون عام ١٥١٣ ؛ ولكن الحرب تجددت بين الفريقين بعد فشل البرتغاليون فى إغتيال الساموثيرى داخل حصنهم عام ١٥١٧ عندما إستدعوه لإستلام بعض الهدايا ، ولكنه أفلت بمساعدة ضابط برتغالى ؛ ولجأ ساموثيرى الى أسرة من التجار المصريين يملكون سفنا صغيرة تنقل تجارتهم بين دول المنطقة وحتى الصين وكانت لهم خبرة فى مواجهة هجمات القراصنة المنتشرة ببحار المنطقة على سفنهم ؛ فأطلقوا عليهم أيضا القراصنة ، وأوكل الى كبير الأسرة حماية السيادة القليقوتية على مياهها البحرية وعينه قائدا للبحرية القاليقوتية.

### آل ماراكار

يكتنف الغموض تاريخ الأسرة المبكر فى الهند ؛ وترجح المصادر إنحدارهم من أصول مصرية شافعية المذهب ؛ هاجرت اسرتهم الى المنطقة للتجارة منذ قرون ؛ ويؤيد هذا الرأى المؤرخ والباحث الهندى KKN Kurup نائب رئيس جامعة كاليكوت سابقا وآخرون ؛ وقد تكون هناك مراجع باللغة المالايالامية لغة الملباريين تكشف عن هذا ؛ والأصدق قولاً ويقطع الشك باليقين الشاهد الذى نصبته السلطات فى مداخل الأكاديميات البحرية الهندية تخليدا لذكرى آل ماراكار الأربعة ؛ فقد أقيم على هيئة مسلة فرعونية مدببة الرأس فى دلالة واضحة على أصله مصريتهم.

عموما لا يهمنى الفرضيات حول أصل آل ماراكار ؛ بقدر ما يهمنى ثبوت الهوية الهندية التى صاغتها سلسلة متعاقبة الأجيال فى تراب الهند وخيراتها ؛ فإنتمى بحسبه ونسبه الى مجتمع مراقارالمسلم المنتشر فى تاميل نادو وكيرالا و سريلانكا وهم من المتحدثين بالتاميلية والمالايالامية ؛ لقد قام تاريخ آل ماراكار على أساس وطنية الإنتماء لقاليقوت والدفاع عنها ضد الإستعمار البرتغالى لا فرق فى هذا بين مسلم و هندوسى .

### نشاط الأسرة التجارى

عملت الأسرة فى التجارة البحرية فى منطقة المحيط الهندى وبحر العرب وصولا الصين عبر ملقا ، ولما تعرضت مراكبهم لعمليات قرصنة بحرية كانت منتشرة

فى بحار المنطقة ؛ ابحرت مراكبهم فى مجموعات صغيرة تحمى بعضها بعضا ؛ وإتخذوا كوتشى فى جنوب الساحل الغربى للهند موطننا لهم ؛ ولما إقتحمت الأساطيل البرتغالية المنطقة للسيطرة على تجارة المنطقة مستهدفين قاليقوت ؛ المنتج الرئيس للتوابل وعلى رأسها الفلفل المعروف فى مصطلح التجارة الأوروبية بالذهب الأسود ، والتي يتمركز بها أيضا مؤسسات إدارة تجارة التوابل عالميا وهى بيد العرب.

تضررت تجارة آل ماراكار بعد تقييد البرتغاليون الملاحة إلا بتصريح وإلا تعرضت السفن المخالفة للمصادرة ؛ وتدمير البرتغاليون مستودعاتهم ومراكبهم فى كوتشى ، فإنتقلوا الى قاليقوت لعلاقة طيبة بينهم وبين حاكمها (ساموثيرى) ؛ المعادى للبرتغاليين وكان على علاقة طيبة بالمسلمين من شعبه والوافدين منهم حسبما ذكرنا أنفا ؛ وإستقروا فى بنانى العاصمة ، ولما كانت لديهم خبرة فى إدارة العمليات البحرية فى مواجهة القرصنة ؛ عرضوا على ساموثيرى خبراتهم فى حماية سفنهم ، وكان قد خبر فعليا مشاركة بحارة مسلمون فى بعض عملياته البحرية.

فعهد ساموثيرى لهم بحماية مياه قاليقوت الإقليمية ، فقاموا بالمهمة بوازع وطنى ودينى وأخلاقى ضد الوحشية البرتغالية ضد الماييلا المسلمين ؛ ووضعوا أساطيلهم ببهارتها فى خدمة هذا الهدف عرفانا و وفاء لثقتهم ساموثيرى فيهم وفى المسلمين ؛ وتتناقض تواريخ تولى ماركار الأول قيادة البحرية القاليقوتية فهناك من يقول أنه قاد كان يقود الأسطول الساموثيرى أثناء معركة شاول ١٥٠٩ ؛ بينما تذكر مراجع أخرى أن ساموثيرى كلفه بذلك عام ١٥٢٠ ، عموما ولى ساموثيرى ، ماراكار الأول (ماركار) أميرا للبحر بلقب كونجالى وتعنى الملاح ويحلوا للمراجع أن تطلق عليه القرصان ؛ وعين كوتى على أميرا على قاعدة تانور البحرية ؛ و باتاجى مرقار قبطانًا ؛ وأطلق ساموثيرى عليهم كونهالى Kunjali وأحيانا كونجالى Kunjali ، وتوالى على قيادة بحرية قاليقوت أربعة من آل ماراكار هم :

Kutty Ahmed Ali - Marakkar I

Kutty Pocker Ali - Marakkar II

Pattu Kunjali - Marakkar III

Mohammed Ali - Marakkar IV

ومن آل ماراكار بطل مستقل بذاته ليس له إرتباط بقاليقوت أو ملكها ؛ هو على أو بيدرو (اسمه بعد تنصيره قسرا) أسره البرتغاليون فى معركة كورفودا ؛ ونصروه المسيحية غصبا وبقي عندهم ثلاث سنوات ، ثم هرب بعد إعدام ماراكار الرابع ابن عمه ؛ ليجمع بعضا من فلول أسطول الأسرة وبهارته وشن غارات عديدة للإنتقام من البرتغاليين طاردهم فيها حتى سيلان ؛ ثم تحالف مع الهولنديين ضد البرتغاليين .

- ١- كوتى احمد على - ماراكار الأول....(١٥٢٠-١٥٣١) أطلق عليه ساموثيرى لقب كونجالى ماراكار ؛ تشير بعض المراجع الى قيادة ماراكار الأول قيادة اسطول قاليقوت فى معركة ديو.
- ٢- كوتى بوكر على - ماركار الثانى (١٥٣١-١٥٧١)
- ٣- باتو كونجالى (كنهالى) - ماركار الثالث (١٥٧١-١٥٩٥)
- ٤- محمد على - ماراكار الرابع (١٥٩٥-١٦٠٠) - (ملك المسلمين وأسد البحار الهندية).

ماركار الأول (كوتى احمد على)

١٥٢٠ - ١٥٣١

العبقرية البحرية

فى إستراتيجية آل ماراكار

إعتمد آل ماراكار على مراكب البارو war-paroe التى يستخدمونها فى عملياتهم فى مواجهة السفن البرتغالية الثقيلة والضخمة ، و البارو مراكب صغيرة تعتمد فى إبحارها على الأشرعة والمجاديف فى نفس الوقت لضمان إستمرارية سرعتها فى حالة سكون الرياح ؛ يجدف عليها ٣٠-٤٠ شخص ، ويوفر لها حجمها الصغير القدرة على المناورة والإختفاء والإبحار عبر المياه الضحلة فى البحيرات والجداول ومصبات الأنهار ؛ وتوفر ميزاتها هذه تطبيق حرب عصابات بحرية خاطفة قائمة على الكر والفر ؛ ينشرون فيها هذه المراكب فى نقاط إستراتيجية متفرقة وغير ظاهرة وتخرج منها لتفاجئ السفن البرتغالية فى مقتل وتسبب لها أضرارًا جسيمة بإشعال النيران فى أشرعتها ثم العودة بأمان إلى مكانها فى المياه الضحلة ؛ وقد نجحت هذه الإستراتيجية فى إرغام السفن التجارية البرتغالية على الإبحار فى قوافل مسلحة .



طابع بريد لتخليد التراث البحرى للهند - مراكب البارو السريعة - كنجالى ماراكار

## الأعمال الحربية

استولى المسلمون بقيادة كوتي علي في عهد ساموثيري الجديد عام ١٥٢٣، على عشر سفن برتغالية ، وقاموا بالإغارة على موانئ كوتشي وكودنغالور ، وبلغ تحديه البرتغاليين ؛ أن قام نفس العام بتحميل قافلة من ثمان سفن بالفلفل من كوزيكود (قليقوت) بدون الحصول على تصريح تحت نظر البرتغاليين ، وأبحرت إلى البحر الأحمر في حراسة ٤٠ مركبا من إسطوله ، وتذكر المصادر أنه كان يتحكم في مائتي مركب ، وأسفرت غاراته عن قطع الاتصال البحري بين جوا و كوشين وتقييد التجارة البحرية للساحل الغربي بما فيها التجارة البرتغالية عام ١٥٢٨ .

قامت السفن البرتغالية بقيادة هنري مينيزيس بشن غارات فبراير- مارس ١٥٢٥ على بوناني وبانتالاييني كولام ، وحرقت المدن ، دافع ٢٠ ألف مسلم و نير (مجنودو قليقوت) عن بانتالاييني كولام ؛ وردا على هجوم كوشن على كوزيكود ، إقتحم كوتي علي ميناء كوتشي وأشعل النار في السفن البرتغالية ؛ وفي أكتوبر ١٥٢٨ تم أسر كوتي أحمد علي (ماراكار الأول) بعد معركة قبالة بارك وقتلوه عام ١٥٣١ .

## كنجالي ماراكار الثاني

(١٥٧١-١٥٣١)

تولى كوتي علي ابن كنجالي ماراكار الأول ؛ قيادة أسطول ساموثيري بعد وفاة والده عام ١٥٣١ ، بلقب كونجالي ماراكار الثاني فهاجم البرتغاليين في شاطئ سريلانكا ؛ وفي نفس العام استولى البرتغاليون على بعض سفن ساموثيري وكان عليها علي إبراهيم وماركار وكوتي إبراهيم وهي في طريقها إلى كجرات وأخذوهم أسرى ؛ فأضطر ساموثيري للموافقة للبرتغاليين على بناء حصن في شاليام اكتمل بناؤه في مارس ١٥٣٢ .

في عام ١٥٣٣ ، هاجم كونجالي الثاني مستوطنة نايا باتانم البرتغالية على الساحل الشرقي واشتبك مع إسطول برتغالي بقيادة أنتوني ديسيلفا ورغم هزيمته ؛ اعد أسطولاً جديداً إنتهى منه في عام ١٥٣٤ ، وهزم البرتغاليين عام ١٥٣٧ وهاجم ساموثيري البرتغاليين في كودونجالور و سار نحو كوشين الانفصالية ؛ وفي فبراير ١٥٣٨ طلب ساموثيري وسلطان الكجرات مساعدة السلطان العثماني سليمان القانوني فأرسل حملة حاصرت حصن ديو ؛ فإستدعى الكابتن البرتغالي مانويل دي سوز سلطان الكجرات للتفاوض على مركبه وقتله على غرار ما فعله قبلا لإغتيال ساموثيري .

في عام ١٥٦٦ ، هاجم مسلمو بوناني وبانتالاييني كولام ؛ السفن البرتغالية المحملة بالأرز ؛ فنهب البرتغاليون مستوطنات المسلمين على ساحل مالابار ودمروها

؛ وفي عام ١٥٦٩، تحالفَ ساموثيرى مع عادل / شاه بيجابور ، ونظام / شاه أحمد ناجار ومعهم الملكة أباكا راني ملكة أولال لطرده البرتغاليين من المحيط الهندي و كانت هذه الملكة فى حرب فعلية مع البرتغاليين ، وقاتل كوتي بوكار (ماركار الثانى) ، جنرال ساموثيرى نيابة عن الملكة أباكا ودمر الحصن البرتغالي فى مانغالور لكنه قتل على يد البرتغاليين عند عودته.

### كنجالي ماراكار الثالث (١٥٧١-١٥٩٥) بناء اسطول متطور - صناعة الأسلحة

كان باتو ماراكار يسمى Marakkaar kotta بلقب Kunjali Marakkar-III ؛ فى يوليو ١٥٧١ ، حاصرت قوات كوزيكود القلعة البرتغالية فى شاليام بدعم من المسلمين المحليين وكان استسلام الحصن ضربة لهيبة البرتغاليين فى الشرق ، و انتصاراً لرجال بحر مالابار المسلمين الذين حاربوا بجانب النير للاستيلاء على حصن شاليام بعد أن دعا الشيخ زين الدين مخدوم الثانى إلى الجهاد ضد البرتغاليين ، بعد الانتصار أعطى ساموثيرى الإذن لباتو ماراكار ببناء حصن وحوض بناء سفن فى بودوباتانام بالقرب من فاداكارا عند مصب نهر أكلابوزا؛ وتم بنائه خلال عامين ، وساعد المعمارىون المصريون والأتراك ونحاتوا الإمبراطور المغولى فى بناء الحصن ، وخلال فترة Kunjali-III تم تحسين تقنيات الحرب والذخيرة وانخرط باتو ماراكار مع البرتغاليين فى عدة معارك ؛ خلدت صخرة مذبح الأضحيات Iringal para التى ذبح عليها المسلمون كثير من البرتغاليين إنتقاماً من وحشيتهم مع المسلمين والهنود ؛ و عرقل Kunjali-III أنشطة البرتغاليين فى ساحل مالابار وتبادل الفريقان الهجمات .



ماراكار الثالث

حصل كونجالي الثالث على مساعدة خبراء أجنبية لتصميم وبناء سفن جديدة على النسق الأوروبي و درب بحارته على الأساليب المتقدمة للحرب البحرية.

طلب ملك البرتغال تدمير قلعة كونجالي الثالث، وتخريب علاقته بساموثيري ؛ لم تدم معاهدة سلام بين ساموثيري والبرتغاليين ووقعت معركة بينهما عام ١٥٩٤ في بانثالايني بالقرب من جوا هزمهم المالابا وقُتل جميع أفراد الطاقم البرتغالي فرد البرتغاليون بقتل ٢٠٠ بحار مالابارى ؛ وبعد عودته كونجالي الثالث من معركة بانثالايني انزلق و كسر عظم فخذه ،و لم يستطع استعادة صحته، وتوفي عام ١٥٩٥ .

### ماراكار الرابع

#### أسد البحار الهندية

تولى محمد كنجالي ابن أخى ماراكار الثالث ، قيادة اسطول الدفاع عن كوزيكود فعزز حصنها ؛ وإستمر فى مطاردة السفن البرتغالية ، وساعد أعداء البرتغال سلطان بيجابور أثناء حصار تشول فى عام ١٥٧٠؛ وذاع صيته فى الساحل الغربى وبحر العرب ، خطط البرتغاليون للوقية به فأشاعوا بأن كنجالي يسعى لتكوين إمبراطورية إسلامية فى المنطقة الشمالية من كوزيكود بإعلان نفسه مدافعاً عن الإسلام ؛ فآثاروا الريبة فى نفس ساموثيري وكان شاباً غير ناضج خصوصاً مع إزدياد القوة البحرية تحت يد محمد كنجالي ؛ فساءت العلاقة بينهما منذ عام ١٥٨٦ ؛ ودعاه البرتغاليون للعمل المشترك للقضاء عليه بمهاجمة قلعته برا بقوات كوزيكود وبحرا بقوة برتغاليه كبيرة مارس عام ١٥٩٩ ؛ لكن تقاعس ساموثيري عن المشاركة ؛ وفشل هجوم البرتغاليين وعادوا إلى كوشين فى سبتمبر ١٥٩٩ ؛ بعد أن خسروا خمسمائة رجل من القوة المهاجمة البالغ عددها ستمائة ؛ ونتيجة للحصار عانى المحاصرون من نقص المؤن والمرض .

وافق ساموثيري فى ١٦ ديسمبر ١٥٥٩ على توفير قوة من الف عامل لحصار قلعة كوتاكال و ١٥ فيلاً وجيش من النجارين وتكبد المحاصرون خسارة كبيرة قُتل ١٠ برتغاليين وأصيب أكثر من ٧٩؛ وبسبب موسم الشتاء رجعت القوة الى جوا مما مكن Kunjali من التعافي وعرقلة الملاحة البرتغالية.

### الإستسلام والغدر

فى مارس ١٦٠٠ ، أرسل كنجالي الى ساموثيري مبلغ ضخم من المال طالبا الأمان ؛ وغادر القلعة ما يقرب من ٢٥٠ إلى ٣٠٠ مسلم مع ٧٠٠ امرأة وطفل ، ولما إستشعر فورتادو القائد البرتغالى أن ساموثيري يحاول تمكين كنجالي من مغادرة القلعة ، هدده بتدمير قاليقوت ؛ أرسل كنجالي إلى ساموثيري يعرض تسليم القلعة وأن يؤمن حياته ومن معه من المقاتلين لسوء حالتهم من جراء الجروح والحروق والمرض



، وإستسلم كنجالي يرتدي ثوبًا بأزرار ذهبية مع حزام وخنجر في غمد من ذهب وإسورة سميكة جدًا من الذهب ؛ سلم سيفه إلى ساموثيرى ، ولكن البرتغالي سحبه جانبا فى تصرف لم يتوقعه المسلمون والنير فهاجموا القوات البرتغالية وإستسلموا فى النهاية وكانوا اربعين مسلماً و تم هدم القلعة بالكامل ، وفى جوا شنق البرتغاليون كنجالي وقطعوا جسده أشلاء عرضوا بعضها على الشواطئ وأرسلوا الرأس إلى كانور.

وخلدت الأغاني الشعبية المعروفة باسم Kottupalli Mala كنجالى الرابع ويُقيمون المهرجانات السنوية تكريما لذكراه فى Kottupalli بالقرب من بونانى يحضره الآلاف من المجتمع العربى الهندى مابيلاً إعتزازا بهويتهم .

### جهاد على ماركار (مجازا الخامس)

سنطلق عليه ماركار الخامس مجازا رغم عدم قيادته اسطول قاليقوت ؛ وهو على ماراكار ابن عم ماراكار الرابع أكمل مسيرة الجهاد ضد البرتغاليين بعد إعدام ماراكار الرابع .

أسر البرتغاليون على ماراكار وهو صبى فى الثالثة عشر من عمره فى معركة Cordiva ؛ وهو ابن عم أسد البحار محمد ماراكار الرابع ، و عمدوه قسرا فى جوا وسموه بيدرو ، وكان أسد البحار ما زال يجاهد البرتغاليين بعدها لثلاث سنوات حتى اعدامه بيدهم ؛ فلما علم على بموت اسد البحار هرب من جوا الى مالابار حيث لملم بعض بحارة أسد البحار و ٥ مراكب بارو وشن سلسلة هجمات على السفن التجارية البرتغالية حتى سيلان ، وتعاون مع الهولنديين فى محاربتهم البرتغاليين وهاجم بالتعاون معهم السفن البرتغالية عام ١٦١٩ ، وفى إحدى هزم حملة مطاردة برتغالية أرسلها البرتغالى كونستوشن ديسا من عدة سفن بقيادة فيتوريو أبرو، ولم تتوقف هجماته على البرتغاليين وكان وجودهم قد بدا يحتضر بعد قدوم قوى إستعمارية أخرى .

### تكريم ماراكار

- اطلقت جامعة كوشين للعلوم والتكنولوجيا عام ٢٠٠٣ ؛ إسم كونجالى ٢ على قسم الهندسة البحرية ، وكذلك على مركز التدريب الجوى البحرى الهندى فى كولابا / مومباي ، وأكاديمية البحرية INS Kunjali II تكريما لماركار الثانى ؛ وأقامت البحرية الهندية نصباً تذكارية وعديدة لماراكار فى مداخل أكاديمياتها.
- أطلقت جامعة كاليكوت إسم كنجالى ماراكار على قسم دراسات غرب آسيا.
- بناء متحف صغير فى كوخ لعائلة ماركار فى قرية إيرينغال شمال كوزيكود ، مع مجموعة من السيوف القديمة ومدافع المدافع والسكاكين.

- أصدر البريد الهندي في ١٧ ديسمبر ٢٠٠٠ طابعًا لإحياء التراث البحري ؛ بمناسبة مرور ٤٠٠ عام على موت كونجالي ماراكار؛ لنموذج مراكب كنجالى السريعة البارو .

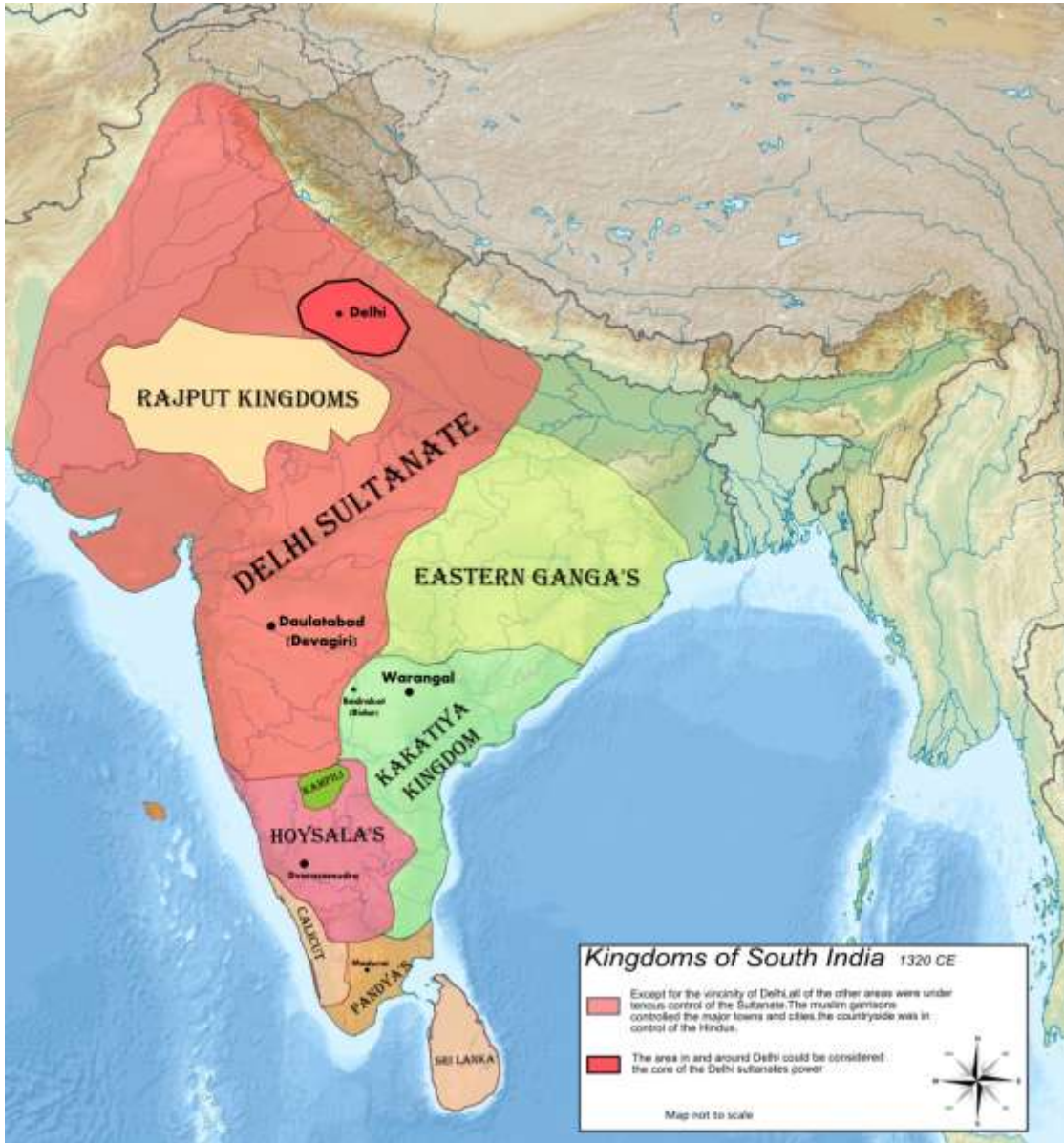
- يعبد يوجد معبد مخصص لعبادة كونجالي ماراكار كإله ، في قرية Madhavan Kurichi ويقوم له القرويون مهرجانا سنويا ؛ والمعبد معروف بإسم المعبد الأبدى في منطقة Thoothukudi في ولاية تاميل نادو ، والأغاني الشعبية (مواويل) المعروفة باللغة المحلية Villu Paatu ، ملأى بقصص بطولات ماراكار (هل المقصود ان له مقام ويعاملونه كولى من الأولياء!!!!!!).

- وله مسجد معروض فيه بعض متعلقاته أهمها سيفه من الذهب الخالص.

و تُعيد الفضل لصاحبه وهو ليس مسلما ، نائب رئيس جامعة كاليكوت كورب KKN Kurup الذى إستعنا بدراسته عن تاريخ آل ماراكار فى تسجيل هذه الصفحات ؛ فقد زهى بجهاد آل ماراكار بالتحالف مع ساموثيرى فى قتال البرتغاليين ؛ ذاكرا أن لهم الفضل فى الحفاظ على الهوية القومية والثقافية لأهالى قاليقوت الكونكانيين ، فيقول لولا الكفاح المشترك لکنجالى ماراكار و ساموثيرى لقرن من الزمن من أجل حرية بحر العرب ، لما تطورت لغتنا وثقافتنا على النحو الذى حققته إذا ما خضعنا للبرتغاليين ؛ الذين جرموا التعامل باللغة الكونكانية حديثا أوكتابة بعقوبة شديدة.



سيف ماراكار الرابع - أسد بحر العرب الذي سلمه عند الإستسلام  
وهو من الذهب الخالص - بمسجد كوتاكال



خريطة تُبين موقع قاليقوطة في أقصى الجنوب - الكجرات في أقصى

مستعمرات البرتغال/ مسرح عمليات مراكاز  
على أرض الهند



- ١- كوشين - المنفصلة عن قاليقوط في الجنوب- اصبحت تحت سيادة ميسور سلطان طيبو .
- ٢- جوا في وسط الساحل - إغتصبها البرتغال من العادليين ، شاه عادل.
- ٣- ديو مسرح المعركة البحرية في اعلى الشمال الغربى .





النصب التذكارية لآل ماراكار

## (٣)

سلطنات الديكان  
وممالكها الهندوسية  
فيجاياناجارا - و- بهمن  
والسلطنات الخمس

## تمهيد

الديكان قلب الهند الجغرافى ؛ كان لها مكانة أصيلة فى تاريخ الهند القديم فقد كانت معقل أكثر من ١٢ سلالة حاكمة ذات صيت منها العديد من الإمبراطوريات الهندية عظيمة الشأن ، ومن أعظم السلالات شأنًا سلالة راشتراكوتا (٧٥٣- ٩٨٢ م) التى وصفها العرب بأنها إحدى إمبراطوريات العالم الأربع الكبرى ، وأخرجت الفيلسوف باسافانا ١١٣٤- ١١٩٦ م المصلح الإجتماعى الذى ناضل ضد تعسف النظام الطبقي الهندوسى وإفرازاته اللانسانية فى التمييز بين الناس طبقًا لأصولهم العرقية والوانهم ، و عالم الفلك والرياضيات بهاسكارا الثانى وسوميشوارا الثالث أول من ألف كتب الطبخ فى العالم المعروفة بـ "الماناسولاسا" ؛ ومن السلالات الهندوسية التى عاصرت الحقبة التركو /أفغانية منها هويسالا (بين القرنين ١٠-١٤م) و كاكاتيا (١٠٨٣- ١٣٢٣ م) وكمبيلى.

## فتح الديكان

إستهدف السلطان علاء الدين الخلقى الديكان فى موجة فتوحه الجامحة نهاية القرن ٧ هـ / ١٣م لثراء الإقليم ، و من بعده واصل الفتوح محمد طغلق سلطان دهلى الفتوح جنوبا فقتضى على كمبيلى وكانت حديثة عهد لم يمر على قيامها سوى عشرين عاما وقتل ملكها ، وأسر جيشه إثنان من بقايا سلالة هويسالا السابقة لـ / كمبيلى ؛ هما هاريهارا الأول وبوكا الأول ونقلوهما الى دهلى حيث أسلموا وتولوا مناصب قيادية فى جيشها ؛ ولما حدثت قلاقل بالإقليم أعادهما السلطان محمد طغلق الى الإقليم لتولى إدارته وإخماد تمرده ؛ فحرضهما كبير كهنة المعبد الهندوسى على الانفصال عن دهلى إحياء مملكة الأسرة لحماية الهندوسية ؛ ففعلا وكانت هى النواة التى قامت عليها إمبراطورية فيجاياناجارا .

وبعد سقوط دولة الطغالقة ؛ قامت فيها ممالك عظيمة منها المسلم والهندوسى ساهمت فى رسم حركة التاريخ بالتوازي مع سلطنة دهلى حتى قيام الإنجليز بإحتلال الهند ؛ منها سلطنة بهمن (كان يُطلق عليها مجازا سلطنة الديكان) ؛ وهى أول سلطنة

مستقلة فى جنوب الهند وأيضاً أول سلطنة شيعية فى تاريخ الحقبة الإسلامية بالهند ( )؛ كانت إمبراطورية كبرى لم تعمّر فقد إنهارت بعد قرنين من الزمان بعد هزيمة جيشها بقيادة جهانجير خان فى مايو ١٤٩٠ ؛ ليخرج من عباؤها خمس سلطنات شيعية ، هى بيجاپور (مملكة العادليين) وأحمد نجار (مملكة نظام) إنقلبت من سنية فى بدايتها الى شيعية ، وجولكوندا (مملكة قطب) و بيرار (مملكة عماد ) و بيدار ، وعاصرت هذه السلطنات إمبراطورية هندوسية هى فيجاياناچارا فى جوارها بالديكان ، ودار بين هؤلاء جميعاً صراع سواء بين السلطنات او بينهم وبين فيجاياناچارا ؛ فى إطار الطابع الدموى الأبدى لممالك الهند .

ولهذه السلطنات تراث وثقافة مجيدة تختلف عن حقبة دول دهلى ، فإسهاماتها فى مجال المعمار عظيم الشأن قد يفوق مثيله فى دول دهلى ، فهذه السلطنات الثرية حس خاص فى تعاملها مع الهندوس؛ فأحسنوا معاملتهم وعيّنوهم فى قيادات الجيش والوظائف العليا ؛ و تزوجوا منهم وخالطوهم عن قُرب فالشاه / يوسف عادل تزوج بونجى (١٨٤) شقيقة أحد نبلاء المرثيين العاملين فى خدمته ، كما أن فيروز شاه بهمنى سلطان الديكان تزوج ابنة ملك فيجاياناچارا (١٨٥).

هيمنت الفارسية بلغتها وثقافتها على سلطنات الديكان ؛ فتبنت كبقية دول الإسلام فى الهند اللغة والمعمار والفنون الفارسية ؛ وبنّت تأثيرها على فيجاياناچارا المتاخمة وهو ما أبرزته العمارة فى معابدها وقصورها من أقبية وأقواس ؛ وما ميز هذه السلطنات التسامح الدينى، ف / دالاباتي حافظ السجلات الإمبراطورية فى عهد أحمد شاه الأول ذكر فى عمله الموسوعى Nrisimha Prasada ، " أن أحمد شاه كان مثالا للتسامح الدينى " ؛ وقد يرجع هذا الى أن سلاطنة " أحمد ناجار و برار " فتح الله عماد الملك" من أصول هندوسية - (أحمد ناجار من البراهمة) ، كما إندمجوا فى الثقافة الهندية عامة وعلى رأسها الرقص والموسيقى.

وسجل هؤلاء السلاطين ومعظمهم شعراء ومُحبو فنون ؛ لمحات عن تسامحهم وإندماجهم فى الثقافة الهندية شعرا ؛ فإبراهيم عادل شاه الثانى كان شاعراً وموسيقياً ضم بلاطه ثلاثة الى أربعة آلاف موسيقى ومنشد كانوا يتقاضون بانتظام رواتب من الدولة ، و بنى من أجلهم مدينة موسيقية أسكن فيها المغنيات والراقصات ، وأشاد فى أشعاره ب / ساراسفاتى بالهة العلم والتعليم الهندوسية لخلقها آلة موسيقية تشبه العود كان الشاه يحب العزف عليها ؛ ويحتسب لسلاطين الديكان أنهم لم يتلاعبوا بالإسلام

١٨٤ - Poonji (Punji) شقيقة Maratha lord Mukundrao Kadamba .  
١٨٥ - لم يعين ويل ديورانت أى فيروز شاه بالتحديد ؛ ومن المعتقد أنه فيروز شاه بهمن سلطان الديكان .



رغم أصولهم الهندوسية على نحو ما فعل الإمبراطور جلال الدين أكبر ، وإنما كانوا أكثر التزاما ، ومن هذه السلطنات حيدر آباد التى دام حكمها حتى بعد الإستقلال بعام.

وأثرنا فى تعرضنا لتاريخ الديكان أن نضع ممالك الديكان المسلمة والهندوسية فى وحدة واحدة للإرتباط العضوى بينهم ، تبعا للخريطة التالية :

### خريطة مختصرة بالممالك:

#### السلطنات

سلطنة ديكان- سلطنة بهمن وبيجابور	(١٥٩٦-١٤٩٠).
سلطنة أحمد ناجار	(١٦٣٦-١٤٩٠)
سلطنة برار	(١٥٧٤-١٤٩٠)
سلطنة بيدار	(١٦١٩-١٤٩٢)
سلطنة بيجابور	(١٦٨٦-١٤٩٢)
سلطنة جولكوندا	(١٦٨٧-١٥١٨)

#### الممالك الهندوكية

إمبراطورية فيجاياناجارا (١٣٣٦-١٦٤٦م)

ظهور حركة الحكم الذاتى الهندوسى التى وضعت أساس إمبراطورية ماراثا.

### خرائط ممالك الديكان



فيجاياناجارا



سلطنة بهمن



### إمبراطورية فيجاياناجارا (١٣٣٦-١٦٤٦م)

تولى هاريهارا الأول الحكم وتمكن خلال عقدين من الزمن من السيطرة على معظم المنطقة الممتدة جنوب نهر تونغابهدرا، ولقب بسيد البحار الشرقية والغربية ؛ ووسع خليفته بوكا الأول حدود المملكة فإستولى على أركوت وكوندافيدو وهزم سلطان مادوراي وسيطر على جوا في الغرب ونهر كريشنا في الشمال ؛ ونقل ثروات المملكة الى إمارة أنيكوندي على الضفاف الشمالية لنهر تونغابهدرا ثم نقلها لاحقا إلى فيجاياناجارا على ضفاف النهر الجنوبي حتى لا تسقط في يد جيوش المسلمين ، وإتخذت الإمبراطورية من هامبي عاصمة سُميت فيما بعد فيجاياناجارا وهو الإسم الذي أطلق على الإمبراطورية ، ومن ثراء الإمبراطورية ومبالغة في البذخ فرش ملكها شوارع العاصمة في زفاف إبنته الى السلطان فيروز شاه بهمن<sup>(١٨٦)</sup> ؛ لمسافة ستة أميال بالمخمل والحريز ورقائق الذهب وغيره من المواد النفيسة<sup>(١٨٧)</sup>.

ووفر لها ثراؤها الإنفاق على جيش ضخم من مليون جندي ؛ فجيش الإمبراطور كرشنارايا بلغ ٧٠٣ الفا من المشاة ٣٢,٦٠٠ من الفرسان و ٥٥١ فيلا ، وإذا ما أضفنا القوات التي يجندها الإقطاعيون وقت الحرب يصل تعداد الجيش الى حوالي مليون جندي ، يسير في ركبهم في غزواته التي تطول لسنوات في حصار الحصون والمدن وهو أمر مُعتاد في حروب الهند ، حملة من المدنيين من مائة الفا من التجار والبغايا لخدمة الجيش في حملاته الطويلة ؛ فأصبحت المملكة قوة هندوسية إقليمية مؤثرة لقرنين من الزمن.

تركزت إستراتيجية الإمبراطورية في صد التوسع الإسلامي الى أقصى الجنوب وبالتالي لم يتجاوز طموحها الإقليم ؛ ولما قامت المستعمرة البرتغالية بالقرب منها في المنطقة الساحلية تقاربنا تحت مظلة العداء للدول الإسلامية ، فكانت تهتم تحصل من البرتغاليين على الأسلحة وتتدخل لديهم لمنعهم من مد السلطنات بالخيل الحربية المستوردة عبر موانئهم عملا على إضعافهم حتى يمكنها كسر شوكتهم في حربها المستمرة معهم .

كفل الثراء لها أن تترك آثارا عمرانية بديعة الجمال تشهد عليه بقاياها في هامبي الحى الملكى فى عاصمتها فيجاياناجارا .

<sup>١٨٦</sup> - قصة الحضارة - ص ١٢٢ .

<sup>١٨٧</sup> - ويل ديورانت - قصة الحضارة ج٣ ص ٩٦ - ١٢٣ .

## سلطنات الديكان وممالكها

(١)

## إمبراطورية بهمن ( سلطنة )

٧٤٨ - ٩٣٢ هـ / ١٣٤٧ - ١٥٢٧

تولى علاء الدين حسن جنجو بهمان (حسن گنگوي أو گانگو<sup>١٨٨</sup>) وهو أفغاني من أصل طاجيكي- فارسي ؛ حكم ولاية گنبرگة عام ٧٥٢ هـ في عهد محمد طغلق سلطان دهلي ، و إستقل بحكمها لما تمرد ولاية الأقاليم في عهد محمود فيروز شاه طغلق ، وادعى نسبا يصله بسلالة بهمن بن اسفنديار أحد ملوك الساسانيين وتلقب "علاء الدين بهمني شاه" ؛ وسمى گنبرگة العاصمة حسن آباد ( ٧٤٨ / ٨٢٦ هـ ) وانتقلت العاصمة بعد ذلك الى محمد آباد (بيدار) عام ٨٢٦ هـ .

و هي أول سلطنة مستقلة في هضبة الديكان وأول سلطنة إعتنقت المذهب الشيعي في الهند ؛ وفي مرحلة لاحقة تغير اسم السلطنة الى بيجابور على إسم المدينة العاصمة ، وبعد سقوط الدولة البهمنية ؛ تولى حكمها يوسف عادل خان في عام ٨٠٦ هـ / ١٤٩٠ م ، وكان مملوكا شركسياً ظلت سلالته تحكم حتى عام ١٦٨٦ تحت إسم العادل شاهات (الشاهات العادليين) إلى أن ضمها الإمبراطور المغولي أورانكزيب إلى سلطنة المغول عام ١٦٨٠ م.

## حكام بهمن وهم ١٨ شاهاً:

علاء الدين حسن بهمن شاه	١٣٤٧-١٣٥٨	
محمد شاه الأول	١٣٥٨-١٣٧٥	
علاء الدين مجاهد شاه	١٣٧٥-١٣٧٨	اغتاله عمه داود
داود شاه	١٣٧٨	اغتيال نفس العام
محمد شاه الثاني	١٣٧٨-١٣٩٧	
غياث الدين بهمن	١٣٩٧	سملت عيناه
شمس الدين	٢٠١٧	
تاج الدين فيروز شاه	١٣٩٧-١٤٢٢	
أحمد شاه الأول والي	١٤٢٢-١٤٣٦	

<sup>١٨٨</sup> - روى فيريشتا ان ظفر خان وهو الإسم الأصلي لحسن كان خادماً عند منجم من براهمة دلهي يدعى جانجو (جانجاهار شاستري وابالي) ، ومن إسم هذا المنجم تلقب حسن جانجو وفي عام ١٣٤٧ أصبح قائداً لجيش دولت آباد.

علاء الدين أحمد شاه الثاني	١٤٣٦-١٤٥٨	
علاء الدين همايون ظالم شاه	١٤٥٨-١٤٦١	قتل عام ٨٦٧ هـ
نظام شاه	١٤٦١-١٤٦٣	
محمد شاه الثالث لشكري	١٤٦٣-١٤٨٢	
محمد شاه الرابع (محمود ويرا)	١٤٨٢-١٥١٨	
أحمد ويرا شاه الثالث	١٥١٨-١٥٢١	
علاء الدين شاه	١٥٢١-١٥٢٢	تحت وصاية الوزير أمير بريد
ولي الله شاه	١٥٢٢-١٥٢٥	تحت وصاية الوزير أمير بريد
كليم الله شاه	١٥٢٥-١٥٢٧	تحت وصاية الوزير أمير بريد

## حروب السلطنة (١٨٩)

### وإنهيارها

- خاضت السلطنة حروبا للتوسع كدأب كل ممالك الهند ، فإستولى حسن شاه مؤسس السلالة على حصن كاولاس عام ١٣٥٠ من أمير ورنجل ؛ وخاض العديد من الحروب مع فيجاياناجارا ، بلغت مملكته في آخر عهده ما بين نهر وينجانجا شمالاً إلى نهر كريشنا جنوباً ومن مدينة بونجير شرقاً إلى مدينة دولت آباد غرباً .

- تعاضم شأن السلطنة في عهد محمد شاه الثالث بعد فتحه جولكوندا عام ١٣٧٣ ، و ورنجل عام ١٤٢١ ، وجوا في المناطق الغربية سنة ٨٧٦هـ/١٤٧١م وشرقاً بلغت حدودها خليج البنغال عام ١٤٧٢ ؛ لتصبح بهمن واحدة من الممالك الهندية عظيمة الشأن في العصور الوسطى بعد دهلي ، ورغم هذا استعصى عليها فتح بعض مناطق المنطقة الغربية المتاخمة مثل غاتس وگوا (جوا) .

- إنهارت السلطنة بعد قرنين من الزمان بسبب الفتن الداخلية (تمرد الهندوس بالإمتناع عن دفع الجزية (أخضهم محمد شاه بشدة) - الصراع بين السكان على مختلف طوائفهم عرقيا ومذاهبيا (بين أهل السنة الديكانيين ؛ والأحباش المتوطنين وكانوا كثر في الجيش وقياداته ، والوافدين من سائر العالم الإسلامي وأكثرهم فرسا من الشيعة اجتذبتهم جهود سلاطين البلاد للعمل كحرفيين وفنيين ومعماريين) ، لبناء حضارة هذه الإمبراطورية الغنية ؛ والسبب الثاني في إنهيار الإمبراطورية ، تمرد الولاة وإنفصالهم

<sup>١٨٩</sup> - لم تتضمن قوائم المعارك بكتاب د. جوارنة معارك السلطنات الفرعية ، وما ورد بشأنها جاء في متن الحديث عن معارك سلاطين مغول الهند ، وبالتالي فنفتقد حصر كافة معارك الحقبة.

بالأقاليم ؛ فالسلطات الواسعة التي منحها لهم محمد شاه بسبب اتساع المملكة ؛ إستفرت كعهد الدول المترامية الأطراف طموح هؤلاء المندوبين للإستقلال ؛ وأما العامل الثالث فى تفكك الإمبراطورية كان الحروب مع إمبراطورية فيجاياناجارا المجاورة .

### تفكك بهمن

#### الى ٥ سلطنات

إنتهزت فيجاياناجارا ضعف بهمن المترتب على القلاقل الداخلية فألحق كريشنا ديفا رايا الهزيمة بأخر بقاياها فأنهات عام ١٥١٨ وتفككت بهمن عام ٩٣٣ هـ/ المعروفة بسلطنة الديكان الإسلامية ليخرج من عباءتها خمس سلطنات شيعية ؛ إستمرت بقاياها (بهمن) بمسمى بيجابور تحت حكم سلالة العادليين (من أصل هندوسى) ؛ و سلطنة أحمد نجار عام ١٤٩٠ و سلطنة نظام بدأت (سنية ثم إنقلبت شيعية) ؛ (من أصل هندوسى) و سلطنة برار (تحت حكم سلالة العماديين ) فى نفس العام ؛ و سلطنة جولكوندا (تحت حكم سلالة قطب) عام ١٥١٨ ، و بيدار عام ١٥٢٨ .

### حدود القوة بين بهمن وفيجاياناجارا

رغم توسع بهمن و فيجاياناجارا إلا أنهما لم يتبنيا التوسع الكبير كدهلى ؛ فلم يكن قوامهما ملائما لمهام هجومية واسعة النطاق على منوال ما تمرست عليه دهلى على مر العصور ؛ فطموح بهمن و فيجاياناجارا كان إقليميا لا إمبراطوريا خاصة أن دهلى ما زالت متماسكة القوام وئمسك بزمام الأمور وقادرة على أن تصد تمددهما شمالا ؛ فإنكفأت الإمبراطوريتان على تصريف أمورهما الداخلية والتوسع فى جوارهما المباشر فى صدام غذاه البرتغاليون ، فكانت علاقات الإمبراطوريتين تمر من حالة السلم تارة الى الحرب تارات كدأب ممالك الهند فى تاريخ البلاد المديد .

### البناء والعمارة لسلطين الديكان

إهتم سلطين (شاهات) بهمن فى ظل الحروب المستمرة بالمنطقة ببناء الحصون بوجه خاص وتحصين المدن وتطويرها ، فأسس فيروز شاه بهمنى الخلجى ١٣٩٧-١٤٢٢ مدينة احمد آباد / بيدار ، وأقام الشاهات مجموعة رائعة من المساجد والأضرحة والقصور ؛ فالمسجد الجامع احد أكبر المساجد فى جنوب الهند تبلغ مساحته ١١٦٣٠٠ قدم مربع ، ويتسع لحوالى ٢٥٠٠ مصلى ، بناه علي عادل شاه عام ١٥٧٨ بعد الانتصار على فيجاياناجارا فى معركة تاليكوتا (من مسمياتها معركة قلعة راکاساغي - نانغاداغي) عام ١٥٦٥ ، واكمل بناء المسجد عام ١٦٧٦ فى عهد محمد عادل شاه والقصر الملكي "تخت محل".

(٢)  
سلطنة بيجابور/ سلطنة العادليين  
١٤٩٠ - ١٦٨٦

كانت بيجابور مقاطعة تابعة لسلطنة بهمن (١٣٤٧-١٥١٨) ، حكمها يوسف عادل منذ عام ١٤٩٠ ، وكان عبداً جورجياً اشتراه محمود جاوان من إيران ؛ وتذكر بعض المصادر أنه ابن السلطان العثماني مراد الثاني ؛ ولشجاعته وشخصيته عينه السلطان حاكماً على بيجابور.

ومع تفكك الدولة إستقل بها يوسف عادل خان (١٤٩٠-١٥١٠) بمساعدة عسكرية من الجنرال البيجابورى خالد مادو سادهوراني ؛ كانت السلطنة فى حرب مستمرة مع إمبراطورية فيجاياناچارا وكذلك مع سلطنات الديكان الأخرى بسبب نزاعات التوسع على بقايا امبراطورية بهمن أو سلطنة الديكان الإسلامية.

### حكماها :

١- يوسف عادل خان (١٤٩٠ - ١٥١٠)  
- تزوج بونجى الماراثية (١٦٠) شقيقة أحد لوردات المراثيين العاملين عنده .  
- كان يوسف رجل ثقافة دعا الشعراء والحرفيين من بلاد فارس وتركيا إلى بلاطه فى العاصمة بيجابور التى إستمرت عاصمة للعادليين.

٢- إسماعيل عادل خان (١٥١٠-١٥٣٤)  
- لم يتلقب يوسف عادل لا هو ولا ابنه إسماعيل بلقب شاه ؛ وإنما إحتفظا بلقب خان الأقل من شاه ؛ خلف إسماعيل عادل شاه كقاصر ؛ والده يوسف عادل شاه تحت وصاية الوزير كمال خان؛ الذى حاول الانقلاب وسجن الملك الشاب ؛ فخطت بنجي خاتون والدة إسماعيل للتخلص من كمال خان بإغتياله فى القصر الملكي.  
- بعد وفاة كمال خان ؛ حاصر ابنه إسماعيل كمال خان ، القصر لاعتقال بنجي خاتون وولدها الشاه إسماعيل عادل ؛ ولكنه قُتل فى القتال عند بوابات القصر.  
- أدارت والدة الشاه إسماعيل الدولة.  
- تبنى إسماعيل الشيعية مذهباً للدولة.  
- هزمت إمبراطورية فيجاياناچارا فى عهد ملكها كريشناديفرايا Krishnadevrayatn ؛ إسماعيل عادل خان فى معركة ريشر.  
- غزا قاسم بريد سلطان بيدار بالتعاون مع سلاطين أحمد نجار وجولكوندا وبرار بيجابور ، ولكن إسماعيل عادل شاه صدهم ، وأسر شاه بيدار محمود وابنه أحمد.  
- إنتهى العداء مع سلطنة أحمدناجار بزواج بيبي ستي أخت الشاه إسماعيل عادل من أحمد شاه أحمدناغار.

- شن إسماعيل شاه الحرب ضد شاه نظام ملك أحمدناجار ، لعدم دعمه غزوه تيمراج من فيجاياناچارا ؛ وعدم تسليمه حصن شولابور كمهر عندما تزوج نظام مريم أخت إسماعيل و حاول

نظام شاه لاحقاً الاستيلاء على شولابور بالقوة ولكنه فشل في هزيمة إسماعيل الذي كان جيشه بمدفعيته قوة يحسب لها حساب فنادراً ما واجه الهزيمة.

- خلال حملته ضد سلطنة جولكوندا مرض ومات في عام ١٥٣٤ م ، بنى محل ومسجد .

٣- مالو عادل خان (١٥٣٤-١٥٣٥) بعد وفاة إسماعيل خان توج مالو  
نجله الأكبر ولكن أُطيح به من قبل جدته والجنرال أسد خان ، وإعلان أخيه الأصغر إبراهيم عادل شاه الأول ملكاً.

٤- إبراهيم عادل شاه الأول (١٥٣٥-١٥٥٨)

- أول من تلقب شاهاً .

- أعاد إبراهيم عادل شاه الأول تخطيط المدينة فحصنها وبنى مسجد الجامعة القديم .

٥- علي عادل شاه الأول (١٥٥٨-١٥٨٠)

- متزوج بسلطنة تشاند بيبي ابنة نظام سلطان أحمد ناجار؛ معروفة بالمرأة المقاتلة ؛ لما أُغتيل الشاه على عادل وليس له ولد يخلفه ؛ وضعت تشاند بيبي ابن أخيه إبراهيم على العرش تحت وصايتها ؛ وحاربت دفاعاً عن السلطنة ضد الغزو المغولي بقيادة مراد ابن أكبر .

- من أهم السلاطين كون مع السلطنات الديكانية الأخرى تحالفا للتصدى لسياسات فيجاياناغار العدوانية والمتحالفة مع البرتغاليين والتي تبث العداوة بين سلطنات الديكان ؛ ونجح هو وسلاطين جولكوندا ، وأحمدناجار ، وبيدار في توحيد قواتهم وهزموا فيجاياناغار في تاليكوتا عام ١٥٦٥ ( تُسمى أيضاً معركة قلعة راکاساغي - نانغاداغي ) ، ؛ بفضل مدفعه سيد ميدان .

و من غنائمه منها قام ببناء جاجان محل وإبراهيم روزا (قبره الخاص) وتشاند باودي (بئر كبير) والمسجد الجامع .

- وفي أعقاب هزيمة فيجاياناغارا في معركة تاليكوتا ع ؛ توسعت بيجابور فضمت رايشور دواب.

- لم يكن لدية ابن ، فتم تعيين ابن أخيه إبراهيم الثاني على العرش تحت وصاية تشاند بيبي ، التي تولت دافعت عن المدينة ، لما وجهت سلطنتا أحمدناجار (نظام شاهي) وجولكوندا (قطب شاهي) جيش مشترك لغزو بيجابور ؛ تخلى الجنرالات الأحباش عن الدفاع عن المدينة لعدم وجود قوات كافية تحت أيديهم ؛ فدعت تشاند بيبي الجنرال أبو الحسن ، وهو شيعي مثلها ليتولى الدفاع عن المدينة فاستعان بماراثا التي هاجمت خطوط إمداد جيش الحلفاء أحمدناجار-غولكوندا وأجبرتهم على التراجع ؛ وتمكنت تشاند بيبي من صد الغزو المغولي الذي شنه مراد ابن السلطان أكبر ، ولم يتمكن أكبر من غزو السلطنة إلا بعد تدبير مؤامرة لإغتيالها .

٦- إبراهيم عادل شاه الثاني (١٥٨٠-١٦٢٧)

- اشتهر إبراهيم الثاني بشجاعته وذكائه وميله نحو الموسيقى والفلسفة الهندوسية وبرعايته للفنون ؛ بلغت دولة العادليين أوجها الثقافي في عهده ووصلت مدرسة بيجابور للرسم ذروتها . كان عهد إبراهيم ، الذي دام أربعة وعشرين عاماً وبضعة أشهر مليئاً بالتحالفات وكان ينتقل من تحالف لتحالف مُضاد ؛ مع وضد أحمدناجار ، بيدار ، بيرار ، جولكوندا وفيجاياناغار ، كان التوسع الإقليمي محدوداً في عهده فبينما غزا بيدار المجاورة عام ١٦١٩ بينما خسر سولابور وكالياني لأحمدنا جار .



- أضعفت سياسة إبراهيم المناهضة لآفاقي إلى إضعاف المملكة إلى حد كبير حيث انضم الأفراد المفصولين من الخدمة إلى حكام السلطنات المجاورة ؛ وتعرضت المملكة لسلسلة من الغزوات ؛ ولكن زعيم آفاقي المخضرم أسد خان لاري مستشار إبراهيم أنقذ المملكة في ساعة الأزمات.

- شُيد عام ١٦٢٦م روضة إبراهيم Gol Gumbaz أو ضريح براهيم ؛ وهو عبارة عن قبة ملحق بأركانها أربعة أبراج مثمثة ويتألف كل برج من سبعة طوابق ، ومحاطة بحدائق غناء تقليدياً لتاج محل الوصف الذي يطلقونه على القبة.

#### - تعرضت السلطنة في عهده (ابراهيم الثاني) لضربات أضعفتها:

- تمرد الماراتيين في السلطنة الذين بزعامة شيفاجي الذي كان والده يقود المراثا في جيش عادل شاه ؛ وإستولى شيفاجي على عدد من الحصون وأقام مملكة ماراتا المستقلة التي أصبحت فيما بعد إمبراطورية المراثا إحدى أكبر إمبراطوريات الهند بعد أن إستولوا على أجزاء كبيرة من أراضي شبه القارة الهندية ومن الجدير بالملاحظة أن شاهاجي زعيم ماراتا تعاطف شأنه لدرجة أنه تدخل في شئون عرش أحمد ناجار فقام بالتعاون مع بيجابور بوضع مرتضى نظام شاه الثالث (١٦٣٣-١٦٣٦) الرضيع على العرش تحت وصايته .
- في عام ١٥١٠ من عهد ابراهيم الثاني ، تصدت بيجابور لغزو البرتغاليين جوا ميناء السلطنة الرئيسي لكن السلطنة تنازلت لهم عنها في وقت لاحق من ذلك العام.
- اضطربت الأحوال في عهد إبراهيم الثاني فقد كان صبيا تحت وصاية كيشوار خان الذي قام بهزيمة سلطنة أحمد نجار في " دهاراسكو" وإستولى على مدافعها وفيلة جيشها وتوترت الأمور بينه وبين القادة وسجن تشاند بيبي أرملة السلطان وكاد أن يُعلن نفسه ملكا لولا كراهية الأمراء له فسيروا جيشا لأسره ؛ ففر إلى جولكوندا حيث قتل أحد أقارب الجنرال مصطفى خان الذي كان شريكا في التآمر ضده مع تشاند بيبي ، وكان كيشوار قد هزمه وقتله في المعركة.

#### ٧- محمد عادل شاه (١٦٢٧-١٦٥٦)

في عهد محمد عادل شاه توسعت جنوباً حتى بنجالور وإلى مستعمرة جوا البرتغالية غربا وسلطنة جولكوندا شرقا (تحت حكم أسرة قطب شاه).  
خلف محمد عادل شاه والده إبراهيم الثاني بنى Gol Gumbaz ، الذي يحتوي على قبة كبيرة ويردد المبنى الهمس سبع مرات؛ وهو من أمر بصناعة المدفع التاريخي مالك الميدان سبب هزيمة فيجايانا جارا في معركة تاليكوتا .

#### ٨- علي عادل شاه الثاني (١٦٥٦-١٦٧٢)

ورث علي عادل شاه الثاني مملكة مضطربة؛ بسبب ثورة المراثا شيفاجي من جهة والإمبراطور المغولي أورنجزيب من جهة أخرى ؛ لم يُتمم بناء ضريحه (بارا كامان) بسبب وفاته.

## ٩- اسكندر عادل شاه (١٦٧٢-١٦٨٦)

حكم سيكندر عادل شاه ، آخر سلاطين العادليين ، أربعة عشر عامًا عاصفًا ؛ وفي ١٢ سبتمبر ١٦٨٦ ، وعلى الرغم من تضرر السلطنة من تمرد شيفاجي ، إلا أن أكبر تهديد واجهها كان توسع إمبراطورية المغول في ديكان ؛ فالاتفاقيات فرضت سيادة المغول على السلطنة العادلية على مراحل بدءًا بإعتراف بيجابور رسميًا بسلطة المغول عام ١٦٣٦؛ استنزفت ثرواتها ثم غزوها في النهاية وضمها أورنجزيب عام ١٦٨٦ .

### بيجابور: المدينة الكبرى في القرون الوسطى ديكان

ازدهرت سلطنة بيجابور من الناحية العمرانية والتجارية بفضل ثروتها ورعاية حكامها العادليين ؛ فأصبحت مركزًا للثقافة اجتذب العديد من العلماء والشعراء ورجال الفنون والموسيقيين من كافة الدول حتى اشتهرت بثقافة بيجابور ؛ التي تحققت في ظلها اندماج بين مختلف الفئات في كثير من النواحي ؛ تجاوزت ما تحققت في دهلي وأجرا ؛ فقد استطاع الشاه يوسف عادل ، جعل بيجابور ذات أهمية خاصة تطورت منذ تولي السلطان علي عادل شاه الأول عام ١٥٥٨ ؛ فبفضل انتصاره في معركة تاليكوتا عام ١٥٦٥ وغيرها من معارك في مناطق كريشنا وتونغابادرا حقق ثروة هائلة ؛ مكنته من بناء العديد من المنشآت الهامة.

واحتلت العاصمة بيجابور مكانة بارزة بين مدن الهند ؛ فمن الناحية التجارية أنشأ سلاطينها العديد من الأسواق وأقاموا في مساجدها نُزل لإقامة التجار ؛ وقد أشاد زوار الديكان من الأوربيين عام ١٦٣٨ بالعاصمة بيجابور وأعدوها واحدة من أعظم المدن في آسيا ؛ أضاف إليها السلاطين ضواحي جديدة لما ضاقت بسكانها ؛ و بنوا السدود و الخزانات في تورفي وأفزالبور وضواحي شاهبور لتزويدها بإحتياجاتها من المياه ؛ وأنشأ محمد عادل شاه عام ١٦٥١ عدد من البحيرات بمساحة ٢٣٤ فدانًا لتغذية بيجابور بالمياه ، تُنقل عبر أنابيب من الفخار مدفونة في عمق ١٥ إلى ٥٠ قدمًا مرتبطة بأبراج تسمى "جونج" لمنع الأنابيب من الانفجار وتسمح في الوقت نفسه بتنقيتها ؛ كما حفر الف بئر داخل أسوار بيجابور.

فيمكن إعتبار الفترة بين عهد علي عادل شاه الأول ١٥٥٨ إلى وفاة محمد عادل شاه ١٦٥٦ ، العصر الذهبي لسلطنة العادليين لإزدهار المملكة في جميع مناحي الحياة حتى أُطلق عليها " تدمير الديكان" بسبب الطبيعة العلمانية الليبرالية للسلاطين ؛ فتدفق علي بيجابور العلماء والشعراء والرسامين والراقصين والخطاطين والموسيقيين والدعاة وغيرهم من مختلف الفنون ؛ أضاف خليفته إبراهيم عادل شاه الثاني ، إبراهيم روزا لتعزيز جمال بيجابور ، وتوجهها محمد عادل شاه بجوهرة لا تقدر بثمن تسمى جول جومبار .

### السكان والضواحي

وصل عدد سكان بيجابور في عهد إبراهيم عادل شاه الثاني إلى ٩٨٤ ألف نسمة وضمت ١٦٠٠ مسجد ؛ و في عهد محمد عادل شاه ازداد عدد السكان ؛ يقدرهم

المؤرخ جي دي بي غريبيل بمليون شخص في ضواحي شاهبور وحولها فقط ؛ ملما ضاقت المأوى داخل أسوار الحصن أسس السلاطين ضواحي فاتحبور ، علي آباد ، شاهبور أو خودانبور ، تشاندبور ، إينانتبور ، أمينبور ، نوابور ، لاتيفبور ، فاكيربور ، راسولبور ، أفزبور ، بادشبور ، رامبابور ، أغابور (أوجابور) .

## (٣)

## سلطنة جولكوندا

هاجر قولي قطب الملك ، من فارس إلى دلهي في بداية القرن السادس عشر ؛ ثم إلى الديكان وخدم السلطان بهماني محمد شاه الأول؛ غزا قولي قطب الملك جولكوندا وأصبح حاكم منطقة تيلانجانا عام ١٥١٨ ، بعد فترة وجيزة من تفكك سلطنة بهماني ، استقل ب/ جولكوندا بلقب قطب شاه ؛ حكمت سلالته مدة ١٧١ عامًا ، وضمها الإمبراطور المغولي أورنجزيب عام ١٦٨٧ .

## الحكام

(١٥٤٣-١٥١٨)	سلطان قولي قطب الملك
(١٥٥٠-١٥٤٣)	جمشيد قولي قطب شاه
(١٥٥٠)	سبحان قولي قطب شاه
(١٥٨٠-١٥٥٠)	إبراهيم قولي قطب شاه
(١٦١١-١٥٨٠)	محمد قولي قطب شاه
(١٦٢٦-١٦١١)	السلطان محمد قطب شاه
(١٦٧٢-١٦٢٦)	عبد الله قطب شاه
(١٦٨٧-١٦٧٢)	أبو الحسن قطب شاه

لم يكن محمد قولي قطب شاه راعياً عظيماً للفن والأدب فحسب ، بل كان أيضاً شاعراً رفيع المستوى كتب بلغة الدخاني والفارسية والتيلجو ، ومن أهم ما يُنسب إليه ديوانا للشعر بالدخاني معروف بكليات محمد قولي قطب شاه ، مدح فيه الله والنبي والطبيعة والحب والحياة الاجتماعية المعاصرة ، وكان حكام قطب شاه أكثر ليبرالية من نظرائهم المسلمين الآخرين ففي عهد عبد الله قطب شاه عام ١٦٣٤ ، تمت ترجمة الكتب الهندية التي تتناول الجنس القديم " كوكا شاسترا " إلى الفارسية .

وتطوير لغة الدخاني أهم مساهمة لسلطنة جولكوندا في مجال الأدب ، وبعض شعراء التيلجو البارزين في هذه الفترة Kshetranya و Bhadrachala Ramadasu .

(٤)

سلطنة أحمد ناجار

(لقبه نظام)

(بدأت سنوية ثم إنقلبت شيعية)

بعد هزيمة جيش بهمني بقيادة الجنرال جهانجير خان في مايو ١٤٩٠ ، إستقل أحمد ناجار (أحمد نظام الأول) بالإقليم ، وهو ابن نظام الملك مالك حسن بحري وأصله هندوسى وإتخذ جنار عاصمة ، وفي عام ١٤٩٤ وضع الأساس لأحمد ناغار العاصمة الجديدة ، وكانت سلطنته بين سلطنتى كجرات وبيجاپور ، وبعد وفاة مالك أحمد شاه عام ١٥١٠ .

## تولى الحكم :

(١٥١٠-١٤٩٠)	مالك أحمد نظام شاه الأول
(١٥٥٣-١٥١٠)	برهان نظام شاه الأول
(١٥٦٥-١٥٥٣)	حسين نظام شاه الأول
(١٥٨٨-١٥٦٥)	مرتضى نظام شاه الأول
١٥٧٤ .	كوصية على العرش لعدة سنوات تم فيها ضم برار عام ١٥٧٤ .
(١٥٨٩-١٥٨٨)	ميران نظام حسين
(١٥٩١-١٥٨٩)	إسماعيل نظام شاه
(١٥٩٥-١٥٩١)	برهان نظام شاه الثاني
(١٥٩٦-١٥٩٥)	إبراهيم نظام شاه
(١٥٩٦)	أحمد نظام شاه الثاني
(١٦٠٠-١٥٩٦)	بهاذر نظام شاه
(١٦١٠-١٦٠٠)	مرتضى نظام شاه الثاني
(١٦٣١-١٦١٠)	برهان نظام شاه الثالث
(١٦٣٣-١٦٣١)	حسين نظام شاه الثاني
(١٦٣٦-١٦٣٣)	مرتضى نظام شاه الثالث

## الإنقلابات

وفى عهد إسماعيل نظام شاه (١٥٩١-١٥٨٩) ؛ كانت السلطة الفعلية فى يد جمال خان زعيم مجموعة ديكانى فى البلاط ؛ وبعد مقتله فى معركة روهانخد عام ١٥٩١ ؛ قام والده برهان بإنقلاب على إسماعيل شاه ؛ واعتلى العرش باسم برهان شاه ؛ ومن بعده إعتلى العرش إبراهيم شاه ، ومات بعد بضعة أشهر فى الحرب ضد سلطنة بيجاپورن دون أن يترك وريثا ؛ فأعلنت زوجته تشاند بيبي ابن عمه بهادرالرضيع سلطانا تحت وصايتها ؛ وتصدت ببطولة لحملة مراد ابن الإمبراطور جلال الدين أكبر عام ١٥٩٦ ولم تمكنه من إحتلال السلطنة ؛ ولم يتمكن أكبر من غزو السلطنة إلا بعد

إغتيالها بمؤامرة داخلية في يوليو ١٦٠٠ ، وسُجن المغول بهادر نظام السلطان الصغير

وأقام مالك أمبار رئيس الوزراء (وكيل- لنا- سلطنة أحمد ناغار) مرتضى الثاني شاهها في نفس العام ١٦٠٠ وإتخذ باراندا عاصمة بديلة ثم نقلها إلى جُنار ثم إلى خادكي ثم إلى أورانج أباد ، وبعد وفاة مالك أمبار استسلم ابنه فتح خان عام ١٦٣٣ للمغول وسلمهم السلطان حسين (نظام شاه) فسجنوه في حصن جواليور ، واصبحت السلطنة جزءا من دولة المغول .

### (٥)

#### سلطنة برار

إستقل فتح الله عماد الملك حاكم برار عام ١٤٩٠ وأسس سلالة عماد شاه ؛ وهو هندوسى الأصل من قبيلة الكاناديجا أسرته قوات بهمني وهو صبي في إحدى غاراتها على إمبراطورية فيجاياناجارا ؛ وأسلم وأصبح حاكما لبرار ؛ أسس مدينة أشالبور وجعلها عاصمة وحصن جافيلجاد ونارناللا .

#### الحكام

(١٥٠٤-١٤٩٠)	فتح الله عماد الملك
(١٥٣٠-١٥٠٤)	علاء الدين عماد شاه
(١٥٦٢-١٥٣٠)	اريا عماد شاه
(١٥٧٤-١٥٦٢)	برهان عماد شاه
(١٥٧٤)	توفال خان (مغتصب)

#### ملاحظات

قاوم علاء الدين بمساعدة بهادر شاه سلطان الكجرات إعتداء أحمدناجار عام ١٥٢٨ على السلطنة .

تحالف السلطان اريا مع بيجابور لصد إعتداء أحمد ناچار الثاني ؛ لكنه لم ينجح ؛ إنقلب اريا ضد بيجابور في وقت لاحق وتحالف مع أحمد ناچار في ثلاث مناسبات ؛ و بعد وفاته عام ١٥٦٢ ، خلفه ابنه الرضيع برهان لكن وزيره توفال خان اغتصب العرش عام ؛ ١٥٧٤؛ وفي نفس العام ضم مرتضى الأول سلطان أحمد ناچار برار؛ والقى القبض على السلطان المخلوع برهان ؛ وعلى توفال خان مغتصب العرش وشمشير الملك وتركوهم في سجن أحمدناجار حتى ماتوا.

(٦)

**سلطنة بيدار**

هي أصغر السلطنات الخمس ؛ مؤسسها بريد شاه كان قائدا لدى محمود شاه بهماني (١٤٨٢-١٥١٨) ، ثم أصبح أمير جوملا (رئيس وزراء) بهمان ؛ ثم أصبح الحاكم الفعلي لبهمان عام ١٤٩٢ في عهد محمود شاه بهماني.

بعد وفاة كل من محمود شاه عام ١٥٠٤ ورئيس الوزراء بريد ؛ سيطر أمير بريد على السلطنة ، وفي ضربة حظ عام ١٥٢٨ وجد أمير بريد نفسه شاهها على السلطنة بعد هروب كلیم الله آخر حكام البهمانيين من بيدار .

**حكم السلطنة:**

(١٥٠٤-١٤٩٢)	قاسم بريد الأول
(١٥٤٢-١٥٠٤)	أمير بريد الأول
(١٥٨٠-١٥٤٢)	علي بريد شاه الأول
(١٥٨٧-١٥٨٠)	إبراهيم بريد شاه
(١٥٩١-١٥٨٧)	قاسم بريد شاه الثاني
(١٥٩١)	علي بريد شاه الثاني
(١٦٠٠-١٥٩١)	أمير بريد شاه الثاني
(١٦٠٩-١٦٠٠)	ميرزا علي بريد شاه الثالث
(١٦١٩-١٦٠٩)	أمير بريد شاه الثالث

**ملاحظات**

- كان علي بريد أول من حمل لقب شاه ؛ وهو الذي شارك في معركة تاليكوتا  
- ضمت بيجابور السلطنة عام ١٦١٩ ، بعد هزيمة الأمير بريد شاه الثالث آخر حكام بيدار.

(٧)

**- سلطنة جولكوندا**

(١٥٤٣-١٥١٨)

هاجر مؤسس السلالة قولي قطب الملك من فارس إلى دهلي في بداية القرن السادس عشر ؛ ثم إنتقل إلى الديكان للعمل لدى محمد الأول شاه بهمان وأصبح في عام ١٥١٨ حاكما على منطقة تيلانجانا ؛ وبعد تفكك سلطنة بهماني إستقل بجولكوندا ؛ وتلقب " قطب الملك " (بدلا من شاه) ؛ حكمت سلالته ١٧١ عامًا .

	الحكام
(١٥٤٣-١٥١٨)	قولي قطب الملك
(١٥٥٠-١٥٤٣)	جمشيد قولي قطب شاه
(١٥٥٠)	سبحان قولي قطب شاه
(١٥٨٠-١٥٥٠)	إبراهيم قولي قطب شاه
(١٦١١-١٥٨٠)	محمد قولي قطب شاه
(١٦٢٦-١٦١١)	محمد قطب
(١٦٧٢-١٦٢٦)	عبد الله قطب شاه
(١٦٨٧-١٦٧٢)	أبو الحسن قطب شاه

---

## الصراع

### بين السلطنات الخمس و فيجاياناچارا

واصلت السلطنات صراع التوسع فيما بينها وكانت على رأسه بيجابور الأقوى والأكبر ، بينما ترصدهم جميعا فيجاياناچارا لأضعافهم حتى لا تساورهم الأطماع في غزوها ؛ ف وقعت بينهم وبينها حروب ، وأبرزها وأكثرها أهمية لحسمها مستقبل فيجاياناچارا ؛ عندما هاجم عاليا راما رايا أقوى زعماء فيجاياناچارا جولكوندا وأحمد ناچار وهزمهما كما تبنى سياسة إحتواء بيجابور الأقوى فعقد معاهدة مع البرتغاليين لوقف إمداد بيجابور بالخيول عبر موانئهم حتى يتمكن من هزيمتها ، كما إنتهج سياسة الوقيعة بين هذه السلطنات رغم ما يربطه من علاقات شخصية طيبة ببعض سلاطينها ؛ وقد نجحت سياسة في إدارة الصراع معهم لعشرين عاما بإشغالهم بعيدا عنه بحروب بينية .

ولما إستفاقت السلطنات من غفوتها تحالفت أربع منها (برار ليست من بينهم ) بقيادة حسين نظام شاه الأول - أحمد ناچار / وعلي عادل شاه الأول - بيجابور / بريد شاه الأول - بيدار / إبراهيم قولي قطب شاه - جولكوندا ؛ وهزموا فيجاياناچارا هزيمة قاصمة في تاليكوتا (١٩١) يناير ١٥٦٥ ، وعجل نظام (السلطان) حسين بقطع رأس عاليا في ميدان المعركة ليقطع الطريق على تدخل السلطان عادل شاه الذي تربطه علاقة صداقة قوية لإنقاذه ( قد يكون مردها جذوره الهندوسية) ؛ وفر الجيش بأكمله الى فيجاياناچارا العاصمة في محاولة للم فلول الجيش فتعقبته جيوش التحالف الى الحى الملكى .

ويندهش البعض لهزيمة جيش فيجاياناچارا البالغ نصف مليون جندي وفي قول آخر مليون أمام جيوش قليلة العدد ، وحاول المتعصبون الهندوس الترويج لتكهنات التاجر الفينيسي سيزار دي فيديريتشي بإلقاء اللوم على إثنين من كبار القادة المسلمين في جيش فيجاياناچارا إتهمهما بالخيانة للإساءة لسمعة المسلمين الهنود ، ولكن الكاتب الهندي Kamath رد الهزيمة الى تفوق جيوش السلطنات رغم قلتها العددية فقد كانت أفضل تجهيزاً وتدريباً ؛ وسلاح الفرسان إستخدم خيول فارسية سريعة الحركة ورماحا وأقواساً بعيدة المدى و مدفعية يديرها خبراء أتراك ، بينما كانت مدفعية فيجاياناچارا أقل كفاءة معتمدة على مرتزقة أوروبيين وإستخدم جيشها فيلة حرب بطيئة الحركة ، ولكنه حاول أن يلقى باللوم أيضا على الجنرالان المسلمان الأخوين جيلاني في جيش فيجاياناچارا بأنهما بدلا موقفهما وانضموا إلى السلطنات و قبضوا على عاليا راما وقطعوا رأسه فإرتبك الجيش ؛ وهذه التفاصيل تخالف ما ورد عن قطع رأسه في ميدان المعركة بأمر نظام (السلطان) حسين .



أما سبب هزيمة جيش فيجاياناجارا فيرده باحثون آخرون الى النفوق الساحق الذى أحدثه إستخدام جيش سلطنة بيجابور(على عادل شاه الأول) مدفعه الضخم مالك أي ميدان (سيد الميدان) لحسم المعركة ، و هو أضخم مدفع مصبوب فى عالم ذلك الزمان .

وعن إدعاءات القصص الشعبية تخريب جيوش التحالف العاصمة فيجاياناجارا يؤكد تقرير frontline أن الأضرار إنحصرت فى المقر الملكي (مجموعة القصور الملكية بمعايها فى هامبي) ؛ و تؤكد ذلك الأطلال الباقية منه حتى اليوم دون المساس بمنشآت العاصمة ، وضع هذا النصر فيجاياناجارا على طريق الإندحار ولم تقم لها قائمة حتى عام ١٦٤٦<sup>(١٩٢)</sup>.

معركة تاليكوتا يناير ١٥٦٥	
<p><u>امبراطورية فيجاياناجارا</u> (تعداد جيشها مليون جندي)</p> <p><u>سلطنات ديكان</u> ١ - سلطنة أحمد نجار ٢ - سلطنة بيجابور ٣ - سلطنة جولكوندا ٤ - سلطنة بيدار (سلطنة بيرار لم تشارك)</p>	
القادة	
<p>عاليا راما رايا □ فينكاتادري □ تيرومالا ديغا رايا □ أشوتابا ناياك</p>	<p>حسين شاه نظام علي عادل شاه الأول إبراهيم قللي شاه علي بريد شاه</p>
نقلا من الويكيبيديا	



**مدفع " مالك أي ميدان" سيد الميدان  
المستخدم فى معركة تاليكوتا**  
صب المدفع المهندس التركى محمد بن حسين رومى عام ١٥٤٩ بأمر برهان نظام شاه سلطان أحمد نجار الذى أهدها لزوج إبنته على عادل الأول سلطان بيجابور

<sup>١٩٢</sup> - حسين نظام شاه الأول- (أعلى الصورة وهو هندوسى الأصل ) وعلي عادل شاه الأول من أحمدناجار وبيجابور - علي بريد شاه الأول من بيدار - وإبراهيم قللي قطب شاه والي من جولكوندا -

## تأثير الثقافة الفارسية على السلطنات و فيجاياناچارا

فرضت الثقافة الفارسية هيمنتها على سلطنات الديكان بإعتبارها الثقافة السائدة في حقبة الهند الإسلامية في اللغة والمعمار والفنون ، وساعد على ذلك كثرة الوافدين من فارس في مختلف المهن الى الديكان ؛ ورغم الحروب كان التعايش واقعى بين الطرفين وكان المسلمين طرفا أصيلا في نسيج الهند بشكل أكثر وضوحا ؛ منذ عهد بعيد بزيادة التجار المسلمون فهناك مساجد منذ القرن العاشر في جوما بإمبراطورية راشتراكوتا بالجنوب ، و في أوائل القرن الخامس عشر بنى ديفا رايا الأول مسجداً ووضع القرآن أمام عرشه (١٩٣)، ووظف هو و ديفا رايا الثانى العديد من المسلمين فى الجيش والبلاط وكذلك المعماريين وهو ما شجع توافد المسلمين الى الجنوب ، ويذكر باحثون هنود نقلا عن د ابيكولا أن المنصة الكبرى المسماة Mahanavami Dibba بها نقوش بارزة تتضمن أشخاصا بلامح أتراك آسيا الوسطى بما يعنى وجود عاملين فى البلاط من هذه العناصر.

وإذا ما إستثنينا الخلافات السياسية ؛ فقد إعتادت فيجاياناچارا التعامل مع المسلمين ولم تميز ضدهم فكان منهم جنرالات فى القيادة العليا لجيشها خاضوا معاركها ضد السلطنات ؛ وكان رئيس وزرائها عاليا راما رايا تربطه علاقة صداقة قوية مع السلطان عادل شاه ؛ رغم سياسته القائمة على الوقيعة بين سلطنات الديكان (١٩٤).

ويعكس السجل المعمارى لفيجاياناچارا تفاعلاً بديعاً بين فنونها الهندوسية وبين فنون المعمار الإسلامى فقد إقتبست الأقواس والأقبيبة فى أوائل القرن الخامس عشر.

## التفاعل الإجتماعى

كانت حقبة سلطنات الديكان حقبة فريدة فى تاريخ حكم المسلمين فى الهند ؛ فهى تختلف عن حقبة دهلى ؛ فسلطنات الديكان الغنية كانت الأكثر قُربا وتفهما لثقافة الهندوس وإحتياجاتهم ؛ ومن المشهود لهذه السلطنات حُسن معاملتها لرعاياها الهندوس بإستثناء حالات قليلة حال تمرد البعض منهم ، قد يكون الجانب الثقافى الرفيع لبعض السلاطين ووحدة الجذور الجينية لبعضهم (عادل شاه وأحمد ناچار و بيرار و جلال الدين محمد شاه سلطان البنغال الهندوسى) مع الهندوس السبب فى هذا التوجه ؛ ورغم أصول بعض سلاطين الديكان الهندوسية بما فيهم حكام الكجرات إلا أنهم لم يتلاعبوا بالإسلام على نحو ما فعله جلال الدين أكبر سليل المنهج السنى فلم يؤثر ضعفهم العام

١٩٣- فيلون ٢٠٠١ ، ص ٨٧- نقلا من الويكيبيديا - بعد أن إرتد الى الهندوسية وأحيا مملكة هويسالا ؛ أساس إمبراطورية فيجاياناچارا .  
١٩٤- تشوبرا ورافيندران وسوبراهمانيان ٢٠٠٣ ، الجزء الثانى ، ص. ٤٣ - نقلا من الويكيبيديا .

فى شئون العقيدة على ثباتهم عليها ، فكانوا أكثر ثباتا على الإسلام من سلطان المغول اكبر المنحرف عن الإسلام .

وقد يكون الحس الشاعرى لسلطين الديكان دور فى رعاية الأدب وميلهم للثقافة والفنون ؛ ؛ فبعض السلطين كانوا أدياء يكتبون الشعر بلغات عدة كالفارسية و التيلجو واللغة المحلية والدخانى ، وهى لغة طورتها جولكوندا ، فالسلطان محمد قولى قطب كان شاعراً له مجموعة شعرية باسم " كليات محمد قولى قطب شاه " بالدخانى والفارسى والتيلجو ، لتمجيد الله ومدح الرسول وكتب عن الطبيعة والحياة الاجتماعية المعاصرة .

وفى عهد إبراهيم الثانى (١٥٨٠-١٦٢٧ م) خامس حكام العادليين بلغت السلطنة أوجها الثقافى ، كان شاعرا وعازفا محب للموسيقى وراعياً لها ؛ دعا لإحياء الفنون والموسيقى الهندية القديمة ، واستقدم أفضل الموسيقيين والراقصين من كل أرجاء الهند ؛ ومن شغفه بالموسيقى أسس مدينة موسيقيين فى " نافراسبور " ، وتعبيراً عن تسامحه لم يستنكف أن يضم حرم قصره معبدا لا يزال قائماً ، وجمال الهندوس شعرا فألف دعاء للقديس الصوفى جولبارجا ، و بمناسبة صدور كتابه نافرأس الذى يضم أشعاره تبثت الى ساراسواتى إلهة الكلام والعلم والتعليم التى خلقت آلة التانورا الموسيقية التى تشبه العود فقال " يا أم ساراسواتى! بما أنك باركت إبراهيم فإن عمله نافرأس سوف يستمر طويلاً " ، وعن وحدة الهندوس والمسلمين فى شعبه قال " المشاعر واحدة رغم إختلاف اللغة بين الترك و براهميين " ؛ و هو من أقر المذهب الحنفى السننى مذهباً رسمياً للدولة.

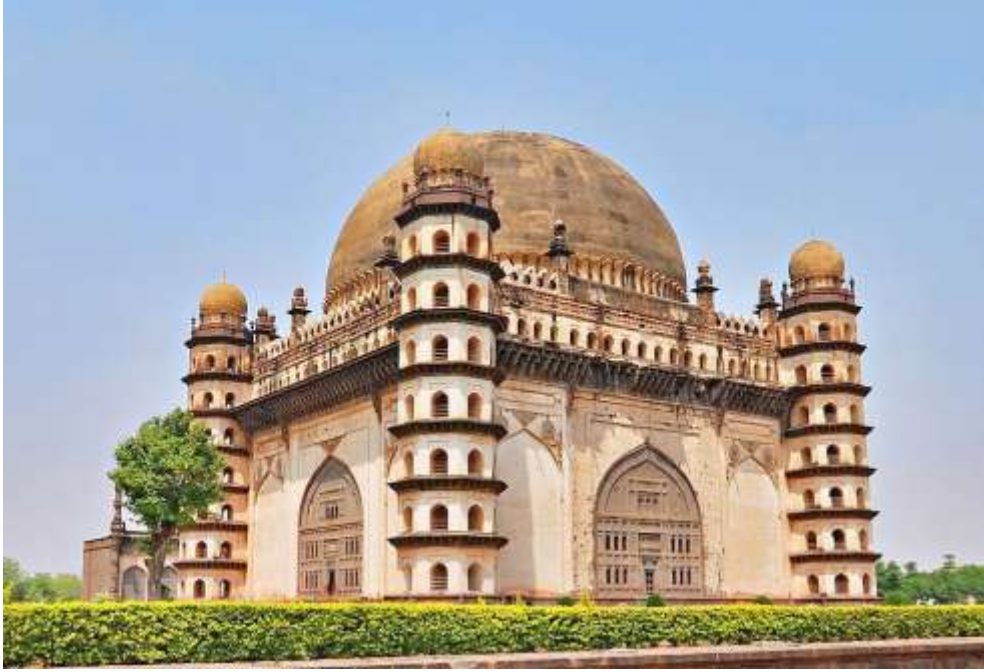
وحدث بطول العشرة تقارب إجتماعى فى مجال الزيجات على النمط المتداول على نطاق واسع فى بقية أنحاء شبه القارة بين المسلمين والهندوس ؛ فالسلطان يوسف عادل شاه تزوج بونجى أخت أحد لوردات ماراثا ، وتزوج فيروز شاه (١٩٥) ابنة ملك فيجاياناجارا السابق الإشارة اليه فى الكتاب الأول بقيامه بتزيين عاصمته بمناسبة الزواج برقائق الذهب والمخمل (١٩٦) ؛ وعلى مستوى العامة إنتشر زواج المستوطنون المسلمون من نساء محليات وكان أطفالهم يعرفون بـ / *Moplahs* أو *Mappillas* ويعملون فى تجارة الخيول والشحن البحرى.

<sup>١٩٥</sup> - لم يعين ويل ديورانت أى فيروز شاه بالتحديد فهناك أكثر من فيروز شاه ؛ ويبدو أنه من شاهات الديكان.

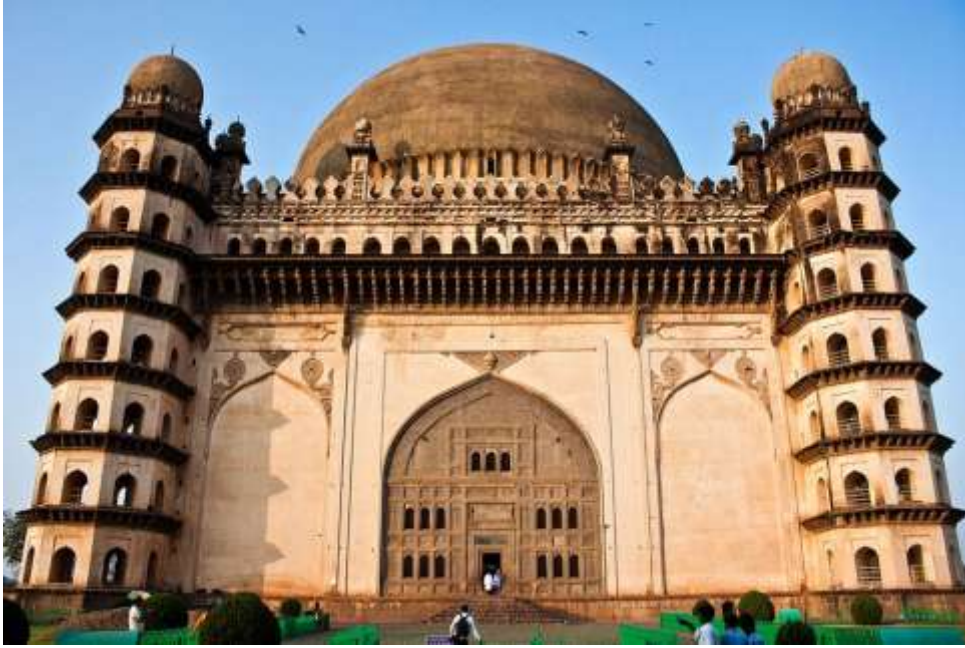
<sup>١٩٦</sup> - يُشير المرجعين التاليين من مقال بالويكيبيديا الى أنها ابنة ملك ماراثا :

- "The medieval splendor of Bijapur". Frontline(The Hindu). ٩ July ٢٠٢١.

- "Maratha Blood and Persian veind". livemint. ٥ September ٢٠١٩.



الصورتين لضريح محمد عادل شاه ، سلطان بيجابور (١٦٢٧ - ١٦٥٦ م) في مدينة بيجابور، يُطلق عليه تاج محل جنوب الهند، اسمه **Gol Gumbaz** "جول جومباز"، بمعنى "قبة مستديرة - ويكيبيديا







ضريح السلطان إبراهيم روزا - بيجابور - ويكيبيديا



ضريح المقاتلة تشاند بيبي - الديكان -  
ويكيبيديا



### تاج مسجد - نقلا من الويكيبيديا

بدأ بناء المسجد في عهد الإمبراطور المغولي بهادور شاه ظفر من نواب شاه جاهان بيغوم بين فترتين الأولى (١٨٤٤ - ١٨٦٠) والثانية (١٨٦٨ - ١٩٠١) في بوبال من قبل زوجة محمد خان، واستمر بنائه بعد موتها من قبل ابنتها السلطنة جهان بيغوم حتى حياتها، لم يتم إكمال المسجد بسبب نقص الأموال، وبعد فترة طويلة بعد انتهاء حرب عام ١٨٥٧، استؤنف البناء في عام ١٩٧١ بجهود كبيرة من العلامة محمد عمران خان الندوي الأزهري والسيد حشمت علي سحاب في بوبال، وتم الانتهاء من البناء بحلول عام ١٩٨٥، وتم تجديد بوابة المدخل الشرقي باستخدام الزخارف القديمة من زخارف عام ١٢٥٠ من المساجد السورية بمساهمة من أمير الكويت .



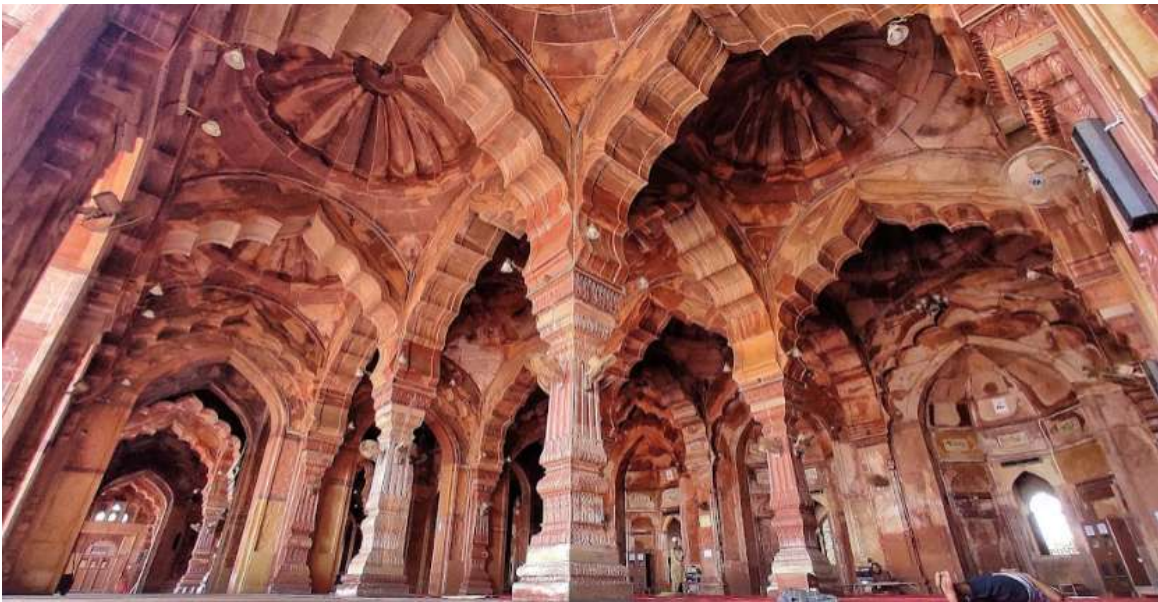
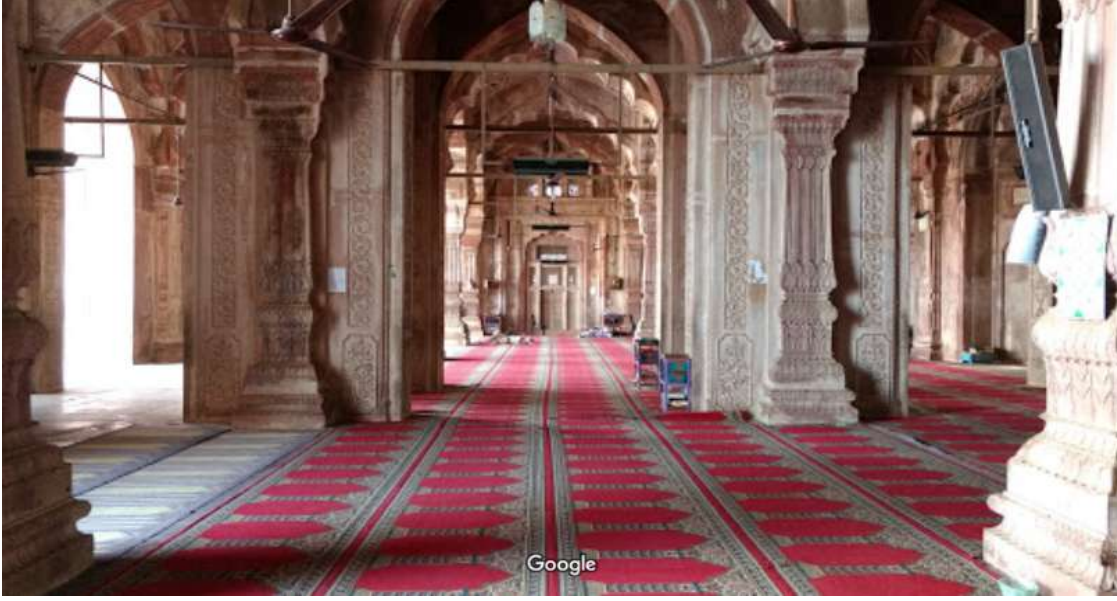


by Taj-ul-Masajid aerial photo by Pranshu Du



مآذن تاج المساجد

تاج المساجد من الداخل







مسجد مكة

(٨)

## سلطنة مالوا

٨١٠ - ٩٣٧ هـ

تقع مالوا جنوب دهلي وراجبوتانا وتفصلها الكجرات عن الساحل الغربي (بحر العرب) بوسط الهند تقريبا ، إستقل بها والي الطغالقة عليها حسين الغوري و ألقب بدولار خان قبل وفاته عام ٨١٠ هـ ؛ وأعقبه ثلاثة ملوك من الأسرة آخرهم محمّد خان ودام حكمهم ٣٥ عامًا حتى عام ٨٣٩ هـ ، لكن إنصراف محمّد خان إلى اللهو جعل محمود الخلجي الأفغاني يغزوها ويحكمها ٣٤ عامًا انتهت في عام ٨٧٣ هـ، وقد قضى سنوات حكمه في قتال مع الهندوس الذين تمردوا مرارا ضد حكمه ومع سلطنتنا الكجرات في الغرب والديكان في الجنوب .

كان ابنه غياث الدين غريب الأطوار اشتهر بجمع النساء من كل الأجناس كان يُلبسهن ملابس الرجال ويعلمهن الفروسية والقتال والكتابة والقراءة وحفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية ، جمع عشرة آلاف امرأة ولم يكن يسعى للعبث واللهو معهن حسب القول فلم يرى فيهن واحدة جميلة ؛ غزاها بهادر ؛ شاه الكجرات عام ٩٣٧ هـ وقبض على محمود الثالث آخر حكامها وحمله إلى أحمد آباد سجيناً .

(٩)

## سلطنة مادوراي

١٨٠١ - ١٣٣٥

هي من أولى بلاد الهند التي إستقبلت الإسلام قبل نحو سبعمائة سنة ؛ حمله اليها القاضي تاج الدين من عُمان يقال أنه من الأشراف ، أهداه ملك التاميل كولاسيكارا بانديان (١٢٦٨-١٣٠٨ م) ؛ أرضا لينشئ عليها مسجدا هو مسجد " قاضي مار" أول مساجد المنطقة وهو يتسع لألفين وخمسمائة مصلي ، وبعد وفاة الملك ضمّتها سلطنة دهلي ثم إستقل بها جلال الدين أحسن خان ١٣٣٥-١٣٣٩ م وهو أول سلاطين مادوراي ؛ ولاحقا ضمّتها إمبراطورية فيجاياناغارا عام ١٣٧٨ م.

إستقلت مادوراي عن فيجاياناغار عام ١٥٥٩ تحت ولاية سلالة مادوراي نايك التي انتهى حكمها عام ١٧٣٦ م، وتم غزو مادوراي عدة مرات من قبل شاندا صاحب (١٧٤٠-١٧٥٤ م) حاكم كارناتيك ، ومحمد يوسف خان (١٧٢٥-١٧٦٤ م) في منتصف القرن الثامن عشرالى أن أخضعها شركة الهند الشرقية البريطانية عام ١٨٠١؛ ومن بين زعماء حركة الاستقلال المادوراي محمد إسماعيل صاحب .

## ماراثا الحكم الذاتى الهندوسى الى الإمبراطورية ١٦٧٤ - ١٨١٨ م

### تمهيد

كانت إمبراطورية فيجايانا جارا أول كيان هندوسى يتحدى تمدد دهلى جنوبا ؛ وكانت إستراتيجيتها لا تتعدى نطاقها الإقليمى ، ولكن وجودها على الساحة لمدة طويلة ناهزت القرنين حفز وعى الهندوس الى ضرورة إستمرار وجود قوى هندوسية فاعلة تُدير حركة التاريخ للشعوب الهندوسية ؛ فنفت سقوطها عام ١٦٧٣ تقريبا ؛ روح الإستقلال لدى قبائل ماراثا القابعة ضمن أراضى سلطنة بيجابور ؛ فتمرد أحد القواد الماراثيين العاملين فى جيش عادل شاه وقاد الماراثيين لتأسيس الحكم الذاتى للشعب الهندوسى على بعض أراضى السلطنة .

### ماراثا كمرتزقة

و ماراثا فى الأصل قبائل تسكن ماهاراشترا بهضبة الديكان الغربية ، وهى معروفة بالشجاعة والمهارة فى حرب الأدغال ، حاربت كمرتزقة فى صفوف حكام الإقليم المسلمين الطامعين فى الإستقلال ضد الدولة المركزية فى دهلى ؛ إستخدمهم ملك عنبر الصدر الأعظم الحبشى للسلطان بهادور نظام (شاه) صاحب أحمد نگر ، فى حرب طويلة مع دولة المغول إستغرقت الفترة ١٦٠٩ - ١٦٢٠ م لوأد محاولتها إخضاع السلطنة ؛ وكما ضيق المغول عليه الخناق داهنهم ؛ الى أن أخضعه حُرّم مُحَمَّد(شاهجهان) ابن جهانجير سنة ١٠٢٥هـ / ١٦١٦م فمال إلى الصلح ، وسَلِم مُقاطعة بالآگهات التى كان قد انتزعها من المغول بالإضافة إلى قلعة أحمد نگر، وفى سنة ١٠٢٩هـ / ١٦٢٠م تمرد من جديد لما إنشغل جهانجير/ وإبنه / الشاه زاده حُرّم مُحَمَّد بحصار كنگرة فى شمال البنجاب ، وعقد عنبر حلفاً مع دولة القطبيين فى كُلكندة والعداليين فى بيجابور وحاصر قلعة أحمد نگر ، ولكن إنتهى به الأمر بالإستسلام والخضوع مرة أخيرة للمغول.

### تمرد ماراثا

إستخدم عادل شاه سلطان بيجابور كثير من الماراثيين فى جيشه ومن بينهم القائد شاهجي وهو أرسنقراطي من قبيلة بهوسالي ؛ الذى أصبح مع الوقت قوة مؤثرة فى السلطنة وبلغ به الأمر أن تحدى الإمبراطور المغولى شاهجهان الذى اسرت قواته السلطان حُسين نظام ؛ فقام بوضع مُرتضى ذى السنوات العشر على عرش السلطنة

تحت وصايته ونصّب نفسه صدرًا أعظمًا للسلطنة وحشد جيشًا من ١٢ ألف مقاتل وشرع في الإغارة على دولت آباد بمسانده السلطان مُحمّد بن إبراهيم العادلي (سلطنة العادليين) ، فأغضب بذلك شاهجهان الذي توجه بجيش جرار إلى الديكان سنة ١٠٤٦هـ / ١٦٣٦م ، وأجبر شاهجي على الإنسحاب من أحمد نگر ، وأجبر السلطان مُحمّد بن إبراهيم على الكف عن مُساعدة المتمردين والتخلي عن شاهجي الذي إعتقله المغول ولكنهم أطلقوا سراحه لإحتواء تمرد شيفاجي و سامبهاجي ؛ وكان شيفاجي وقتها قد سيطر على بعض حصون بيجابور والغريب في الأمر أنه حصل عليها برشوة قادتها من أهل بيجابور ، فحصل على حصن تورنا برشوة عناية خان البيجابوري ، وكذلك على حصن كوندانا برشوة قائده من أهل سلطنة العادليين ؛ وشجع حصوله على هذه الحصون صاحب حصن تشاكان / فيرانجوجي نارسالا الهندوسي على الإنضمام الى شيفاجي .

وفى عام ١٦٥٦ إستولى شيفاجي على وادي جافالي من تشاندراراو مور وهو صديق ماراڤي في سلطنة العادليين فأرسل سلطان بيجابور جيشًا بقيادة أفضل خان تمكن شيفاجي من هزيمته وقتله ؛ وفى عام ١٠٧٥هـ / ١٦٦٥م ؛ بعث الإمبراطور أورنجزيب حملة بقيادة راجا جاى سنج الهندوسى الى الديكان قبضت على شيفاجي ؛ ثم أطلق سراحه لاحقًا (١٩٧).

فى عام ١٦٧٤ دعى شيفاجي الى إقامة الحكم الذاتى للهندوس (هيندافي سواراجيا) وأعلن قيام مملكة ماراڤا المستقلة وعاصمتها ريجاد ؛ وعند وفاته كانت المملكة قد سيطرت على أكثر من ٢,٨ مليون كم<sup>2</sup> من مساحة شبه القارة الهندية بجيش من ٤٠ الف فارس و ٥٠ الف مشاة بالإضافة الى أسطول صغير على الساحل الغربى ، وبعد وفاته واصلت ماراڤا الحرب ضد المغول.

### دعم سامبهاجى ١٦٨١-١٦٨٩

#### تمرد ابن أورنجزيب

قوت شوكة ماراڤا في عهد الإمبراطور المغولى أورنجزيب ؛ ودخلت معه في صدام دام عشرين عامًا تكبد فيها الجانبان خسائر فادحة ، بدأ الصدام بتوفير زعيم ماراڤا سامبهاجي المأوى للإمير محمد أكبر المتمرّد على أبيه الإمبراطور أورنجزيب ، فحاصر أورنجزيب حصون ماراڤا في هضبة الديكان عام ١٦٨١؛ فردت ماراڤا بالإغارة على خطوط إمداد الجيش المغولى فى الديكان ، فهاجم المغول عاصمتها عام ١٦٨٤، ولكنهم مُنيوا بخسائر فادحة فى معركة باتادي كما فشل هجوم آخر لهم عليها

١٩٧ - هناك غموض فى هذا الشأن ؛ فالبدائية غير واضحة وتتابع الأحداث والأسماء ؛ فقد يكون هناك خلط بين الأسماء وبالتالي الأحداث .

أوائل عام ١٦٨٥ بسبب دعم سلطنتي جولدوندا وبيجابور ماراثا ؛ فقرر الإمبراطور غزوهما وهزمهما عام ١٠٩٧هـ / ١٦٨٦ م ؛ ثم عمل على تأمين طرق الإمدادات ؛ فأتصل بالبرتغاليين للسماح لسفنه بنقل الإمدادات عبر البحر من جوا ، وعندما علم سامبهاجي بذلك هاجم البرتغاليين لمنعهم من مساعدة الإمبراطور.

تمكن الإمبراطور من هزيمة ماراثا هزيمة قاصمة في معركة بانى بت عام ١٦٨٨ ؛ وقبض على سامبهاجي فى كمين ١٦٨٩ ، وتم إعدامه بعد محاكمته وإدانته بإرتكاب فظائع ضد المسلمين فى برهانبور.

### سقوط عاصمة ماراثا

#### جينجي - يناير ١٦٩٨

في مارس ١٦٩٠ من عهد الملك راجا رام (١٦٩٨ - ١٧٠٠) ؛ شن المارثا هجوم جري على جيش المغول حتى وصلوا الى خيمة الإمبراطور أورنجزيب ، ولم يكن بها سوى بعضا من حرسه الخاص فقتلوهم ، فلاحق المغول راجا رام زعيم ماراثا الذى فر من عاصمته فيشالغاد الى جينجي ، وحاصروها لسبع سنوات تكبد في معاركها الجانبان خسائر فادحة ؛ ولما سقطت في يناير ١٦٩٨ فر الملك عائدا إلى فيشالغاد ، مات أورنجزيب عام ١٧٠٧ ؛ وكان يُعد لمواصلة الحرب على ماراثا ، وكان شاهو ابن سامبهاجي (حفيد شيفاجي) رهينة لديه .

### تغيير نظام الحكم

#### فى ماراثا وتوسعها

في عام ١٧٠٧ ، أطلق الإمبراطور المغولي الجديد بهادر الأول ، سراح شاهو ابن سامبهاجي ليعود الى عرش ماراثا لإنهاء الإضطرابات التى تسببت فيها خلافات وراثية العرش ؛ وإستبقى والدته رهينة لضمان تنفيذ شاهو شروط إطلاق سراحه ؛ قام شاترابتي شاهوجي بتغيير نظام الحكم الى نظام يعتمد الكفاءة فى التعيينات بالمناصب العليا تكون فيه السلطة المطلقة للبيشوا (رئيس وزراء) ويكون الملك رمزا ؛ واختار للمنصب رجلا عاديا عام ١٧١٣ هو بلاجي فيشواناث الذى تمكن بحسن علاقته بالمغول من إطلاق سراح والده شاهو عام ١٧١٩ ؛ ولكن الأمر إنقلب فى نفس العام عندما هزمت ماراثا المغول فى الديكان ، وحاول جيشها التوجه إلى دلهي لكنه لم يستطع إقتحامها.

## الإمبراطور المغولي محمد شاه

### باجي راو الأول

#### صرح ماراثا الإمبراطوري

تواصلت إنتصارات ماراثا في عهد باجي راو الأول ١٧٢٠ - ١٧٤٠ على المغول في عهد الإمبراطور محمد شاه ، وتوسعت عشرة أضعاف مساحتها من ٣% إلى ٣٠% ، وهزم باجي راو الأول سلطنة حيدر آباد سلالة نظام الملك في معركة بالكهيد ١٧٢٨ لما تدخلت لمساعدة المغول ضد تقدم ماراثا الى دهلي ؛ وتنازل الإمبراطور المغولي محمد شاه عن الأراضي التي سبق أن إستولى عليها شيفاجي عند وفاته ؛ كما أعطى ماراثا حق تحصيل الضرائب من مقاطعات ديكان الخمس ، ما أدى بتمرد واليها نظام الملك آصف جاه (الأول) فخلق بحكم الواقع مملكة مستقلة له في الديكان ، وهزم جيش الإمبراطور في معركة صخر خدا بمساعدة ماراثا / باجي راو الأول ، ثم إنقلب على ماراثا من بعد وهزم لها حملتين وشن هجوم على بونة عاصمتها ونصب سامبهاجي الثاني ملكًا على ماراثا ثم خرج من المدينة تاركًا وراءه فرقة بقيادة فضل بك.

في أغسطس ١٧٢٧ ، هاجم باجي راو الأقاليم الشمالية لنظام الملك ردا على تدخله في شئون ماراثا الداخلية ودمر ونهب مدنها وحاصر قوات نظام في بالخد وأجبره على عقد معاهدة مونجي شيفجاون مارس ١٧٢٨ ، إعترف فيها نظام الملك بحق المراثا في تحصيل الضرائب من الديكان ؛ وبعد هزيمة حاكم مالوا المغولي ١٧٢٨ توسعت ماراثا في مالوا وسيطرت على الكجرات في نوفمبر نفس العام.

#### معركة دهلي

وفي نوفمبر ١٧٣٦ بدأ راو الزحف على دهلي بقوة من ٥٠ الفا ؛ ونهبوا وهم في طريقهم منطقة دواب المغولية ؛ فإستغاث الإمبراطور بـ سعدات علي خان الأول من ماثورا الذي هزم ماراثا بقوة من ١٥٠ الفا ، وفي عام ١٧٣٧ هزمت ماراثا المغول في معركة دهلي ثم انسحب باجي راو منها بعد علمه بخروج قوة مغولية كبيرة من ماثورا للدفاع عنها .

#### معركة بوبال

حشد باجي راو قوة من ٨٠ الفا لمحاصرة دهلي ؛ فطلب الإمبراطور المغولي محمد شاه المساعدة من سلطنة نظام - ديكان ؛ فانضم اليه ولم تكن قواتهم تتجاوز ٣٠ الفا معززة بالمدفعية ، ولم تنجح في فك الحصار عنها ولم يعد نظام قادرًا على الصمود ، فوقع اتفاق سلام مع ماراثا في يناير ١٧٣٧ ؛ تنازل فيه المغول عن مالوا إلى ماراثا و دفعوا ما يعادل ٥٥ مليون روبية تعويضات .

## صدام الإمبراطور الأفغانى

### أحمد دُرانى مع ماراثا

لما إستولت ماراثا عام ١٧٥٩ على مولتان وكشمير ولاهور ، غزى الإمبراطور أحمد الدُرانى (الأفغانى) الهند بأكثر من خمس حملات لقمع ماراثا ؛ وإنتهى الصدام بهزيمتها هزيمة قاسية في بانى بت الثالثة عام ١٧٦١ ، رغم تفوق قواتها على قوات الدُرانى بفارق ضخم ، وتعتبر المعركة واحدة من أكبر معارك الهند حصدت أكبر عدد من القتلى في يوم واحد وكان من نتائجها إضعاف سيطرة الطرفين ماراثا في شمال الهند وأحمد الدرني في البنجاب ، فإستولى السيخ على البنجاب .

وبعد تولى مهاداجي شيندي زعامة المراثا عام ١٧٦٨ ، إنقسمت الأسرة الملكية لماراثا فى مدينة بوني حول موضوع الوراثة ، ولجأ أحد أطراف الصراع الى المغول وتدخلت شركة الهند الشرقية في الصراع ، ما أدى إلى وقوع الحرب بين الأنجيز و ماراثا (الحرب الأولى بينهما) ، خرجت منها ماراثا مُنتصرة في معركة Wadgaon ووقع الطرفان معاهدة سالاباى عام ١٧٨٢ ، أعاد البريطانيون بمقتضاها الى مهاداجي أراضيهِ غرب يامونا وإنسحبوا إلى أوجين ؛ وفي نفس عام ١٧٨٢ هزم مهاداجي ؛ تيمور شاه الدُرِي عند مُحاولته إستعادة لاهور وكانت الإمبراطورية الدُرانية قد ضعفت ؛ فواصلت ماراثا توسعها في شمال الهند ؛ وفي عام ١٧٨٧ حاول مهاداجي غزو راجبوتانا جودبور و جيبور ولكنه فشل ولم ينجح فى هزيمتهما إلا عام ١٧٩٠ .

## التوسع

هزمت ماراثا المغول في عدة معارك في الفترة ١٧١٩ - ١٧٥٧ وهزمت قوات آصف جاه قمر الدين فى بالكهيد ١٧٢٨ ، القادمة من حيدر أباد للتصدى لتقدم ماراثا نحو دهلى ؛ أدت هزائم المغول المتلاحقة الى تقديم تنازلات الى ماراثا بعد كل معركة ومن مظاهر ضعف دولة المغول منحهم ماراثا حق جباية ضرائب ضخمة من إقليم بعد الآخر ؛ فجمعت من مالوا ٢٢ لاک ومن الديكان بعد معركة ماندسور عام ١٧٣٣ مبالغ ضخمة ؛ مما أثار حفيظة حاكمها نظام الملك آصف جاه (الأول) فأعلن إستقلاله عن دهلى ؛ كما دفع المغول فى بعض الحالات تعويضات الى ماراثا بلغت ٥٥ مليون روبية عند تنازلهم عن مالوا وغيرها من تنازلات لا تليق بإمبراطورية دهلى المغول التى كانت تُحتسب يوما من أقوى دول الأرض .

## الصدام مع الإمبراطور الدُرنى

فى تلك الفترة ظهرت إمبراطورية الدوراني ورغم قصر عمرها إلا أنها كانت تُعد ثاني أكبر إمبراطورية إسلامية في العالم بعد الإمبراطورية العثمانية في ذلك الوقت وغزا الإمبراطور أحمد الدُرانى الهند ودخلها أكثر من ستة مرات فإحتل بعد عام ١٧٤٨ لاهور والبنجاب ونيسابور وكشمير ، وفى عام ١٧٥٧ دخل الهند لإعتداء

ماراثا على الحاميات الأفغانية التابعة له في البنجاب ؛ ولتأديب امبراطور المغول عزيز الدين عالم كير لإحتلاله لاهور ؛ فدخل دهلي وتركها نهبا لجيشه لأكثر من شهر إنتقاما ، وسبى أميرة مغولية تزوج بها وزوج ابنه تيمور شاه بأميرة أخرى ، وجعل ابنه حاكما للبنجاب والسند وترك زعيما من قبائل الروهيلا نائبا له في حكم دهلي ، و ما كاد يعبر السند حتى قام الوزير المغولي في دهلي بطرد الزعيم الروهيلي نائب احمد شاه في دهلي ، فلما علم احمد الدراني بذلك عاد وقتل الشاه المغولي وتوج الأمير شاهجهان الثالث ملكا عليها وعاد الى قندهار .

ولما علم بعودة ماراثا لنشاطها الحربى وهزيمتها الحاميات الأفغانية في البنجاب والإستيلاء على لاهور ومولتان وكشمير وغيرها من المناطق الفرعية على الجانب الهندي من أتوك ، دخل الهند لمواجهة ماراثا فوصل لاهور عام ١٧٥٩ ، وهزم ماراثا في بانى بت عام ١٧٦١ ، هزيمة قاسية كانت نكسة كبيرة لها بسبب فداحة خسائرها ؛ رغم تفوق قواتها عدديا على قوات الدراني بفارق ضخم ، وكان معروفا عن الدراني قدرته على الإنتصار في المعارك بقوات قليلة ؛ وتعتبر معركة بانى بت الثالثة واحدة من أكبر معارك الهند حصدت أكبر عدد من القتلى في يوم واحد .

وكان من نتيجة المعركة إضعاف سيطرة كل من ماراثا على شمال الهند وأحمد الدرني في البنجاب ، فإستولى السيخ القوى الصاعدة على البنجاب ؛ فهزمهم هزيمة حاسمة ١٧٦٢ سقط فيها آلاف من السيخ. وتركهم ليعود لكي يقمع تمردا في أفغانستان ؛ وتمرد السيخ ثانية في هذه الأثناء لكنه اضطر للتخلي عن البنجاب ، لمرضه مرض الموت .

### ضعف دولة المغول

بعد رحيل إمبراطورية الدوراني نشطت ماراثا عسكريا ضد المغول الذين تنازلوا عن الأقاليم الشمالية فى حيدر أباد (دمر باجى راو بعض مدنها) ، وإستولت ماراثا على مالوا و الكجرات حتى راجستان بشمال الهند ؛ وأصبحت ماراثا فى أوائل القرن الثامن عشر إمبراطورية حقيقية بفضل توسعات البشوا ونجحت ماراثا خلال قرن ونصف ١٦٧٤ - ١٨١٨ أن تُجبر دولة المغول حال ضعفها على التراجع بعد طغيان إتساعها على معظم القارة الهندية، فتراجعت حدود دولة المغول الى حدود دهلي الضيقة ما أتاح لماراثا السيطرة بذلك على معظم شبه القارة الهندية تقريبا ؛ وإقتصر سيادة المغول على دهلي فقط .

وبلغت ماراثا من القوة مبلغا كبيرا عندما خضع لها سلاطين مغول العهد الأخير الضعفاء ؛ ففرضت عليهم الجزية على نحو ما فعله مهاداجي سينديا عام ١٧٨٨ عندما اعاد بالقوة العسكرية دهلي الى الشاه علام الثاني من المتمردين الروهيلا والمغول بعد قتله إسماعيل بك الزعيم الجورجى المتمرّد وحليفه غلام قادر زعيم روهيلا الذين غزوا دهلي



من قبل وخلعا الإمبراطور المغولي شاه علام الثاني ووضعنا سلطانا آخر على عرش  
دهلي.

وعلى أية حال نجحت ماراا خلال قرن ونصف ١٦٧٤-١٨١٨ أن تُجبر  
دولة المغول حال ضعفها على التراجع بعد طغيان إتساعها على معظم القارة الهندية،  
فتراجعت الى حدود منطقة دهلي الضيقة.

### زوال ماراا

إصطدمت ماراا بقوتين خارجيتين البرتغال والإنجليز ؛ فإنتهزت إنتهاك  
البرتغاليين عام ١٧٣٧ إتفاقاً منحتهم بمقتضاه موقعاً لبناء مصنع في جزيرة سالسيت ،  
وإستولت على حصن غودبندر ومدينة فاساي وسالسيت بعد حصار طويل ، وعبثت  
ماراا بالكنائس فإنتزعت أجراسها لأقامتها في معابد ماهاشترا ؛ كما حاربت الشركة  
البريطانية ؛ وظلّت ماراا القوة البارزة في الهند حتى هزيمتها في حربيها  
الثانية (١٨٠٥) والثالثة (١٨١٨) التي قضت عليها بهزيمة البيشوا باجيراو الثاني ما  
أدى إلى سيطرة شركة الهند الشرقية على معظم أنحاء الهند.

(١٧٧٥-١٧٨٢)

الحرب الإنجليزية الماراثية الأولى

(١٨٠٣-١٨٠٥)

الحرب الأنجلو- ماراا الثانية

(١٨١٧-١٨١٨)

الحرب الإنجليزية الماراثية الثالثة



ماراا في أقصى توسعها يلاحظ :

- تضاول مساحة سلطنة دهلي ، بقاء حيدر

الممالك الهندية فى الشمال  
 (١) ميوار (هندوسية).  
 (٢) السيخ .

-----  
 (١)

ميوار

مملكة هندوسية

بين القرنين السابع الى التاسع عشر

ميوار ؛ إمارة راجبوتية تحتل موقعا إستراتيجيا لوقوعها فى الطريق الواصل بين دهلى ومالوا من جهة وبين الكجرات فى الساحل الغربى للهند ؛ المنفذ البحرى الذى تمر عبره تجارة دهلى الدولية والحجيج الى الأماكن المقدسة ، وشيتور هى عاصمة ميوار وهى عبارة عن حصن حصين ضخم سبق التعرض له ؛ حكمتها أطول السلالات عمرا فى تاريخ الهند ؛ إمتد حكمها من القرن السابع حتى القرن السادس عشر .

كانت من اقوى ممالك الراجبوت فى راجستان ؛ حكامها مقاتلين راجبوت شديدا الإعتزاز بأنفسهم يتميزون بالصلابة والعناد فى القتال ؛ ناصبوا دهلى العداة عبر تاريخها الممتد وقامت ميوار بدور قيادى فى حشد وتوحيد ممالك الراجبوت فى راجستان لخوض الحروب الهندوسية ضد سلطنة دهلى ومن بعدها دولة المغول ، وفى بعض المراحل تحالفت مع المتمردين على دهلى ودولة المغول وأوت المتمردين المسلمين .

عاصمتها شيتور شديدة التحصين ، سبق أن تعرضنا لحصانتها الإنشائية يتوفر بها الماء والحقول ويخدم الزراعة فيها ٤٠ الفا إقتحمها علاء الدين الخلقى سلطان

دهلي عام ١٣٠٣، ومن بعده بحوالي قرنين فتحها بهادور ؛ شاه الكجرات ؛ ثم غزا الإمبراطور أكبر شيتور ثم إنشغل عن إستكمال فتح بقية مملكتها بتمرد الأقاليم الغربية البنغال عن إستكمال غزوها .

يهمننا من حكامها أسرة سيسوديا الثانية التي حكمت الفترة ١٣٢٦-١٨٨٤، وعاصرت سلطنات المسلمين في دهلي وشاركت في حربهم وتحالفت وأوت متمردي الأفغان خلال ثوراتهم على دهلي والمغول ؛ ثم إعترفت خلالها بسيادة دولة المغول وبقيت طوال العهود يحكمها ملوك الأسرة .

- "رانا سانجا" أقوى حكام الراجبوت آنذاك ؛ تمكن من توحيد "الراجبوت"، وكان معاديا للمسلمين إحتل ١٠٠ مدينة من مدنهم وهدم المدارس والمساجد وسبى النساء والأطفال ؛ إصطدم ؛ بسطان دهلي " إبراهيم اسكندر لودهي " ٩٢٣ - ٩٣٢ هـ (١٥١٧-١٥٢٦ م) آخر سلاطين اللودهيين فبعث عليها حملة هزمها " الميواريون" ، في " خاتولي" سنة ٩٢٦هـ/١٥٢٠م وقتلوا اعداد كبيرة من جنود السلطان ؛ فعاد السلطان في نفس العام مهاجمة "رانا سانجا" للإنتقام لهزيمة جيشه ؛ وإنتصر عليه في موقعة جامبهير سنة ٩٢٦هـ/١٥٢٠م وفر الراجا .

ولما ساءت الأمور في دهلي إستجد الأمراء ببابر لتخليصهم من السلطان إبراهيم لودهي ؛ وفعل نفس الشئ رانا سانجا إنتقاما لهزيمته في موقعة جامبهير ؛ وعرض على بابر عند هجومه على دهلي ؛ أن يقوم هو بمهاجمة آجرا لتشتيت جهد ابراهيم اللودي ؛ ولكنه لم يفى بالوعد عندما وصل بابر الى باني بت بالقرب من دهلي ، ويبدو أنه أعاد حساباته فتحالف مع أفغان الهند فإعتبر بابر ذلك خيانة للإتفاق ؛ ثم حشد إئتلافا راجبوتيا أفغانيا كاد أن يهزم بابر في معركة خانوه ؛ إستولى ظهير الدين بابر على جيسلمير و بوندي وجدهيور من ممتلكات ميوار؛ استعادها الميواريون في عهد همايون المضطرب .

توفي أودي سينغ الثاني عام ١٥٧٢، وكان الأمير براتاب هو الإبن الأكبر فخلف والده ملكا بإسم ماهارانا براتاب بدعم من رجال البلاط ؛ في مواجهة محاولة راني دير باي أرملة أودي سينغ بأن يخلف ابنها جاجمال سينغ والده ؛ فإنضم جاجمال غضبا الى المغول فكافؤه بعدة بلدات ، وأصبح براتاب ، الحاكم الرابع والخمسين لميوار في خط سيسوديا راجبوت ، وكان عنيدا متشددا قاوم محاولات الإمبراطور المغولي أكبر لإخضاعه ، وطارده أكبر الى أن هزمه في معركة هالدي غاتي في ١٨ يونيو ١٥٧٦ ، وفر المهرانا پرتاب من ميدان المعركة بعد أن أنقذه أحد أمراء جيشه موه على شخصه بإنتزاع التاج الملكي وإرتدائه فحاصره المغول معتقدين أنه المهرانا ؛ وتحصن المهرانا في الجبال ليشن حرب عصابات على المغول وتمكن من استعادة

أجزاء واسعة من الإمارة عند وفاته سنة ١٥٩٧م ؛ بينما إنشغل عنه أكبر بتمرد الأقاليم الغربية .

حاول جهانجير إستكمال مسيرة والده أكبر بإخضاع ميوار وتمكن بعد عدة حملات من هزيمة أمار سينغ الأوّل ملك ميوار فأضطره للإستسلام سنة ١٠٢٤هـ / ١٦١٥م ، وتقديرا لمكانته أكرمه وكرمه فأعفاه من المُثُول أمامه في مجلس السلطان تعظيما لشأنه على أن يمثله ابنه قران سينغ الثاني ، و رد اليه مُقاطعة ميوار بما فيها قلعة شيتور التي إستولى عليها من قبل الإمبراطور جلال الدين أكبر؛ على أن يحكم باسم المغول ويُقدّم لهم ألف فارس عند الحاجة ؛ ولم يطالبه بالجزية .

---

(٢)الشيخ تناولناها في العرض السابق واللاحق

### الفصل الثالث المخاض بين حقبتين من طغلق الى أكبر

#### تمهيد

دار صراع حاد فى شمال حول دهلى بعرض المنطقة الممتدة من البنغال الى الكجرات كله يصب حول دهلى بين سلطنات التالية منفردة أو متحالفة معا وينضم اليهم ممالك راجبوت الشمال القوية وعلى رأسها ميوار ؛ وهذه السلطنات :

- سلطنة ملوك شرق ( سلطنة جاونبور ) ؛ التى انفصلت عن دهلى فى عهد ناصر الدين محمود شاه طغلق ( ١٣٩٤ - ١٤١٣م ) آخر سلاطين دهلى .

- والبنغال.

- الكجرات .

- البابريون - مغول الهند الى أن إسقرت فى يد جلال الدين أكبر لتبدأ حقبة مختلفة عما سبق ، ولما زاد الترف على حده وغنى دولته ؛ أهدر فيها الإسلام ، وهذا ما دعانا نبدأ هذه الحقبة الخاصة به بإسمه لما شملته من تغييرات .

ولنحادث التاريخ تعرفا على المزيد ....

دولة ملوك شرق  
(سلطنة جاونبور)  
١٣٩٤ - ١٤٧٩

قيام سلطنة جاونبور

ولى سلطان دهلى ناصر الدين محمود شاه طغلق (حكم الفترة ١٣٩٤ - ١٤١٣)؛ وزيره خواجة جهان مالك سروار (حبشى) حكم جاونبور ومنحه لقب مالك لنا شرق ؛ ومن هنا جاءت تسمية سلالاته ملوك شرقى ، وفى موجة تفكك دولة الطغلق استقل بها عام ١٣٩٤م وتلقب أتابك عزام وقام بتأمين المملكة فقمع التمرد فى إيتاوة وكويل وقنوج ، وأخضع كارا وعوض ودالماو وبحريش وجنوب بيهار وإعترف له راي(امير) جاجناغار (هندوسى) حاكم لخناواتي (البنغال) بالخضوع وأهداه عددًا من القبيلة .

ورط مالك سروار ؛ سلطنة جاونبور فى حرب مع جارتها مملكة أوجينياس بهوجبور (Ujjainiyas Bhojpurfi) الهندوسية ؛ بسبب تضيقه على البراهمة فى صلواتهم ، فقام رجا (حاكم) الأوجينياس بحماية البراهمة وهزم قوات مالك سروار فى بداية المعارك لكنه إنهزم فى المعارك اللاحقة وفر الى الغابات ولجأ إلى حرب العصابات ، استمرت هذه الحرب بين الدولتين مائة عام.

حكام السلالة

الاسم الفخري	اسم شخصي	فتره حكم
الاستقلال عن دولة طغلق / سلطنة دهلى		
خواجة جهان - مالك لنا شرق أتابك عزام	مالك سروار	١٣٩٤ - ١٣٩٩ م
مبارك شاه	مالك قرنفل	١٣٩٩ - ١٤٠٢
شمس الدين ابراهيم شاه	ابراهيم خان	١٤٠٢ - ١٤٤٠
ناصر الدين محمود شاه	محمود خان	١٤٤٠ - ١٤٥٧
محمد شاه	بهي خان	١٤٥٧ - ١٤٥٨
حسين شاه	حسين خان	١٤٥٨ - ١٤٧٩
عودتها لسلطنة دهلى تحت سلالة لودهي		

**ومن أبرز حكام السلالة:****شمس الدين ابراهيم شاه**

(حكم ١٤٠٢-١٤٤٠)

بلغت سلطنة جاونبور في عهده ذروة توسعها فامتدت من بيهار شرقا إلى قنوج غربا ؛ لجأ اليه السلطان ناصر الدين محمود شاه الثاني طغلق هربا من سيطرة مالو إقبال ، ولكنه أساء اليه ما كان سببا في إحتلال السلطان محمود شاه قنوج عاصمة السلطنة بعد عودته لحكم دهلي ؛ وحاول ابراهيم شاه استعادتها عام ١٤٠٧ لكنه فشل.

وابراهيم شاه هو من إستدعاه عالم الدين نور قطب لإنقاذ البنغال من راجا غانيشا الذى إغتصب عرش البنغال بعد موت سلطانها حسبما تقدم ذكره ؛ ومن الغريب أن ابراهيم شاه لم يكن من القوة بحيث يُهدد غانيشا ولكن الأخير عمل له حساب ؛ ومن المُحير أيضا كيف فكر وهو بهذا الضعف فى الإستيلاء على دهلي عاصمة الإمبراطورية ؛ على أية حال حقق رجل الدين نور قطب الدين غرضه وسحب العرش من غانيشا وجعله لإبنه بعد إسلامه ليضمن الحكم لمسلمين .

خلفه بعد وفاته ابنه الأكبر محمود شاه .

**محمود شاه****محاولة غزو دهلي**

قام بحملات ضد البنغال و أوريسا عام ١٤٥٢ ، وحاول غزو دهلي ولكن بهلول لودهي هزمه وقام بمحاولة أخرى لغزوها ولم ينجح فإضطر للتنازل عن شمس آباد لبهلول لودهي ، لكنه تنصل من الإتفاق بشأن تسليم بهلول شمس آباد ؛ نجح محمود شاه في قهر تشونار لكنه فشل في الاستيلاء على كالمبي ؛ توفي وخلفه ابنه بهخان بلقب محمد شاه.

**محمد شاه**

تولى السلطة عام ١٤٥٧ ؛ واعترف بحق بهلول لودهي سلطان دهلي في شمس آباد ؛ ثار عليه شقيقه حسين و الأمراء والقادة عام ١٤٥٨ لقتله شقيقا له ؛ وقتله حسين وأعلن نفسه سلطانا لجونبور.

**محاولات حسين شاه****غزو دهلي**

تصالح السلطان حسين شاه آخر حكام شرقي مع بهلول لودهي سلطان دهلي ووقع معاهدة سلام معه عام ١٤٥٨ لمدة أربع سنوات ، وفي عام ١٤٧٨ حاول غزو دهلي بجيش كبير وحاول السلطان بهلول لودهي ترصيته بالتنازل عن معظم المملكة

والتبعية له مقابل الاحتفاظ بحكم دهلي ؛ فرفض العرض فعبر اليه بهلول لودهي نهر يامونا وهزمه وأرغمه على قبول الهدنة ، لكن حسين شاه تمرد وسار نحو دلهي بجيش ضخم واستولى على إيتاوة لكن بهلول لودهي هزمه مرة أخرى .

في مارس ١٤٧٩ حاول مرة أخرى مهاجمة دهلي فهزمه بهلول لودهي هزائم متتالية في سنها ورايري ورايجاون خاجا وعلى ضفاف نهر الرحاب وإستولى منه على بارغاناس من كامبيل وباتيالي وشمس آباد وسوكت وكويل ومهारा وجلسار ؛ فهرب حسين شاه إلى البنغال ليحتمي بسلطانها علاء الدين حسين شاه وقضى أيامه الأخيرة هناك ؛ وفي عام ١٤٨٦ قضى بهلول لودهي على جاونبور وجعل ابنه الأكبر بارباك شاه لودهي حاكما عليها.

### رعاية العلم الفن والعمارة

رعى حكام شرقى (جونبور) الهندسة المعمارية وتنتسب اليهم طرز هندسية معروفة باسم " أسلوب شرقى كما في مسجد لال دروزة والمسجد الجامع فى جونبور ومسجد أتالا الذى أكمله إبراهيم شاه عام ١٤٠٨ ؛ وكان فيروز شاه طغلق قد وضع أساسه عام ١٣٧٦ ، قام إبراهيم شاه ببناء مسجد جانجيرى عام ١٤٣٠؛ وبنى محمود شاه مسجد لال دروزة عام ١٤٥٠ ، وأتم حسين شاه بناء المسجد الجامع عام ١٤٧٠ .

### ويبدو من عمارتها فقر السلطنة





مسجد أتالا دروزة سلطنة جونبور - صورة جوزيف دافيد بيجلار





مقر حکام شرقی



دولة  
الساداتية  
١٤١٤ - ١٤٥١  
دولة الرايات الأعلى والمسند العالي

## تمهيد

بعد وفاة محمود شاه طغلق سنة ٨١٥ هـ / ١٤١٣ م ؛ إنتزع خضر خان عرش دهلي من فلول الطغالقة ، بإعتباره نائبا في حكم الهند بتفويض من تيمور لنك قبل رحيله ؛ وأقام حكم سلالة السادة الأشراف الذي إنتهى بتنازل شاه عالم آخر حكام أسرة السادات عن العرش في ١٧ ربيع الأول سنة ٨٥٥ هـ / أبريل ١٤٥١ م الى بهلول لودهي حاكم لاهور وبذلك كان عمر الدولة قصير حوالي ٣٦ عاما وعدد ملوكها أربعة هم :

- |                               |             |
|-------------------------------|-------------|
| ١- خضر خان                    | (١٤١٤-١٤٢١) |
| ٢- مبارك شاه بن خضر خان       | (١٤٢١-١٤٣٤) |
| ٣- محمد شاه بن فريد خان       | (١٤٣٤-١٤٤٥) |
| ٤- علاء الدين شاه بن محمد شاه | (١٤٤٥-١٤٥١) |

وما يلي نُبذة من أهم أعمالهم :

مؤسس الدولة  
الرايات الأعلى والمسند العالي  
(السلطان)  
خضر خان بن شرف الدين بن سليمان

خضر خان مؤسس دولة السادات تبناه ملك "مرادن" والى "ملتان" زمن السلطان فيروز شاه طغلق ، وبعد فترة وجيزة من وفاة مرادن عينه فيروز شاه واليا على الإقليم ، تقرب اليه تيمور لنك عند غزوه الهند تقديرا لنسبه الشريف وعينه نائبا له في حكم الهند قبل عودته الى سمرقند ، خاض خضر خان حروبا انتهت بدخوله دهلي ٨١٧ هـ / ١٤١٤ م ؛ فأعتلى العرش بمسمى الرايات الأعلى والمسند العالي ؛ واستمر عهده سبع سنوات وشهرين ، خاض فيها ثلاث معارك ولم نستدل على معاركه قبل توليه الحكم في دهلي ، وتوفى عام ٨٢٤ هـ / ١٤٢١ م، فتولى ابنه مبارك شاه.

(١)

مبارك شاه

بن خضر خان

٨٢٤ - ٨٣٧ هـ

١٤٢١/ - ١٤٣٤ م

تولى مبارك شاه بن خضر خان الحكم بلقب معز الدين أبو الفتح مبارك شاه ، ثاني سلاطين دولة السادات اعلى العرش في ١٨ جمادى الأولى سنة ٨٢٤ هـ / ١٤٢١ م ؛ رد عدوان "كهكر" الهندوسى على "حصن سرهند" ، واسترد منه أغلب الأراضي التي إستولى عليها حتى لاهور ؛ وهزمه عندها ثانية حاكمها نائب دهلى ؛ تغلب حدثت على اضطرابات " دواب" و"كتبهر" و"أوده" و"كواليار" و"بيانه" و"جندوار" و"كالبى" ، وهزم "إبراهيم شاه شرقي" أمير جونبور الطامع فى عرش دهلى .

قُتل السلطان مبارك شاه يوم الجمعة ١٩ رجب ٨٣٧ هـ / ١٤٣٤ م قرب دهلي بيد أحد رجاله بعد ثلاث عشرة سنة قضاها فى الحكم ، فإنتقل العرش لولي عهده محمد شاه بن فريد خان الذي تبناه مبارك شاه.

(٢)

محمد شاه

بن خضر خان

٨٣٧ - ٨٤٩ هـ

١٤٣٤ م - ١٤٤٥ م

هو محمد شاه بن فريد خان بن خضر خان تبناه مبارك شاه ؛ اعلى العرش يوم نفس يوم مقتل سلفه مبارك شاه ، تمرد عليه " إبراهيم شاه شرقي" فإمتنع عن دفع الخراج لدهلي ؛ وهاجم "محمود الخلجي" صاحب مالوه دهلي بناء على إستغاثة أهلها من جور سلطانهم فرجع عنها بعدما تصالح معه سلطانها عام ١٤٤١ م ؛ ليعود الى عاصمته مالوه لما هاجمها "أحمد شاه" صاحب "الكجرات" ؛ وأثناء عودته هاجمه "بهلول خان لودهى" ونهب مؤنه وأسلحته .

توفي محمد شاه سنة ٨٤٩ هـ / ١٤٤٥ م بعد عشر سنوات من الحكم ؛ وخلفه ابنه علاء الدين شاه.

(٣)

السلطان

علاء الدين عالم شاه

(١٤٤٥-١٤٥١)

سقوط دولة الساداتية

وقيام دولة اللودهيون

علاء الدين بن محمد شاه بن فريد خان بن خضر خان الملقب شاه عالم أو علاء الدين عالم شاه ؛ آخر حكام دولة السادات اعتملى عرش السلطنة في شوال ٨٤٩ هـ/١٤٤٥م بعد وفاة أبيه محمد شاه ؛ ولم يكن مهتما بالحكم حاول قتل وزيره "حميد خان" فاستنجد الأخير بـ/ بهلول اللودهي الأفغاني حاكم البنجاب الشمالية المستقل الذي سبق له أن استولى على البنجاب من آل سيد ، فتنازل له السلطان علاء الدين عن العرش في ٨٥٥ هـ/١٤٥١م بعد سبع سنوات من الحكم ؛ وبتنحيته زالت دولة السادات بعد أن استمرت ثمانية وثلاثين عاماً ، وقامت دولة اللودهي .

٢٤	فتح قلعة "روهتاك" وفاتحجور، ١٤١٠هـ/١٤١٠م	خضر خان
٢٥	غزوة "تارنول" و"ميوات"، ١٤١١هـ/١٤١١م	خضر خان
٢٦	احتلال "كوتلا" و"ايتاوا"، ١٤٢١هـ/١٤٢١م	خضر خان
٢٧	احتلال "كائيار"، ١٤٢٣هـ/١٤٢٣م	السلطان مبارك شاه
٢٨	احتلال "ميوات"، ١٤٢٤هـ/١٤٢٤م	السلطان مبارك شاه
٢٩	احتلال "بيانا"، ٨٣٠هـ/١٤٢٦م	السلطان مبارك شاه
٣٠	حملة ضد ابراهيم الشرقي، ١٤٢٧هـ/١٤٢٧م	السلطان مبارك شاه
٣١	إخضاع كواليار "وزابري"، ١٤٢٩هـ/١٤٢٩م	السلطان مبارك شاه
٣٢	حملة ضد الشيخ علي، ١٤٣٠هـ/١٤٣٠م	السلطان مبارك شاه

## دولة اللودهيون

## السلطان

بهلول بن كلا بن بهرام لودهي

٨٥٥ - ٨٩٤ هـ /

١٤٥٢ - ١٤٨٩ م

## مؤسس

## دولة اللودهيون

أقام بهلول لودهي دولته في دهلي على أنقاض دولة الساداتية عام ١٤٥١ م

## الصراع مع "جنبور"

## وحلفائهم الراجبوت

سنة ٨٥٦ هـ / ١٤٥٢ م

إصطدم بهلول لودهي بأطماع ملوك شرق سلطنة "جنبور" الممتد لأجيال حول دهلي ؛ فخاض معهم حربا شرسة هم وحلفائهم الراجبوت ؛ وتطور الصراع على النحو التالي :

- حاصر "محمود شرقي" "دهلي" وكادت أن تسقط لكنه انسحب .
- إحتل السلطان "بهلول لودهي" "شمس آباد سنة ٨٦٥ هـ / ١٤٦٠ م بعد قتال ؛ وطرده "جوناهان" ، مندوب ملوك شرقي في حكمها .
- إنتهت بينهم موقعة "سانكونياري" سنة ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م بهدنة .
- حمل "بهلول لودهي" على "كواليور" الهندوسية ، فقبل صاحبها "راجا مان سنك" دفع جزية طائلة بدون حرب .
- إصطدم السلطان اللودهي والسلطان "حسين شرقي" في "موقعة" سيخير " سنة ٨٧٧ هـ / ١٤٧٢ ، وإنتهت بالصلح .
- موقعة "سياره" سنة ٨٧٨ هـ / ١٤٧٣ م ؛ ضد "الراي مال" حاكم هندوسى .
- موقعة "كانوج" سنة ٨٨٧ هـ / ١٤٨٢ ، بين بهلول لودهي وبين السلطان "حسين شاه شرقي" ؛ إستسلم فيها الأخير .

اشتهر بهلول لودهي بالعدل و حسن السيرة ورعاية العلماء ؛ امضى في الحكم نحو سبعة وثلاثين عاماً ، توفي سنة ٨٩٤ هـ / ١٤٨٨ م وتولى ابنه إسكندر نظام خان بن بهلول .

## معارك اللودهيون

الرقم	اسم الواقعة وتاريخ وقوعها	قاتلها
١	حملة دلهي الأولى، ٨٥١هـ/١٤٤٧م	السلطان بهلول لودي
٢	حملة دلهي الثانية، ٨٥٤هـ/١٤٥٠م	السلطان بهلول لودي
٣	مواجهة الشرقيين، ٨٥٦هـ/١٤٥٢م	السلطان بهلول لودي
٤	حملة الملتان، ٨٥٥هـ/١٤٥١م	السلطان بهلول لودي
٥	موقعة شمس آباد، ٨٦٥هـ/١٤٦٠م	السلطان بهلول لودي
٦	موقعة سانبكوناري، ٨٧٤هـ/١٤٦٩م	السلطان بهلول لودي
٧	موقعة سياره، ٨٧٨هـ/١٤٧٣م	السلطان بهلول لودي
٨	موقعة سيخرا، ٨٧٧هـ/١٤٧٢م	السلطان بهلول لودي
٩	موقعة كانوج، السلطان بهلول	السلطان بهلول



٢٦	موقعة "بهنوكان"، السلطان ابراهيم لودي ١٥١٨هـ/١٥٢٣م
٢٧	موقعة "كالي"، السلطان ابراهيم لودي ١٥١٨هـ/١٥٢٤م
٢٨	فتح كواليبور، السلطان ابراهيم لودي ١٥١٨هـ/١٥٢٤م
٢٩	فتح مدينة "بَادال كاره"، السلطان ابراهيم لودي ١٥١٨هـ/١٥٢٤م
٣٠	موقعة "خاتولي"، السلطان ابراهيم لودي ١٥٢٠هـ/١٥٢٦م
٣١	موقعة "جامبهور"، السلطان ابراهيم لودي ١٥٢٠هـ/١٥٢٦م

	دهليور "١٥٠٦هـ/١٥٠١م لودي	
٢٢	موقعة "كواليبور"، السلطان اسكندر لودي ١٥٠٢هـ/١٥٠٨م	
٢٣	موقعة "ماندريل"، السلطان اسكندر لودي ١٥٠٤هـ/١٥١٠م	
٢٤	غزوة "كواليبور"، السلطان اسكندر لودي ١٥٠٥هـ/١٥١١م	
٢٥	فتح "اونت كاره"، السلطان اسكندر لودي ١٥٠٦هـ/١٥١٢م	

(٢)

"اسكندر لودهي "

اسكندر نظام خان

بن بهلول ٨٩٤ - ٩٢٣ هـ

١٤٨٩م - ١٥١٧م

خاض اسكندر لودهي أكثر من ثلاث عشر معركة من بينها معارك العرش وتمرد الحكام ومحاربة ملوك شرق ؛ بلغت حدوده من جبال الهندوس حتى شرق البنغال :

هزم أخيه "عالم خان" الطامع في العرش في كوالبور سنة ٨٩٤هـ/١٤٨٨م ؛ وطارده حتى إستسلمت فلوله في "بايانا" .

إنتصر على الراجبوت في موقعة "كاث - كاره" سنة ٨٩٧هـ/١٤٩١م ؛ و لما هاجموا جانبور وأسروا عامله عليها ؛ حمل عليهم فلما إقتربت حملته اطلقوا سراح عامله وغادروا جانبور.

هزم حسين شاه شرقي " في " موقعة "تشاوند" ٩٠٠هـ/١٤٩٤م الذي فر ؛ وهزم حليفه الهندوسي راي بهند ، "حاكم "ريوا" هزيمة عظيمة مات فيها الراي اثناء هروبه ؛ وإنتقاما لمقتله إنضم إبنه " الراي لآخمي تشاند بهند " الى حسين شاه شرقي الفار في "بينارس" وجها جيش كبير لمحاربة اللودهيين ، فسارع السلطان "اسكندر لودهي " بمهاجمته وهزيمتهم .

غزا " بيهار " سنة ٩٠١هـ/١٤٩٦م وقاتل سلطان البنغال " علاء الدين " و إنتهت المعركة بالصلح .

غزا دهلپور عاصمة الراجبوت سنة ٩٠٦هـ/١٥٠١م للإنتقام من الراجا مانيك ديو لمذابحه ضد للمسلمين ، ففر الراجا وترك " دهلپور " غنيمه لجيش اسكندر لودهي .

بعث " حملة كبيرة لفتح " اونت كاره سنة ٩١٢هـ/١٥٠٦م ، فإستعصت فقاد السلطان الجيش بنفسه و حاصرها فإستسلمت بعد أن قام الراجبوت بالإنتحار في النار حرقا مع أسرهم (جوهيار) ؛ ولما دخل السلطان المدينة أمر بهدم المعابد والاصنام وبنى عليها مساجد .

(٣)

## السلطان

إبراهيم اسكندر لودهي

٩٢٣ - ٩٣٢ هـ

(١٥١٧-١٥٢٦ م)

آخر سلاطين اللودهيين

سقوط دولة اللودهيون

وقيام دولة المغول

كان عهد السلطان إبراهيم قصيرا لم يتجاوز السنوات العشر ؛ خاض فيها ست معارك ؛ كان معظمها ضد " جلال الدين خان " حاكم البنغال المتمرّد الذي إستقل بالإقليم عام ٩٢٣هـ/١٥١٨م وأعلن نفسه سلطانا وتحالف مع الراجبوت ضد اللودهيين في دهلي ؛ وهزمهم السلطان إبراهيم في موقعة " بهونكان " سنة ٩٢٣هـ/١٥١٨م وطارد " جلال الدين خان" حتى مدينة " كالبى" ودمر قلعتها بالمنجنيق ؛ فحاول " جلال الدين " مهاجمة أجرا " عاصمة اللودهيين لكنه لم ينجح فى إحتلالها.

## المطاردة والفتوح

## فتح جوالبور - مالوا - بدلكاره

إستمر السلطان إبراهيم فى مطاردة " جلال الدين خان حتى " جوالبور" التى إعتصم فيها عند حلفائه الراجبوت ، ففتحها وقد عجز اسلافه عن فتحها من قبل ؛ فهرب "جلال الدين " الى " مالوا " ، فاتبعه جيش السلطان وفتحها .

فتح السلطان إبراهيم مدينة" بدلكاره بعد حصار شديدا ، وكان صاحبها الراجا " مان سنك " .

## فتح ميوار

كان "رانا سانجا" حاكم ميوار أقوى حكام الراجبوت آنذاك ؛ قد تمكن من توحيد "الراجبوت"، وهاجم بلاد المسلمين وسيطر على ١٠٠ مدينة لهم وهدم المدارس والمساجد وسبى النساء والأطفال ؛ فوجه السلطان "ابراهيم " حملة الى " ميوار" ، هزمها الراجبوت فى موقعة " خاتولي" سنة ٩٢٦هـ/١٥٢٠م ؛ وقتلوا اعداد كبيرة من جنود السلطان ؛ فهاجم السلطان "رانا سانجا" فى نفس العام للإنتقام لهزيمة جيشه ؛ وإنتصر عليه فى موقعة جامبهير سنة ٩٢٦هـ/١٥٢٠م وفر الراجا .

## الغزو البابري للهند الدولة المغولية الأولى

### مقدمات الغزو البابري للهند

كان بابر أمير فرغانة يطمح لإستعادة ممتلكات جدوده التيموريين فى خراسان والهند ؛ ونظرا لإحتلال صفويوا فارس خراسان ولعدم قدرته على التصادم معهم ، إتجه بابر للتركيز على إسترداد جينآب وخوشآب وجينوت أملاك التيموريين فى الهند فأجتاح حصن بچور عام ٩٢٥ هـ / ١٥١٩م ، وسقط فى القتال ثلاثة آلاف من حامية الحصن قتلى بسبب أسلحة بابر النارية التى لم يرى الدهليون لها مثيلا من قبل ؛ وكانوا فى البداية يسخرون من جنود بابر وهم يشعلونها الى أن انطلقت فأصاب الدهليون الهلع وانتصر بابر؛ لكن رجاله لضيقهم من حر الهند نصحوه بمصالحة سلطان دهلي مقابل الحصول على أملاك أسلافه التيموريين فى الپنجاب والعودة ، فتم الصلح وعاد بابرالى أفغانستان.

### إستجداد أمراء الهند

#### ببأبرلتخليصم من سلطان دهلى

رغم جهود السلطان إبراهيم فى الدفاع عن المسلمين كما تبين من سجل معاركه ؛ إلا أنه كان مستبداً مكروها من النبلاء والعامه ؛ ولما ساءت الأمور فى دهلى بين السلطان والأمراء ؛ إستجد دولت خان اللودهي أمير الپنجاب وعم السلطان ومعه علاء الدين علم خان ، ببأبر وحثوه على غزو الهند لتخليصهم من ابراهيم اللودهي ؛ وفعل نفس الشئ رانا سانجا صاحب ميوار زعيم تحالف إمارات الراجبوت (إنتقاما لهزيمته أمام جيش السلطان إبراهيم اللودهي فى موقعة جامبهير سنة ٩٢٦هـ/١٥٢٠م) وعرض على بابر عند مهاجمته دهلى ؛ أن يقوم هو بمهاجمة آجرا لتشتيت جهد ابراهيم اللودى ؛ ولكنه لم يفى بالوعد عندما وصل بابر الى بانى بت بالقرب من دهلى ، ويبدو أنه أعاد حساباته فتحالف مع أفغان الهند فإعتبر بابر ذلك خيانة للإتفاق .

### معركة بانى بت

أبريل سنة ١٥٢٦ م

#### ( زوال دولة اللودهيين وقيام دولة بابر )

غزا بابرالهند بجيش صغير من ١٣ الى ١٥ الف رجل معظمهم من الخيالة مزودين بـ ٢٤ مدفعا ؛ بينما كان جيش دهلى ضخما يضم ما بين ٣٠ الى ٤٠ الف جندي وعشرات آلاف الأفراد لخدمة المجهود الحربى ومائة فيل ، وتمكن بابر من هزيمة جيش دهلى هزيمة ساحقة فى بانى بت فى أبريل سنة ١٥٢٦ .

كانت المدافع والفيلة أسباب هزيمة دهلي ، فالهند وقتها لم تكن تعرف شيئاً عن هذا السلاح الذي أُرهب دويه جيش دهلي و أفزع فيلته فسحقت في هياجها جنود دهلي ؛ وكانت خسائر دهلي فادحة وفقاً للسيرة الذاتية للإمبراطور "بابور نامة" ؛ فبلغ قتلها ما بين ١٥ الفا إلى ١٦ الفا مقابل ٤ الاف من جنود بابر؛ ومات إبراهيم لودهي في المعركة.

### محاولة التحالف الهندوسي / الأفغاني

#### لطرده بابر من الهند

وبعد دخول بابر دهلي تفاجأ الأمراء بإرتقاؤه عرشها ؛ فاستفزهم ذلك وهم الذين جلبوه نصيراً وليس محتلاً ؛ فأنقسم الأفغان ثلاث شُعب : فريق شايح أمير بهار "جلال الدين بن دريا خان" المتمرد على دهلي ونادوا به سلطاناً .

فريق إستجاب لدعوة رانا سنكا بالإنضمام إلى الراجپوتانا لحرب بابر . قرر محمود لودي ابن إسكندر لودي أخي السلطان الراحل النضال ضد بابر وحشد جيشاً لهذا الغرض . حشد أميران من كبار الأفغان هما "نصير لوحاني" و"معروف فرمولي" أربعون ألفاً واستوليا على قنوج ثم توجهوا إلى أجرا ؛ لإسقاط بابر . حشد الراجپوت قوة ضخمة تتكون من مائة الف جندي.

### "معركة خانوه"

عام ١٥٢٧/هـ ٩٣٣م

إستشعر بابر خطورة الموقف لضخامة قوات أعدائه بالمقارنة بجيشه الصغير من ناحية وتفاقم خطر الراجپوت من ناحية أخرى بعد إستيلاء رانا سنكا على مناطق قريبة من أجرا ؛ فبعث الى همايون يستدعيه للعودة ليسانده ، وكان يُطارده الأفغان في المناطق الشرقية حتى حدود البنغال ؛ وأقام بابر معسكره في سكسرى خارج أجرا في جمادى الأولى من عام ٩٣٣ هـ ؛ وأعد نفسه للجهاد مبتهلاً الى الله طالبا النصر لصعوبة موقفه وأقسم الا يقرب الخمر وأهرق هو وجنوده ما لديهم منها وأمر بتكسير أوانيها المصنوعة من الذهب والفضة وتوزيعها على الفقراء داعياً الله النصر .

قاتل الراجپوت بشراسة لكن الله نصر بابر فتمكن من هزيمة التحالف عند مشارف منطقة راجپوتانا في " خانوه " عام ٩٣٣/هـ ١٥٢٧م ؛ وكانت معركة هائلة تأزم فيها موقف بابر من قوة ضربات الراجپوت وكاد ينهزم ، وبعد نصره الكاسح أمر ظهير الدين بابر بإقامة تلال من جماجم العدو، وأذن المؤذنون من فوقها للصلاة إعلاناً بالنصر ؛ و طارده بابر قوات محمود لودي حتى إقليم بهار في أقصى شرق البنغال ؛ وعقد معاهدة مع حاكمها بالايأوى المتمردين الأفغان.

وبذلك إنتهت دولة اللودهيون ليقوم على أنقاضها دولة بأبرالمغولية

البابريون  
١٥٢٦ - ١٨٥٧  
دولة مغول الهند الأولى

**تمهيد**

لم يكن حكم البائريون (١٩٨) للهند متصلا من الناحية الزمنية ؛ بل تجزأ على مرحلتين ، لكل دولتها بفاصل زمني ١٥ عاما ؛ فدولة باير / همايون (دولة المغول الأولى) دولة قصيرة العمر قضت كل عمرها فى حرب وإنتهى أمرها على يد شير شاه بهزيمته لهمايون الذى فر من الهند ليقضى ١٥ عاما لاجئا فى فارس ، ترك خلالها عرش دهلى لسلالة شير شاه ليقيموا دولة الصوريين الأقصر عمرا بين سلطنات الهند جميعا .

إستردت دولة المغول تواصلها الزمني بعودتها للحياة من جديد فى نسختها الثانية ؛ بعد أن قضى همايون على دولة الصوريين وعودته الى عرش دهلى ، وكان عهده بها قصيرا لم يتجاوز الخمس سنوات قضاها محاربا ليتركها بعد ذلك لإبنه جلال الدين (أكبر) ؛ الذى أمضى نصف قرن تقريبا فى مخاض سياسي و دينى ، ولطول عهده البالغ نصف قرن تقريبا وحجم تأثيره على مستقبل البلاد ؛ يحق لنا أن نعتبره المؤسس الحقيقى لإمبراطورية المغول الزاهرة بالهند فى حقبة تستحق أن ندمغها بإسمه لتأثيرها الضخم على مسيرة الحقبة الإسلامية فى آخر عهدها سلبا أو إيجابا .

يعتبر تاريخ دولة المغول البائريين فصل مختلف فى كثير عما سبقه من فصول تاريخ الحقبة ؛ فهذه الدولة كانت الأعظم فى تاريخ الهند ؛ والأكثر غنا والأعظم حضارة والأقدر عسكريا فهى أقوى دول الأرض فى عصرها وإن كانت فتوحها لا تُضاهى بعظمة فتوح علاء الدين الخلجى وتصديه للجيل الأول من كفار المغول قبل إسلامهم .

لقد نالت سياسات الإمبراطور أكبر رضى الهندوس وكان الأقرب الى قلوبهم ، صاهر طبقتهم العليا (الراجبوت) هو وسلالته على نطاق واسع ؛ ولا يوجد سلطان من سلالته ؛ إلا وتجرى فى عروقه الدماء الهندوسية ، ونجح فى أن يُرسخ إنفتاح الهندوس على هوية المواطنة الهندية للمسلمين .

١٩٨ - تواترت تسمية مغول الهند ما بين المغول التيموريون أو البابريون نسبة لتيمور لئلك جد البابريين الأكبر؛ إنقسم حكم المغول للهند الى فترتين بفاصل زمني ١٥ عاما ؛ كل فترة هى دولة منفصلة عن الأخرى وإن كانت تحت حكم نفس الأسرة لإختلاف توجهات كل منهما ؛ الأولى دولة باير / همايون ؛ وقد إندحرت على يد شير شاه مؤسس سلالة آل صور، وبعد إنقضاء سلالته ودولتهم ؛ عادت دولة باير للحياة من جديد فى دولتها الثانية (حقبة أكبر).

### ويؤخذ على سلالة المغول :

الخضوع لمفاسد ترف الغنى الإمبراطورى الفاحش ؛ فأدمن سلاطينها النساء - الخمر - الأفيون ؛ وكان الأفيون هو الأخطر فقد إنتشر فى تلك الآونة فى إطار خطة غربية قادها الإنجليز بزراعته فى ميانمار لإستخدام عائدات بيعه لسداد قيمة وارداتها من الصين والهند بدلا من الذهب ؛ الذى أنضبته من خزائنها تغطية عجز ميزانها التجارى مع هاتين الدولتين ؛ فأهدر إدمان الأفيون طاقات هذه الشعوب ومهد لإنهيار دولهم.

تجاوز سلاطين المغول المترفون كثير من شروط الإسلام ، فمن أجل المتعة تجاوزوا الحدود القصوى للجمع بين الزوجات ؛ فالسلطان أكبر تزوج ١٢ امرأة حسب الأرقام الموثقة ، بخلاف ما إدعاه المؤرخون مما ملكت أيمن السلاطين وهى أعداد غير معروفة على الأقل بالنسبة للسلطان أكبر ؛ والتى أشاروا الى ضخامتها إذ كان يحتفظ بأكثر من خمسمائة امرأة لخدمة أغراضه الجنسية وهو أمر غير منطقي فليس فى القصر متسع لمثل هذا العدد ، وتابع نهجه نسله من بعده فتزوج ابنه جهانجير ١٢ امرأة .

أصبحت حروب العرش ديدنا معتادا فى دولة المغول وهو نهج لم تسلم منه حقبة المسلمين ؛ فبلغ الأمر أن تأمر الأبناء على الآباء ؛ وتأمر الأخوة على الأشقاء حسدا فصراع همايون وإخوته أضاع دولتهم الأولى ، و وم أجل العرش ثار جهانجير علي أبيه أكبر وأعلن نفسه إمبراطوراً ؛ وصولا لإتهامه بتسميم والده أكبر تعجلا لإعتلاء العرش لما طال بوالده العهد ، ولما إرتقى جهانجير العرش ثار عليه ابنه خسرو على نفس المنوال ، وثار شاهجهان على أبيه ؛ وإقتتل أولاد شاهجهان لسنوات وراح الاف من المسلمين ضحية حروبهم حتى نجح ابنه أورنجزيب فى إعتلاء العرش بعد معارك طاحنة مع إخوته إنتهت بمقتل شقيقه الأكبر دارا شكوه ولى العهد لبيعه عن العرش إنتصارا للإسلام لفساد عقيدته ؛ صحيح كانت هناك حالات من القتال من أجل العروش فى العهود الماضية ولكن ليس على نحو ما حدث فى عهد الدولة المغولية .

أن جميع سلاطين دولة المغول بعد جلال الدين أكبر مولدين هجين يتقاسمون الدماء الهندوسية من أمهات راجبوتات (أميرات هندوسيات) ؛ وقد يكون هذا من أسباب تشويش العقيدة فرسالة الأم التعليمية هامة فى هذا الشأن ، وزاد الطين بلة إنبهار البعض منهم بنهج السلطان أكبر بخلط العقائد ومن هؤلاء خسرو ابن جهانجير و دارا شكوه



ولى عهد شاهجهان (١٩٩)؛ وزاد الأمر تشويشا إنغماس الدولة المغولية الى النخاع في القتال لمد نفوذها في شبه القارة الهندية بكاملها ؛ فلم يجد أبناء سلاطينها وهم أولى أمرها فرصة للإمام بجوهر العقيدة .

أن تراخي معظم سلاطين الأسرة في نشر الإسلام وعدم معاقبة المرتدين ؛ ميع مسألة التمسك بالعقيدة ؛ فارتدت إنديرا كانوار أرملة الإمبراطور محمد فروخ سيار ، بضغط من أبيها بعد موت زوجها السلطان ، وكان أبيها مهراجا أجيت سينغ قد زوجها للسلطان على مضض عام ١٧١٥ بعد إستسلامه لقوات المغول ، وبعد موت السلطان عام ١٧١٩ ، هجرت جناح الحريم الإمبراطوري وعادت إلى والدها في جودبور فأرغمها على التطهر من الإسلام على حد قولهم لتعيش في كنف والدها بقية عمرها . (٢٠٠) .

كما أن إستخدام سلاطين المغول للراجبوت كمسؤولين كبار وقادة في جيش الإمبراطورية دون إعتناقهم الإسلام شكل خطرا على الدولة في بعض الحالات ، فقد عمل بعضهم على تخريب الإمبراطورية ، مثلما فعل هولكار جاي سينغ بعد معركة ماندسور عام ١٧٣٣ عندما حرض باجي راو الأول زعيم ماراا على دهلى بأن الوقت أصبح مناسب لإخضاع إمبراطور المغولي الضعيف محمد شاه .

وتعاقب على حكم دولة المغول بشقيها ٢٠ شاهها وباد شاه (ملكا وإمبراطور) ؛ مُقسمين على دولتين : ولنبدأ بدولة المغول الأولى :

### دولة المغول الأولى بأبّر/همايون

السُلطان	الولادة	العهد	الوفاة	ملاحظات
١- أببّر	١٤٨٣	١٥٢٦-١٥٣٠	١٥٣٠	المؤسس
٢- همايون (فترة أولى)	١٥٠٨	١٥٣٠-١٥٤٠	١٥٥٦	أغتصب شيرشاه حكم الهند منه وحكمت سلالته ( صوري ) ١٥ عاما فقط.

١٩٩ - دارا شكوه ١٠٦٩ - ١٠٢٤هـ / ١٦١٥ - ١٦٥٩ م) هو محمد بن شاه جهان بن جهانگیر بن أكبر بن همايون بن محمد بابرابن عمر شيخ الكورگاني الهندي، الملقب بـ دارا شكوه، كان منحرف العقيدة ، خرج عليه أخوه الأصغر أورنجزيب عالم كير واتهمه بالالحد وأمر باعدامه سنة ١٠٦٩ هـ .

٢٠٠ - يُستثنى من هذا أورنجزيب فقد عمل على نشر الإسلام ؛ معاقبا الملحدين والمهرطقين والمرتدين عن الإسلام ؛ ومثله في ذلك سلطان دهلى فيروز شاه الذي أحرق براهما هندي لتحويله المسلمات للهندوسية

## دولة بابر

١٥٢٦ - ١٥٣٠

هو السلطان الأعظم والخاقان المكرّم ظهير الدّين / مُحَمَّد بابر يادشاه غازي بن عُمر شيخ بن أبي سعيد بن مُحَمَّد بن ميران شاه بن تيمور الكوركاني ( تيمورلنك ) ، يمتد نسبه الى جنكيز خان من ناحية والدته ، تولى عرش فرغانة عام ٨٩٩ هـ / ١٤٩٤ م وهو في الثانية عشرة من عمره ، عاش معظم حياته طريدا مُستهدفا من عماء الطامعين في العرش كما لم يسلم من أخيه جهانگير الذي أثار ضده القلاقل ، ناضل بابر لإسترداد أملاك التيموريين في آسيا الوسطى ثم في الهند ؛ إسترد سمرقند عاصمة جده تيمور لنك ؛ ولكن شيباني خان الأوزبك المغولي إستولى عليها وطارده ؛ ففر بابرالى كابل وغزنة عام ٩١٠ هـ / ١٥٠٤ م وحكمهما بعد وفاة سلطانها دون إراقة دماء.

ولما وقعت الحرب بين إسماعيل الصفوي شاه الفرس و شيباني خان الأوزبك عام ٩١٤ هـ / ١٥٠٨ م ، بسبب تهديدات الأخير لإسماعيل الصفوي بإجتياح فارس إن لم يكف عن إجبار الناس على إعتناق التشيع ؛ إنتصر الفرس على شيباني ودخلوا خراسان بعد مقتله وإرتكبوا مجازر للسكان ، وكان بصحبتهم بابر بزّي الفرس العسكري ما أثار غضب الناس عليه ؛ ويدافع المؤرخ الساداتي عن بابر قائلاً أنه حاول دون جدوى أن يحمل القائد الفارسي على وقف المذابح ، .... ويبدو أن ما لاقاه بابر بسبب هذا الموقف كان من دواعي نُصحه لإبنيه همايون بتجنب الصراع بين السنة والشيعة لأنه من مسببات ضعف الإسلام (٢٠١) .

٢٠١ - تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية - الساداتي... الشيعة مذهب منتشر في الهند ؛ فقد دخلت الإسماعيلية إلى الهند في الربع الأخير من القرن الرابع الهجري ؛ واسسوا إمارة في الملتان ؛ واتخذ سلاطين دهلي موقفا متشددا ضدهم ، منذ عهد السلطان محمود الغزنوي الذي قبض على زعيمهم سنة ٣٩٦ هـ ١٠٠٦ م وادعه السجن حتى مماته ؛ ولكنهم عادوا الى نشر دعوتهم في السند والبنجاب والكجرات ، والإسماعيلية يتفقون مع عموم المسلمين في وحدانية الله ونبوة محمد رسول الله وتنزل القرآن الموحى، وإن كانوا يختلفون معهم في أن القرآن يحمل تأويلا باطنا غير تأويله الظاهر، لذلك نعتهم مناوؤوهم من السنة وكذلك بعض من الشيعة الاثنا عشرية بالباطنية ، طاردهم الغازي محمد الغوري فإغتالوه سنة ٦٠٢ هـ في دامياك على نهر السند ؛ ويشير كتاب " فتوحات شاه فيروز " إلى الرفضة التي لا تعترف بالخلفاء الراشدين الثلاثة الأول ويعدون القرآن من ملحقات عثمان ؛ وفي القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي ظهرت دول الديكان الشيعية بيجابور - أحمد نغر- گولكندا؛ وزاد نفوذ الشيعة في الشمال في أعقاب عودة همايون من إيران الصفوية سنة ١٥٥٥ م مع زيادة هجرة الشيعة من إيران إلى الهند في عهد أكبر شاه ؛ وفي القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي تأسست دول شيعية في مرشد آباد في البنغال وفي اوتار برادش وفي السند، وكان لهذه الدول دور كبير في نشر المذهب الشيعي.

كانت خراسان من أملاك التيموريين جدود بابر و ربما كان هذا مبررا للصفويين لجلبهم بابر معهم في معركة خراسان ؛ ويبدو أنه كان محرصا لهم في غزوها أو أنهم إستغلوه لغزوها لمكانته فيها بإعتبارها من أملاك أسرته لكسب رضا الناس ، بينما كان هو يطمح أن يساعدوه على إستردادها ؛ لكن طموحه تضاعف بعد غزو الفرس خراسان ؛ وإتجه لإسترداج أملاك أسلافه التيموريين في الهند على نحو ما ذكرنا الى أن غزى الهند وإستقر على عرشها .

### السيرة الذاتية لبابر "بابر نامه"

سجل بابر في "بابر نامه" التي كتبها بالتركية سيرته الذاتية بلا حرج ؛ وكان أمينا في عرضه لسيرته فلم يتحرج من ذكر الحقائق حتى المسيئ منها لشخصه ؛ فتحدث عن حُبه للخمر التي كانت تُستحضر له من كابل و عما كان يجري في مجالس شرابه ولهوه ، ويذكر المؤرخون أنه كان مفرطاً في شرب الخمر على عادة أهل زمانه، ويذكر "فريشته" أنه صنع حوضاً من المرمر ملئاً بالخمر يجلس على حافته مع ندمائه يشربون ويتبادلون الشعر، ومع ذلك فقد كان محافظاً على أداء الصلاة والصوم فكان يصوم يوم الجمعة من كل أسبوع وبالطبع في رمضان ، ومما يُسجل له إبتداعه خطأ سمي باسمه كتب به مصحفاً أهداه إلى مكة .

كما تفاخر في سيرته الذاتية عن تصرفاته البربرية كسائر قومه الترك والمغول مع أعدائه ، بإقامة تلال من جماجم أعدائه والأذان عليها ونهب ديارهم وإحراقها مالم يبادروا إلى الاستسلام ، كما تعرض لهزائمه بصراحة تامة.

### قوله في الهندوستان

تحدث عن ثراء الهند فقال "ومن عطايا الهند أنعمنا على ستة رجال من أكابر أفغان... لكل واحد منهم مئة مثقال من الفضة وملابس وجاموس، وأنعمنا على الآخرين بنقود من الفضة وأقمشة وثيران وجاموس كل حسب مكانته"، ويصف تخلفها عند قدمه اليها وهو القادم من منبع حضارة الإسلام فيقول " هندوستان بلد ليس به من المباهج الا القليل ؛ و أهله ينقصهم الظرف ، و يفتقدون جمال الصداقة الاجتماعية ، وليس من خلقهم العطف أو الود الإنساني أو الألفة بين الناس أو أدب في السلوك ؛ لا نبوغ أو سعة في التفكير لديهم ، وتنقصهم القدرة على الإبتكار في التخطيط أو القيام بالإعمال اليدوية وليس لديهم المهارة في العمارة ، ولا خيل عندهم ولا لحم طيب أو فاكهة أو ثلج أو ماء بارد وليس لديهم حمامات أو مدارس أو شموع أو مشاعل أو حتى شمعدانات ، وبدلا من الشعلة أو الشمعة ترى عصابة من الرجال القذرين الذين يسمونهم ديفانى المنبوذين يحملون قطع خشبية بفتيل يشعلونها .... ويوجد في العادة لدى العظماء منهم مائة أو مائتان من الديفانى ... ولا توجد في الهند قناطر أو قنوات ولا يتصف الهنود بالنظام أو الكياسة ،فالفلاحون والعمال يتجولون عراة وليس عليهم

لأنجوتى" إزار" لستر العورة ..... ويتحدث بإعجاب عن ثروة الهند من ذهب وفضة ، ولا حاجة بهم للعمل كما أن التجارة مزدهرة ؛ وفي موضع آخر قال لا خيل عندهم .... أعجبتهم عمارة جوالبور بينما لم تعجبه عمارة دهلي وأجرا (مسلمين) ، وهو ما دعاه لاستحضار مهندسى بناء من تركيا ؛ من تلاميذ سنان الإسطنبولى ليصمموا مبانيه فيقول إستخدمت يوميا ٦٨٠ حجارا لبناء قصورى في أجرا ؛ و١٤٩١ حجارا يوميا للبناء فى سكرى ودهولبور وجوالبور وسكرى وكويل(٢٠٢).

### نظرتة فى حكم الهند (٢٠٣)

وعن رؤيته لنظام الحكم بالهند أوصى ابنه همايون وولى عهده ، بتبنى سياسة تتناسب وأوضاعها بعيدة عن التطرف تتوافق مع تركيبة الهند الشخصية بما يخفف حدة موجبات الصراع مع الهندوس .

### وصية بأبرالى همايون النص

" الحمدُ لله ..؛ وصيةً سريةً من ظهير الدين مُحَمَّد بائِر پادشاه غازي إلى الأمير ناصر الدين مُحَمَّد همايون، أطال الله بقاءه ؛ من أجل استقرار المملكة كتبتُ إليك هذه الوصية:

بُنِي: إنَّ دولة الهند مليئةٌ بالعقائد المُتباينة، والحمدُ لله الحق العليُّ المُجيد أن وهبك مُلكها، وإنَّه لِمِن الصواب أن تُقدِّم بِقَلْبٍ خالٍ من كُلِّ تعصُّبٍ دينيٍّ على نشر العدل تبعًا لعقائد كُلِّ جماعةٍ من الناس، وبوجهٍ خاصٍ أن تمتنع عن ذبح البقر، فإنَّ هذا هو السبيل لامتلاك قُلُوب الشعب في هندُستان، ورعايا مملكتك سيُخلصون لك الإخلاص كُلُّه إن أحسُّوا منك حبًا وعطفًا ؛ ولا تُخرِّب الهياكل وأماكن العبادة للذين تحت حُكمك ، وانشر العدل بين النَّاس ؛ حتَّى يعيشُ الحاكمُ سعيدًا مع رعاياه عليه ويعيشون هم معه سعداء.

إنَّ انتشار الإسلام بالعطف والمحبة خيرا مما أن يتحقق بِسلاح الضغط والاضطهاد ؛ وعليك تجاهل النزاع والتخاصم بين الشيعة والسنة، ففي هذا منبتُ الضعف في الإسلام، وضُمَّ الرعايا من مُختلف العقائد حول الأسس الأربعة بحيثُ يُصبح كيان الدولة مُحصنًا ضدَّ عوامل الضعف المُختلفة.

٢٠٢ - ؛ إستقدم حفيده شاهجهان مهندسين من إيران لبناء خالدة الهند تاج محل .  
٢٠٣ - عُرِفَت هذه الوصية باسم «وصية نامة مخفي»، وأصلها مكتوب بالفارسية، ومحفوظ في المكتبة الحميدية في بوبال، وقد نُشرت لأول مرة في جريدة القرن العشرين التي كانت تصدر في مدينة الله آباد .

وتذكّر أعمال حضرة تيمور صاحب القران والوفاق حتّى تبلغ الرّشد في أمور الحكم، وليس علينا إلاّ النصّح.  
**عُرّة جمادى الأولى سنة ٩٣٥ هـ**"

### إنتهت الوصية

#### عمارة البلاد

بعد إستقرار الوضع عام ٩٣٥هـ/١٥٢٨م بدأ بأبّرفى عمارة البلاد ولما كان لا يرى مهندسين مهرة في الهند كما بين في مذكراته ؛ فقد إستحضر تلاميذ المهندس سنان المعماري العثماني الكبير من القسطنطينية لبناء قصور أجرا ، وكان عملا ضخما طبقا لمذكراته فيقول أنه إستخدم ٦٨٠ حجارا يوميا في عملية البناء في أجرا ، و ١٤٩١ حجارا يوميا في بناء منشآته في المدن الأخرى ، ومن منشآته قصور ومساجد وحمامات ونوافير وخزانات للمياه في أجرا وسيكري وبيانه ودهولپور وگواليار وكول ؛ وبقي منها حتى الوقت الحاضر مساجده الثلاثة في پاني پت وسنبل وحسن اللودهيين في أجرا ، واقام مجموعة من البساتين والحدائق، منها بستان چار باغ في أجرا ، جلب إليه كثيراً من النباتات وأشجار الفاكهة التي لم تكن معروفة في الهند من قبل<sup>(٢٠٤)</sup>.

#### أقوال المؤرخون فيه

ويعتبر الفيلسوف الفرنسي رينان بابر مؤسس دولة من أعظم دول العالم ، ويقول فيه جوستاف لوبون " هذا المقدام الموهوب يُعد من أقوى الفاتحين في العالم ، جمع في شخصه همجية عرقه ومغامرته و رفته ، هذا الجبار سليل جنكيزخان وتيمور لنك سار على سنة اجداده في إقامه تلالا من جماجم اعدائهم (٢٠٥) ، دوخ الهند بجيش من ١٢ الفا ومات وهو ابن خمسين عاما ؛ و تصفه ملاحم البوران الهندوسية المسماة " بهافيشيا پورانا " بأنّه ملك المكيين الشرير ، قد يكون هذا بسبب هدمه معبد ميلاد الإله راما ؛ بينما وصفه نهرو بأنه كان حاكما مثاليا (٢٠٦).

#### وفاته

تدهورت صحة بأبّر نتيجة إدمانه الخمر والأفيون وتوفى سنة ٩٣٧هـ/ ١٥٣٠م في الخمسين من عمره ، وكان عليه التوجه إلى كابل لرد خطر الأوزبك الذي يتهدها .

<sup>٢٠٤</sup> - لتجنب وضع الصور بالبحث رغم أهميتها أنصح بمراجعتها في الويكيبيديا الحرة.

<sup>٢٠٥</sup> - كان بأبّر ينتقد المغول ويقول ان الملائكة تهرب منهم .

<sup>٢٠٦</sup> - ص ٥٠ .

وتوفي ، بعد خمس سنوات قضاها في حكم الهند محاربا وبناءا و كان له أربعة أولاد أكبرهم همايون تنازعوا الملك كعادة الأمراء.

### معارك بابر

١	حملة بابر على الهند "٩١٠هـ/١٥٠٥م"	الإمبراطور بابر
٢	فتح "بھيرا"، ٩٢٥هـ/١٥١٩م	بابر
٣	حملة "لاهور والملتان"، ٩٢٥هـ/١٥١٩م	ظهير الدين بابر
٤	حملة المناطق الشمالية "٩٢٦هـ/١٥٢٠م"	ظهير الدين بابر
٥	فتح قلعة "مياوات"، ٩٣٢هـ/١٥٢٦م	ظهير الدين بابر
٦	موقعة "باني بات"، ٩٣٢هـ/١٥٢٦م	ظهير الدين بابر
٧	فتح مدينة دلهي، ٩٣٢هـ/١٥٢٦م	ظهير الدين بابر
٨	فتح مدينة أكرا، ٩٣٢هـ/١٥٢٦م	ظهير الدين بابر
٩	فتح "جانپور"، ٩٣٢هـ/١٥٢٦م	ظهير الدين بابر
١٠	فتح الملتنان، ٩٣٢هـ/١٥٢٦م	ظهير الدين بابر
١١	فتح "فاتح بور سكري"، ٩٣٣هـ/١٥٢٧م	ظهير الدين بابر
١٢	مواجهات المغول والأفغان، ٩٣٣هـ/١٥٢٧م	ظهير الدين بابر
١٣	موقعة "كانوا"، ٩٣٣هـ/١٥٢٧م	ظهير الدين بابر

## همايون

ولايته الأولى ١٥٣٠ - ١٥٤٠ .  
ولايته الثانية ١٥٥٥ - ١٥٥٦ م

---

### شخصيته

هو السلطانُ الأعظمُ أبو المظفر ميرزا نصيرُ الدين بك مُحَمَّد خان همايون پاد شاه غازي بن مُحَمَّد بائرين عُمر شيخ الكوركاني ، حكم وله من العمر ٢٢ سنة تقريباً ؛ وانقسم عهده الى ولايتين يفصل بينهما ١٥ عاما قضاها لاجئا في إيران بعد أن فقد مُلكه في الهند .

رجل سهل متسامح رقيق القلب حسب وصف أخته جولبدن بيجم ، و زاد المؤرخون حلما نو دين كان سنياً حنفي المذهب قادري الطريقة ، شاعراً شغوفاً بالقراءة فكان يصطحب عند خروجه للقتال بعضا من الكتب لقراءتها ، بارعا في الرياضة والهندسة والفلك متبحر في علم الأسطرلاب .

### من أعماله

- وضع نظام لتحقيق العدل (طبل العدالة) :  
وضع نظاما لتوصيل شكوى المواطنين اليه باستخدام طبل العدل يتعرف المسئول عن نوع الشكوى بعدد الدقات ؛ فدقة واحدة تعنى مشكلة مع شخص ، ودقتين يطلب إنصافا من مسئول وثلاث للإبلاغ عن سرقة و أربع عن حادث قتل.

### المعمار

بنى مسجدا بأجرا على نهر جمنا ؛ ومن أعظم منشأته حصن الدين بانه (مأوى الدين) في دهلي ؛ كان شغوفا بالحدائق ككل سلاطين المغول فأقام حديقة عائمة على سطح النهر و أعجب أعماله الطوف السابق الإشارة اليه وجسر متحرك ، بنى دارا للكتب حشد بها آلاف منها لا يزال مبناها قائما بداهلي حتى اليوم ؛ بدأ فى بناء مرصد فلكى ولكن المنية عاجلته قبل إتمامه ، أوعز لنجاره ببناء طوف من أربعة قوارب ويعلو كل قارب قوس مؤلف من طبقتين تعلوان في الجوّ علوا كبيرا مزودة بالأسواق والحوانيت وكأنها مدينة عائمة ؛ كان يُبحرُ فيها مع خاصته من فيروز آباد إلى أجرا.. ؛ أنشأ مدرسة للتصوير.

### تشيعة وتسامحه مع الهندوسية

أبدى تسامحًا تجاه الهندوسية وغيرها من الديانات تجاوبا مع وصية والده ؛ كان تشيُّعه وهو في إيران عملا سياسياً يستهدف إكتساب ثقة الشاه طهاسب ليساعده في إسترداد ملكه ، ثم تراجع عنها الى السنة بعد رحيلة عن ايران ؛ لكن إقامته الطويلة في إيران ونُفوذ مُستشاره بيرم خان، شيعي المذهب، وزوجته حميده بانو بيگم، شيعية المذهب أيضاً، ساهمت في جلب كثيراً من شيعة إيران والعراق الى الهند لتولي الأعمال الحُكومية.

### حروبه

يُعتبر تاريخه في مجال الحرب سابق لعهدِه منذ أن كان تحت إمرة والده ؛ وتاريخه كله حروبا لم تنقطع حتى وفاته شأنه في ذلك شأن كل سلاطين الهند

### ولاية همايون الأولى

٩٣٧ - ٩٤٦ هـ / ١٥٣١ - ١٥٤٠ م

تولى همايون الحكم لعشر سنوات ؛ وكان عهدُه مضطربا فقد كان عليه أن يواصل معاركه مع الأفغان الد أعداؤه وحلفائهم الراجبوت ؛ فقد حاول محمود إسكندر اللودهي مُهاجمة اجرا بالتعاون مع نصرت شاه سلطان البنغال، وبهادر شاه سلطان الكجرات وشير خان ومعهم راجبوت قلعة كالنجر وميوار ، وكان لهمايون أيضا حلفاء من الراجبوت منهم صاحب جدهيور و رانا براساد وغيرهم .

إستشعر همايون خطر بهادر شاه سلطان الكجرات لتوسعه في كثير من المناطق وإستيلائه على مالوا بمساعدة راجبوت ميوار و شيتور حتى أصبحت اجرا عاصمة المغول في مرمى مدفعيته ، فهاجم همايون قلعة كالنجر الراجبوتية حليفة بهادر شاه سنة ٩٣٧ هـ - ١٥٣١ م ، لكنه اضطر لمصالحة صاحبها براتا برودراديو لقاء مبلغ من المال لمواجهة توسع شير خان ومحمود اللودهي بعد إستيلاء الأول على قلعة جُنار وإستيلاء الثاني على جونفور و أودة .

### معركة داريا

#### التخلص من محمود اللودهي

#### وغزو الكجرات

هزم همايون محمود اللودهي سنة ٩٣٨ هـ / ١٥٣٢ م ؛ ثم حاصر جُنار التابعة لشير خان ؛ لكنه فكَّ الحصار بعد أربعة أشهر وعاد إلى اجرا ليواجه بهادر شاه



صاحب الكجرات الذي توسع في اراض المغول بالتعاون مع ميوار ؛ والذي يحرضه زعماء الأفغان وأمراء المغول المتمردون على إنتزاع العرش من همايون (٢٠٧).

هاجم همايون الكجرات وإستولى على معظم أقاليمها وكذلك مالوة وچمبانير ، ولما إستشعر بهادر شاه الهزيمة دمر مدافعه وفر إلى البرتغاليين في ديو مقر قيادة أسطولهم ؛ فوعده بالمساعدة ومده بمدفعية متطورة فوقع معهم معاهدة باسين سنة ١٥٣٤م تنازل لهم بمقتضاها عن مدن دمان ومومباي وديو وباسين .

ولكن نجاح ثورة عماد المُلْك أحد قادة بهادر شاه الموثوقين على حكم العسكري شقيق همايون حاكم الكجرات مكنته من إستعادة السلطنة ، ولكنه لم يهنأ بعودته الى عرش الكجرات إذ إغتاله البرتغاليون سنة ١٥٣٧م وهو على متن أسطولهم وطرحوا جُثته في بحر العرب لإتصاله بالعثمانيين لمساعدته ضد البرتغاليين .

#### معاركه مع شير شاه

لم يبق في مواجهة همايون إلا شير خان سوري أقوى زعماء الأفغان ، الذي تفاقم خطره بالتوسع في إقليم بهار ١٥٣٦م بالبنغال بعد وفاة نصرت ؛ شاه البلاد دون مقاومة وأرغم خليفته الشاه محمود على دفع الجزية ؛ فتصدى له همايون سنة ١٥٣٧م وإسترد منه غور ورده الى بهار ؛ وأثناء وجود همايون في البنغال حبيسا لسنة شهور بسبب الأمطار الموسمية ؛ سمع بتمرد أخيه هندال ميرزا وأعلان نفسه سلطانا بتحريض من الأفغان ، فحاول همايون مصالحة شير خان متعجلا العودة إلى اجرا لكنه فشل .

#### معركتا جوسا (تشوسا) يونيو ١٥٣٩

وقنوج ١٥٤٠

#### (الهروب من الهند)

حاول همايون العودة الى اجرا عن طريق طويل فهلك كثير من جنده ؛ فباغته شير خان وإنتصر عليه في جوسا بمساعدة راجبوت الأوجاينيا (حكام جونبور) ؛ وكاد أن يموت همايون في المعركة غرقا ؛ لولا أن أنقذه أحد جنوده وساعده على الهرب من ساحة المعركة ؛ فكافأه بأن جعله ملكا ليومين وأمر قادة جيشه بإطاعته وتنفيذ كل رغباته (٢٠٨).

٢٠٧- أسس القائد العثماني مصطفى بن بهرام الرومي سلاح مدفعية بهادر شاه.

٢٠٨- هناك لبس في المراجع حول تفاصيل المعركتين .

تلقب شير خان بعد إنتصاره فى جوسا شيرشاه أى الملك إعلانا لإنفصاله عن الدولة المغولية ، وهزم همايون ثانية هزيمة قاصمة فى قنوج سنة ٩٤٧هـ / ١٥٤٠ م ؛ بجيش تعداده خمسين ألفا أى بنصف تعداد جيش همايون ؛ وحاول همايون مهاجمة بهكر بدعم من ملّ ديو الراجبوتى صاحب جُدھپور لكن همايون علم بسوء نيته بتسليمه الى شير شاه ففر الى عمر كوت عند رانا پراساد الذى وافق على مساعدته فى مهاجمة مدينتيّ ثهته و بهكر ؛ وعند التنفيذ انسحب الراجبوت لخلاف بينهم وبين جيش همايون سنة ١٥٤٢م ؛ ولما سأم أمير بهكر القتال تصالح مع همايون بتزويده بثلاثين قارب وعشرة آلاف مئقال وألفي حمل من الغلة وثلاثمائة جمل ليرحل الى أخيه كامران ميرزا حاكم قندهار ؛ وعند أخيه لم يشعر بالأمان وشك فى تسليمه الى شير شاه ، فترك ابنه جلال الدين وهو فى عامه الأول من العمر فى قندهار ولجأ عند الصفويين فى إيران .

**وبفرار همايون خارج الهند سقطت دولة المغول الأولى ، وقامت دولة شير شاه**

## معارك همايون

	١٥٤١هـ/١٥٤٨م	
٨	حملة مالندو، شير شاه	١٥٤٢هـ/١٥٤٩م
٩	حملة بيهار، شير شاه	١٥٤٣هـ/١٥٥٠م
١٠	حملة الملتان، شير شاه	١٥٤٣هـ/١٥٥٠م
١١	حملة الهند، شير شاه	١٥٤٣هـ/١٥٥٠م
١٢	حملة الراجبوت، شير شاه	١٥٤٤هـ/١٥٥٢م
١٣	موقعة ماتشوراء، همايون	١٥٥٥هـ/١٦٦٣م
	١٥٢٧هـ/١٩٣٣م	بابر
١٤	فتح دواب، ظهير الدين بابر	١٥٢٧هـ/١٩٣٣م
١٥	موقعة تشانديري، ظهير الدين بابر	١٥٢٨هـ/١٩٣٤م
١٦	فتح مدينة لکنهو، ظهير الدين بابر	١٥٢٨هـ/١٩٣٤م

الرقم	اسم الواقعة وتاريخ وقوعها	قائدها
١	حملة الكجرات، ١٥٣٤هـ/١٥٤١م	همايون
٢	موقعة سوراج كاره، ١٥٣٤هـ/١٥٤١م	همايون
٣	حملة بيهار و"البنغال"، ١٥٣٧هـ/١٥٤٤م	همايون
٤	موقعة تشاوسا، ١٥٣٩هـ/١٥٤٦م	همايون وشير شاه
٥	موقعة كنوج، ١٥٤٠هـ/١٥٤٧م	همايون وشير شاه
٦	احتلال بلوتشستان، ١٥٤١هـ/١٥٤٨م	شير شاه
٧	حملة البنغال، ١٥٤١هـ/١٥٤٨م	شير شاه

## دولة الصوريون

السلطان  
شهير شاه الصوري  
(١٥٤٠-١٥٤٥ م)  
الأفغانى  
مؤسس سلالة الصوريون

خلال فترة نفى همايون أقام  
(شهير شاه دولة قصيرة العمر بين ولايتا همايون الأولى والثانية ١٥٤٠ - ١٥٥٥)

## شاهات آل صور

المدة	السلطان
١٥٤٠-١٥٤٥	١- شهير شاه آل صور
١٥٤٥-١٥٥٤	٢- اسلام شاه آل صور
١٥٥٤	٣- فيروز شاه آل صور ( صبى ) قتله خاله وإرتقى العرش
١٥٥٤-١٥٥٥	٤- محمد شاه عادل
١٥٥٥-١٥٥٥	٥- ابراهيم شاه آل صور
١٥٥٥-١٥٥٦	٦- سكندر شاه آل صور

شهير شاه الصورى  
التعريف به

هو فريد خان ؛ كان جده حاكما لأحد المقاطعات ووالده صاحب إقطاع فى بهار ؛ عانى فى صغرة من إهمال والده بتأثير زوجة أبيه الرابعة ؛ فهجر البيت الى جانبور ؛ ولما عاد عهد اليه أبيه بإدارة إحدى مقاطعاته ؛ ثم عمل فى خدمة خان بهار الذى وصفه بشهير خان "الملك النمر أو الأسد" إعجابا بشجاعته لقتله أحد النمر ؛ وبعد خلاف بينهما إنتقل الى خدمة بابر الذى عينه حاكما لعدة مقاطعات منها إقطاع أبيه ؛ وبعد موت خان بها تولى شهير خان الوصاية على ابنه الذى إستعان بحاكم البنغال ليتخلص من سيطرة شهير خان فهزمهما الأخير فى موقعة سورا جرجرة وسيطر على بهار وإستولى على البنغال.

كان أقوى وأخطر زعماء الأفغان المعادين لدولة المغول ؛ تصرف شير خان كحاكم مستقل وتلقب شاها بدلا من خان ، ثم هزم همايون هزيمة قاصمة في قنوج وتابع نشاطه الحربى بسلسلة من الهجمات سيطر فيها على البلاد ؛ فتابع الحرب على الراجبوتانا وكان النصر حليفه فى كل معاركه فكان قائدا عبقرى وإدارىا عظيما وعادلا مع رعاياه بصرف النظر عن عقيدتهم ونظم قوى الأمن الداخلى من الخارجين على القانون فهم الأجر بمقاومة الجرائم ، وكان يعاقب المسؤولين عن الأمن إذا فشلوا فى تعويض المسروق وفى حالة جرائم القتل كان يعدمهم إن لم يتوصلوا للقاتل ؛ وإكتفى بالضرائب الشرعية حتى لا يُرهق الناس والغى الجزية ؛ وأصلح حال الفلاحين ؛ وأقام شبكة من الطرق لأنحاء البلاد وشجرها وأقام بها إستراحات ونظام بريد .

كان شير شاه امبراطورا عظيما و قويا وشهما ، أعاد تنظيم الجيش وتطويره وشق الطرق وشجرها بلغ طول أحد الطرق التى أنشأها ٣ الاف ميل بين البنغال والبنجاب وبنى محطات لراحة المسافرين ، واعداد بناء مدينة باتلى باترا ، وفى تعامله مع شعبه ساوى بين المسلم والهندوسى ؛ وبنى المدارس للفنتين بدون تمييز وخصص رواتب للفقراء والعجزة .

من شهامته فى معركة جوسا ؛ بعد إنتصاره على همايون إستسلمت زوجة همايون لمل لم تجد مفرا من ذلك ؛ ولما رآها بدون حجاب نزل عن فرسه واستقبلها بتبجيل واحترام وهدأ من روعها ذاكرا لها فضل بائر عليه عندما عمل عنده، وأرسلها ومن معها مُكرمين إلى اجرا فى حراسة ابنه ليضمن أمنهن مُشددا عليه أن يقتل كل من تحدته نفسه بالاعتداء عليهن و أن يعمل على راحتهن طول الطريق.

لم تتجاوز فترة حكمه السنوات الخمس ؛ فمات عندما إنفجر فيه مخزن بارود.



مقبرة شیر شاه

شاهی اتالا مسجد





مسجد شیر شاه



لال دروازه - شیر شاه

(٢)  
- السلطان  
سليم شاه آل صور  
١٥٥٥-١٥٤٥

اضطربت أمور سلطنة دلهي عقب وفاة شير شاه سنة ٩٥٢ هـ / ١٥٤٥ م، فقد أهاج ابنه السلطان سليم شاه صوري غضب الأمراء الأفغان منذ بداية حكمه ، فقتل فريقاً وسجن فريقاً وبث جواسيسه في البلاد وارتكب مظالم كثيرة و تصرف في أموال الدولة وفق هواه وعطل السنن الحسنة التي إتبعها أبوه من قبل .

## ٣

## السلطان الصبي فيروز شاه

و خلفه ابنه الصبي فيروز شاه البالغ من العمر اثني عشر سنة ولم يمض على حكمه أياماً قليلة حتى قتله خاله مبارز خان ، ليرقى العرش باسم السلطان محمد عادل شاه .

## ٤

محمد عادل شاه الصوري  
١٥٥٥-١٥٥٤

هو مبارز خان بن نظام خان آل صور، (السلطان محمد عادل شاه الصوري أو عدلي) ؛ رابع حكام سلالة آل صور إغتصب العرش سنة ٩٦١ هـ / ١٥٥٤ م بعد أن قتل إبن أخته السلطان الصبي فيروز شاه البالغ من العمر اثني عشر سنة ، وتلقب مبارز بعد إرتقاؤه العرش بـ / محمد عادل شاه أو عادلي ، وحاول إسترضاء الأمراء ببذل الأموال ؛ ولما كان لاھيا استوزر هيمو البقال هندوسي الأصل إعتنق الإسلام وفوض إليه الأمور لينصرف هو إلى ملاحيه ؛ فنشبت الثورات وكان أخطر المتمردين إسكندر شاه خصمه ومن سلالته (الصوري) فقد تمكن من الإستيلاء على ما بين السند ونهر الكنج بما فيها أجرا وأصبحت سيطرته محصورة بين بيانه و گواليار فدفع وزيره هيمو لإستعادة ما خسره.



الفوضى فى دهلى  
عودة همايون الى حكم الهند  
ولاية همايون الثانية

١٥٥٥ - ١٥٥٦ م

همايون يتربقب الأوضاع

فى كابل ودهلى

بعد مقتل شير شاه نتيجة إصابته فى انفجار مخزنٍ للذخيرة ، أثناء حصاره قلعة كالنجر سنة ٩٥٢ هـ / ١٥٤٥ م اضطربت الأحوال فى الهند فى عهد محمد عادل شاه رابع حكام السلالة ، ولما تفاقم الأمر سنة ٩٦١ هـ / ١٥٥٤ م ، وأصبحت البلاد بعد فترة قصيرة تحت حكم ثلاثة سلاطين :

- السلطان محمد عادل الصوري يحكم أجرا ومالوة وجونفور .
  - الثائر إسكندر شاه الصوري الخطير فى دهلى والبنجاب.
  - إبراهيم شاه الصوري فى المنطقة الممتدة من بيانه إلى جوالبور . ،
- إنتهز همايون الفرصة لاسترداد عرشه وأمدّه الشاه طهماسب بأربعة عشر ألف جندي ومعهم ابنه مُراد خان ليستولى على أفغانستان من أخيه كامران مقابل أن يُسلم قندهار الى ابنه مراد (٢٠٩).

إسترداد كابل

وخلال حصار قندهار إختلف مُراد خان مع همايون ، فأقتحم همايون المدينة وتعهّد لمُراد خان بتسليمها له بعد الإستيلاء على كابل ؛ و فى قندهار تقوى همايون بإنضمام كثيرٍ من جُند أخيه كامران فأستولى على كابل التى فر منها أخيه الى السند فقبض عليه حاكمها وسلمه الى همايون فسلم عينيه ليضمن حرمانه من العودة للحكم ثمَّ أرسله إلى مكّة بناءً على طلبه حيث مات؛ وجاءته الفرصة للتخلص من بقية إخوته لما قبض على أخيه العسكري فنفاه الى الحجاز لكنه مات فى الطريق إليها ؛ وكان شقيقه الأصغر هندال ميرزا سبق أن قُتل فى معاركه مع أخيه كامران ، وبذلك تخلص همايون من شر إخوته الذين تأمروا عليه فى ولايته الأولى .

<sup>٢٠٩</sup> - يُقال أن الشاه طهماسب الأوّل حصل من همايون على ماسة كوهى نور ( وتعنى جبل النور بالفارسية) مقابل دعم حملته على قندهار ، وهذه الماسة وقعت فى يد همايون بعد إنتصار بابر على إبراهيم لودهى وكانت فى عهدة بكرماجيت راجا (ملك ) جوالبور الهندوسى الذى تصادف وجوده وقت الهزيمة فى دهلى ؛ فعدها همايون من بين الغنائم التى حصدها من كنوز سلطان اللودهيين الهائلة فى أجرا ، فقسم همايون كنوز أجرا بين الجنود وأرسل البعض الى سمرقند وخراسان ومكة والمدينة ، واحتفظ والده لنفسه بنسبة كبيرة من هذه الكنوز ومن بينها كوهى نور ، وكان الألماس شيئا نادرا لا تجده فى غير الهند المصدر الوحيد آنذاك للماس والأحجار الكريمة فى عالم ذاك الزمان ، وقيمة الماسة حسبما ذكره بابر توازى إطعام العالم ليومين ونصف .

### إسترداد الهند

وبعد الإستقرار فى كابل ؛ بدأ همايون فى إستعادة مُلكه فى الهند فدخل لاهور عام ٩٦٢ هـ/ ١٥٥٥ م دون مقاومة وهزم إسكندر شاه فى سرهند ودخل دهلي ليسترد عرشه ليبدأ ولايته الثانية فى حكم الهند ٩٦٢ - ٩٦٣ هـ (١٥٥٥م - ١٥٥٦م) ، وكانت ولاية قصيرة .

### أهم زوجاته :

**بگة بيگم :** زوجته الأولى وابنة عمه (خُراسانيّة) ؛ وهى التى بنت من مالها الخاص ضريحه ، أنجبت له ابنه الأوّل أمان ميرزا الذى تُوفى وهو رضيع ، كانت مُقربّة من جلال الدين أكبر ابن ضرّتها وكان يعتبرها أمّه الثانية ؛ كانت تحب أن تُلقب بالحاجّة بيگم بعد حجها سنة ١٥٦٧م ، وتُوفيت فى دهلي سنة ١٥٨٢م ودُفنت بجانب زوجها.

**حميدة بانو بيگم :** زوجته الثانية فارسيّة شيعيّة ابنة الشيخ علي أكبر الجامي تزوّجها همايون سنة ٩٤٨ هـ / ١٥٤١ م ، ولدت له وليّ عهده جلال الدين أكبر .

**ماه چوچك بيگم :** زوجة همايون الثالثة، تزوّجها سنة ١٥٤٦م أنجبت مُحمّد حكيم ميرزا وفروخ فال ميرزا؛ وأربع بنات .

### كُنوار بيبي : أنجبت ابنة .

زواج همايون من نساءٍ أخريات هُنَّ: خنيشة آغا، وميوه جان، وشاد بيبي، وچاند بيبي. ومن أولاده الآخرين :إبراهيم سلطان ميرزا، وعقيقة سلطان بيگم، وجهان سلطان بيگم.

### وفاته وضريحه

مات همايون سنة ٩٦٣ هـ/سنة ١٥٥٦ م وعمره واحد وخمسين ؛ عندما انزلق على سلالم مكتبته فى دهلي ، وكانت وفاته بعد فترة قصيرة من ولايته الثانية ١٥٥٥ - ١٥٥٦م تتجاوز العامين حسب التواريخ المدرجة لفترة حكمه ؛ بينما تزيد بعض المصادر الى خمس أعوام تقريبا ، ونميل للأخذ بفترة الخمس سنوات فالمصادر تُشير الى أنه إقتبس الكثير من الحرفيّات والفُنون الفارسيّة فى مجال العمارة والنقش ونقلها إلى الهند ، وفترة عامين غير كافية لتحقيق ذلك بقدر ما تتيحه فترة الخمس سنوات .

دُفن همايون فى دهلي وعند غزو هيمو البقال دهلي نُقلت رُفاته إلى سرهند فى البنجاب خوفا من أن ينبش قبره ؛ وبعد ١٤ سنة على وفاته رغبت زوجته الأولى بگة بيگم أن تُقيم له ضريحاً يُماثلُ ضريح جده الأكبر تيمور لَنك فى سمرقند الذى دائما ما



### ضريح همايون

كان همايون يفخر بالإنساب إليه ، فلما لم يستجب أكبر قامت بعد عودتها من الحج ببناء الضريح من مالها الخاص في فاتحبور سيكري بالقرب من قبر المُتصوِّف نظام الدين على نهر جمنا تبركا بالمكان الذي يُقيم فيه مُتصوِّفة دلهي حلقات الذكر ، وكلفت المُهندس الفارسي مُحَمَّد بن ميرك غيَّاتُ الدين ببناء الضريح وإنتهى العملُ به سنة ١٥٧٢ م ، وقد تكلف أكثر من مليون ونصف مليون روبية ، ويُحيط بالضريح حدائق وكان أباطرة المغول مغرمون بإنشاء الحدائق.

### معارك همايون في الولايتين


الرقم	اسم الواقعة وتاريخ وقوعها	قاتلها
٨	حملة ماوندو، ١٥٤١هـ/١٥٤١م	شير شاه
٩	حملة تيهار، ١٥٤٣هـ/١٥٤٣م	شير شاه
١٠	حملة القلعة، ١٥٤٣هـ/١٥٤٣م	شير شاه
١١	حملة السند، ١٥٤٣هـ/١٥٤٣م	شير شاه
١٢	حملة الراجسوت، ١٥٤٤هـ/١٥٤٤م	شير شاه
١٣	موقعة ماوندو، ١٥٥٥هـ/١٥٥٥م	همايون

الرقم	اسم الواقعة وتاريخ وقوعها	قاتلها
١	حملة لكهنؤ، ١٥٣٤هـ/١٥٣٤م	همايون
٢	موقعة سوراج كاره، ١٥٣٤هـ/١٥٣٤م	همايون
٣	حملة تيهار وبنغال، ١٥٣٧هـ/١٥٣٧م	همايون
٤	موقعة تشانوسا، ١٥٣٩هـ/١٥٣٩م	همايون وشير شاه
٥	موقعة كنجوج، ١٥٤٠هـ/١٥٤٠م	همايون وشير شاه
٦	احتلال بلوتستان، ١٥٤١هـ/١٥٤١م	شير شاه
٧	حملة البنغال، ١٥٤١هـ/١٥٤١م	شير شاه

دولة المغول الثانية - حقبة أكبر

٢- همايون (فترة ثانية )	١٥٠٨	١٥٥٤-١٥٥٦	١٥٥٦	بعد أن استعاد حكم دهلي من آل صور
٣- جلال الدين أكبر	١٥٤٢	١٦٠٥-١٥٥٦	١٦٠٥	صاحب دين الهى
٤- جهانجير (جهانجير)	١٥٦٩	١٦٢٧-١٦٠٥	١٦٢٧	بدأ عهده بالغاء دين الهى ولكنه أبقى بعض مظاهر عهد والده كالسجود عند مقابلته
٥- شاهجهان	١٥٩٢	١٦٢٧-١٦٥٨	١٦٦٦	صاحب الأثر الخالد "تاج محل" إحدى عجائب الدنيا السبع للقرن ٢١ (٢١٠) .
٦- أورنجزيب عالم كير	١٦١٨	١٦٥٨-١٧٠٧	١٧٠٧	هو من غطى ظل الإسلام فى عهده معظم شبه القارة الهندية فى سابقة لم تحدث
٧- بهادر شاه الأول	١٦٤٣	١٧٠٧-١٧١٢	١٧١٢	
٨- جهان دار شاه	١٦٦٤	١٧١٢-١٧١٣	١٧١٣	
٩- جلال الدين محمد فرخ سير	١٦٨٣	١٧١٣-١٧١٩	١٧١٩	
١٠- شمس الدين رفيع لدرجات	١٦٩٩	١٧١٩	١٧١٩	
١١- شاهجهان الثاني	١٦٩٦	١٧١٩	١٧١٩	
١٢- نيك سير محمد	١٦٧٩	١٧١٩	١٧٤٣	
١٣- ظاهر الدين محمد إبراهيم	١٧٠٣	١٧٢٠	١٧٤٤	
١٤- ناصر الدين محمد شاه	١٧٠٢	١٧٢٠-١٧٤٨	١٧٤٨	بعد هزيمة جيشه فى كارنال عام ١٧٣٩ غزا نادر شاه إمبراطور إيران دهلي وجردها من كنوزها.
١٥- أحمد شاه بهادر	١٧٢٥	١٧٤٨-١٧٥٤	١٧٧٥	
١٦- عالمكير الثاني	١٦٩٩	١٧٥٤-١٧٥٩	١٧٥٩	فى عهده إحتل أحمد الدراني إمبراطور أفغانستان دهلي عام ١٧٥٧ وتركها نهبا لجيشه لأكثر من شهر.
١٧- شاهجهان الثالث	١٧١١	١٧٥٩	١٧٧٢	
١٨- شاه عالم الثاني	١٧٢٨	١٧٥٩-١٨٠٦	١٨٠٦	
١٩- أكبر شاه الثاني	١٧٦٠	١٨٠٦-١٨٣٧	١٨٣٧	
٢٠- محمد بهادر شاه	١٧٧٥	١٨٣٧-١٨٥٧	١٨٦٢	آخر حكام المغول البابريين ؛ كان رمزا لوحدة الهند إختاروه المسلمون والهندوس لقيادة ثورة الهند العظمى ، خلعه الإنجليز وأهانوه وذبحوا أولاده ونفوه بعدما تم لهم السيطرة على الهند

٢١٠ - وهو ابن أكبر من جودا (مريم زمانى) ، تمرد على والده وحاربه وأعلن نفسه سلطانا مستقلا فى دولة آباد ثم تمرد مرة أخرى فى نهاية عهد أكبر ؛ فاضطر أكبر لمصالحته خوفا من ضياع ملكه بعد موت إخوته الذكور بسبب إدمان الخمر والأفيون ، يتردد أنه لما طال العهد بوالده سممه (أكبر) تعجلا للوصول الى العرش ؛ أسلمت والدته جودا وأدت فريضة الحج وبنى لها جهانجير مسجدا صممه بنفسها ، ولما ماتت (بعد موت أكبر بعشرين سنة) ؛ دفنها جهانجير طبقا لشريعة الإسلام .




مكان الدفن	نهاية العهد <sup>[1]</sup>	بداية العهد <sup>[1]</sup>	رسم	الحاكم <sup>[1]</sup>	٦
	26 ديسمبر 1530م.	30 أبريل 1526م.		طهير الدين محمد باير <sup>[2]</sup> (١)	1
	17 مايو 1540م. 27 يناير 1556م.	26 ديسمبر 1530م. 22 فبراير 1555م.		نصير الدين محمد همايون بن باير <sup>[3]</sup> (ب)	2
فترة حكم الصوريين من 1540م حتى 1555م.					
	27 أكتوبر 1605م.	27 يناير 1556م.		أبو الفتح جلال الدين محمد أكبر بن همايون <sup>[4]</sup>	3
	8 نوفمبر 1627م.	15 أكتوبر 1605م.		أبو المظفر نور الدين محمد جهانكير بن محمد أكبر <sup>[5]</sup>	4
—	30 ديسمبر 1627م.	12 نوفمبر 1627م.		دوار بخش بن خسرو بن جهانكير <sup>[5]</sup>	
	8 مارس 1658م.	30 ديسمبر 1627م.		شهاب الدين شاه جهان خسرو بن جهانكير	5
حكم أبناء شاه جهان بعد وفاته إمارات متفرقة					
	1661م.	1658م.		مراد بخش بن شاه جهان <sup>[6]</sup>	
	١٦٥٨م	١٦٥٨م		شهاب الدين شاه جهان خسرو بن جهانكير	
حكم أبناء شاه جهان بعد وفاته إمارات متفرقة					
				شهاب الدين شاه جهان خسرو بن جهانكير	

				شاه عالم بھادر	
	<u>11 يناير 1713 م.</u>	<u>27 فبراير 1712 م.</u>		أبو الفتح معز الدين محمد جهان دار شاه عالم بھادر <sup>[11]</sup>	8
	<u>11 يناير 1719 م.</u>	<u>28 فبراير 1713 م.</u>		أبو المطهر جلال الدين محمد فرخ سير بن محمد عظيم <sup>[12]</sup>	9
	<u>6 يونيو 1719 م.</u>	<u>28 فبراير 1719 م.</u>		أبو البركات شمس الدين رفيع الدرجات بن رفيع الشان بن شاه عالم بھادر <sup>[12]</sup>	10
	<u>13 أغسطس 1719 م.</u>	<u>18 مايو 1719 م.</u>		نیک سیر محمد بن محمد أكبر بن أورنگزیب <sup>[12]</sup>	
	<u>19 سبتمبر 1719 م.</u>	<u>6 يونيو 1719 م.</u>		رفيع الدولة محمد شاه جهان الثاني بن رفيع الشان بن شاه عالم بھادر <sup>[12]</sup>	11
	<u>13 نوفمبر 1720 م.</u>	<u>17 أكتوبر 1720 م.</u>		طاهر الدين أبو الفتح محمد إبراهيم بن رافع الشان بن شاه عالم بھادر <sup>[12]</sup>	



	<p>26 أبريل 1748م.</p>	<p>27 سبتمبر 1719م.</p>		<p>أبو الفتح روشن اختر ناصر الدين محمد شاه بن جهان شاه بن شاه عالم بهادر<sup>[12]</sup></p>	<p>12</p>
<p>دلهي</p>	<p>2 يونيو 1754م.</p>	<p>26 أبريل 1748م.</p>		<p>أبو النصر مجاهد الدين أحمد شاه بهادر بن محمد شاه<sup>[12]</sup></p>	<p>13</p>
	<p>29 نوفمبر 1759م.</p>	<p>2 يونيو 1754م.</p>		<p>عزيز الدين أبو العدل محمد عالمكبر الثاني بن جهاندار بن شاه عالم بهادر<sup>[13]</sup></p>	<p>14</p>
<p>—</p>	<p>10 أكتوبر 1760م.</p>	<p>10 ديسمبر 1759م.</p>		<p>محي الدين شاه جهان الثالث بن محي الدين محمد بن كام بخش بن أورنگزيب<sup>[13]</sup></p>	<p>15</p>
	<p>16 أكتوبر 1788م. 19 نوفمبر 1806م.</p>	<p>24 ديسمبر 1759م. 29 أغسطس 1788م.</p>		<p>أبو المطهر جلال الدين محمد شاه عالم الثاني بن عالمكبر الثاني<sup>[13]</sup></p>	<p>16</p>
<p>—</p>	<p>16 أكتوبر 1788م.</p>	<p>29 أغسطس 1788م.</p>		<p>بیدار بخت محمد بن أحمد شاه بهادر<sup>[13]</sup></p>	<p>17</p>
<p>—</p>	<p>28 سبتمبر 1837م.</p>	<p>19 نوفمبر 1806م.</p>	<p>—</p>	<p>أبو النصر معين الدين محمد أكبر</p>	<p>17</p>



				شاه عالم الثاني 1414
داغون- ياهون- بورما	14 سبتمبر 1857 م.	12 سبتمبر 1837 م.		18 أبو المظفر سراج الدين محمد بهادر شاه الثاني بن محمد أكبر الثاني 1313

### ويهمنا من هؤلاء :

#### - جهانجير

١٦٠٥ - ١٦٢٧

وهو ابن أكبر من جودا اكبر (مريم زمانى) ، تمرد على والده وحاربه وأعلن نفسه سلطانا مستقلا في دولة أباد ثم تمرد مرة أخرى في نهاية عهد أكبر الذى صالحه خوفا على ضياع ملكه ، وبتردد أنه لما طال العهد بوالده أكبر سممه تعجلا للوصول الى العرش ؛ أسلمت والدته جودا وأدت فريضة الحج وبنى لها جهانجير مسجدا ، ولما ماتت بعد أبيه أكبر بعشرين سنة ؛ دفنها طبقا لمناسك المسلمين ؛ بدأ عهده بالغاء دين الهى الذى اخترعه والده أكبر ولكنه أبقى على بعض مظاهره كالسجود عند مقابلته .

جعل الأردنية لغة رسمية للبلاد وعمل على نشرها وفرض التخاطب بها .

#### - شاهجهان

١٦٢٧ - ١٦٥٨

كان مقاتلا صلبا وعماد معظم حملات أبيه العسكرية وسمحا محبا ، بلغت الإمبراطورية في عهده قمة مجدها ، فكانت أغنى الإمبراطوريات وأقواها ؛ تمثلت عظمتها في آثارها المعمارية ؛ فهو صاحب الأثر الخالد "تاج محل" إحدى عجائب الدنيا السبع ؛ بناه السلطان تخليدا لحبه لزوجته ممتاز محل ؛ وهو من بنى الحصن الأحمر في دلهي والمسجد الجامع المقابل لسكنه على شاطئ نهر جمنا في سنة ١٠٤٧ هـ الموافقة لسنة ١٦٣٧ م، وبني سوره من الحجارة الحمراء، واشتمل على أقسامٍ متعدّدة لسكن السلطان ونسائه وحاشيته وجنوده ومجلسه الخاص والعام، واستقرّ فيه، واشتمل أيضًا على مسجدٍ يُعدُّ تحفةً في عالم البناء، ويُسمّى مسجد اللؤلؤة) بالأردنية موتى مسجد وهو مبنيٌّ من الرُّخام الأبيض الخالص .

أمّا المسجد الجامع لدلهي فهو أفخم مسجدٍ بناه السلطان في الهند كلّها، وهو يقومُ على مرفع من الأرض، وهو أيضًا مكشوفٌ في قسمٍ كبيرٍ منه، وفي وسطه حوضٌ كبيرٌ للوضوء، والجزء الغربي منه مسقوفٌ، يقوم على أعمدة ضخمة، أرضه من المرمر الأبيض الناصع، ويتجلى على جدرانها وأعمدتها الفن الرفيع والمجهود الجبار الذي بُذل في تحليته. أمر شاهجهان ببناء هذا المسجد في سنة ١٠٦٠ هـ الموافقة لسنة ١٦٥٠ م، واستغرق بناؤه ست سنوات، وتنافس أمراء الأطراف والأقاليم في إرساله أحجار المرمر لبنائه، وافتتحه شاهجهان بصلاة عيد الفطر.

أما تاج محل فهو دُرّة المُنشآت المعماريّة التي أمر شاهجهان بإقامتها، ومن روائع العمارة الإسلاميّة في العالم، وقد أعدّه السلطان لِتُدفن فيه زوجته المحبوبة أرجمند بانو بيگم الشهيرة بِمُمتاز محل. وكانت قد دُفنت بدايةً في بلدة «زين آباد» ثُمَّ نُقلت رُفاتها بعد سنّة أشهرٍ إلى أكبرآباد في ضواحي أجرا على شاطئ نهر جمنة، وبنى على قبرها هذا الأثر، ثُمَّ دُفن هو بجوارها بعد وفاته، وسُمّيت المقبرة بِاسمها على اعتبار أنّها كانت «صاحبة التاج»، أي سُلطانة البلاد؛ يتألّف الضريح من بناءٍ مرمريّ أبيض يقوم على شُرْفَةٍ عالية، تعلوه قَبّة ضخمة في وسطه وتُحيط به أربع قباب أصغر حجمًا، وترتفع عند زوايا الشُرْفة أربع مآذن دقيقة مكسوّة بالمرمر الأبيض، ارتفاع كلّ منها يزيد عن أربعين مترًا، وتبلغ مساحة الضريح نحو سبعة عشر هكتارًا، وقطر القَبّة الداخلي ثمانية وخمسون قدمًا. ويخترق ضوء النهار ستارًا مُزدوجًا من الرُخام المشغول، فتسقط أشعته على قبرين تحت القَبّة تمامًا، لِلسلطان وزوجته. أما الزخارف الداخليّة المُطعمّة بأحجارٍ نفيسة، فتمتاز بِالوانها الزاهية ورُسومها الأخاذة ونُقوش الآيات والسور القرآنيّة.

وقد كُتب على قبر السُلطانة مرقد منور ارجمندبانو بيگم مخاطب به ممتاز محل متوفى سنه ١٠٤٠ ق وتعريبه المرقد المُنوّر لأرجمند بانو بيگم المعروفة بِمُمتاز محل تُوفيت سنة ١٠٤٠ قمرية؛ وجيء بِالمرمر الذي استعمل في تشييد هذا المعلم من أماكن مُختلفة أهمها مكران التابعة لِجايפור، حيثُ قدّمه الأمراء والحُكّام هديّةً لِلسلطان. وأنفق السلطان على عمليّة البناء ما يُوازي مائتيّ وعشرين كرور روبيّة، أي ما يُوازي ثلاثمئة وعشرين مليون روبيّة، واستغرق بناؤه اثنتين وعشرين سنة، وعمل فيه اثنان وعشرون ألف عامل. وخارج الضريح حديقة فسيحة الأرجاء مُزيّنة ومُنسّقة وفُوق النمط المغولي، تُزيّنها أشجار السرو الباسقة وتكسو أرضها الخُضرة اللبانة وتجري خلالها المياه الهادئة.

### القحط والمجاعة

لم يفرغ شاهجهان من القلاقل السياسيّة مع البشر؛ إلا لِتُواجه محن الطبيعة الغالبة على الهند؛ فإجتاح القحط البلاد في السنة الرابعة من حُكمه بسبب انقطاع الرياح الموسميّة؛ دامت المجاعة الفترة ١٦٣٠ - ١٦٣٢ م، وكانت الكُجرات والديكان أكثر البلاد تضررا، حتّى باع الناس أولادهم من الإملاق وطعموا الجيف الناس، وصار أصحاب الحوانيت يبيعون لحم الكلاب والطحين المخلوط بالعظام المطحونة، وكثيرًا ما سُدّت الطُرق بأجداث الموتى، وأشار تقرير شركة الهند الشرقية الهولنديّة الى موت قرابة ٧,٤ ملايين نسمة من سُكّان دولة المغول؛ منهم نحو ثلاثة ملايين شخص من أهل الكُجرات (أكتوبر) ١٦٣١م، ومليون آخرين قضاوا في البلاد الداخليّة ضمن أعمال أحمد نگر؛ وازداد الوضع سوءًا بانتشار الأوبئة.

بذل شاهجهان جُهدًا كبيرة لإغاثة الناس فأمدّهم بالمؤن وأقام المطاعم المجانيّة لهم، وأعفاهم من أغلب الضرائب المفروضة عليهم.

### - أورنجزيب

١٦٥٨ - ١٧٠٧

هو المحارب المجاهد المُظفر، قاد معظم حملات أبيه في أرجاء الهند وأفغانستان، شغل نفسه بمحاربة الإلحاد والهرطقة التي شجعت تطبيقات أكبر على تفاقمها حتى بين بعضا من سلالاته

، و وقع فى برائتها دارا شكوه ولى العهد وشقيق أورنجزيب ؛ فإضطر الى قتاله حتى لا يُعيد بعث هرطقة أكبر من جديد وأعدمه لتطهير الإسلام من كفره ؛ قاتل ماراثا والسيخ .

- محمد بهادر شاه

١٨٣٧ - ١٨٥٧

آخر سلاطين دولة المغول

وبذلك إنطوت صفحة حكم المسلمين للهند بإستثناء سلطنة حيدر اباد بالديكان المتحالفة مع الإنجليز .

## ثانياً المخاض الدينى

•السيخية ؛ من حركة الى إمبراطورية  
•أكبر والإنتقال على الإسلام

### العقيدة

#### أساس التوتر الداخلى

كانت العقيدة هى نقطة التوتر الأصيلة بين المسلمين والهندوس ، فمنذ الفتح والحكام المسلمون يروجون بقوة للإسلام ؛ فهدموا المعابد وحطموا أصنام الآلهة وأهدروا قدسية البقر ، وعاند الهندوس الحكام المسلمين على نحو مماثل فى دينهم "الإسلام" ؛ وتحول الأمر الى مواجهة بين عقيدة الغالب وعقيدة المغلوب ؛ وزاد الأمر تعقيدا إرتباط الإسلام فى ذهن الهندوس بشخص الغزاة وممارساتهم المتشددة فى الحكم.

ولما فرض الأمر الواقع والمصالح المشتركة على المسلمين والهندوس أن يتعايشا ، وبلغ الأمر مداه بتمازج الثقافات والأعراق ؛ بقيت تعقيدات إزدواجية البيئة والهوية قائمة فى المكنون النفسى لذوى الجينات المشتركة فى ظل المتناقضات الأبدية بين الإسلام والهندوسية ، فتصدى الذين أهمهم هذا الموضوع من فلاسفة الصوفية فى الجانبين لمحاولة حل هذه المعضلة بحل وسط يقوم على إسباغ فكرة التوحيد الإسلامى على الإله الهندوسى راما على أساس أن الجوهر الروحاني (الإله) أيا كان إسمه الله أو راما أو براهما غير محصور فى دين بذاته ، وعالجوا بعض جوانب الهندوسية المظلمة بنزعة إصلاحية برفض النظام الطبقي الهندوسى و تحرير المرأة من قيود الهندوسية التعيسة بتحريم زواج الأرملة وإعدامها التطوعى حرقا مع رفات زوجها الى آخره ؛ وتبنى هذا الفكر فى القرن الرابع عشر الكاهن الهندوسى " رافيداس " الذى إعتبره أتباعه "سات جورو" (مقدساً) ونبياً ، وشايعه من المسلمين شاعر الغناء الصوفى كابير (كبير) الهندى المسلم ذو الجينات المشتركة .

### توحيدية كابير

وُلد كابير أعظم شعراء الغناء فى الهند الوسيطة ؛ لأب مسلم وأم براهمية (طائفة رجال الدين الهندوس) عام ١٣٩٨ فى بنارس بشمال الهند ، أثر أدبه بشكل كبير على حركات المتصوفة الدينية من الجانبين المسلم والهندوسى ، ويقوم فكره على بناء عقيدة لا يكون فيها من الآلهة إلا إله واحد وجعل الإله "راما" إله عالمى ؛ ومحتوى إبتهالاته يوضح جوانب عقيدته فيقول " يا إلهي سواء كنت "رام" أو "الله" فأنا أحيا بقوة اسمك ، فألهة الوثنية لا خير فيها ، لا تنطق إذ ما ناديتها " ؛ و عن تفاصيل عقيدته يقول " فلا معابد ولا مساجد فيها ولا ختان ولا أوثنان ولا عبادات ؛ ماذا يجديك أن تمضمض فاك أو أن تسبح بمسبحتك أو أن تستحم فى مجاري المياه

المقدسة ، وأن تركع في المعابد وتتمتم بصلاتك ، أو تذهب إلى الحج بينما قلبك ملئ بالخداع".

### الإلحاد

وهناك طائفة كبيرة من الملاحدة (اللادينيين) ؛ لفظوا فكرة الإيمان ليتحرروا من قيود الدين ، وهناك حالة يهودى أرمني مهاجر الى الهند الحد و هو الشاعر سرمد كاشاني أعدمه السلطان البابري أورنجزيب عام ١٦٦١ بتهمة الهرطقة<sup>(٢١١)</sup>.

وتمخض المخاض الديني عن نماذج جمعت بين الدين و السياسة

- السيخية ... بدأت روحانية ثم إنقلبت سياسيا.
- دين الهى ... بدأ سياسيا ليتحول دينيا.

### لنتعرض لهما فيما يلي :

<sup>٢١١</sup> - هو شاعر صوفى وتاجر يهودى أرمنى يتحدث الفارسية والعربية وكتب بهما أشعاره خاصة الفارسية ، هاجر الى الهند ثم أعلن الحاده وبدأ يتجول في الشوارع عاريا تماما وكان على علاقة شاذة بصبي هندي ، وكان قريبا من الأمير داراشكوه ابن شاهجهان ووريث العرش المفترض، وكان معجبا به ويزوره في القصر وكان الأمير يعد نفسه من تلاميذه ، ويقول في شعره أنه من اتباع الفرقان (أي الصوفية)، وليس يهوديا ولا مسلما ولا هندوسيا ، فهو كلهم فس كاثوليكي، وراهب بوذي، و حاخام يهودي، كافر، ومسلم ؛ حوكم في عهد أورنجزيب بتهمة الهرطقة ، وردا على تساؤل الإمبراطور لماذا يردد فقط "لا إله" من دون أن يكمل مقطعها التالي "إلا الله" أجاب بأنه "ما زال مستغرقا في الجانب السلبي ولا يستطيع الكذب؟ فختم أورنجزيب حكم الإعدام ؛ ويقول علي خان رازي مؤرخ محكمة أورنجزيب أنه القى بعض أشعاره الصوفية وهو علي منصة الإعدام.

(١)  
السيخية  
من حركة دينية الى إمبراطورية

- إتحاد السيخ ١٧١٦-١٧٩٩ م  
- امبراطورية السيخ ١٨٠١-١٨٤٩ م

### ميلاد السيخية

كانت البنجاب ذات الأغلبية المسلمة محلا للمخاض الدينى طوال تاريخها ؛ فهي موطن إمارة الملتان العربية وإمارة المنصورة ذواتا العقائد الإلحادية ؛ واللتين طارد السلطان محمود الغزنوى امرائهما لإلحادهما ؛ وكانت تعيش هذه الحالة من المخاض مع كل دورة تداول حكمها بين المسلمون والهندوس ؛ تعرض وقتها ناناك ديف (١٤٦٩ - ١٥٣٩ م) المواطن البنجابى لبلبله فهو لم يؤمن بالهندوسية ، عقيدة اسرته منذ طفولته ؛ وتعرف على الإسلام بحكم إنتشار المسلمين من حوله فى مختلف مناحى الحياة ومن عمله عند مسئول أفغانى ، وكان لديه صديق مسلم يدعى " مردانا " .

ونتيجة تفاعل العقائد لدى ناناك ديف قام بجولة روحانية مع صديق مسلم فى شبه القارة الهندية للتعرف على عقائدها شملت التبت ونيبال وسريلانكا؛ إستتبعها بجولة فى العالم الإسلامى للتعرف على الإسلام زار خلالها أفغانستان وإيران و مكة والمدينة والقدس النجف وكربلاء ومكث فترة فى بغداد ؛ توطدت فيها علاقته بمتصوفتها ، وإستغرقت جولاته ٢٤ سنة قطع فيها ٤٠ ألف كيلومتر مشياً على الأقدام ؛ ومما يُذكر أن السيخ يحجون الى محل إقامته فى بغداد حتى اليوم.

خرج ناناك من جولاته بنتيجة وسط بين الهندوسية والإسلام ؛ لا هو هذا ولا هو ذاك فدمج بعضا من هذا وبعضا من ذاك ؛ فأخذ من الإسلام الإيمان بوحداية الإله باعتباره الحقيقة المطلقة ؛ وأخذ ناناك من الهندوسية تناسخ الأرواح (إحلال الروح بعد الممات فى أجساد أحياء) ؛ مع تقديس البقر .

وتبنى ناناك من الإسلام فكرة الجماعة والإمامة والخلافة ، ولكن بمفهوم مختلف ينحصر فى تخليد روح المؤسس ناناك فقط كمرشد أبدى يُطلق عليه "جورو" أى المعلم فهو مصدر الوحي عبر الأجيال والعصور طالما تنتقل روحه بين سلسلة خلفائه

(جوروات) يتداولون الخلافة في سلسلة يحددها الجورو فيمن يخلفه لتحل فيه روح ناناك ؛ ويتم الأخذ بهذا التقليد إسوة بما فعله ناناك عند موته لما أوصى بخلافة الحركة من بعده الى تلميذه " أنجاد " ؛ وطبقا لهذا المبدأ تداول الخلافة من بعد ناناك تسعة جورو آخرهم جوبيند سينغ الذي مات عام ١٧٠٨، وبعد موته لم يعد هناك محل للخلافة فقد إنتهى العمل بها الى الأبد ؛ لرفضه أن يُحدد من تحل فيه روح ناناك ، وكأنه إقتبس من الإسلام لا نبي بعدى ، فإنقطعت سلسلة الخلافة والوحي والتجديد في العقيدة ؛ وبذلك إنتهت الخلافة ومعها القيادة الروحية للشيخ لتؤول القيادة الى قيادة مدنية تعمل على أساس مدنى بحت تولت بناء الدولة وانضم العديد من المسلمين والهندوس إلي ناناك لإعجابهم بتعاليمه<sup>(٢١٢)</sup>.

### ظلال الإسلام في السيخية

تجلت إقتباسات أخرى للسيخية من الإسلام يؤشر عنها وجود كثير من الألفاظ العربية والفارسية في نصوص السيخية المقدسة مثل الله - آدم - رحمن - سبحان - عزرائيل - مسجد - مكة - موسى - نعمة ، ويسمى الشيخ كتابهم المقدس " جرانت صاحب " الكتاب الكريم " تشبها بتسمية المسلمين للقرآن بالكريم ، ؛ و رغم ما يتردد عن عداء قديم بين المسلمين والسيخ نتيجة معاناه الشيخ في عهد الدولة المغولية من إضطهاد ؛ إلا أن السيخ في عهدهم الأول كانت علاقتهم وطيدة مع العديد من صوفية المسلمين ؛ فكانوا يجلبون الإمام الهندي فريد الدين مسعود شكر و إتخذوا قبره مزارا ، ومن بين متعلقات ناناك الشخصية خرقة منقوشة بأيات من القرآن محفوظة في متحف " تشولا صاحب " .

### ناناك وخلفاؤه التسع (الجورو):

ترتيب	الجورو	الميلاد	الوفاة
المؤسس	ناناك	١٤٦٩	١٥٣٩
الأول	أنجاد	١٥٠٤	١٥٥٢
الثاني	أمار داس	١٤٧٩	١٥٧٤
الثالث	رام داس	١٥٣٤	١٥٨١
الرابع	أرجون	١٥٦٣	١٦٠٦
الخامس	هارجوفيند	١٥٩٥	١٦٤٤
السادس	هار راي	١٦٣٠	١٦٦١
السابع	هاركريشان	١٦٥٦	١٦٦٤
الثامن	تاج بهادر	١٦٢١	١٦٧٥
التاسع	جوبيند سينغ	١٦٦٦	١٧٠٨

<sup>٢١٢</sup> - سيخ تعنى المريد - والجورو تعنى المعلم .

### و لكل جورو بصمته على فلسفة الحركة :

الجورو الأول أنجاد ، انشغل بتدوين تعاليم وسيرة ناناك مؤسس السيخية الراحل ، و ركز على التأكيد على وحدانية الإله ، وقبيل وفاته عام ١٥٥٢م إختار أمار داس الستيني ليخلفه كمعلم .

ابتدع الجورو الثانى أمار داس أعيادا وطقوسا للشيخ ، فحرم الزواج بأكثر من واحدة وحرم بعض العادات الهندوسية ؛ فحرم الساتى (التضحية بالزوجة حرقا مع جثمان زوجها) وأباح زواج الأرامل ؛ وأشرك غير الشيخ فى ولائهم بالمعابد وأسس هيئة لجمع المال ؛ وأغضب تحريمه بعض العادات الهندوسية الهندوس ، وحاولوا الدس عليه عند الإمبراطور المغولى " أكبر " ؛ لكنهم لم يفلحوا فى الوقية بينهم لعلاقته الطيبه بهم والتي بمقتضاها أهداهم " أكبر " أرضا لبناء مدينة الشيخ المقدسة ويتردد أنه زار الجورو بمقره تكريما له ، ودفعت تلك العلاقة حركة التبشير السيخية فى الهند فانضم اليها كثير من المنبوذين الهندوس والمسلمين ، وقبل وفاته عام ١٥٧٤م ، عهد بالخلافة إلى زوج ابنته رام داس.

أرجون ديف الجورو الرابع (ابن رام داس) ، ألف أول كتب الشيخ " أدى جرانت " و ضمنه بعض جوانب الملة ؛ ألغى تقديس الجورو ووأكد على عدم الوهيته فالله لا يتجسد فى السيخية ، وقام بتجميع ترانيم المعلمين السابقين فى الكتاب المقدس .

حرم الرهينة لوجوب السعي لكسب الرزق ؛ عكس رهينة الهندوسية التى تقوم على الإنقطاع للعبادة وترك العمل ؛ وأكد على المساواة بين الأعراق على مختلف الوانهم وعدم وجود شعب مفضل عند الله دون الشعوب الأخرى ، و المساواة بين الرجل والمرأة فى المعاملات والمواريث ؛ وأحل أكل اللحوم ؛ وفرض على الشيخ دفع عُشر دخل الفرد للحركة.

### علاقة الجورو بالدولة

لم تشكل الحركة فى بدايتها وقبل خلافة الجورو ارجون اى تهديد أو خطورة على الدولة ؛ بل كانت علاقة الشيخ بالدولة مزدهرة فى عهد جلال الدين أكبر؛ عكستها زيارته للجورو فى مقره وسمح له بالتبشير بالسيخية على أوسع نطاق وأقطعه أرضا لبناء مدينة الشيخ المقدسة .

ولكن الحال إنقلب فى عهد الإمبراطور جهانجير ابن أكبر ؛ عندما تجاوز أرجون ديف حدود الزعامة الروحية ليتبنى موقفا سياسيا بتجرؤه على التدخل فى الشأن الإمبراطورى بتأييده الأمير المغولى الشاهزاده خسرو (ولى العهد ذو العقيدة المنحرفة) المتمرد فى حربه على والده الإمبراطور جهانجير ومدته بالمال والسلاح والمقاتلين ؛



وزاد الطين بلة ؛ مبايعة الجورو للأمير إمبراطورا لما أعلن الأمير نفسه إمبراطورا في حياة والده ، فإعتبر الإمبراطور ذلك خيانة عظمى من جانب الجورو .

فالموضوع متجذر الحساسية عند الإمبراطور منذ أن كان هو نفسه وليا للعهد في حياة أبيه أكبر ؛ وكان بالقصر تيار يحاول أن يقطع أكبر بترشيح خسرو للعرش بدلا من أبيه جهانجير ، فلما تولى جهانجير العرش وضع خسرو قيد الإقامة الجبرية بقلعة أجرا لكن الأخير تمكن من الفرار سنة ١٠١٤هـ/١٦٠٦م إلى الپنجاب ومعه ثلاثمائة وخمسون من رجاله ، واستطاع بمساعدة بعض حكام الأقاليم وجورو أرجون أن يكون جيشا من اثني عشر ألف جندي وقام بمحاصرة لاهور ، وما إن علم جهانجير بذلك حتى أرسل جيشا لقتاله ثم أقبل عليه بنفسه وأسره وسجنه (٢١٣) .

ونكل جهانجير بالجورو أرجون وبالمقاتلين الشيخ الذين حاربوا الدولة في صفوف ابنه المتمرد ؛ وخيرهم بين التخلي عن السبخية وإعتناق الإسلام ليعفوا عنهم أو الإعدام ؛ ورفض إفتداء الجورو بكنوز من المال ورفض شفاعة الصوفى المسلم / مان مير اللاهورى صديق الجورو ؛ وانتهى الأمر بإعدام الجورو سنة ١٦٠٦ بعد تعذيبه ؛ وكان الجورو قبيل إعدامه بعث لإبنه وخليفته / جورو هارجوبيند يوصيه بحمل السلاح ضد المغول قائلا "التقوى لا بد أن تساندها القوة " ؛ ومنذ ذاك الوقت تبنى الشيخ نهج القوة (٢١٤).

وأعدم جهانجير سبعمائته منهم على الخوازيق فى شوارع لاهور ؛ ويعكس سرور جهانجير الذى أعرب عنه فى مذكراته وهو يراقبهم وهم يلفظون أنفاسهم الأخيرة ، مدى حساسية الموضوع بالنسبة له ؛ كما أن إصراره على رفض العفو عن الجورو ؛ قد تأسس على رصيد ممتد من الكراهية منذ عقود قبل أن يساند تمرد خسرو ؛ فيقول جهانجير فى مذكراته "ترك نى جهانجيرى" " لقد إنجذب لهذا الشخص وتعاليمه كثير من الهندوس السذج بل ومن المسلمين البلهاء ، وكان الناس يأتون اليه من كل مكان لمدة ٤ أجيال ، وكنت أفكر أن أضع حدا لهذا الوضع أو يعتنق الجورو الإسلام " (٢١٥) ؛ وأجج كراهية جهانجير للجورو ليس فقط مده خسرو بالسلاح والمال والمقاتلين ، وإنما تطاوله على الذات الإمبراطورية فقد إنتقد جهانجير بمرارة إعلان الجورو البيعة لخسرو سلطانا فى حياة الإمبراطور (جهانجير) بوضع الزعفران على جبينه .

٢١٣ - تمكن الشاهزاده خسرو وهو فى السجن ، من استمالة نفرا من حراسه ليتآمروا معه على قتل الإمبراطور جهانجير ، فلما علم جهانجير أمر بقتل المتآمرين ، وسمل عينا ابنه الذى بقي فى محبسه حتى مات سنة ١٠٣١هـ/١٦٢٢م.

٢١٤ - قالت بعض المصادر أن جورو هار راي قدم رعاية طبية للأمير دارا شيكوه عندما سممه عملاء المغول ، بينما تقول مصادر مغولية أنه قدم أشكال أخرى من الدعم للأمير .

وعموما كانت علاقة الجورو أرجون طيبة بصوفية المسلمين حتى أنه إستدعى الصوفى المسلم ميان مير لوضع حجر الأساس لمعبد السيخ الذهبى ؛ Harimandar Sahib - معبد هاريماندار صاحب الذى أتم بناؤه فى أغسطس ، و ميان مير اللاهورى هو الذى تشفع عن جهانجير ليطلق سراحه فرفض .

### الجورو الخامس هارجوبيند

١٥٩٥ - ١٦٤٤

#### القتال ضد الإمبراطورية

خلف أرجون ديف أباه (هارجوبيند) تحدوه الرغبة فى الثأر لمقتل والده فأخذ فى دولة الحركة بما يوحى بأنه ليس فقط زعيما روحيا بل سياسيا أيضا فبنى اكال تخت Akal Takht كمقر للسلطتين الروحية والديوية و استقبل هارجوبيند المبعوثين الأجانب وهو يجلس على هيكل يشبه العرش فى تحدى للإمبراطور ؛ ويُعرف هذا التحول فى فلسفة السيخ باسم نظام ميرى بيرى ؛ وزاد هارجوبيند من وتيرة عسكرة الحركة فبنى قلعة وأغار على ممتلكات الدولة ؛ فطارده المغول حتى تمكن الإمبراطور جهانجير من إعتقاله ثم أطلق سراحه ؛ فجدد نشاطه العسكرى ضد الدولة فى عهدى الإمبراطورين شاهجهان وأورنجزيب ما أدى الى مطاردته ففر الى الهيمالايا حتى وفاته.

### الجورو السابع هار راي ١٦٣٠-١٦٦١

#### واستمرار مناضحة الدولة

خلف هارجوبيند حفيده هار راي فى منصب الجورو ؛ و إنغمس هو أيضا على نحو ما فعله جورو أرجون ديف ؛ فى التدخل فى نزاع الأسرة الإمبراطورية على العرش بعد موت الإمبراطور شاهجهان ؛ بمساندته صديقه الأمير المغولي المنحرف العقيدة دارا شكوه الإبن الأكبر للإمبراطور الراحل شاهجهان وولى عهده فى حروب الأخوة أبناء الإمبراطور ضد أخيه أورنجزيب فى حرب وراثه العرش ؛ وبعد إنتصار أورنجزيب وأصبح إمبراطورا إستدعى عام ١٦٦٠ الجورو هار راي لمساءلته عن آية فى نص السيخ المقدس تُسئ للإسلام فإمتنع وأرسل ابنه الأكبر رام راي للرد على طلبات الإمبراطور ، فحاول الإبن إمتصاص غضب الإمبراطور وإعتذر عن ذلك الخطأ فى التدوين فغضب عليه والده وحرمه من خلافته ورشح ابنه الأصغر هار كريشان لخلافته جورو.

### الجورو التاسع تجه بهادر ١٦٢١-١٦٧٥

أنهى تجه بهادر جولته فى أرجاء الهند وعاد ليتولى منصب الجورو ويستمر فى محاربة الدولة وتوسع فى جنوب وشرق الهند، وبعد هزيمته قبض عليه أورنجزيب وأعدمه عام ١٦٧٥م بتهمة ارتكاب فظائع ضد المسلمين .

## الجورو العاشر جوبيند سنغ (جوفيند سنغ)

١٧٠٨-١٦٦٦

### نظام فروسية الخالصة

خلف جوبيند سنغ والده تجة بهادر في منصب الجورو ؛ فقام بشن حملات على الدولة إنتقاما لمقتل والده إرتكب فيها مذابح للمسلمين ؛ و لثقته في قوته هاجم إمارات الراجبوت فتصدوا له بجيش عظيم تغلب عليهم بجيشه الصغير ؛ فإستجدوا بالإمبراطور أورنجزيب فارسلا جيشا لنجدتهم فأرتكب قائده وزير خان حماقة قتل فيها طفلى جوبيند سينغ البالغين من العمر ٦ و ٩ سنوات وأمه ؛ فرد الجورو على الإمبراطور بتحد مههدا بأنه "سيشعل ناراً تحت حافر خيلك و لن أدعك تشرب أبدا من ماء البنجاب " ، وبعد سجال مع المغول إنهزم الجورو وفر الى ضيعة صغيرة وتفرغ للوعظ والتأليف فى هدنة إختيارية إستمرت اثنا عشر عاما ، فتركه الإمبراطور فى سلام .

وخلال تلك الفترة وضع جوبند سنغ نظاما للفروسية " الخالصة " عام ١٦٩٩ وهى مليشيا بمعنى أصح ؛ وتقوم عقيدة الخالصة على مقاومة الظلم والاستبداد الذى يتعرض له الشيخ بالقوة ؛ ووضع شروط الخالصة الخمس المعروفة بـ "الكافات الخمس" أى التى تبدأ بحرف كاف وهى :

- ١- كاش: عدم قص الشعر أينما كان موضعه بالجسد.
  - ٢- كرا: ارتداء الرجال سوار حديدي أسوة بالصوفية.
  - ٣- كنجبا: وضع مشط فى شعر الرأس لتصفيفه وقاية من الحشرات.
  - ٤- كجا: ارتداء الرجال سراويل قصيرة.
  - ٥- كريان: حمل حربة أو خنجر للدفاع عن النفس.
- ومن هنا تبنى الشيخ عقيدة الحرب ..دفاعا عن النفس .

### الحكم المدنى

وبعد رحيل أورنجزيب عام ١٧٠٧ ؛ تفجرت حرب وراثة العرش بين أبناءه ؛ ساند جوبيند سنغ الأمير بهادر شاه الأول (١٧٠٧-١٧١٢) الذى تربطه علاقة طيبة بالشيخ وأمه بمقاتلين لمحاربه الراجبوت ، ولما وصل بهادر شاه الأول للعرش رد الجميل لـ/ جوبيند سنغ بتعيينه حاكما على البنجاب مركز الشيخ ، لكنه لم يتمكن من تولى المنصب لإغتياله بيد خادمه الأفغانى وهو فى الطريق الى البنجاب عام ١٧٠٨ ، ورفض وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة إختيار خليفة لتحل فيه روح ناناك بما يعنى نهاية سلسلة الإحلال ومعها نهاية الخلافة الروحية وطلب من الشيخ اللوذ بحمى الله ، وهنا كان من الضرورى أن يقود الشيخ حكم مدنى فتقدم " بندا " لقيادة الشيخ .

### بندا وفضائه

قاد بندا بهادر الشيخ الى العنف وتزامن توليه القيادة مع ثورة فلاحين مالوا ضد الإقطاع عام ١٧٠٩ وخربوا فيها سونبيات ، فشارك الشيخ في الثورة ودمروا مدينة سامانا وقتلوا الناس حتى إمتلأت الشوارع بالآلاف الجثث ؛ ويصف طلبة خراسان بالمدينة المشهد بقولهم " كان تدمير المدينة مأسويا وفضيعا ليس له مثيلا من الوحشية التي فاقت الخيال ، ولم ينجو من المجازر إلا من أعلن إيمانه بالسيخية" .

وخرب بندا كل ما في طريقه حتى سرهند مقر حاكم الإقليم المغولى وزير خان قاتل اسرة الغورو الراحل وهزمه ودخل المدينة عام ١٧١٠ ، وجرت مذبحه للمسلمين وقتلوا المتعاونين معهم من الهندوس ؛ وأحرق الشيخ المساجد وأرغموا سكان المناطق المجاورة فيما بين جمنا وستلج على إعتناق السيخية وتحول عدد كبير من الأهالى إلى السيخية تجنبًا للموت .

### إنضمام الرعاة الى الثورة

حاصر الشيخ سهارنبور؛ ومات من المسلمين أعداد كبيرة في الدفاع عن المدينة قبل سقوطها ، وإنضم رعاة سهارنبور الى ثورة الفلاحين ضد كبار الملاك ، وتمددت الثورة الى مناطق كثيرة وإستولوا على كثير من المدن والقرى وخضعت البنجاب للشيخ عدا لاهور وكسورالتين أفلتتا بفضل مساندة الفلاحين المسلمين لقوات المغول ، لكنهم إنقلبوا بعد برهة الى جانب الثورة.

### بندا بين النصر والهزيمة

ولما هاجم الفلاحون لاهور من جديد أعلن الإمبراطور التعبئة العامة ودعا الراجبوت لمساعدته فهزم جيش الفلاحين في أمين جر عام ١٧١٠ وإستعاد كثير من الأراضى ؛ فهرب بندا الى الجبال وتابعه جيش المغول في قتال عنيف وحصروه في القلعة لكنه هرب ليلا ليحشد جيشا من جديد ، هزم به المغول في سهول البنجاب قرب جامو عام ١٧١١ .

مات الإمبراطور بهادر شاه الأول عام ١٧١٢ وبدأت حرب وراثه العرش المعتادة وبعدها حاصرت جيوش الإمبراطور جهاندار شاه قوات بندا لثمانية شهور؛ ولكن الأمبراطور رفع الحصار بسبب ثورة ابن أخيه الأمير فروخ سيار الذى نجح فى إرتقاء العرش ؛ وواجه جيشه قوات الشيخ فتراجع بندا .

## الإمبراطور فاروخ (فاروق) سيار

### هزيمة السيخ وإعدام بندا بهادر

أرسل الإمبراطور فاروخ سيار عام ١٧١٥ جيشا من ٢٠ ألف جندي تمكن من هزيمة الفلاحين قرب باتالا وهرب بندا فحاصره المغول في جورداسبور ، وبعد ثمانية أشهر استسلم بندا ومعه ٢٠٠ من المتمردين لنفاد الذخيرة ؛ وُضع بندا في قفص حديدي وأُقتيد الى دهلي و معه ٧٨٠ أسيرا مُقيدين بالسلاسل وضم الموكب ٢٠٠٠ رأس لقتلى معلقة على أسنة الرماح و ٧٠٠ عربية محملة برؤوس قتلى السيخ فى مشهد قُصد به إرهاب الناس ، و فى دهلي أعدم الإمبراطور المغولي كل من رفض إعتناق الإسلام ، وأعدم بندا في ١٩ يونيو ١٧١٦ بعد ثلاثة أشهر من التعذيب اقتلعت فيه عيناه وقطعت أطرافه وسلخ جلده قبل إعدامه .

## الإمبراطور أحمد ثراني

### الصراع مع إتحاد السيخ

إحتل الإمبراطور أحمد الدرني الأفغانى الهند عام ١٧٥٧ في عهد امبراطور المغول عزيز الدين عالم كير وترك دهلي نهبا لجيشه لأكثر من شهر ، وكان عليه أن يحتك بالقوى المحلية الأخرى السيخ - و- ماراا ، و دخل فى صراع طويل مع السيخ فى البنجاب التى حكمها ابنه ؛ وتبادل الطرفان السيادة على لاهور عدة مرات بين عامى ١٧٤٨ الى ١٧٦٦ ، هزم خلالها الإمبراطور أحمد الدرني السيخ هزيمة كبيرة عام في البنجاب عام ١٧٦٢، وإرتكبت قواته مذبة بينهم قبل عودته الى أفغانستان ؛ فعاد السيخ للتمرد بعد عامين وإستولوا على لاهور ولم يكن أحمد الدرني فى حالة تسمح له بالعودة الى الهند وهو فى نهاية العمر لإستعادة البنجاب قبل موته عام ١٧٧٣ .

## المهراج رنجيت سينغ

### صناعة إمبراطورية السيخ

١٧٣٣ - ١٨٤٩

لم تكن أحلام السيخ فى تكوين كيان مستقل كبيرة / كبر أحلام ماراا القومية ؛ لإختلاف طبيعة كل منهما فالسيخ جماعة دينية صغيرة تتركز فى البنجاب وليس لهم إنتشار واسع فى شبه القارة ، فإنحصر طموحهم فى الإستقلال بالبنجاب ؛ وكان رانجيت سينغ أداتهم فى ذلك فهو سليل عائلة عريقة مقاتلة أفقده الجدري إبصار عينه اليسرى وهو رضيع ، أسس جده شارات سينغ جوجرانوالا عاصمة السيخ عام ١٧٦٣ ، خاض رنجيت المعارك بجانب والده وهو فى سن العاشرة ؛ إتهموه بالقسوة حتى أنه سم والدته والبعض ينفى ويتهمه بسجنها .

كان الوضع في البنجاب آنذاك مهترئ ، فالشيخ غير موحدين ومنقسمين على ١٢ كيانا عسكريا ترسخت لديهم روح الإستقلال لطول فترة حكمها الذاتى منذ عام ١٧٦٢؛ بدأ رانجيت سينغ توحيد هذه الكيانات ففتح لاهور عام ١٧٩٩ وجعلها عاصمته ؛ و وحد كيانات الشيخ وتم تتويجه في ١٢ أبريل ١٨٠١ مهراجا البنجاب وتلقب أسد البنجاب ؛ وضم ملتان وبيشاور وكشمير ، وانتصر على الشاه محمد إسماعيل الدهلوي المعروف بـ "إسماعيل الشهيد" في "بالاكوت" عام ١٨٣١ ؛ وعند غزوه جمروود عام ١٨٣٧ تكبد الشيخ خسائر فادحة أمام الدورانيين عند ممر خيبر .

### مناصب قيادية للمسلمين

#### في البلاط والجيش

منح رانجيت سينغ بعض المسلمين مناصب قيادية في السلطة العليا ؛ من أبرزهم ثلاثة إخوة من أسرة فقير قَدِموا الى لاهور بعد الإستيلاء عليها عام ١٧٩٩؛ مع والدهم طبيب العيون لعلاج المهراجا ، وهم أيضا من ذوى المعرفة الطبية ، فأصبحوا من أوثق مساعدى رانجيت سينغ المقربين ؛ فاتخذ رانجيت سينغ منهم مستشارين و وزراء ؛ فعين عزيز الدين فقير مترجما شخصا له ووزيرا للخارجية ، و عزيز هو من نصح المهراجا فى أزمة الحدود السيخية / الإنجليزية عام ١٨٠٨ بعدم اللجوء للحرب والتفاوض مع الإنجليز ، وهو أيضا من فاوض الإمبراطور الأفغانى دوست محمد خان أثناء محاولته الفاشلة استعادة بيشاور، وكان يعتنى بالمهراجا فى أيامه الأخيرة بعد إصابته بسكتة دماغية.

أما نور الدين فقير فقد شغل منصب وزير الداخلية والطبيب الشخصي للمهراجا ، بينما عمل الأخ الثالث إمام الدين فقير مسؤولا رئيسيا فى إدارة المهراجا.

وكان فى قيادة الجيش جنرالات مسلمون بجانب الشيخ والهندوس منهم إلهي بخش وميان غاوس خان ، كما إنضمت الى الخدمة فى الجيش عائلة ميرزا غلام التى إبتدعت الأحمدية وأسدوا له خدمات كبيرة فى كشمير التى استولى عليها عام ١٨١٩ .

وفوق هذا كله كانت إحدى زوجات رنجيت التسع مسلمة هى مهرا .

### منغصات الشيخ للمسلمين

#### وظائف الشيخ فى قاديان

#### (معقل أسرة ميرزا - زعيم الأحمدية )

ومع هذا كان هناك تمييز ضد المسلمين من قبل الأقلية السيخية الحاكمة ، ويُستشف هذا من بعض الإجراءات التى إتخذتها حكومة رنجيت لضمان حقوق المسلمين فى لاهور عندما وجه مندوبه فى حكمها بعدم انتهاك حرمة المساجد ولا

حرمة المسلمين ؛ وأعاد صوامع العبادة الى الزهاد المسلمين التي إستولى عليها الشيخ عند غزو بيشاور ، وفي إحدى المرات عرضوا عليه مشكلة تتعلق بالقرآن فقبله تعبيراً عن إحترامه ورفض الشكوى المعنية ، وإعتاد أن يزور أضرحة أولياء المسلمين كلما تواجد في أمر يتسار .

كما لم يخلوا الأمر من منغصات ؛ فهي أمر طبيعي عند إختلاف الثقافات ، فأشار البارون فون هوجل عالم النبات النمساوي الى ممارسات سلبية قام بها الشيخ ضد المسلمين وصفها بالقسوة ؛ فقوات الشيخ قتلت أعداد غفيرة من المسلمين بعد إحتلالها قاديان عام ١٨٠٢ ونهبت المتاجر والبيوت وهدمت المساجد وحولت مساجد الى معابد للشيخ وطردت عائلة حاكمها ميرزا عطا محمد (جد ميرزا مبتدع الأحمدية) فسار الى بيجوال فرحب بهم وأكرمهم سردار فاتح سنغ أهلواليا (Ahluvalia) جد مهراجا كبورتهله (Maharaja Kapurthala) ؛ الذي خصص للأسرة بعضاً من المال ، وأقامت عنده العائلة خمس عشرة سنة إلى أن مات ميرزا بعد أن دس له أعدائه السم ، ولما حاول ابنه ميرزا غلام أن يدفن جثمان أبيه في مقبرة العائلة في قاديان رفضت سلطات الشيخ ولم تنصاع لرغبته إلا بعد تدمير المسلمون هناك.

وفي عام ١٨١٨ بعد تمكن المهراجا رنجيت سنغ من دعم سيطرته علي البنجاب ؛ سمح لميرزا غلام وعائلته أن يقيموا في قاديان ؛ والتحق بعدها ميرزا غلام مرتضى وأخوته بجيش رنجيت سنغ وأسديا له خدمات كثيرة في كشمير عند استيلائه عليها عام ١٨١٩ ؛ وفي عام ١٨٣٤ أعاد رنجيت إلي ميرزا خمس قرى من القرى التي كانت تابعة لأسرته أثناء حكمها قاديان.

ومما يُذكر له ؛ تقديمه المأوى لشاه أفغانستان شجاع الدراني في البنجاب مقابل الحصول على ماسة كوهى نور التي تركها لمعبد جاغاناث في بوري /أوديشا عام ١٨٣٩ .

### سقوط إمبراطورية الشيخ

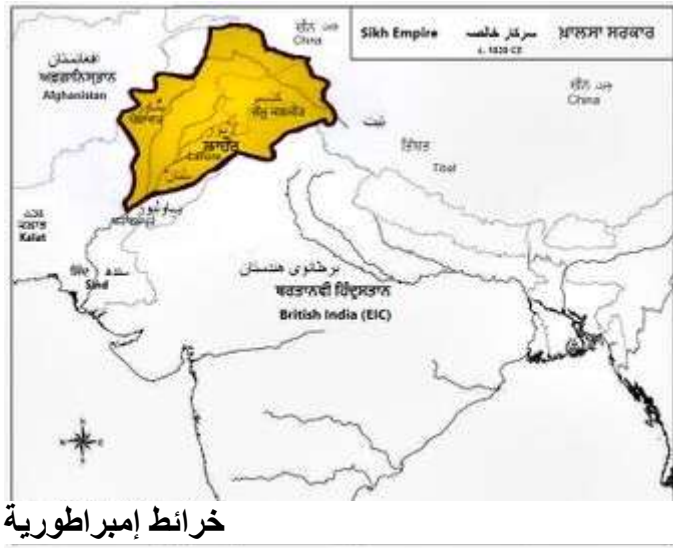
في عام ١٨٣٨ ؛ قبل عام من وفاة المهراج رانجيت سينغ ؛ وضع اللورد "أوكلاند الحاكم البريطاني في الهند خطة ليحكم الشيخ أفغانستان بدعم بريطاني بدلا من شجاع شاه سلطان أفغانستان المعزول ، ولكنه غير خطته وإتفق مع المهراج رانجيت سينغ على مساعدة شاه شجاع لإستعادة حكم كابول وقندهار مقابل تنازل الشاه الأفغانى عن المقاطعات الأفغانية فى الهند للشيخ .

لكن الأمور إنقلبت بعد موت رانجيت سينغ ، فقد ضعفت الإمبراطورية نتيجة الانقسامات الداخلية وسوء الإدارة السياسية ؛ ووقعت الحرب بين الشيخ وشركة الهند

الشرقية الإنجليزية في حربهم الأولى الفترة ١٨٤٥ - ١٨٤٦ م ؛ وإنتهت بخسارة السيخ وتنازلهم عن جامو وكشمير لحلفاء الإنجليز ؛ ودخل الطرفان في حرب ثانية بعد تمرد السيخ الفترة ١٨٤٨ - ١٨٤٩ م خسرها السيخ ؛ وبإستيلاء الإنجليز على البنجاب إنتهت إمبراطورية السيخ .

### منشأته

أنفق رانجيت سينغ الكثير على ترميم المعبد الذهبي ، وقدم كميات كبيرة من الذهب لطلاء قبته (معبد كاشي فيشواناث) ؛ كما انشأ نظاما لنقل الماء للمعبد (٢١٦).



خرائط إمبراطورية السيخ - سركار خالصة



المعبد الذهبي

٢١٦ - ينقسم السيخ الى فرق منها " رام داسيه " أتباع رام داس، و" النان كيان تهيه " الذين رفضوا طقوس جوبند كالتعميد وإطلاق الشعر وتحريم الدخان، و" الكشد هارية " المعمدين المتمسكين بتعاليم جوبند ؛ ويغلب عليهم الوحدة والترابط الشديد ومعروف عنهم حُب المغامرة والاعتزاز بترائهم ص ٢٢١.



## (٢) أكبر الإنقلاب على الإسلام

### الوضع السياسى

بدأ أكبر عهده وهو فى سن الرابعة عشر وما زال صغيرا بلا خبرة وسط أحوال مضطربة فالإقليم الشمالى الغربى من الهند محل نزاع بين إسكندر شاه الصورى ومحمد عادل شاه الصورى، وكان إسكندر شاه قد جمع جيشا كبيرا فى البنجاب لإسترداد أراضيها التى إستولى عليها منه همايون ؛ أما مُحَمَّد عادل شاه فقد استقر فى چنار وأخذ يعمل على توسيع نفوذه بقيادة قائده هيمو البقال ؛ بينما إغتمت الراجپوتيون اضطراب الأحوال لاستعادة قلاعهم فى ميوار و جيسلمير و بوندي وجُدهيور التى إستولى عليها ظهير الدين بابر ؛ والأدهى وسط كل هذا إعلان أخيه محمد حكيم ميرزا انفصاله بحكم كابل وأخذ يتطلع إلى عرش دهلى نفسها .

### خطر هيمو البقال

و كان هيمو البقال الخطر الأكبر ليس فقط على جلال الدين أكبر ودولته إنما أيضا على حكم المسلمين فى الهند كلها ؛ فبعد إنتصاره فى أكثر من اثنتين وعشرين معركة تمرد على سيده وأعلن نفسه سلطانا وإرتد عن الإسلام وتحت يده جيش ضخم يزيد عن مائة الف ؛ كاد أن يقضى به على دولة المغول ومعها حكم المسلمين لولا إرادة الله ؛ فتحول نصره المبدئى الى هزيمة صدفه ونصرا بالصدفة لغريمه المغولى السلطان جلال الدين أكبر.

ففى الوقت الذى كان فيه بيرم خان وزير السلطان أكبر يطارد إسكندر شاه الصورى فى البنجاب ؛ كان هيمو يردد إنني وقد انتصرت على الأفغان الذين يملكون جيوشا كبيرة فكيف لى الا انتصر على هذا الملك الصغير السن مع قلة جيشه، فإقتحم أرة على رأس خمسين ألف فارس وخمسمائة من الفيلة، وأرغم واليها إسكندر أوزبك على التقهقر إلى دهلي؛ فبادر أكبر بتسيير تعزيزات عسكرية بقيادة علي قُلي حاكم سمبهال لكن هيمو سبقه إليها وهزم حاكمها تردي بيگخان الذى فر ومعه إسكندر أوزبك والى أجرا المهزوم الى سرهند ، ولحق بهما علي قُلي قائد التعزيزات التى أرسلها أكبر عندما علم بسقوط دهلي قبل وصوله إليها.

بعد دخول هيمو دهلي تنكر لسيده السلطان مُحَمَّد عادل وإرتد عن الإسلام وعاد لإسمه الهندوسى القديم "بكرماديت" ، وأعلن نفسه سلطانا وسك العملة باسمه وولى رجاله المناصب وحكم الولايات، وسيطر على المنطقة الواقعة بين غواليور ونهر ستلج .

وعندما علم أكبر بسقوط أجرا ودلهي ؛ نصحه معظم قادة جيشه الذين هالتهم كثرة قوات هيمو بترك الهند والعودة الى كابل فلم تتعد قواتهم عشرين ألفاً أمام جيش هيمو البالغ مائة ألف من الجند وخمسمائة من الفيلة ، لكن أكبر ووزيره بيرم خان أصرا على القتال وأمر بقتل حاكم دهلي الفار ليكون عبرة لغيره من القادة.

### معركة پاني پت الثانية

#### جلال الدين أكبر - نصر الصدفة

عهد أكبر إلى صهره خضر خان بمواصلة قتال إسكندر شاه السوري، ثم قاد قواته لردع هيمو والتقى به في پاني پت نوفمبر ١٥٥٦م ، واستطاعت فرقة من طلائع الجيش المغولي السيطرة على مدفعية هيمو إلا أنه استطاع أن يكتسح جناحي جيش أكبر، فأصاب المغول الذعر، ولكن ضربة حظ غيرت وجه المعركة وحولت إنتصاره الى هزيمة صدفة ونصرا بالصدفة لغريمه أكبر؛ عندما أصيب هيمو بسهم في عينه أفقده وعيه فحمله فيّاله خارج ميدان المعركة فاعتقد جيشه وقوع الهزيمة ، ففروا ووقع هيمو في الأسر فأشار بيرم خان وزير أكبر بقتله، ولما رفض أكبر معتبراً أنه ليس من الشهامة التنكيل بعدو جريح وأعزل ، فإستل الوزير سيفه و قتل هيمو، ثم بعث برأسه إلى كابل وبجثته إلى دلهي ؛ ولو كان هيمو إنتصر لتغير مصير حقبة الإسلام في الهند.

### توسع أكبر

استرجع أكبر دهلي وأجرا وإستسلم إسكندر شاه وتعهد بالولاء للسلطان أكبر مقابل السماح له بالمسير إلى البنغال ، فولاه أكبر بهار و خريد في الشرق؛ فلبث بها حتى وافته منيته بعد عامين في سنة ٩٧٧هـ الموافقة لسنة ١٥٦٩م ، وهزم وقتل جيش أكبر بقية سلالة الصوري المطالبة بالعرش :

- فقتل محمد عادل شاه بعد هزيمته في جنار في ٩٦٦هـ / ١٥٥٩م .
- قُتل شير شاه الثاني بن عادل شاه لما حاول السيطرة على جونفور .
- قُتل إبراهيم شاه بيد المغول سنة ٩٧٥هـ / ١٥٦٨م في ولاية أوريسّة في البنغال.

- تراجع على قلى عن تمرده ؛ فأرضاه السلطان أكبر ولما عاود التمرد بعد حين وإنضم اليه بعض الأمراء وشكل خطراً على الدولة حاربه السلطان أكبر ومات على قلى واخيه خلال المعركة ، وتخلص أكبر من سيطرة وزيره بيرم خان بالنفى ؛ ثم قتله أحد الأفغان في الطريق ثاراً منه لمقتل أبيه ، وإستولى أكبر على بلوشستان من الأفغان البارنيين، وردّ هجمات الأوزبك وأعاد فتح كابل، وضمّ كشمير، وإسترد قندهار سلما (٢١٧) وتوجه لضم سلطنات الديكان وإصطدم بميوار

٢١٧ - وكان حاكم قندهار من قبيل الصفويين / مظفر حسين ميرزا على خلاف مع الصفويين ويخشى خطر الأوزبك ، فسلم المدينة الى أكبر بدون حرب . طلب ته لتسلم الإقليم، فأرسل «شاه بك»، فتسلم قندهار من دون حرب .

وإحتل أجزاء منها ؛ وإستوعب الراجبوت بالزواج منهم وعينهم فى قيادات بالجيش وعاونوه فى العمل على فتوحه وإستقرار الأمور .

- غزا أكبر الكُجرات وسورت والبنغال ومملكة أوريسَّة وسلطنة أحمد نگر فى الديكان وأعاد فتح كابل وإسترد قندهار صلحًا من الدولة الصفويَّة بعد حصارها وكانت تحت سيطرتهم لثلاثين عاما ؛ وضمَّ كشمير وردَّ هجمات الأوزبك فى الشمال ؛ كما تدخل فى شئون سلطنة نظام بناء على طلب " ميان منجهو" وزير السلطنة لمساعدته فى إقامة الأمير مُحَمَّد خُدابندا سلطانا للشاهية بدلا من السلطان الطفل بهادر وعمته تشاند بيبي السلطانة بالوصاية ، فأرسل أكبر سنة ١٠٠٣ هـ/١٥٩٥ م ، ابنه مُراد على رأس جيشٍ حاصر المدينة وضربها بالمدافع ؛ ودافعت تشاند بيبي ببسالة عن المدينة الى أن تمكن من نجاتها سلاطنة الديكان (إبراهيم بن طهماسب شاه سلطنة العادليين ومُحمَّد قُلي بن إبراهيم سلطنة القُطبيين (القُطب شاهيَّة)؛ فإضطر المغول للتصالح والإعتراف بالسلطان الطفل سلطانًا على أحمد نگر على أن يأخذ أكبر برار .

ولرفض أمراء سلطنة نظام الإتفاق إغتالوا تشاند بيبي وشكّلوا حلفًا مع الشاهات المجاورة واستعادوا برار من المغول ، واشتبكوا معهم فى عدَّة معارك سنة ١٠٠٥ هـ / ١٠٩٧ م وفي سنة ١٠٠٨ هـ/١٥٩٩ م لم يحسمها أيا منهما ، ولما مات مُراد أرسل أكبر ابنه دانيال لفتح المدينة لكنه فشل فإضطرَّ أكبر لقيادة جيشا بنفسه من ثمانين ألف فارس وترك ابنه سليم يرعى الحكم .

وهو فى طريقه الى الديكان تمردت سلطنة خاندش على أكبر بعد وفاة سلطانها راجا علي خان ، وكان شاهها الجديد ميران بهادر قد انضمَّ إلى الشاهات المحاربة وامتنع عن دفع الخراج للمغول ؛ وكانت السلطنة فى شمال الديكان وتعدُّ ممراً إلى الشاهات الثلاث فى الجنوب، مما أتاح الفرصة لأكبر لإقتحام عاصمتها بُرهان بور ومحاصرة قلعتها المنيعة "عسير" فوجد مقاومة شرسة بسبب إدارة البرتغاليون لمدفعية الحصن ؛ بينما حاصر ابنه دانيال مدينة أحمد نگر.

### تمرد ابنه سليم

وهناك وافته الأخبار بتمرد ابنه سليم عليه وتنصيب نفسه سلطانًا فى مدينة الله آباد فى دواب ، و بعد حصار عسير لسبعة أشهر لقى فيها مقاومة شديدة من المُحاصرين رغم تفشَّى الأمراض فى القلعة ، لجأ أكبر إلى استقطاب بعض الأمراء بِالمال لإضعاف المُقاومة ، وبعد مُقتل ألف وخُمسمائة من عسكر حامية القلعة إستسلم أميرها ميران بهادر دل سنة ١٠٠٩ هـ/١٦٠٠ م، وضم أكبر سلطنة نظام و سلطنة

العادليين (خاندش) الى دولته ، وبقيت بيجابور وكولكنده مُستقلّتين وكذلك إمارة فيجايانا جارا الهندوسية القابعة في أقصى جنوب الهند.



#### خريطة

تُظهر توسع دولة المغول في عهود

- بابر ..... الجزء الأصغر في الشمال .
- أكبر ..... النصف الشمالي تقريبا من شبه القارة الهندية بما فيها كابل وقندهار .
- اورنجزيب ..... بلغت الدولة المغولية في عهده أقصى توسعها ، وهو أقصى توسع في حكم المسلمين بالهند ..

## علاقة أكبر

### بالبرتغاليين

بعث العثمانيون أمير البحار سيدي علي ريس بن حسين إلى همايون لتحذيره من مخاطر التواجد البرتغالي في الهند على المصالح الاقتصادية لعالم الإسلام ، وناقشوا تعاون البلدين في التصدي للبرتغاليين؛ وتابع العثمانيون المحاولة مع أكبر منذ سنة ١٥٦٩م ، ولكنه فضل أن يقف على الحياد رغم قيام البرتغاليون بنهب السفن الهندية وحرقتها بمن عليها بمن فيها من حجاج ؛ لحرصه على العلاقات الودية مع الصفويين أعداء العثمانيين حتى لا يُسئوا فهم تعاونه معهم على انه موجه ضدهم .

### ويعلل المؤرخون موقفه المتخاذل مع البرتغاليين بسبب :

- لم يكن لديه قوة بحرية بالمعنى الحربى ، فما لديه مجرد مراكب نهريّة لنقل الجنود عبر أنهار الهند لإخماد التمردات المحلية المحدودة ؛ وكان يطمع فى تطوير قدراته الحربية على النموذج البرتغالي فى مجال المدفعية التى خبر قيمتها فى محاصرته إحدى الحصون ، وهو ما دفعه بعد ذلك عام ٩٨٢ هـ/ ١٥٧٤ م ؛ بإرسال بعثة برئاسة "حاجي حبيب الله" إلى ميناء جوا البرتغالي في الهند بقيت هناك حتى عام ٩٨٥ هـ/ ١٥٧٧ م ؛ للتعرف على الخبرة البرتغالية فى التصنيع الحربى .
  - سيطرة البرتغاليون على ميناء سورات المنفذ البحرى لرحلات حُجاج المناطق الشمالية الى الأماكن المقدسة ؛ والتي فرضت عليه الإتصال بهم من حين لآخر لتأمين سفر بعض دويه من الحجاج ؛ فإتصل بهم عام ٩٨٢ هـ/ ١٥٧٤ م لتأمين سفر عمته " كلبدن بيگم" وزوجته السلطانة سليمة لأداء فريضة الحج ومنحهم مقابل ذلك موقع في ساحل دامن ؛ ولما عادتا من الحج سالمتين هاجم المغول معاقل البرتغاليين فى دامن- ديو- سورات، ولكن قواته لم تستطع طرد البرتغاليين منها ؛ وعندما احتج حاكم الهند نائب الملك البرتغالي ، أدعى أكبر أن ذلك العمل تم دون علمه، وفي عام ٩٨٤ هـ/ ١٥٧٦ م أرسل أكبر إلى البرتغاليين للحصول على تعهد منهم بعدم التعرض للحجاج.
  - عدم رغبته فى الاحتكاك بالبرتغاليين فى وقت انشغاله بفتوحه الداخلية .
- وبخلاف هذا كانت علاقة أكبر بالرهبان البرتغاليين جيدة فسمح لهم بالتبشير وبناء الكنائس ؛ بل عهد اليهم بتلقين ابنه جهانجير المسيحية وهناك تفسيرات اخرى لهذا التوجه

## جدول معاركه

الرقم	اسم الواقعة وتاريخ وقوعها	قائدها
١	موقعة "سرهند"، ١٥٥٥هـ/٩٦٣م	جلال الدين اكبر
٢	موقعة "باني بات" الثانية، ١٥٥٦هـ/٩٦٤م	جلال الدين اكبر
٣	فتح "دهلي" و"اكرا"، ١٥٥٦هـ/٩٦٤م	جلال الدين اكبر
٤	حملة "ميوات"، ١٥٥٨هـ/٩٦٦م	جلال الدين اكبر
٥	فتح "كواليار"، ١٥٥٨هـ/٩٦٦م	جلال الدين اكبر
٦	فتح قلعة "زانمبور"، ١٥٥٩هـ/٩٦٧م	جلال الدين اكبر
٧	فتح "مالوا"، ١٥٦٠هـ/٩٦٨م	ببر محمد خان
٨	فتح "مايرثا"، ١٥٦٢هـ/٩٧٠م	-
٩	فتح "تشيتور"، ١٥٦٨هـ/٩٧٥م	جلال الدين اكبر
١٠	فتح "زانمبور" الثاني، ١٥٦٩هـ/٩٧٦م	جلال الدين اكبر
١١	فتح قلعة "كانجار"، ١٥٧٠هـ/٩٧٧م	جلال الدين اكبر

١٢	فتح أحمد آباد، ١٥٧٢هـ/١٥٧٢م	جلال الدين اكبر
١٣	فتح كامباي، ١٥٧٢هـ/١٥٧٢م	جلال الدين اكبر
١٤	موقعة سارانال، ١٥٧٢هـ/١٥٧٢م	جلال الدين اكبر
١٥	فتح سورات، ١٥٧٣هـ/١٥٨٠م	جلال الدين اكبر
١٦	فتح باتتا، ١٥٧٣هـ/١٥٨٠م	جلال الدين اكبر
١٧	موقعة أحمد آباد، ١٥٧٣هـ/١٥٨٠م	جلال الدين اكبر
١٨	فتح حاجي بور، ١٥٧٥هـ/١٥٨٢م	جلال الدين اكبر
١٩	فتح تاندا، ١٥٧٥هـ/١٥٨٢م	جلال الدين اكبر
٢٠	فتح تاكوري، ١٥٧٥هـ/١٥٨٢م	خان خانان
٢١	موقعة كوكنا ده، ١٥٧٦هـ/١٥٨٣م	كونوار مان سنك
٢٢	فتح كابل، ١٥٨٥هـ/١٥٩٣م	كونوار مان سنك
٢٣	فتح كشمير، ١٥٨٩هـ/١٥٩٨م	شاه كولي خان محرم

خان خانان	موقعة "سوبا"، ١٥٩٧هـ/١٠٠٦م	٢٤
خان خانان	فتح "أسير كاره"، ١٦٠٠هـ/١٠٠٩م	٢٥



## هرطقة أكبر (دين إلهي)

### تمهيد

ظهرت فكرة الخلط بين العقائد في القرن الرابع عشر (قبل قيام دولة المغول) ؛ وبانت بوادرها بين الجيل الأول من نوى الأصول الجينية المشتركة الهندو / مسلم ؛ الذين لم يتشربوا العقيدة الصحيحة وعجزوا عن التخلص من العادات الهندوسية في المجتمع المحيط داخل أسرهم ؛ فأوقعتهم الممازجة بين الهندوسية والإسلام في بلبلة فكرية عميقة ، وأسبغوا التوحيد الإسلامي على الإله الهندوسي راما وأمنوا بالإحلال وتناسخ الأرواح ؛ وهو الأساس الذي إستمد منه أكبر أساس دينه الجديد ؛ وسبقته اليه السيخية وبعض الهندوس وبعضاً من جهلاء المسلمين مثل الشاعر الصوفي " كبير " ؛ ووقع ضحيته بعضاً من بسطاء المسلمين حجاج بيت الله الذين كانوا وهم في طريقهم الى مكة يقفون عند معبد الإله شيفا في سومنات للتبرك ؛ ما جعل ظفر خان وهو الهندوسي الأصل / مندوب سلطان دهلي في الكجرات (قبل أن يستقل بها) يقوم بتخريب المعبد.

لما إستقر الوضع لأكبر ؛ كان همه الأول لم طوائف الشعب من حوله وبناء نظام حكم يستجيب لتوصية جده بأثر ؛ وكان أكبر يعي أن تضارب العقائد فيما كان يجري حوله من مخاض هي نقطة التوتر الأصيلة في المجتمع ؛ فعقد مجالس للحوار بين أهل الأديان في قاعات خصصها لهذا الغرض " عبادات- خانا " إحتدم فيها الجدل ، ولما إستعصى عليه الأمر لصلابة معارضة أهل عقيدة الإسلام لفكره المهتز ؛ جردهم من حق تفسير الدين وإستحوز لنفسه على هذا الحق وأصدر " مرسوم العصمة " بهذا المفهوم عام ١٥٧٩ م .

وجمع به الخيال من وجهة نظر سياسية بحتة فإنقلب عام ١٥٨٢م على الإسلام من أجل السياسة (٢١٨) ؛ بإبتداعه ديناً جامعاً لشتات عقائد مختلفة أهدر فيه أصول الإسلام أسماء " دين إلهي " ، قائم على الإيمان بالإله وحيد بصيغة توحيدية " لا إله الا الله - أكبر خليفة الله " ؛ ومن هنا إكتسب لقبه أكبر ثم إنقلبت الصيغة الى " الله - أكبر " ؛ وقد تحير الباحثون في تفسير معناها فمن قائل أنها تعنى الله وصفته ؛ بينما يقول البعض الآخر وهم قلة انه إدعى الألوهية وأصبحت العبارة الله أكبر إسماً أكبر ذاته .

٢١٨ - كان نصيره في هذا وزيره و صفيه أبو الفضل مُحاباة أو جهلاً بالعقيدة رغم شيعيته ؛ ولا معذرة لأكبر في هذا فكان على علم رغم أميته بحقائق عباداتها .

وحرّم العبادات الإسلامية ومنع تدريس علوم القرآن والسنة واللغة العربية ، وأوقف الحج وصيام رمضان وأحلّ الخمر والميسر والربا وحرّم أكل اللحوم والثوم والبصل ، وحرّم إطلاق اللحي علامة المسلمين المميزة ؛ وربى الخنازير في قصره وإعتبر النظر إليها أمراً يستحق التقدير ؛ وحول المساجد الى مخازن وإستبدل التقويم الهجرى بتقويم يبدأ بجلوسه على العرش سماه تقويم إلهى وأجبر الناس على السجود لشخصه ومنع التسمي بأسماء رسول الله .

وعظم أكبر الجانب الوثنى في عقيدته ؛ فعظم نار المجوس المقدسة وجلب جذوتها من إيران وأمر بإيقادها في حرمه الخاص وعظم الشمس عند بزوغها على طريقة الهندوس ، وأجاز التناسخ وحرّم ذبح البقر ، وأعجب بالجينية متأثراً بتفاني مريدة جينية لصيامها عن الطعام لسته أشهر ، فإستحضر مُرشد الجينية أشاريا هيرافيجايا سوري من الكجرات ليتعرف على جوهر العقيدة فتأثر بعلمه وأصبح نباتياً على نهج هذه الديانة ؛ وحرّم من أجلهم ذبح الحيوانات في الأيام التي تُوافق احتفالاتهم الدينية، كأيام الاتحاد (پاريوشانا) ويوم الاحتفال بمولد مهاويرا (ماهاوير جايانتي) ؛ وأعفى مكان حجهم في پاليتانة بالكجرات من الجزية<sup>(٢١٩)</sup>.

وفتح باب التبشير المسيحي وأذن للجيزويت بفتح المدارس وبناء الكنائس في أجرا ولاهور، وإستدعى الرهبان البرتغاليين من جوا ليفقهوا إبنه جهانجير المسيحية ، وتسامح في إطار سياسته التوفيقية مع قيام المعلم الثالث أمار داس بحركة تبشير سيخية نشطة في الهند الفترة ١٥٥٢ - ١٥٧٤ ؛ مما أضر بمد الإسلام خاصة في البنجاب التي تشكل فيها الأغلبية المسلمة نسبة ٨٠% من إجمالي السكان آنذاك .

### بذلك أصبح الإسلام ظلاً لا أصلاً للدولة

#### الجدل حول ردة أكبر

الغريب أن أكبر بدأ حياته مسلماً ملتزماً منذ شبابه ؛ ولم يستنكف أن يكنس المسجد طلباً لمرضاة الله<sup>(٢٢٠)</sup> ؛ وكان يتوجه وهو في الثامنة والعشرين من العمر الى الصالحين يلتمس منهم الدعاء أن يهبه الله الولد ليرث الحكم من بعده ؛ لما لم يعيش من

<sup>٢١٩</sup> - ظهرت الجينية في القرن السابع الميلادي بعد البوذية بسنوات قليلة في نفس المنطقة بشمال الهند ، أسسها فاردھامانا وهو من مواليد ٥٩٩ق م لأسرة راجبوتية ؛ وإشتقت إسمها من لقب مؤسسها الذي لقبوه جينا أي الظافر لإنتمائه لأسرة ملكية (ك/بوذا) ومن القاب مهافيرا أي البطل العظيم ، تؤمن بلا عنف Ahimsa ولفظ القتل بما فيه قتل أو إيذاء الحيوان ولذلك ممنوع عليهم العمل اليدوي بما فيه بالزراعة أو اي عمل يهدد حياة كائن ما ولو كان غير مرئ ؛ وهم من يتركون الحشرات تنهشهم بلا عقاب ، يتمسكون بالأخلاق ويساؤون بين الرجل والمرأة - ص٩ تحفة المجاهدين .  
<sup>٢٢٠</sup> - كتاب " مآثر الأمراء " - لمؤرخ الدولة المغولية " مير عبد الرزاق خافي خان " المعروف بصمصام الدولة شاه نواز خان (١١١١-١١٧١هـ) .

إبنائه أحد ، وكان يتبرك بالشيخ سليم بن بهاء الدين الجشتي الذي بشره بثلاثة أولاد، فنذر أكبر أن يتولى الشيخ تربية أولهم .

و جاء في كتاب مآثر العلماء " كان الملك أكبر يبذل جهودًا كبيرة في تنفيذ الأحكام الشرعية، والتأكيد على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان يؤذن بنفسه ويؤم الناس في الصلاة وبلغ به الأمر الى حد كنس المسجد ؛ وكان يبعث كل عام عددًا كبيرًا من الحجاج إلى الحرمين على نفقة الدولة، ويبعث مع أمير الحج الهدايا إلى والي مكة وأموال وغلل لأهل الحرمين، وكان يودع قوافل الحجيج محرماً مليئاً، حاسر الرأس حافي القدمين ؛ ولما قدم شاه أبو تراب إلى الهند بحجر قيل أن عليه أثر لقدم الرسول خرج أكبر مع حشد من العلماء والمشايخ لاستقبال الشيخ أبي تراب قرب مدينة أجرة إجلالاً لمقام الرسول.

فأرسل سنة ١٥٧٦م ستمائة الف قطعة ذهبية وفضية، و ١٢ الف قفطان وشحنة هائلة من الأرز مع أمير أميرًا الحج وأمير البحار يحيى صالح النقشبندي لتوزيعها على الفقراء والمساكين في الحرمين، وتابع ما بين سنتي ١٥٧٧ و ١٥٨٠م بإرسال أربع قوافل محملة بالأرزاق والهدايا النفيسة إلى أهالي الحرمين.

بدأ إنحراف أكبر عن الإسلام بزواجه من أميرات راجبوتيات (الطبقة الهندوسية العليا) دون الزام زوجاته بإعتناق الإسلام ، وتابع الخروج بتجاوز حدود الجمع بين الزوجات الأربع فتزوج منهن ستة عشر امرأة في إطار صفقاته السياسية مع الراجبوت ولا نعرف بالتحديد كم منهن كن في حوزته في آن واحد ؛ و زوج أبنائه منهن وكذلك تزوج أحفاده ، وبلغت زيجاته وأولاده وأحفاده من بعده من الراجبوتيات ٤٠ أميرة ، ومن نسلهن جاء الأباطرة جهانجير- شاهجهان - أورنجزيب عالمكير وغيرهم .

والسؤال الملح ؛ من الذي أغوى أكبر على الإنقلاب على الإسلام؟ يتهم جهانجير ابن أكبر ؛ الشيخ أبي الفضل فيقول " لَقَنَّ الشَّيْخُ أَبُو الْفَضْلِ (٢٢١) وَالِدِي أَنَّ خَاتِمَ النَّبِيِّينَ مُحَمَّدًا كَانَ أَفْصَحَ النَّاسِ وَأَنَّ الْقُرْآنَ مِنْ تَأْلِيْفِهِ وَلِذَلِكَ أَوْعَزْتُ إِلَيَّ "نَرْسِنَكَ دَيُّو" أن يقتله عند عودته من الجنوب وتاب والدي بعد ذلك عن هذا الإعتقاد " ، ويقول جهانجير أيضا عن توبة والده " أن أبيه السلطان أكبر شعر عند دُنُوِّ أجله أنه على ضلال فجدد إيمانه ووحد الله وتلفظ بالشهادتين، ولمَّا فارق الحياة كان مُحَاطًا بِجَمَاعَةٍ مِنَ الْفُرَّاءِ الَّذِينَ كَانُوا يَقْرَءُونَ سُورَةَ يَسِّ وَيَدْعُونَ لَهُ"

٢٢١ - يقول البعض أن أبو الفضل هو من أوحى لأكبر بالأفكار حول دين الهى .

ونعتقد أن قول جهانجير عن توبة والده ما هو إلا نوعاً من التجمل وإلا ما كان تأخر في الإعلان عن ذلك حتى يُبشر المسلمين بتتصل أبيه من دين الهى وزوال الغمة حتى يترحمون عليه فى مرضه الأخير ، وهناك من المظاهر ما يؤيد هذا التصور كقلة عدد مشيعيه ؛ ومحاولة مُحبيه من الهندوس نبش قبره خفية لحرق رفاته طبقاً لمناسكهم.

### ردود فعل علماء الإسلام

هز مروق أكبر المجتمع الإسلامى فى الهند ، فانتقد عبد القادر البدايونى المؤرخ المعاصر دين الهى فيقول " إن الإسلام بهذا قد هدمت أركانه وأنقض بنيانه، ولم يمض غير خمس أو ست سنوات حتى انقلب كل شيء رأساً على عقب ولم يبق فى نفس أكبر أثر ضئيل من دينه القديم القويم الإسلام، بل لقد أبدى مظاهر العداء الشديد للدين الذى آمن به فى شبابه والذى آمن به أسلافه من قبل ".

وقاد الشيخ احمد السرهندى تيار المعارضة ؛ وإتهم علماء الإسلام الذين تواطؤوا بتشجيع أكبر على المضى فى إختلاق هذه الأفكار فقال " مما لا شك فيه أن كل ما وقع من المداهنة والتخاذل فى الأحكام الشرعية فى هذا الزمان، وما ظهر من الفساد والوهم فى نشر الدعوة الإلهية وإبقاء مآثرها فى هذا العصر، إنما يرجع سببه إلى علماء السوء الذى هم لصوص الدين وشر من تحت أديم السماء، أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون".

ولما لم يستطع الشيخ احمد السرهندى رد أكبر الى رشده ؛ قاد حملة بين الجيش والمجتمع المسلم طوال الـ ٣٥ عاماً الأخيرة من عهد أكبر البالغ خمسون ؛ للمحافظة على وهج العقيدة التى كاد طول حظر أكبر أن يقضى عليها ؛ وهى مدة كفيلة إذا ما كان وراؤها إرادة سلطان بقوة جلال الدين أكبر أن تهدم أى عقيدة يؤمن بها الناس ؛ ولكن فضل الله كان عظيماً على مسلمى الهند ؛ فقد اجتاز الإسلام بهم هذه الكبوة بقوته الذاتية وإيمان أهله من كل أجناس الهند وبفضل عناد دعائه وبفضل جهانجير الذى إدخره الله بعقيدته السليمة ليلغى دين الهى.

وناهض دين أكبر الإلهى ؛ إبراهيم المحدث الأكبر أبدي الذى رفض السجود لأكبر وعارضه ولم يتهيب ؛ كما عارضه من البلاط شهباز كنبوه وهو من كبار الأمراء وكان ذا جرأة على السلطان لا يبالي برضاه أو سخطه فيما يخص الأمور الشرعية ولم يقصر اللحية ولم يشرب الخمر حسب دعوة أكبر ؛ ومن المعارضين عبد القادر الأجي وعبد القادر اللاهوري ؛ والأخير أثار سخط أكبر بشدة تمسكه بالشرعية فنفاه إلى مكة المكرمة ، وقطع بدر الدين بن سليم الجشتي علاقته بالسلطان رغم ما كان بينهما من ود واعتكف فلما ضيق عليه هاجر إلى مكة وتوفي فيها.

ويذكر المؤرخون أن أكبر شنتت ونفى وقتل البعض الآخر، فكان بين من قتلهم عبد الله الأنصاري السلطانبوري رئيس القضاة وعبد النبي الكنكهنوي ، وحرمت الحكومة بعض العلماء والفقهاء من رواتبهم وصادرت أراضيهم واقطاعاتهم، وعزلت جميع القضاة المسلمين وبلدهم بمن كانوا يدينون بدينه.

### ثورات الأقاليم ضد دين الهى

ثار الفقهاء والعلماء فى البنغال وجونفور عام ٩٨٧هـ / ١٥٧٩م على إحد أكبر ، فأفتى قاضي جونفور محمد يزدي بوجود حرب السلطان لما استحدثه من بدع تززع الإسلام ، وبلغت هذه الثورة درجة كبيرة من العنف إلا أن أكبر استطاع القضاء عليها .

أعلن ميرزا محمد حكيم حاكم كابل أخى أكبر الثورة سنة ٩٨٩هـ / ١٥٨١م لمناهضة إحد أكبر إلا أن هذه الثورة لم تنجح وتم لأكثر القضاء عليها ؛ فهرب الى بلاد ما وراء النهر عازماً على طلب اللجوء ، وعندما وصلت أخبار ذلك إلى أكبر ، عفى عنه وردة إلى حكم كابل لقطع الطريق على تدخل الأوزبك فى شؤون كابل، وكان أدهم خان أخاه بالرضاعة يُكثر من انتقاد أفكار أكبر الغربية على الإسلام .

### إمتعاض دول الإسلام

#### من دعوة أكبر لدين الهى

كانت الشكوك دائماً تحيط علاقة أكبر بالخانيَّة البخاريَّة الأوزبكيَّة (بلاد ما وراء النهر) خوفاً من نوايا الأوزبك التوسعية ورفض أكبر طلب عبد الله خان أوزبك الشيباني عام ١٥٧٩م يدعوه لمشاركته الهجوم على الدولة الصفوية والقضاء عليها فرد برسالة ذكر فيها أنه لا يمكن أن يجعل اختلاف المذهب سبباً للهجوم على الصفويين وينسى العلاقات القديمة معهم ، ونبهه ألا يذكر الشاه الصفوي بسوء مرة أخرى.

إنقطع الإتصال لفترة ؛ ثم أرسل عبد الله خان أوزبك سفارة برئاسة أحد أكابر قومه إلى أكبر وهو بالبنجاب برر فيها سبب تأخره فى مواصلة إرسال السفارات بانشغاله فى الحروب، فضلاً عن استيائه من دعوة أكبر لدين الجديد التى انتشرت أخباره فى البلاد الطورانية وأشيع أن أكبر ادعى الألوهية والنبوة، فتوقف الأوزبك عن إرسال السفارات، ولم يردوا على رسائله .

ورد عليه أكبر برسالة ذكر فيها أنه لا يجب الإصغاء إلى المغرضين الذين يريدون تشويه سمعة الآخرين، وكانت الصداقة تقتضى أن يرسل مبعوثية للتعرف على

دقائق الأمور، واقترح عليه اللقاء المباشر بينهما، وحمل هذه الرسالة مبعوثه الخاص مصحوباً بأحد السادات الكبار لتقديم التعازي في وفاة إسكندر خان أوزبك والد عبد الله خان ؛ ولا نعرف مغزى إبتعائه بالرسالة مع أحد الساداتية الأشراف ؛ وقوله أن المقصود تشويه سمعة الآخرين .

## وضع الهندوس

### من دعوة أكبر لدين الهى

لم يكن هناك ما يُشير الى أن أكبر مارس ضغوطا جادة ومشددة أو حتى هامشية عند تطبيقه دين الهى ضد الهندوسية على نحو ما فعله بالإسلام ؛ ويبدو أنه لم يكن جادا كفاية في دعوته لدينه ؛ قد يكون فتر حماسه لما إنشغل بحروبه و ملذات دنياه ، أم أدرك سخر دعوته لعدم إيمان الطوائف المختلفة بدينه فترك الأمور على حالها ؛ فلا الهندوس تخلوا عن ألتهم العديدة ، ولا هو أغلق معابدهم وحطم أوثانها ولا حولها الى مخازن كما فعل بالمساجد وبعلماء الدين المسلمين .

## إضرار دعوة أكبر

### بالإسلام

أضرت دعوة أكبر لـ "دين الهى" لمدته الخمسة وثلاثين عاما الأخيرة من عهده ضررا بليغا بمد الإسلام لأجيال قادمة منها :

✓ ظهور فكر إلحادى بين أهل الذمة ، مثل حالة الملحد سرمد كاشاني يهودى الأرمينى الذى إستوطن الهند ؛ وهو الذى أعدمه الإمبراطور أورنجزيب عالم كير بتهمة الإلحاد والهرطقة عام ١٦٦١ ، و - أورنجزيب هو الإمبراطور المغولى الوحيد الذى تصدى للتيارات المنحرفة بشدة ؛ وأعدم شقيقه ولى العهد لفساد عقيدته ؛ وتشدد في عقاب المسلمين الخارجين على العادات الإسلامية كالذين يرتدون ملابس غير المسلمين ، كما أمر حكام ولايات ملتان واثانا (عاش فيها سرمد فترة) و فاراناسي بهدم المدارس والمعابد بعدما علم بإجتذابها أعدادا من المسلمين .

✓ زواج المسلمات من هندوس ؛ سبق الإشارة الي نماذج منها بيجوم روحاني باي الفارسية زوجة مهراجا شهاتراسال صاحب حصن بوندلخاند ؛ وإبنتهما مستانى (مسلمة) التى زوجها أباهما من بيشوا / باجى راو الأول سبق الإشارة إليها .

✓ تمهيد فكر المتصوفة وأكبر الأرضية للإنجليز لتأسيس فرق الإسلام المنحرفة كالبهائية والقاديانية (الأحمدية) عندما أرادوا أن ييثوا الإنقسام

بين صفوف المسلمين ؛ وتدافعت ذبولهم الفكرية كالبكتاشية وكل من آمن من المسلمين بتناسخ الأرواح للتشويش على المسلمين .

### موقع أكبر في تاريخ الهند

وبعيدا عن مسألة العقيدة ؛ إكتسبت سياسات أكبر عظيم تقدير المؤرخين وجموع الهندوس ؛ فهو من أزاح عن كاهلهم الكثير من المنغصات المتعلقة بالعقيدة ؛ فالغى ضريبة حج الهندوس وتبنى كثير من المناسك الهندوسية لإرضائهم وحرّم تطبيق الساتى على الارامل الهندوسيات ( حرق الزوجة مع جثمان زوجها المتوفى إذا لم يكن لها ولد) واعطاهن حق الزواج وتحريم تعبيد اسارى الحرب ؛ وتقرب اليهم فتزوج هو وسلالته من أميرات راجبوت الهندوسية أنجب كل سلاطين المغول من بعده.

إعتبره نهرو رئيس وزراء الهند بطلا لسعيه لتوحيد الهند كما سبق القول فى أكثر من موضع ؛ ووصفت ملحمة الپورانا الهندوسية المسمّاة " بهافيشيا پورانا " أكبر بإنه " مُعجزة" ساس الهنود بلا عنف كما فعل اسلافه بائرا ملك المكيبين الشرير ؛ وإعتبره مؤرخوا الغرب مبشرا بحركة إحياء هندية كبرى جعلته اعظم المجددين والإصلاحيين فى الهند ؛ وعده ويل ديورانت أعظم الحكام فى تاريخ الهند منذ عهد الإمبراطور آشوكا ؛ ولا يخفى عنا تأثير خلفية ديورانت الكاثوليكية المتعصبه ضد الإسلام ، عندما أكد بنبرة ماكرة فضحت حرصه على تمسك أكبر برده عن الإسلام وهو يعانى سكرات الموت ؛ وصنّفت مجلة تايم الأمريكية جلال الدين أكبر من بين أفضل ٢٥ حاكما عالميا عبر التاريخ ، لعدله وتسامحه وسياساته التى أرست القيم التى تقوم عليها جمهورية الهند الحديثة بينما يرى سميث أحد الذين أرخوا لأكبر ، أن الدين الإلهى كان إختراعا سخيفا ودليلا على حماقة أكبر (٢٢٢).

### فشل مشروع أكبر

فشل دين الهى فى تحقيق حلم أكبر بتوحيد طوائف الشعب على عقيدة وحيدة تضع حدا للإختلاف وتسهل الإندماج ؛ رغم أن المجتمع الهندى إعتاد منذ قرون بعيدة معايشة التعددية العرقية والدينية بسلام وكان من المعتاد أيضا الإنتقال من عقيدة لأخرى دون مشكلات ؛ صحيح قد تودى لإنفصام ولكنه ليس ضخما ؛ فبوذا لما ظهر لم يستثر حساسية الهندوس وكذلك تحول الإمبراطور آشوكا من الهندوسية الى البوذية ، فالوثنيات رغم إختلاف فلسفتها لا تتعاضد فهى متشابهة فى صلبها ، ولكن الأمر يختلف مع الإسلام فهو يهدم أسس الوثنية ولا يتعايش معها ويُقيم بنیان الإيمان على أساس صحيح ؛ فالخلاف بين المسلمين والهندوس مرجعه أبدية المتناقضات بين الإسلام والهندوسية .

ورغم التقدم فى مسألة التعايش بضغط جبرية الظروف ، بقى المجتمع الهندوسى معاديا فى صميمه بدرجة أو أخرى للمسلمين حتى لو كانوا فى الأصل هندوسا ؛ فلم يتقبلهم كبقية الأقليات التى تتعايش داخله وتختلف معه ، ويرجع هذا الرفض الى سلبيات الحكم الإسلامى التى ظلت ماثلة فى العقل الجماعى للهندوس ؛ وعلى رأسها إمتهان مقدساتهم ، الأمر الذى أشعرهم بضعفهم وهم كثره غالبية ؛ فأخذوا عدااء المسلمين للهندوسية بعداء مماثل للإسلام أى عدااء عقيدة بعداء عقيدة ؛ والدين عند الهندوس مسألة حياتية لا يتمتع بقديسته شيء آخر<sup>(٢٢٢)</sup>.

وفى ظل هذا الوضع السلبى ، تعذر إندماج المسلمين فى المجتمع الهندى لفترة طويلة ، وساهم عدم تشجيع زواج المسلمين أتراكا أو هندوسا من عامة الهندود هندوسا أو مسلمينا ؛ فى عدم تحقيق توازن عرقى ودينى فعال أو حتى نسبى فى مواجهة الأغلبية الهندوسية لفترات طويلة ، ومن بين الأسباب نظرة الأتراك الدونية للهندود حتى ولو كانوا مسلمينا ، ويرد المؤرخ ضياء الدين بزنى هذا فى كتابه فتاوى جهان دارى ؛ الى تدنى نظرة المجتمع المسلم ليس فقط للهندوس ولكن للمسلمين من ذويهم أيضا بإعتبارهم أجلافا فنذر الزواج بين المسلمين من الطائفتين وبين المسلمين والهندوس ، وإقتصر الزواج بين الطبقات العليا ، وبهذا الإنفصام فقد المجتمع المسلم القدرة على تضخيم قاعدته البشرية بمرور الزمن ؛ لينسخ عن نفسه الإغتراب ويعجل بإندماجه على نطاق واسع فى تراب الهند وضميرها ، فقد غاب عنهم أن الأغلبية دائما ما تمتص الأقلية مهما بلغت قوة الأخيرة العسكرية.

### حياة أكبر الإجتماعية

- جودا باي (مريم زمانى)

الزوجة اللغز

رجبوت أم برتغالية !

تزوج أكبر بأكثر من ١٣ امرأة وفى قول آخر ٣٥ امرأة منهن كثره من الراجبوت (هندوسيات) ؛ بخلاف المحظيات ويهمننا بوجه خاص الحديث عن زوجته الخامسة جودا باي - الزوجة الهندوسية اللغز ، فليس معروفا على وجه التحديد إسمها الأصلى من بين الأسماء التى تتردد ( جودا باي - هارخا باي - هيرا كونواى ) ؛ وتعرفها المصادر الرسمية المغولية بـ / مريم زمانى حسبما هو مبين على شاهد قبرها الذى بناه ابنها السلطان جهانجير حسب طلبها بالقرب من ضريح أكبر .

<sup>٢٢٢</sup> - ويؤكد هذه الحقيقة قيام الهندوس فى أول رد فعل لهم بعد التخلص من حكم المسلمين ، بتدمير بعض المساجد فى عهد الإنجليز ، والبعض الآخر بعد الإستقلال وأخرها هدم غوغاء الهندوس من غلاة المتعصبين مسجد بائر؛ على حاله المصور فى صدر الكتاب فى صفحته الأولى .



وتُشير المصادر أن مريم زمانى أسلمت وأدت فريضة الحج وبنّت مسجداً فى لاهور ؛ وكانت سيدة أعمال ناجحة تدير تجارة توابل جنت من ورائها ثروة طائلة ، تجاوزت فى حجمها حجم ميزانية مملكة صغيرة من ممالك أوروبا وقتها ، وكانت تُنفق كثير منها على أعمال البر والإحسان منها تزويج الفقيرات وبناء المساجد .

أما قصة العشق بينها وبين السلطان أكبر على النحو الذى صورته دراما جودا أكبر ليس لها سند من الحقيقة ، فلو كان أكبر عاشقاً حقاً لما تزوج عليها فى نفس عام زواجه منها زوجتين أخريتين وأخريات كثر فى الأعوام التالية ؛ ولو كان أكبر عاشقاً لها لما تدنت لديه مكانة ابنها الوحيد منه وولى عهده جهانجير ، فقد كان يُفضل عليه ولداه مراد ودانيال من جاريتين أخريتين وسبب موتهما له حزناً شديداً ، و كان رضوخ أكبر الى مصالحة جهانجير الوحيد الباقي من سلالته مضطراً خوفاً من زوال مُلكه .

أثار الكاتب البرتغالى Luis de Assis Correia وهو من جوا البرتغالية فى ساحل الهند الغربى شكوكاً حول هوية جودها باى ؛ فى كتابه "الهند البرتغالية والعلاقات المغولية ١٥١٠ - ١٧٣٥"

"Portuguese India and Mughal Relations ١٥١٠-١٧٣٥"

فيقول أن جودها باى زوجة الإمبراطور أكبر ووالدة ابنه جهانجير ، شخصية وهمية لا وجود لها ، وقال أن ابنه بيهار مال كاشهورها الراجبوتية التى تتحدث عنها القصاص الشعبية بأنها أولى زوجات أكبر الهندوسيات إسمها Hira Kunwai أو Harkha Bai وليس جودها باى ؛ مستندا فى ذلك الى ما ذكرته شيرين موسوي الأستاذة بجامعة ألغار الإسلامية بأنه " لم يرد ذكر لإسم جودها باى فى السيرة الذاتية لأكبر " أكبرناما " على أنها زوجته أو حتى فى سيرة جهانجير " تزكئى جهانجيرى " على أنها والدته ، أو فى أي وثيقة مغولية أخرى عن تلك الفترة ، كما أن مؤرخ المغول عبد القادر البدوني وأبو الفضل مؤرخ سيرة أكبر "أكبر نامه" ، لم يذكرها أبداً والدة جهانجير باسمها لتحديد صحة الموضوع من عدمه ، ودائماً ما كانت تُسمى مريم زمانى .

ويقول الكاتب أن جودها باى فى الواقع امرأة برتغالية، إسمها دونا ماريا ماسكارينهاس **Dona Maria Mascarenhas** تم أسرها هى وشقيقتها جوليانا من إحدى سفن الأرمادا البرتغالية ببحر العرب ، وأهداهما بهادر شاه سلطان الكجرات الى الإمبراطور أكبر فى منتصف القرن الخامس عشر وكان أكبر وقتها فى الثامنة عشر من عمره ومنتزوحاً ؛ وكانت ماريا فى السابعة عشر من عمرها ولجمالها إختصها لنفسه هى وشقيقتها ، وسماها أكبر مريم زمانى إشتقاقاً من أسمها المسيحى ماريا ، وأمضت معه الفترة ١٥٤٢ - ١٦٢٣ وأنجبت له "جهانجير نور الدين سليم" .



مريم زمانى

وحاول الكاتب أن يجد تفسيراً للسبب الذى دعا المغول لإنكار هويتها البرتغالية و عدم إعلان البرتغاليون من ناحيتهم عن ذلك ؛ وترك الناس تظن أنها راجبوتية ؛ فيقول أن المغول هم من أضفى عليها هذا الغموض ؛ لعدم إرتياحهم كمسلمين للإعلان عن هوية زوجة الإمبراطور البرتغالية وبلادها رأس العداء للإسلام والمسلمين ، أما السبب فى عدم إعلان البرتغاليون عن حقيقة الأمر كان ورائه كراهيتهم لإنضمام نساء من دينهم وعرقهم الى حريم سلطان المسلمين ، وهذا هو سبب ترويج أسطورة جودها باي الهندوسية.

عموما هى وجهة نظر قد يُعززها تسميتها مريم زمانى ؛ إشتقاقا من إسم ماريا الذى أورده الكاتب ، ولهذا السبب إستدعى أكبر فريقا من الجزويت لتلقين إبنها منه سليم (جهانجير) المسيحية ؛ وإكراما لأصلها البرتغالى سمح للمبشرين البرتغاليين(الجوزويت) بالتبشير وبناء الكنائس فى دولة المغول بما فيها أجرا العاصمة ، ؛ ومن الأسباب التى تُضيف زخما لتخمين الكاتب فى هذا الشأن إعتناقها الإسلام طوعا إمتدادا لإيمانها المسيحى وما كان يتحقق إسلامها على هذا النحو فى ظل تعقيدات إيمانها الهندوسى ؛ وإذا ما نظرنا لتكوين قسماات وجهها من ناحية الشكل فهى أقرب الى أهل الأندلس منها الى الهنود .



أكبر و مریم زمانی



مقبرة جودا باي - مریم زمانی  
دلیل حی علی موتها مسلمة

### علاقة أكبر بولى عهده جهانجير

كانت عقدة أكبر فى فى بداية حياته عدم بقاء مواليدته على قيد الحياة ، وهو أمر يُقلق ملوك كل زمان خوفا من ضياع العرش ؛ فإلتمس من الله أن يرزقه الولد وكان وقتها مازال ملتزما بالإسلام ولجأ للشيخ سليم بن بهاء الدين الجشتي ليدعوا الله له ، فبشره بثلاث ذكور فعقد النية على أن يسمى مولوده سليم تيمنا بإسم الشيخ وأن يعهد به اليه لتلقيه الإسلام ، ولما حان أوان الوضع أرسل زوجته إلى دار الشيخ على سفح جبل " سكري " بالقرب من مدينة أجرا وسمّى المولود مُحَمَّد سليم (جهانجير فيما بعد) ؛ وتكريما للشيخ بنى أكبر في محل إقامته مدينة فاتح پور سكري ؛ ورزقه الله بعد سليم ولداه مُراد ( ١٠٠٧ هـ / ١٥٩٩ م ) و - دانيال ( ١٠١٣ هـ / ١٦٠٤ م ) من إحدى الجوارى أو جاريتين.

### ثورة جهانجير ضد والده أكبر

كانت محبة أكبر لولديه الأصغر مراد ودانيال وتفضيله لهما على جهانجير ؛ سببا فى جفوة بين جهانجير ووالده أكبر ؛ حسبما ذكره جهانجير فى مذكراته ؛ و يرى بعض المؤرخين أن هذا قد يكون أحد أسباب ثورته على والده وإعلان نفسه سُلطانًا فى مدينة الله آباد سنة ١٠٠٩ هـ / ١٦٠٠ م حين كان والده مشغولًا بِفُتُوحَات الجنوب، بينما يُشير آخرون إلى أن جهانجير الذى يتهمه البعض بضعف الشخصية حاول إثبات ذاته وأنه لا يقل عن أبيه قُوَّةً وعظمة وقُدرةً على بناء مُلكًا لنفسه بِحِدِّ السيف.

إضطر أكبر للعودة للتصدى لتمرّد إبنه ، وكلف وزيره وأحب خُصائمه أبي الفضل بن مُبارك الذى كان بالجنوب بقيادة حملة لهذا الغرض ، ولما كان من الصعب على جهانجير الدخول فى معركة مفتوحة مع جيش الإمبراطورية ؛ فدبر إغتيال أبي الفضل قبل وصوله ، وقد إعترف فى مذكراته بأنه أُوْعِزَ إِلَى "نَرَسِيْنِكِه دَبُو" بِأَنْ يَقْتُلَ أَبِي الْفَضْلِ عِنْدَ عَوْدَتِهِ مِنَ الْجَنُوبِ عِقَابًا لَهُ عَمَا إِدْعَاهُ لِأَبِيهِ أَكْبَرُ بِأَنْ الْقُرْآنَ مِنْ تَأْلِيفِ رَسُولِ اللَّهِ ؛ مُحَمَّدًا ﷺ " ؛ أثار إغتيال أبو الفضل ثائرة "أكبر" ولكنه أثر التفاهم مع جهانجير حتى لا يضيع ملكه .

تمرّد جهانجير من جديد سنة ١٠١٣ هـ / ١٦٠٤ م إحتجاجا على تحريض بعض هندوس البلاط أكبر لترفيع خسرو بن جهانجير لولاية العهد بدلا من أبيه ، فعزم أكبر أن يتصدى له بنفسه هذه المرة ، إلا أن حزنه على وفاة والدته حميدة بانو بيگم وابنه دانيال نفس العام أثرت على حالته النفسية فمال للتفاهم مع جهانجير حرصا على عدم ضياع العرش من بين يدي أسرته ، بإعتباره الابن الوحيد الباقي على قيد الحياة من بين أولاده الذكور بعد موت دانيال ومراد فأقنعه بطاعته، فذهب إليه فأعتقله أكبر و توسط البلاط من أجله فأطلق سراحه ، وأعادته لولاية العرش لما شعر بدنو أجله .

**وفاة أكبر**

توفي ١٣ أكتوبر ١٦٠٥ (ولد ١٥ أكتوبر ١٥٤٢) بالدوزنتاريا ؛ وتشك  
بعض المصادر في أن ابنه جهانجير قد يكون قد سممه إستعجالا للوصول الى العرش  
لما طال العمر بأبيه.

(٣)

## جهانجير

١٠١٤ - ١٠٣٧ هـ

١٦٠٥ - ١٦٢٧ م

الملك غازي بن محمد أكبر محمد همايون الغفركاني المعروف إختصاراً بـ / نور الدين مُحَمَّد جهانجير أو جهانكير شاه أو نور الدين مُحَمَّد سليم فاتح العالم ؛ رابع سلاطين دولة المغول وأدته مريم الزمان جودا باي هندوسية الأصل وهى ابنة أمير جيبور بيهار مال كاشهورها ؛ نشأ مُسَلِّماً سليم العقيدة صحيح الإسلام درس الحديث على يد الشيخ عبد النبي أحمد الكنكوهي و الشيخ صدر جهان الپهانوي وتنفق بالثقافتين الفارسية والتركية كما حصل المعارف الهندية.

وأول ما فعله جهانجير بعد توليه الحكم الغاء دين الهى ؛ وأبطل القوانين المعارضة للشريعة الإسلامية واعتنى بإعادة تعمير المساجد المُنهدمة وإقامة المدارس الدينية وعين الفضاة والمُحسنيين في مُختلف المُدن الهندية، وحظر عُقوبة بتر الأعضاء مهما بلغ عظم ذنب المُذنب كجدع الأنف وقطع الأذن ، وحرّم تعاطي الخمر وصناعتها ، وامر ببناء دُور الشفاء وتزويدها بالأطباء على أن تقوم الدولة بالإنفاق عليها وعلى علاج المرضى بالمجان ، وإتبع سياسة التسامح المُطلق مع الهندوس على نهج أبيه أكبر فقربهم إليه ومكنهم من المناصب الرفيعة في الدولة ومن أهم اعماله أن جعل اللغة الأردية الوليدة لغةً رسميةً للبلاد وعمل على نشرها وفرض التخاطب بها.

ويشير المؤرخون الى النزعة الدينية عند جهانجير بعد فتحه قلعة كنگرة سنة ١٠٣١ هـ / ١٦٢٢ م فيقول في سيرته " تُرك جهانجيرى " حَرَجْنَا لِلتَّجُولِ فِي قَلْعَةِ كَنگَرَةِ ، فَأَمَرْنَا أَنْ يُرَافِقَنَا الْقَاضِي وَمِيرَ عَدْلٍ وَعَيْرُهُمَا مِنَ الْعُلَمَاءِ لِيُظْهِرُوا شَعَائِرَ الْإِسْلَامِ ، وَوَصَلْنَا بَعْدَ سَيْرِ فَرَسِخٍ وَاحِدٍ إِلَى دُرْوَةِ الْقَلْعَةِ ، فَأَمَرْتُ - بِتَوْفِيقِ اللَّهِ تَعَالَى - بِالْأَذَانِ ، ثُمَّ أَلْقَيْتُ خُطْبَةً وَأَمَرْتُ بِدَبْحِ بَقَرَةٍ - وَلَمْ يَتَّفِقْ ذَلِكَ قَطُّ مُنْذُ بِنَاءِ هَذِهِ الْقَلْعَةِ - ثُمَّ حَرَرْتُ لِلَّهِ سَاجِدًا عَلَى أَنْ وَقَفَنِي إِلَى مَا لَمْ يُوقَفْ إِلَيْهِ سُلْطَانًا مِنْ قَبْلُ ، وَأَمَرْتُ بِبِنَاءِ مَسْجِدٍ وَاسِعٍ دَاخِلِ الْقَلْعَةِ".

## سادية جهانجير

رصدنا فى سيرة جهانجير (تيزك ئى جهانجيرى) بعضا من التصرفات الوحشية التى تُسئ اليه ولم يتردد فى تسجيلها بمذكراته فيقول " أن طائفة من الخدم فيهم سائسه أفرعوا الطرائد التى تربص بها ذات يوم فى ساحة الصيد فأفلتت ، فأمر بقتل السائس وأن تخلخل ركب الخدم ليعيشوا بقية أعمارهم كُساحاً ؛ ويقول إنه بعد أن أشرف على تنفيذ أمره هذا "مضى فى صيده".



وتُحيطه الشكوك بأنه سمم والده السلطان أكبر متعجلاً إرتقاء العرش لما طال بوالده الأجل في الحكم الذي تجاوز عهده الخمسين عاماً ، وهو متهم بالتخلص من علي قُلي الأصفهاني زوج مهر النساء نورجهان التي هام بها حُباً في شبابه وحرموه الزواج منها.

وفي حادث ذو طبيعة مختلفة ؛ عاقب السلطان جهانجير سبعائة من المقاتلين السيخ بالموت على "الخوازيق" في شوارع لاهور حتى فاضت أرواحهم ، لمحاربتهم في صف ابنه المتمرد خسرو ضد قوات أبيه ، وعلى نحو ما فعله هو شخصياً بالتمرد على أبيه أكبر .

### زوجات جهانجير:

تزوج ١٣ امرأة من بينهن ١١ راجبوت (هندوسيات) ، وواحدة مغولية ، ومحبوبته الفارسية نور جهان ، ويعنينا من زوجاته الراجبوتيات :  
شاه بيگم ..... ويعني بالفارسية السيّدة الملكة ، اسمها الأصلي " من بهاوتي بائي " أو " مان بائي " ، هندوسية ابنة الراجا " بهاگونت داس " ، صاحب حصن عامر ، أنجبت له خسرو ميرزا (المتمرد على والده وفساد العقيدة مثل جده أكبر) ؛ تُوفيت ١٠١٢ هـ / ١٦٠٤ م

جگت گوسين (سيّدة العالم) ولُقبت بعد وفاتها بلقيس مكاني (هندوسية) ابنة الراجا أدهي سينغ صاحب ماروار أنجبت وليّ عهده خُرّم مُحمّد الشهير بشاهجهان السلطان العظيم ، تُوفيت سنة ١٠١٢ هـ / ١٦١٩ م.

### نورجهان عشق جهانجير الأكبر

من أهم أحداث حياة جهانجير عشقه / ميهر و نيسا أي شمس النساء الشهيرة بـ/ نورجهان ؛ وهي ابنة تاجر فارسيّ ولاء الإمبراطور جلال الدين أكبر ديوان كابل ؛ إفتتن بها جهانجير في شبابه ولم يمكنوه من الزواج بها ، وتخلص البلاط من هذه القصة دون سبب مفهوم (٢٢٤) ؛ بتزويجها وهي في السابعة عشرة من العمر ، بقائد أوزبكي هو علي قُلي استجلو الأصفهاني أحد كبار القادة (٢٢٥) ؛ إمتدحه الإمبراطور

٢٢٤- هناك من يقول أن مهر النساء رفضت الزواج بجهانجير ، وهو سبب إبعاد القصر لها بتزويجها على قُلي .  
٢٢٥- رُفّي إكتسب شهرته من شجاعته في معركة پاني پت سنة ٩٦٣ هـ / ١٥٥٦ م ، وإنتصاره على جيش شير شاه بن عادل شاه الصوري ( الأفغانى ) سنة ٩٦٧ هـ / ١٥٦٠ م ، عند محاولته الاستيلاء على جونفور، وَاغْتَرَّ بِالتَّفَافِ كَثِيرٌ مِنَ الْجُنْدِ وَالْقَادَةِ حَوْلَهُ فَتَمَرَّدَ وَرَفَضَ بَعْدَ انْتِصَارِهِ أَنْ يَرُدَّ الْفِيلَةَ الَّتِي غَنَمَهَا إِلَى السُّلْطَانِ ، فَخَرَجَ أَكْبَرَ بِنَفْسِهِ لِقِتَالِهِ ، فَأَسْرَعَ بِتَقْدِيمِ الْوَلَاءِ وَالطَّاعَةِ وَتَسْلِيمِ الْفِيلَةَ وَغَنَامِ الْحَرْبِ وَبَعْضِ الْهَدَايَا وَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْ السُّلْطَانِ ، فَعَفَا عَنْهُ وَتَغَاضَى عَنْ عَصِيَانِهِ وَثَبَّتَهُ فِي حُكْمِ جُونْفُورِ .

أكبر فلقبه بـ "شير أفغن خان" أي صائد الأسود لإنقاذه ابنه الأمير جهانجير من نمور هاجمته ، وكان على قلى من القادة الذين انضموا إلى جهانجير عندما ثار على والده أكبر ، فلبث معه بعض الوقت بالديكان ثم تخلى عنه وعاداً لخدمة السلطان أكبر.

ولمّا تولّى جهانجير الحكم صفح عن كل من تخلوا عنه فى تمردده على والده ومن بينهم علي قلى و ولّاه مدينة بردوان بالبنگال ، وبعد برهة إنقلب عليه السلطان عندما بلغه أن قلى يتعاون مع المتمردين الأفغان ؛ فأرسل السلطان إليه حاكم البنغال وهو فى نفس الوقت أخاه من الرضاة ليستجلى الحقيقة ؛ وفى قول آخر يطلب منه تطبيق نور جهان ليتزوجها السلطان ، فأحس بالخطر وهاجم مبعوث السلطان وكاد أن يقتله لولا أن أنقذه حرسه وقتلوا على قلى ، وكانت نور جهان وقتها فى الـ ٢٨ من العمر وعندها ابنه من قلى .

وفى سنة ١٠١٦هـ / ١٦٠٧م؛ أحضرتها الملكة رقية سلطان بيغوم زوجة جلال الدين أكبر هى وابنتها لتقيم معها بالقصر فى أجرا كوصيفة ؛ وفى عام ١٠٢٠هـ / ١٦١١م تزوجها الإمبراطور جهانجير و كان عمره وقتها ٤٢ وعمرها ٣٤ عاما ، وكانت الزوجة الثانية عشر لجهانجير وقبل الأخيرة ؛ ومن هيامه بها سمّاها " نورجهان " أي " نور الدنيا " وأمر بسك إسمها على العملة بجانب اسمه، وكتب فيها شعرا بالفارسية على العملة يقول " بأمر الشاه جهانجير ، حلى الذهب بمائة حلية باسم الملكة نورجهان بيگم ، وزين بمائة زينة بضرب اسمها عليه " ؛ ويذكر المؤرخون أنها كانت طيبة القلب جوادة تُساعد الفقراء و تيرعت بصدّاق مئات البنات وكانت بجمالها وقوّة شخصيّتها ورجاحة عقلها صاحبة كلمة ورأى فى أمور البلاط ، وعززت مكانتها فى الأسرة الإمبراطورية بتزويج ابنا جهانجير من عذارى أسرتها الأقربين ؛ فزوجت الأمير خرم محمد "السلطان شاهجهان" ابنة أخيها آصف وزوجت أخيه شهريار من ابنتها لادلي بيگم ابنة قلى ، ومع تقدّم جهانجير فى العمر ومرضه لإدمانه الخمر والأفيون ، زاد نفوذ نورجهان فعينت والدها صدرا أعظم بلقب اعتماد الدولة وعينت أخاها آصف رئيساً للتشريفات السلطانية.





يُقَال أَنهَا نُورِ جِهَانِ

### أهم أحداث عهد جهانجير:

#### - تمرد خسرو بن جهانجير (فاسد العقيدة) (٢٢٦)

كان لدى جهانجير حساسية أصيلة تجاه ابنه الأكبر خسرو وولى عهده ؛ منذ أن كان جهانجير أميراً وولياً للعهد زمن أبيه أكبر عندما إقترح اعدائه فى البلاط على أكبر جعل حفيده خسرو ابن جهانجير ولياً للعهد بدلاً من أبيه جهانجير ؛ ووصل الأمر بجهانجير لما تولى الحكم أن يضع خسرو قيد الإقامة الجبرية بقلعة أجرا لكنه فر منها سنة ١٠١٤هـ/١٦٠٦م إلى البنجاب ومعه ثلاثمائة وخمسون من رجاله، واستطاع بمُساعدة بعض حُكَّام الأقاليم و زعيم الشيخ جورو أرجون أن يُكوّن جيشاً من اثني عشر ألف جندي وقام بمحاصرة لاهور ، وما إن علم جهانجير بذلك حتى أرسل جيشاً لِقِتاله ثم أقبل عليه بنفسه وأسره وسجنه ونكل بالجور و أرجون والمقاتلين الشيخ ز

وكان جهانجير يترصد الجورو منذ زمن بعيد ؛ فيقول فى مذكراته " تزك نى جهانجيرى" - " لقد إنجذب لهذا الشخص وتعاليمه كثير من الهندوس السذج والمسلمين البلهاء ، فيأتون اليه من كل مكان على مدى ٤ أجيال ، وكنت أفكر أن أضع حدا لهذا أو يعتنق الجورو الإسلام " (٢٢٧) ، وزاد الطين بلة إمتعاضه بمرارة عبر عنها فى مذكراته ؛ من تقديم الجورو الولاء والبيعة لإبنه المتمرد خسرو بوضع الزعفران على جبينه ومدته بالسلاح والمال والمقاتلين ؛ ومن هذا المنطلق بات مفهوما تطرف جهانجير فى موقفه من الجورو وجماعته .

خير جهانجير الجورو أرجون بين إعتناق الإسلام أو الموت ؛ ولما رفض عذبه ورفض كل محاولات إفتدائه مقابل كنوز من المال ، كما رفض تشفع الصوفى المسلم / مان مير اللاهورى صديق الجورو وانتهى الأمر بإعدام الجورو سنة ١٦٠٦؛ وأعدم سبعمائه من المقاتلين الشيخ على الخوازيق فى شوارع لاهور ؛ وكان تعسف جهانجير مع جورو الشيخ سببا فى أن يوصى الجورو قبيل إعدامه ابنه وخليفته / جورو هارجوبيند بحمل السلاح ضد المغول ، ومنذ ذاك الوقت تبنى الشيخ نهج القوة (٢٢٨).

وبعد فترة من سجن جهانجير ابنه خسرو، تمكن خسرو من تجنيد نفراً من حُرَّاسه لِقَتل والده جهانجير ، فلما علم السلطان بذلك أمر بقتل المُتآمرين وسمل عينا ابنه وأبقاه فى محبسه حتى مات سنة ١٠٣١هـ / ١٦٢٢م.

٢٢٦ - خسرو ميرزا ، ابن جهانجير من زوجته الراجبوتية شاه بيگم "من بهاوتي بائي" ، ابنة الراجا " بهاگونت داس" ، صاحب حصن عامر، توفيت ١٠١٢هـ / ١٦٠٤م .

٢٢٧ - ص ٢٣٥

٢٢٨ - قالت بعض المصادر أن جورو هار راي قدم رعاية طبية للأمير دارا شيكوه عندما سممه عملاء المغول ، بينما تقول مصادر مغولية أنه قدم أشكال أخرى من الدعم للأمير .

### حملة البنغال

بقيت البنغال عملياً حتى عهد جهانجير خارج سيطرة المغول ؛ منذ أن ضمّها أكبر سنة ٩٨٣هـ / ١٥٧١م بسبب تمرد الأفغان المستمر ، فجرّد عليها جهانجير حملةً تمكنت من السيطرة على الإقليم بعد معارك عدة في الفترة من ١٠١٩- ١٠٢١هـ / ١٦١٠م - ١٦١٢م حتى إستقرت الأمور فيه للمغول .

### حملات ميوار

كان على جهانجير أن يُتم ما لم يُنجزه والده أكبر بإستكمال السيطرة على ميوار الهندوسية التي إحتل بعضاً من قلاعها والده أكبر (شتور) وترك أميرها الفار ؛ وتحدى صاحب ميوار مهاراتا برتاب الدولة المغوليّة وخاض معها معارك إنتصر في بعضها وإنهزم في البعض الآخر ولكنه تمكن عند وفاته عام ١٥٩٧ من تحرير مساحة كبيرة من أراضي ميوار ؛ وتركها لإبنه أمار سينغ الأول الذي توسع في ارض المغول ؛ أرسل جهانجير حملة بقيادة ابنه الشاهزاده / پرويز ميرزا سنة ١٠١٤هـ / ١٦٠٥م فشلت في هزيمته ، فأرسل حملة أخرى بقيادة مهابت خان سنة ١٠١٧هـ / ١٦٠٨م أجبر فيها أمار سينغ على الهرب إلى الجبال.

وفي سنة ١٠٢٣هـ / ١٦١٤م ؛ تمكن الشاهزاده/ خُرّم مُحمّد ابن جهانجير (شاهجهان فيما بعد) من الإنتصار عليه في أكثر من معركة وأن يأسر قادة وعائلات الراجبوت الفارين ؛ فإضطرّ أمارسينغ سنة ١٠٢٤هـ / ١٦١٥م أن يطلب الصلح بشروط وافق عليها جهانجير :

✓ إعفاء أمار سينغ من المُثول بين يديّ السُلطان (كطلبه) ، على أن ينوب عنه ابنه .

✓ رد المغول مقاطعة ميوار بما فيها قلعة چتور التي استولى عليها جلال الدين أكبر ؛ إلى أمار سينغ على أن يحكم باسم المغول مع تعهده بعدم إقامة أيّة تحصينات في القلعة(إقتراحه) ..

✓ يُقدّم أمار سينغ ألف فارس إلى جيش المغولي عند الحاجة ، ومنح ابنه قران بن أمار سينغ وظيفة منصب دار خمسة آلاف .

✓ و تكريماً من جهانجير لـ أمار سينغ ، لم يُصر جهان كير على طلب الجزية منه كزعماء الهندوس الآخرين ؛ وأنهت هذه الاتفاقية قرناً من العداة والحزوب المُتواصلة بين الأسرتين الحاكميتين في أجرا و چتور .

### اضطرابات الديكان

في آخر عهد أكبر تمرد ملك عنبر الحبشي ؛ الصدر الأعظم الوصي على عرش نظام (اللقب السلطاني لسلطين أحمد نگر) وتمكن من إسترداد أسيرگاه من المغول ، وكان قد استولى عليها أكبر منهم بعد أن أجبرهم على الإنسحاب الى

الكجرات ، وعلى الرُغم من انتصاره أدرك عنبر أنه لا يمكنه النصر فى مواجهة كبرى مع المغول فى المدى الطويل فلجأ إلى حرب العصابات لإنهاكهم مستغلا الماراتيين بعد أن دربهم على حرب الأدغال الخائفة ، ونجح فى إرغام المغول على الانسحاب من أحمد نگر سنة ١٠١٨هـ / ١٦٠٩م ؛ فأرسل جهانجير حملة أخرى من ضمن قادتها راجا " مان سينگه" الراجپوتى لكنها إندحرت ، وراح ملك عنبر يُقوى جيشه فأصبح يضم ١٠ آلاف عبد حبشيّ و ٤٠ الف من أبناء الديكان عام ١٦١٠م ورغم ذلك تمكن خُرّم مُحمّد فى النهاية من إرغام عنبر على طلب الصلح وأن يُسلّم ما انتزعه من أراض المغول فى بالاكهاٲ و قلعة أحمد نگر ، ووافق السلطانين جهانجير وبُرهان على المُعاهدة، وكافأ جهانجير ابنه خُرّم مُحمّد بلقب "شاهجهان" أى ملك العالم بالفارسيّة، وسمح له أن يكون الرّجل الوحيد الذى يجلس فى حضرته.

فتح جهانجير خوردا الهندوسية ١٠٢٧هـ / ١٦١٧م على حدود كولكنده ثم فتح كيشتوار فى كشمير عام ١٠٣٠هـ / ١٦٢٠م (هندوسية) ثم تمرت فأعاد فتحها عام ١٦٢٢م

#### تمرد ملك عنبر من جديد

وفى سنة ١٠٢٩هـ / ١٦٢٠م نقض ملك عنبر المُعاهدة مع المغول مستقويا بتحالفه مع سلطنات القطبيين فى كُلكنده، والعالديين فى بيجابور بالإضافة الى أحمد نگر ؛ فى وقت كان فيه جهانجير/ وإبنه الشاه زاده خُرّم مُحمّد مشغولين بحصار كنگرة فى شمال شرقيّ الپنجاب، وهو حصن منيع استعصى فتحه على عتاه السلاطين السابقين (محمود الغزنوي سنة ١٠٠٩م - فيروز شاه- محمد طغلق سنة ١٣٦٠م - شير شاه سنة ١٥٤٠م - وأيضا السلطان أكبر الذى ترك الحصن بعد حصار) ؛ وقد فشلت حملات والى الپنجاب فى عهد جهانجير فى فتحة بعدما رفض القادة الراجپوتيون فى جيشه مهاجمة الحصن .

ولكن الشاه زاده خُرّم مُحمّد "شاهجهان" إبن جهانجير نجح فى فتح كنگرة بعد أن حاصره أربعة عشر شهرا ؛ إستسلم بعدها "بيكرماجيت" صاحب الحصن ، فدخله الشاه زاده خُرّم ١٠٢٩هـ وضحى بِثورٍ شُكرا لله على هذا النصر، وبنى بداخله مسجداً و سمح لِجُنُوده بِاغتنام الأموال والكُنُوز من معبد " نكرگت" .

ثم غزا أحمد نگر وانتصر على المراثيين وإسترد الأراضي التي استولوا عليها  
في إقليميّ أحمد نگر وبيرار.



حصن كنكرة مبنى على هضبة حصينة

### تسليم جهانجير قندهار للصفويين

عام ١٦٢٢-١٦٢٣

إستغل الشاه الصفوى عبّاس بن مُحَمَّد خُداابندا الشهير بِعبّاس الكبير اضطراب الأوضاع فى الهند عقب وفاة جلال الدين أكبر وانشغال جهانجير بوأد الفتن ؛ وأوعز إلى واليه على خُراسان بإحتلال قندهار ولكنه فشل فعاود المحاولة بجيش كبير سنة ١٠٣٠هـ / ١٦٢١م فأمر جهانجير ابنه شاهجهان بالتوجه من الديكان إلى قندهار لردع الصفويين ، لكن شاهجهان رفض لشكه فى أن نورجهان زوجه أبيه تتأمر عليه عند أبيه لحرمانه من ولاية العهد ومنحها لأخيه شهريار زوج ابنتها ، فإستغلّت نورجهان رفضه ؛ بأن رشحت أخيه شهريار لقيادة الحملة لينال الحظوة لدى أبيه ؛ ولكن قبل تحرك الحملة كانت المدينة قد إستسلمت للصفويين بعد حصار إستمر لخمسة وأربعين يومًا ، وأرسل الشاه عبّاس الكبير رُسلًا إلى جهانجير يخفف من وقع الأمر عليه مؤكّدا حقّه المتوارث فى المدينة ؛ فما كان من جهانجير إلا التسليم بالأمر الواقع لإستحالة إستعادة المدينة ولإنشغاله بثورة ابنه شاهجهان.

### تمرد شاهجهان

#### على أبيه جهانجير

ثار شاهجهان واشتبكّ مع قوات ابيه سنة ١٠٣٢هـ / ١٦٢٣م ولكنه انسحب من المعركة ، والتمس مُساعدة كل من ملك عنبر فى أحمد نگر ومن سلطنة بيجابور فهزمه ابيه قُرب مدينة الله آباد سنة ١٠٣٥هـ / ١٦٢٦م ؛ فطلب شاهجهان الصّبح فعفا عنه والده .

### السلطان أسيرا

#### (تمرد مهابت خان)

كان مهابت خان من أكبر قادة الدولة المغوليّة فقد كان له فضل تحقيق الإستقرار فى البنغال ودحر قوات شاهجهان أثناء تمرده على والده السلطان ؛ كما أنه كان مُقربًا الى الشاهزاده پرويز ثانى أبناء السلطان ومن مؤيديه لولاية العهد ومن هنا كان صدامه مع نورجهان التى تسعى لترفيع شهريار للعرش فإتهمته بالخيانة وحرّضت عليه السلطان ، فاستدعاه جهانجيرمن البنغال ؛ فإستشعر الخطر على حياته فخرج فى حماية خمسة آلاف مُقاتل من الراجپوت وكمن للسلطان فى كشمير وهو يعبر أحد الأنهار وإعتقله أسيرا سنة ١٠٣٦هـ / ١٦٢٦م .

ولما علم شاهجهان بأسر أبيه سارع لِنجذته ولما علم مهابت خان بقدم شاهجهان فر الى الجبال ، وعند السند أخبرته رُسل نورجهان بفرار مهابت خان

والعودة إلى الديكان ، ولما تم العفو عن مهابت خان بناء على طلبه إنضم الى شاهجهان فى الديكان وأصبح من أنصاره.

### معركة هوكلى مع البرتغاليين

١٠٤١هـ / ١٦٣١م تصادمت قوات جهانجير مع البرتغاليين فى ميناء هوكلى بسبب تفشى التبشير الكاثوليكي بين المسلمين ؛ وقُتل فى المعركة ١٠ الاف برتغالى و الف مسلم وأسر ٤٠٠ برتغالى بين نساء وأطفال ورجال (٢٢٩).

### المُعاهدة التجارية

#### مع شركة الهند الشرقية الإنكليزية

وقع جهانجير معاهدة مُعاملة تفضيلية مع شركة الهند الشرقية الإنكليزية عام ١٦٠٠ م ، ففتح شبه القارة الهندية للتغلغل الإنجليزى .

## معارك جهانجير

الرقم	اسم الواقعة وتاريخ وقوعها	قائدها
١	حملة ميوار الأولى، ١٦٠٥هـ/١٦٠٥م	برويز خان
٢	حملة ميوار الثانية، ١٦٠٨هـ/١٦٠٨م	محيب خان
٣	موقعة ماندو، ١٠٢٦هـ/١٦١٧م	جيهان كير
٤	موقعة خوچار، ١٠٢٤هـ/١٦١٥م	جيهان كير
٥	احتيال خورده، ١٠٢٧هـ/١٦١٧م	مكرم خان
٦	فتح كيشنوار، ١٠٣٠هـ/١٦٢٠م	جيهان كير
٧	موقعة ميناء هوكلو، ١٠٤١هـ/١٦٣١م	جيهان كير



### وفاة جهانجير

مات جهانجير سنة ١٦٢٧ عن عمر ناهز ٥٨ سنة لتدهور صحته من جراء إيمانه الشراب ؛ حكم منها اثنين وعشرين عامًا ، ويصف عبد الحي بن فخر الدين الحسيني المتوفى سنة ١٣٤١هـ في كتابه " الهند في العهد الإسلامي " مقبرة جهانجير فيقول: " مَقْبَرَةُ جِهَانَجِيرِ بْنِ أَكْبَرَ شَاهِ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٠٣٧ هـ بِشَاهِدَرِهِ... بِنَاهَا وَلَدُهُ شَاهِجِهَانَ عَلَى رُبُوعٍ كَبِيرَةٍ فَرَشُوهَا بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْجِجَارَةِ الْحَسَنَةِ الثَّمِينَةِ كَالْعَقِيقِ وَاللَّازُورْدِ، وَالنَّيْلِمِ، وَالسُّلَيْمَانِيِّ، وَالزَّهْرَمَهْرَةِ، وَالْمَرْجَانِ، وَالْإِبْرِيِّ وَغَيْرَهَا، مِمَّا لَا يُوجَدُ لَهُ نَظِيرٌ.

مقبرة جهانجير  
من الخارج والداخل  
(نقلا من الويكيبيديا)





مدفن جهانگیر من الداخل



مقبرة جهانگیر

(٤)

شاهجهان

١٦٢٨ - ١٦٥٨

بعد وفاة جهانجير ١٠٣٧ هـ / ١٦٢٧ م ؛ انقسم القصر وقيادات الدولة حول من يتولى العرش شاهجهان ولى العهد أو أخيه شهريار ، وإمتد الإنقسام الى أسرة نورجهان ؛ فهي تؤيد شهريار زوج إبنتها بينما أخيها آصف خان وزير الدولة يؤيد في ومعه معظم الأمراء زوج إبنته شاهجهان ، ولتأمين العرش لحين حضور شاهجهان من الديكان قام آصف خان بتصفية المعارضين ، ولما بادرت نورجهان من جانبها بإعلان شهريار سلطاناً من لاهور إقتحم أخواها آصف خان لاهور وقبض على شهريار وسمل عينيه ليصبح لا أمل له ولا لمؤيديه في إرتقاء العرش .

تولى شاهجهان العرش ١٠٣٧ هـ / ١٦٢٨ م ، وتلقب " أبو المظفر شهاب الدين محمد شاهجهان، وعين آصف خان صدرًا أعظمًا ولقبه " يمين الدولة " واعتزلت نورجهان الحياة العامة ، وعاشت مع ابنتها أرملة شهريار ما تبقى من عمرها .

### ثراء الهند في عهد شاهجهان

إزدهر إقتصاد دولة المغول في عهد شاهجهان على نحو غير مسبوق في الهند على إتساعها فكانت دولته من أغنى دول العالم إن لم تكن أغناها ، وقدر " أنغوس ماديسون " عالم الإقتصاد البريطاني نصيب الهند المغولية سنة ١٦٠٠م بحوالي ٢٢,٧% من الناتج العالمي إرتفع إلى ٢٤,٤% سنة ١٧٠٠م ، متخطية بذلك الصين لتصبح أغنى دول العالم آنذاك ؛ وعلى المستوى المحلى بلغت عائداتها من خراج الأراضي ٢٧ كرور روية أي ٢٧٠ مليون روية ؛ بخلاف خراج كابل وقندهار ؛ ويؤكد هاشمي أن هذه الأموال كانت تأتي السلطان دون ضغط أو ظلم ؛ وقد مكن هذا الثراء شاهجهان من:

الإنفاق على جيش ضخم بلغ سنة ١٦٤٨ أكثر من مليون جندي (٩١١,٤٠٠ جندي مشاة وحملة البنادق والمدفعيين بالإضافة الى ١٨٥ ألفا من الفرسان) ، بزيادة أربعة أضعاف عما كان عليه زمن أبيه جهانجير؛ و إهتم بتصنيع المدافع وكانت أبرز دور صب المدافع في قلعة " جيگره " ؛ وخاض شاهجهان وهو مقاتل عظيم حروبا كبيرة وهو أمير في عهد والده ثم وهو سلطانا .

### المنشآت المعمارية

- تاج محل :

درة منشأته وأحد روائع العمارة الإسلامية في العالم وإحدى عجائب الدنيا السبع ؛ بناه السلطان مدفنا لرفات زوجته الحبيبة ممتاز محل ورفاته من بعد ؛ وقد

استغرق بناء تاج محل الفترة ١٦٣٠-١٦٤٨ وتكلف ٣٢ كرور روبية أي ٣٢٠ مليون روبية ؛ بخلاف ما قدمه حكام الأقاليم من احجار المرمر كهدايا؛ قام على بناء تاج محل ٢٢ الف عامل والف فيل ، وهو مصنوع من المرمر وزخارفه الداخلية مطعمة بأحجار نفيسة، تتميز بألوانها الزاهية ورُسومها الأخاذة ، مُحلاة بنُقُوش لآيات قرآنية ؛ وقد أنفق السلطان على بنائه ما يُوازي مائتي وعشرين كرور روبية ، أي ما يُوازي ثلاثمائة وعشرين مليون روبية ، واستغرق بناؤه اثنتين وعشرين سنة، وعمل فيه اثنان وعشرون ألف عامل.

### - الحصن الأحمر :

المقر الإمبراطوري والسكنى للسلطان مبنى على شاطئ نهر جمنا ، صمم المبنى المهندس المعماري أحمد لاهوري ، الذي قام أيضًا ببناء تاج محل ويمثل الحصن ذروة العمارة المغولية في عهد شاه جهان، ويضم الحصن مسجد اللؤلؤة وهو من الرُخام الأبيض الخالص ويُعدُّ تحفةً في عالم البناء .

### - المسجد الجامع في دهلي:

يُعد أفخم مسجدٍ في الهند كُلهَا، أرضه من المرمر الأبيض الناص، ويتسع لخمس وعشرون مُصلًى .

### - عرش الطاوس

أمر شاهجهان بصنع عرشا لا يُضاهيه عرش ؛ فصنعوا له " عرش الطاوس " ، مرصع بأكداسٍ من الجواهر النادرة ؛ سقفه قائم على اثني عشر عمودًا من الزمرد ومُطلى بالمينا ، على قائمه طاوسان تزيئهما الجواهر وتتوسطهما شجيرة يُغطيها الماس والياقوت والزمرد، وتتدلى منه دُرُج ثلاث تكسوها الجواهر والياقوت إجمالي وزنها ٢٥٠ كيلوجراما من هذه الأحجار النادرة ؛ وصُنعت قوائمه من الذهب الخالص بلغ وزنها ١٢٠٠ كيلوجرام وقد استغرق صنع هذا العرش سبع سنواتٍ وبلغت تكلفته ٢٩ كرور روبية ، أي ضعف تكلفة تاج محل الذي تكلف بناؤه ١٥ كرور (٢٣٠).

ورغم كُلهَا هذا الإنفاق الباذخ لم تنضب خزائن شاهجهان ؛ فوجدوا بخزائنه عند وفاته ٢٤ كرور روبية أي ٢٤٠ مليون روبية ، وما يساوي ١٥ كرور روبية أي ١٥٠ مليون روبية من الذهب والفضة والجواهر .

٢٣٠- استولى نادر قُلي الأفشاري شاه إيران في غزته الهند سنة ١١٥١ هـ/١٧٣٩ م على عرش الطاوس ونقله الى إيران ، ومن غير المعلوم مصيره ولكن يتردد أن الشاه فتح علي بن حسين القاجاري صنع من بقايا عرش جديد باسم عرش الطاوس رمزا لإيران .

صور تحف شاهجهان المعمارية

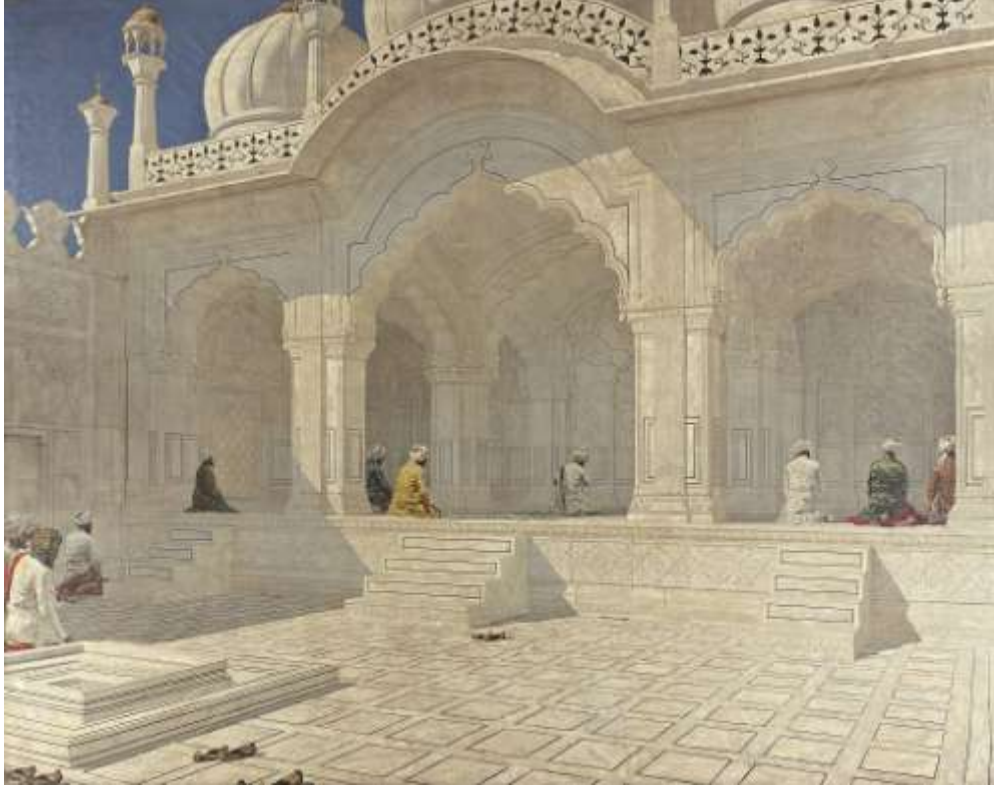


المسجد الجامع بدلهي  
يتسع لخمس وعشرون ألف مُصلي

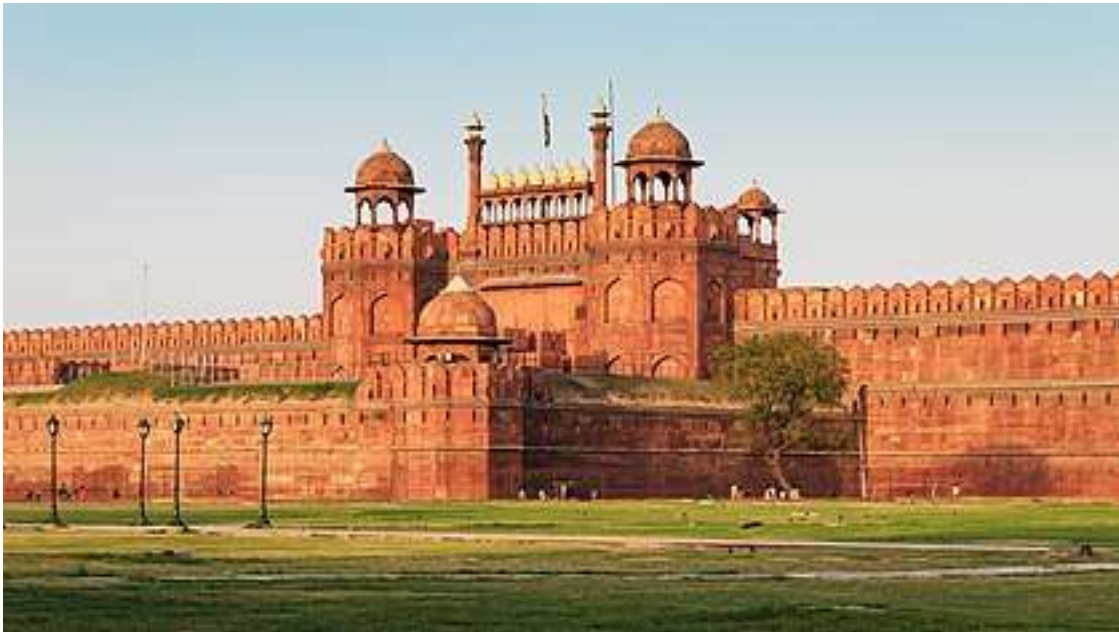


مسجد اللؤلؤة





مسجد اللؤلؤة



القلعة الحمراء



أمر الإمبراطور شاه جهان ببناء القلعة الحمراء في ١٢ مايو ١٦٣٨ ، عندما قرر نقل عاصمته من أجرا الى دلهي

### نشاط شاهجهان الحربي

قاد ابنه الأمير أورنجزيب معظم الحملات العسكرية ، وما يلي سجل لأهم نشاطه في هذا المجال :

#### - تمرد راجا بُندلخند

##### ججهار سينغ

لما مات برمن سينغ ديقا بانديلا (نرسنكه ديُو) راج بُندلخند وصديق جهانجير الوفى الذى نفذ أمره باغتيال أبي الفضل بن مبارك وزير أكبر الذى أرسله لقتال جهانجير لما تمرد على والده أكبر ، عين شاهجهان ابنه ججهار سينغ خلفا له عرفانا منه لخدمات والده ؛ لكنه أخذ يُحصّن قلاعه ويتعسّف في جمع الضرائب ، فأمر شاهجهان بالتحقيق معه فراح يستعد للحرب وإعلان استقلاله ، فأرسل شاهجهان مهابت خان ومعه قوة من سبعة وعشرين ألفا من الفرسان وستة آلاف من المشاة لقمع ثورته ، فتراجع الأمير الهندوسى عن تمرده وطلب الأمان سنة ١٠٣٧ هـ / ١٦٢٨ م ، فصفح عنه شاهجهان وأبقاه في حُكم بُندلخند .

#### - ثورة خان جهان

وفى السنة الثانية من حُكم شاهجهان ثار خان جهان (بيرخان بن دولت اللودهي الأفغاني) ، وهو من أبرز قادة جهانجير وأحبهم الى نفسه وكان من المؤيدين لنورجهان وشهريار في صراعهما ضد شاهجهان على العرش ؛ وكان شاهجهان قد عفا عنه وولّاه الديكان ، فاشتت في ارتكاب المظالم فأعفاه شاهجهان وعيّن مهابت خان بدلا منه على الديكان ؛ فلم يرض بذلك ولجأ الى النظام شاهي حُسين بن بُرهان وحرصه على حرب المغول ، فأرسل شاهجهان ثلاثة جيوش من الكجرات وجيشان من ريو الكون و تلتگانة الى الديكان للقضاء على تمرده فلما إنكسر خان جهان إحتمى بسُلطان بيجابور مُحَمّد بن إبراهيم العادل شاهي الذى لم يرحب به طويلا ففر الى الأفغان بالبنغال ، وإنتهى الأمر بهزيمته ومقتله ١٠٣٩ هـ / ١٦٣٠ م وإعدام أنصاره .

#### القضاء على المُستعمرة البرتغاليّة في البنغال

ضاق شاهجهان بممارسات البرتغاليين فى مستعمرتهم هوگلي بالقرب من كُلكتّة فى البنغال ، لإستيلائهم على القرى التابعة للمغول حول ضفتي نهر هوگلي ، وراحوا يسيئون إستغلال الامتيازات التي منحها لهم أكبر وجهانجير ففرضوا مُكوسًا جائرة على الأهالي وباشروا التنصير جبرا وإنغمسوا فى تجارة الرقيق ، فكانوا يخطفون الأطفال الأيتام من الهندوس والمُسلمين على السواء ليبيعونهم فى

أسواق الرقيق خارج البلاد ، وكان من بين من اختطفوهم جاريتين للسلطانة ممتاز محل، كما لم يتوانوا عن مهاجمة السفن التجارية المغولية ونهبها وكان الناس يفرعون الى السلطان طالبين تدخله .

وبعد أن إنتهى شاهجهان من ثورتي ججهار سينغ وخان جهان ؛ أرسل كتاباً شديد اللهجة إلى نائب الملك البرتغالي في جوا طالبا تعويض السلطنة عن الخسائر التي لحقتها من جراء مهاجمة البرتغاليون للسفن المغولية ، ودعا رئيس شركة الهند الشرقية الإنجليزية للقيام بحملة مشتركة ضد المستعمرتين البرتغاليتين في دمن و ديو مقابل منح الإنجليز إمتيازات تجارية في المناطق البرتغالية ؛ فلما رفضت الشركة الإنجليزية ، أمر شاهجهان حاكم البنغال بتصفية المستعمرة البرتغالية في هوگلي ، فحاصرها لثلاثة أشهر سنة ١٠٤٠ هـ/ ١٦٣١ م ، فحاول البرتغاليون إسترضاء السلطان بمبلغ من المال ودفع الجزية حتى يتموا الإستعداد للحرب .

ولما إنفجر القتال أبيت قوة الحماية البرتغالية المكونة من عشرة آلاف و سويت حصون المستعمرة ومتاجرها بالأرض، وأسر من غير المقاتلين أربعة آلاف برتغالي ؛ سجنوا في أجزا و خيروا بين اعتناق الإسلام أو الحبس، فأسلم بعضهم وبقي البعض الآخر على المسيحية ، أفرج عنهم شاهجهان فيما بعد وحرر الجيش المغولي عشرة آلاف أسير هندي لدى البرتغاليين ، بينما فقد جيش المغول نحو ألف جندي .

## عصيان الراجا

### ججهار سينغ مجدداً

خدم ججهار سينغ الدولة المغولية بإخلاص لخمس سنوات بعد تمرده الأول ؛ ساعد فيها السلطان شاهجهان علي الاستيلاء على دولت آباد وإخضاع سلطنة نظام شاهية في الديكان؛ لكنه تمرد مجددا وحاول الاستيلاء على گوندوانة سنة ١٠٤٤ هـ/ ١٦٣٤ م ليُعوّض ما خسره من أراض أمام المغول سنة ١٠٣٨ هـ/ ١٦٢٩ م ، فحذره شاهجهان من معاودته العصيان، لكنه لم يستجب وحاصر شوراغار سنة ١٠٤٥ هـ/ ١٦٣٥ م وقتل حاكمها الهندوسي ؛ فطلب ابنه من السلطان الأخذ بثأر والده ؛ فأمر السلطان ججهار سينغ بإعادة گوندوانة إلى ابن الراج القتل بالإضافة إلى قسم من أملاكه لترضيته ودفع الجزية للمغول ، فرفض ججهار سينغ واستدعى قواته التي تخدم مع الجيش المغولي في الديكان، فغضب شاهجهان وكلف ابنه الشاهزاده أورنجزيب بقمع ججهار فطارده الى الديكان حيث إحتفى وإبنه بالغابات فقتلهم السگان المحليين قوم الكوند .

كافاً شاهجهان ، ديفي سينغ لمساعدته حملة المغول في قمع شقيقه ججهار سينغ ، وعينه حاكماً على أورچھة ، ولكن السُّكَّان رفضوا زعامته وأعلنوا العصيان بزعامة "شاميث راي" ، واستمرَّ عصيانهم حتَّى عهد أورنجزيب .

### إخضاع شاهجهان سلطنة العادليين

#### و شاهجي مؤسس ماراثا

تحدى شاهجي القائد المراثي شاهجهان خلال إنشغال الأخير بالقضاء على تمرد ججهار ؛ بوضع مُرتضى ذي السنوات العشر ابن السلطان حسين نظام شاهي سلطاناً على عرش أحمد نُكر ونصَّب شاهجي نفسه صدرًا أعظمًا ووصيا على السلطان الصغير بعد أسر المغول لأبيه السلطان حسين نظام ؛ وحشد جيشًا من ١٢ الف مُقاتل وشرع في الإغارة على دولت آباد بمسانده السلطان مُحَمَّد بن إبراهيم العادل شاهي ، فأغضب شاهجهان الذي توجه سنة ١٠٤٦ هـ / ١٦٣٦ م بجيش جرار إلى الجنوب وأجبر شاهجي على الإنسحاب من البلاد التي كان قد استولى عليها من أحمد نگر ، بعد أن خسر ثلاثة آلاف بين قتيلٍ وأسير في كمين أعده المغول له.

وأرسل شاهجهان مُجددًا إلى السلطان العادل شاهي مُحَمَّد بن إبراهيم يطلب منه الاعتراف بسيادة المغول والكف عن مُساعدة الثائرين ، ولما لم يستجب العادل شاهي اجتاح السلطان بلاده فإضطر الأخير إلى الخُضوع للمغول والتخلي عن القائد المراثي شاهجي الذي بادر بدوره بمُهادنة شاهجهان.

### إسترداد شاهجهان

#### قندهار وكابل

حاول شاهجهان إستمالة مندوب الصفويين في حكم قندهار للانضمام اليه ؛ فلما رفض وطلب دعماً عسكرياً من الشاه الصفوي صفي الدين سام بن مُحَمَّد باقر لصد قُوات المغول ؛ ظن الشاه أنه يسعى للحصول على أسلحة للتمرد ، فسير إليه قُوة كبيرةً لأسره فلما علم حاكم قندهار بغرض القوة ؛ إنحاز الى شاهجهان فنصَّبه حاكماً على كشمير وكابل وأمه سنة ١٦٣٨ م بقوة تمكَّنت من صد قُوات الشاه الصفوي.

### ضمُّ بلخ وبدخشان

بعد فتح قندهار ، استغلَّ شاهجهان النزاع بين " نظر مُحَمَّد بن إمام قُلي الأستراخاني " خان بخاري وبين ابنه عبد العزيز الطامع في العرش، فأرسل (شاهجهان) ابنه الشاه زاده مُراد على رأس جيش من خمسين ألف فارس وعشرة آلاف راجل ، دخلوا بلخ دون مُقاومة تُذكر عام ١٠٥٦ هـ / ١٦٤٦ م ، وفرَّ الخان (نظر مُحَمَّد) إلى أصفهان تاركًا كُنوزه وخزائنه غنيمةً للمغول البأبريين.

دخلت قوات مُراد بن شاهجهان بدخشان ، ولكنه عاد الى الهند رغم رفض أبيه السماح له بالعودة ، لعدم إستساغته البقاء في بلاد لا توفر له حياة اللهو والدعة التي إعتادها في أجرا ، فعاقبه والده برفض استقباله والحرمان من وظيفته ، وكلف إخيه أورنجزيب بإستعادة السيطرة علي بلخ وبدخشان فنجح في مهمته ولكن القتال أنك جنوده لعدم إعتيادهم طقس المنطقة ، ولما علم بخروج قُوات أوزبكيّة من بُخارى لإستعادة بلخ ، حاول أورنجزيب إجهاض هجومهم على بلخ بمهاجمة بخارى نفسها ، وإنتصر عليهم في عدة معارك ، إلا أنه تراجع بعد أن حشد الأوزبكيون قوات كبيرة من مائة ألف مُقاتل بينما جيشه لم يتجاوز خمسة وعشرين ألف نفر ، وبعد مُفاوضاتٍ طويلةٍ تصالح الطرفان ١٠٥٧هـ / ١٦٤٧م ، ورأى شاهجهان أن يُسلم بُخارى إلى نظر مُحمّد خان شرط أن يحكم باسم المغول ، وأثناء عودة أورنجزيب تعرّض جيشه لهجوم أهالي الجبال وكبّدوه خسائر فادحة زادها سوءا تساقط الثلوج وفتك البرد القارس بعدد كبير من الجند ، وتكبدت الدولة المغوليّة خسائر كبيرة في هذه الحملة .

### قندهار بين شاهجهان والصفويون

- وبعد عامين هاجم الشاه عباس قندهار في شتاء ١٠٥٩هـ / ١٦٤٩م ؛ في موسم تساقط الثلوج ، وهو يعلم أن شاهجهان سيعجز عن نجدة حامية المدينة بسبب في ظل الطقس السيئ ، وفعلا إستسلم حاكم المدينة نائب شاهجهان للصفويين بعد سبعة وخمسين يوماً من الحصار .

- أرسل شاهجهان ابنه أورنجزيب ومعه ستين ألف فارس وعشرة آلاف راجل لحصار قندهار ؛ وبعد ثلاث شهور من الحصار والإشتباكات ، تلقى أورنجزيب أمراً من السلطان بفك الحصار والعودة إلى أجرا بسبب اقتراب فصل الشتاء ؛ ثم عاود إرسال أورنجزيب مرة ثالثة مع خمسين ألف فارس وعشرة آلاف راجل مزودة بالمدافع و الفيلة والجمال ، حاصرت المدينة في ١٠٦٢هـ / ١٦٥٢م لشهرين وثمانية أيام لكنها فشلت في اقتحامها لتفوق مدفعيّة الصفويين التي كبّدت المغول خسائر فادحة ، فغضب شاهجهان على أورنجزيب ورفض مده بالمدد مرة أخرى ، وأمره برفع الحصار .

- وفي العام التالي ١٠٦٣هـ / ١٦٥٣م ، أعد شاهجهان حملة ثالثة من سبعين ألف فارس وخمسة آلاف راجل وفرقة مدفعيّة مُكوّنة من عشرة آلاف جندي وبالغ في تسليحها ، ومعها سنّة آلاف حقّار خنادق وخمسمائة قاطع حجارة ، لإسترجاع قندهار وأمر عليها ابنه داراشكوه رافضاً طلب أورنجزيب قيادتها ، و حاصرت الحملة المدينة لكنها لم تتمكّن من اقتحامها ، فاضطرّ داراشكوه إلى رفع الحصار بعد سبعة أشهر وعاد الى الهند ؛ وتخلّى شاهجهان نهائياً عن فكرة استعادة قندهار .

## عودة أورنجزيب الى الديكان

بعد رفض شاهجهان طلب أورنجزيب قيادة الحملة الأخيرة على قندهار ؛ أمره بالعودة إلى الديكان لضبط أمورها بعد تمرد كل من قُطب شاهي وعادل شاهي فوصلها ١٠٦٣ هـ/١٦٥٣ م بعد غيابٍ دام ثمانى سنوات ، وكان عليه إسترجاع الأمور الى نصابها فتوالت حملاته :

### إنهاء تمرد قُطب شاهي

اغتنم أورنجزيب نُشوب نزاع بين عبد الله بن مُحَمَّد سلطان قُطب شاهي ووزيره مُحَمَّد سيّد مير جملة ، بسبب مهاجمة الجيش الخاص للأخير أراضي سلطنة قُطب شاهي ، فاقتحم الشاهزاده مُحَمَّد سلطان بن أورنجزيب العاصمة كُلكندة وأسر كل من السلطان عبد الله / ووزيره مُحَمَّد سيّد ؛ رد شاهجهان السلطان إلى ليحكم سلطنته باسم المغول بعدما تصاهرا بزواج مُحَمَّد بن أورنجزيب بابنة السلطان عبد الله ، وأرضى شاهجهان الوزير مُحَمَّد سيّد بتعيينه صدرًا أعظمًا للدولة المغوليّة خلفًا لسعد الله خان.

### إخضاع عادل شاهي

بُعد وفاة مُحَمَّد بن إبراهيم سلطان دولة العادل شاهيّة وإضطراب أحوالها هاجم أورنجزيب سلطنة العادل شاهيّة ، وفتح حُصون بيدر وكليركة وكلياتي وبارنده سنة ١٠٦٨ هـ/١٦٥٨ م، ولكن شاهجهان أمرهم بوقف القتال بعد دفع سلطانها الجديد علي بن مُحَمَّد بالصلح جزية كبيرة وإعلان خُضوعه لشاهجهان وتنازله عمّا استولى عليه من حُصون مغوليّة .

## معارك شاهجهان

الرقم	اسم الواقعة وتاريخ وقوعها	قائدها
١	فتح "احمد نكر"، ١٠٤٢هـ/١٦٣٢م	اعظم خان
٢	فتح "اوجانيا"، ١٠٤٣هـ/١٦٣٣م	عبدالله خان فيروز جنك
٣	فتح "رانتبور"، ١٠٤٥هـ/١٦٣٥م	عبدالله خان فيروز جنك
٤	فتح "التبت" الصغرى، ١٠٤٨هـ/١٦٣٨م	شاه جيهان
٥	معارك "اسام"، ١٠٣٨هـ/١٠٤٩هـ ١٦٢٨م/١٦٣٩م	شاه جيهان
٦	فتح "بالمو"، ١٠٥٢هـ/١٦٤٢م	شايبستا خان
٧	احتملال "الوا"، ١٠٥٤هـ/١٦٤٤م	خان دوراني
٨	حملة "بدخشان وبلخ"، ١٠٥٥هـ/١٦٤٦م	مردان خان
٩	فتح "بيج" ابور، ١٠٦٧هـ/١٦٥٧م	شاه جيهان

## ممتاز محل / تاج محل

## عشق شاهجهان

## و أم أولاده الذكور

ممتاز محل أرجمند بانو بيگم (فارسية) ؛ ابنة آصف خان شقيق نورجهان كما سبقت الإشارة ؛ ورثت الحُسن والجمال من عمّتها نورجهان ، تزوّجها شاهجهان سنة ١٠٢١ هـ / ١٦١٢ م وهى فى العِشرين من عمرها ؛ كان عاشقا لها وبنى لها تاج محل ، وعندما تولّى الحكم منحها لقب " ملكة الزمان " وعهد إليها بحفظ الخاتم الملكي ، تُوفيت سنة ١٠٤٠ هـ / ١٦٣٠ م نتيجة لولادةٍ عسرة .



شاهجهان وممتاز محل

## صراع الأشقاء

## أبناء شاهجهان

## على العرش

وأولاد شاهجهان الذكور من ممتاز محل ستة ، يهمننا منهم مُحَمَّد داراشكوه ، شاهشُجاع ، مُحبي الدين مُحَمَّد أورنجزيب ، مُراد بخش ؛ وقد أوكل شاهجهان كل من هؤلاء حكم أحد الأقاليم .

### داراشكوه

الابن الأكبر لشاهجهان و ولى عهده كان أثيراً عند أبيه ؛ إستبقاه شاهجهان بجانبه لمّا اشتدّ به المرض ليُبأشر الحُكم كولى للعهد ، كان داراشكوه مهتماً بدراسة الأديان ميالا إلى هرطقة جده أكبر بمزج الإسلام بالهندوسية وترجم الأبانيشاد (الفيدا) المُقدّسة الى الفارسية بمساعدة البراهما ، و ألف كتابا عن توليفته الهرطقة أسماه " مجمع البحرين " فأثار سخط علماء المسلمين وإعتبروه مرتدا .

### شاهشجاع

كان في الحادية والأربعين من عُمره حاكما على البنغال، منشغل بحياة اللهو والدعة أدمن شُرب الخمر ميالا إلى التشيع، كان مكروهاً في الأوساط السنية ما أثار سلباً على وضعه السياسي.

### أورنجزيب

في التاسعة والثلاثين من عُمره حاكما على الديكان محبوباً من عامّة الناس لتمسّكه بأحكام الشريعة الإسلامية علاوة على كفاءته في الحرب والإدارة، غضب عليه شاهجهان ولم يرض عنه إلا بعد أن تدخلت أخته جهان آر المحبوبة لدى شاهجهان.

### مراد

في الثالثة والثلاثين من عُمره حاكما على الكُجرات وهى من أغنى الأقاليم ، منغمس في الملذّات وانعدام الكفاءتين السياسية والعسكرية.

اتفق الإخوة الثلاثة مراد ، شاهشجاع ، أورنجزيب على منع دارشكوه من الحكم بسبب هرطقته وفساد عقيدته وأدا لتمرّد المسلمين إن تولى العرش ؛ وتوجّهت جيوش الأخوة الثلاث من ولاياتهم إلى أجرا للتخلص من أخيهما المُرتد داراشكوه ، لكن جيش داراشكوه بقيادة ابنه " سُليمان شكوه " رد جيش شاه شجاع حاكم البنغال بعد معركة بنارس ١٠٦٨ هـ / ١٦٥٨ م ، بينما فشل جيش داراشكوه الثانى بقيادة المهراجا " جسونت سينغ " فى صد جيش أورنجزيب ؛ وقُتل الكثير من رجاله وفر المهراجا .

ولما أفاق شاهجهان من مرضه حاول تسوية التوتر بين أولاده ؛ لكن داراشكوه رفض وخرج من أجرا على رأس جيش من خمسين ألفا وهاجم جيشا أخويه أورنجزيب و مُراد بخش ، وكاد ينتصر عليهما لولا أن أُصيب فيله بكُرة من اللهب ؛ فلما وجد الجنود هودجه خاليا ظنوا أنه مات فففروا ولحقهم داراشكوه.



### دخول أورنجزيب أجرا ١٠٦٨هـ / ١٦٥٨م

(انفراده بالحكم - ووضع أبيه في القلعة أسيرا - والتخلص من أخيه )

دخل أورنجزيب أجرا بعد إنتصاره على داراشكوه فأهداه شاهجهان سيفاً مُرصعاً بالجواهر ، منقوش عليه " عالمكير " اللقب الذي منحه إياه والده أي أخذ العالم وسيده ، ودعاه لمقابلته لكن رجال أورنجزيب حذروه من نوايا أبيه المُحب لداراشكوه عندما وقعت في يده رسالة أبيه إلى داراشكوه يطلب منه عدم الحضور إلى أجرا حتى لا يقع في يد أورنجزيب ، فأمر أورنجزيب بوضع شاهجهان رهن الإقامة الجبرية في قلعة أجرا.

### معارك أورنجزيب وأخوته عام ١٠٦٨هـ / ١٦٥٨م :

إتفق أورنجزيب وأخيه مراد على مطاردة داراشكوه ، ودارت المعارك على النحو التالي :

- ١- موقعة ساموجاره ١٠٦٨هـ / ١٦٥٨م
  - ٢- مطاردته في البنجاب ، فهرب الى الملتان ، وإنضم عدد كبير من جنوده الى جيش أورنجزيب ١٠٦٨هـ / ١٦٥٨م .
  - ٣- إحتلال دهلي ١٠٦٨هـ / ١٦٥٨م .
  - ٤- موقعة ديوراى ففر الى الكجرات.
  - ٥- موقعة خاجوا مع شاه شجاع.
- وإنتهى أمر دارا شكوه بمقتله هو وابنه سليمان شكوه.
- ولما أمسك أورنجزيب بالسلطة نازعه إخوته ففضى عامين في حروب معهم، حتى نجح في التخلص منهم ؛ وإرتقى العرش في رمضان ١٠٩٦هـ / ١٦٥٩م ، وقد مات في هذا الصراع الاف المسلمين .

### وفاة شاهجهان

أصيب شاهجهان سنة ١٠٦٨هـ / ١٦٥٧م بمرضٍ أقعده عن مُباشرة الحُكم ولما اشتدَّ عليه المرض ولم يعد قادراً على مُفارقة فراشه ؛ فارق الحياة سنة ١٠٧٦هـ / ١٦٦٦م عن أربعةٍ وسبعين عاماً ؛ وأوصى ابنته جهان آرا بالإعتناء بآخر زوجاته عز النساء بيگم الشهيرة ب أكبر آبادي محل ؛ ويُروى أنَّ أورنجزيب رفض طلب أخته جهان آرا في إقامة جنازةٍ عظيمةٍ لوالدهما شاهجهان ، يُنثر فيها العملات الذهبية صدقةً على روحه بإعتباره تذكيراً للأموال وأمر بدفن والده فى ضريح تاج محل إلى جانب والدته أرجمند بانو بيگم " مُمتاز محل " .

أورنجزيب  
الإمبراطور الفاتح  
١٦٥٨ - ١٧٠٧

الإمبراطورية  
(الحكم الإسلامي)  
في أقصى توسعه بالهند

كان أورنجزيب على خلاف كل أباطرة البائريين ؛ صحيح العقيدة جاهد لمحو ما تبقى من آثار هرطقة جده أكبر والتخلص من ذوى العقيدة المشوهة بما فيهم شقيقه ولى العهد ؛ أبطل الاحتفال بالأعياد الوثنية وعمر المساجد ومدّها بالعلماء والوعاظ وأجرى لهم الرواتب ، وعني بإقامة نظام الحسبة ودعمه بما يكفل قيامه بوظيفته من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما حظر الخمر ، ومنع تقبيل الأرض بين يدي السلطان واكتفى بتحية الإسلام ، وأبطل عادة تقديم الهدايا للسلطان ، وكان يجلس للناس ثلاث مرات يومياً دون حاجب يسمع شكواهم.

### حياته

#### تزوج ثلاث ومحظية هن:

نواب باي بيكوم (الزوجة الأولى) أميرة راجبوتية.  
ديلراس بانو بيكوم (الزوجة الثانية) أميرة صفوية من إيران.  
أورانجابادي محل (الزوجة الثالثة والأخيرة) أصولها جورجية أو شركسية.  
أوديبوري محل (محظية) ولدت له أصغر أبنائه محمد كم بخش.

رفض حياة الترف التي عاشها أسلافه عاش ومات متقشفا ؛ إبتعد عن اللهو فصرف أهل الغناء والموسيقى عن بلاطه ؛ أوصى حين حضرته الوفاة بالألا يعدو ثمن كفته خمس روبيات ، توفي عام ١٧٠٧م بعد أن حكم ٥٢ سنة كلها حروب مع كل الفئات (سبق أن عالجنها جميعا) مع المسلمين في حرب الوراثة مع أشقائه - مع الهندوس (ماراثا) - والسيخ.

كان مقاتلا فذا منذ أن كان أميراً وقائدا في جيش أبيه ؛ حكم ٥٢ عاما خاض فيها حروبا شرسة لتوحيد معظم شبه القارة الهندية ؛ كبدت حروبه البلاد نفقات باهظة اضطرب معها اقتصاد الدولة و تلاشى ثراء دولة شاهجهان .

في عهده قويت ماراثا فإستطاع أن يُلجمها بحرب إستمرت ٢٧ عام إستغرقت الفترة ١٦٨١ - ١٧٠٧ حتى وفاته في أطول حرب في تاريخ الهند (سبق أن عالجنها هذا في حركة ماراثا) ؛ بحملات على الديكان ومن حالفها من ممالك المسلمين ؛ فبعث حملة

بقيادة راجا جاى سنج القائد الهندوسى بمهاجمة الديكان عام ١٠٧٥هـ/١٦٦٥م ؛ قبض فيها على شيفاجى زعيم ماراٲا ؛ وقامت حملة ثانية فى العام التالى بقيادة راجا جاى سنج أيضا بالمشاركة مع ديلر خان علي بيجابور للقضاء على الزعيم الأفغانى المعارض عادل خان اللودهى ، ولكنها فشلت فى فتح بيجابور بعد حصار ٨ شهور ؛ وشن حملة ثالثة ١٠٨٣هـ/١٦٧٣م عجزت أيضا عن فتح بيجابور وقُتل فيها عدد كبير من المغول ؛ وتمكنت الحملة الأخيرة التى قادها غازى الدين خان بفتح بيجابور ومعها حيدر اباد .

حاول أورنجزيب إستخدام الإنجليز فى حربته ضد ماراٲا عدوهم المشترك مقابل منحهم إمتيازات تجارية ، فتحين الإنجليز الفرصة لمد نفوذهم فى الساحل الغربى من أرض دولة المغول حتى بومباي ؛ فقام أورنجزيب بمصادرة مراكزهم التجارية وأموالهم ، لكنه تراجع لحاجته للعوائد التى يحصل عليها منهم .

**الحرب ضد السيخ ....** وحارب السيخ فى البنجاب لما ساندوا ابنه تمرد جورو السيخ التاسع تجه بهادر وإستولى على مساحة كبيرة من جنوب وشرق الهند، هزمه أورنجزيب وإعتقله وأعدمه بتهمة قيامه بمذابح ضد المسلمين ، وبعد إعدامه شن ابنه الحرب على المغول وإنتصر على تحالف زعماء الولايات الذين هاجموه فإستجدوا بالإمبراطور أورنجزيب فهزمه وقتله ؛ فقام ابنه بحملة انتقامية ضد المسلمين خلفت آلاف الجثث فى مدينة " سامانا " ، كما ذبح جميع مسلمى مدينة سرهند والمتعاونين معهم من الهندوس ، وأرغم عدد كبير من الأهالى فى البلاد التى إحتلها على التحول الى السيخية (سبق التعرض لهذ الموضوع فى حركة السيخ).

أما بقية سيرته وتفاصيل معاركه مع السيخ وماراٲا ؛ فقد تخللت العرض بالمتن كل فى موقعه الصحيح من العرض.

## معارك الإمبراطور أورنجزيب

الرقم	اسم الواقعة وتاريخ وقوعها	قاتلها
١	موقعة ساموكاره، ١٠٦٨هـ/١٦٥٨م	اورانجزيب
٢	حملة البنجاب، ١٠٦٨هـ/١٦٥٨م	شايسنا خان
٣	احتلال دلهي، ١٠٦٨هـ/١٦٥٨م	اورانجزيب
٤	موقعة خاجوا، ١٠٦٩هـ/١٦٥٩م	اورانجزيب
٥	موقعة ديواري، ١٠٦٩هـ/١٦٥٩م	اورانجزيب
٦	فتح خضر آباد، ١٠٦٩هـ/١٦٥٩م	اورانجزيب
٧	فتح دلهي، ١٠٦٩هـ/١٦٥٩م	اورانجزيب

اورانجزيب	احتلال "كوشبهار"، ١٠٧١هـ/١٦٦١م	٨
خان خانان	فتح اقليم "اسام"، ١٠٧٢هـ/١٦٦٢م	٩
راجا جاي سنك	موقعة "الدكن"، ١٠٧٥هـ/١٦٦٥م	١٠
راجا جاي سنك	موقعة "بيجاپور"، ١٠٧٦هـ/١٦٦٦م	١١
خان جيهان	موقعة "بيجاپور" الثانية، ١٠٨٣هـ/١٦٧٣م	١٢
الأمير محمد معظم	حصار "رام دارا"، ١٠٩٤هـ/١٦٨٣م	١٣
خان جيهان	حرب "حيدرآباد"، ١٠٩٥هـ/١٦٨٤م	١٤
اورانجزيب	حرب "بيجاپور"، ١٠٩٥هـ/١٦٨٤م	١٥
خان فيروز جنك	فتح "بيجاپور"، ١٠٩٧هـ/١٦٨٦م	١٦
-	احتلال قلعة "ادهوني"، ١٠٩٩هـ/١٦٨٨م	١٧
الأمير محمد أعظم شاه	احتلال "سامبها"، ١١٠١هـ/١٦٩٠م	١٨
اورانجزيب	حملة "بارنالالا"، ١١٠٤هـ/١٦٩٣م	١٩

٢٠	حصار "جنحي" ١١٠٥هـ/١٦٩٤م الأمير محمد كام بخش
٢١	حرب "المهاراٲا"، ١١٠٩هـ/١٦٨٧م حسين علي خان
٢٢	حرب "المهاراٲا" و"ساراتا"، ١١١٠هـ/١٦٩٨م اورانجزيب
٢٣	حصار "بارنالال" الثاني، ١١١١هـ/١٧٠٠م -
٢٤	حصار "باراس كاره"، ١١١٢هـ/١٧٠١م تربيت خان
٢٥	حصار "شاندان ماندان"، ١١١٢هـ/١٧٠١م فتح الله خان
٢٦	حصار "خيلنا"، ١١١٢هـ/١٧٠١م فتح الله خان
٢٧	حصار قلعة "خاندانا"، ١١١٣هـ/١٧٠٢م روح الله خان
٢٨	احتلال قلعة "راج كاره"، ١١١٤هـ/١٧٠٣م روح الله خان
٢٩	حصار "واكنكيرا"، ١١١٥هـ/١٧٠٤م اورانجزيب
٣٠	حصار "واكنكيرا" الثاني، ١١١٦هـ/١٧٠٥م اورانجزيب

## الفصل الأخير تفكك دولة المغول

بموت الإمبراطور أورانجزيب سنة ١٧٠٧ حل الضعف بدولة المغول لإسباب عديدة منها :

- ضعف الأباطرة ؛ وسيطرة نظام على الديكان .
- تعاضم قوة ماراثا وإتهامها ممتلكات الدولة المغولية.
- إستمرار الصراع مع السيخ.
- الصراع مع الإنجليز والقضاء على دولة المغول .

### اولا ضعف الأباطرة :

ترك أورانجزيب دولة انهكتها الحروب مع ماراثا والسيخ ؛ ودخل خليفته وابنه الأمير معظم بهادر شاه في صراع مع أخويه على العرش كعادة حكام الهند ، وبعد وفاته عام ١٧١٢ بعد عهد لم يتجاوز السنوات الخمس ؛ تحكم الوزراء بالإمبراطورية حتى وصل الأمر بهم بوضع السلاطين على العرش ، فدبر الوزيرين عبد الله وحسين علي من أسرة السيد صعود الإمبراطور فروخ (فاروق) سيار للعرش .

ورغبة من الإمبراطور فروخ سيار في إستخلاص صلاحيات تعيينات القادة وحكام الأقاليم من يد الوزيرين عبد الله وحسين كمقدمة للتخلص منهما بسبب استياء عدد كبير من الأمراء لهما بسبب سياستهما القائمة على الإجحاف في الجباية المالية على خلاف المنهج المغولي في سياسة الرعية ومراعاة أحوالهم لضمان عدم تدميرهم ؛ فعين الإمبراطور ؛ جن قليج خان القائد العسكري حاكما على الديكان ومنحه لقب نظام الملوك ؛ وكان إختياره مستمد من تاريخ أسرة خان في خدمة الإمبراطورية فالإمبراطور أورانجزيب هو الذي رعاه منذ مولده فسماه عند مولده قمر الدين خان ومنحه منصباً في بلاطه وهو في السادسة من عمره ، وفي السابعة عشر من عمره شارك والده في معركة كبرى أظهر فيها مهارة في قيادة الجيوش فرقاه السلطان وأنعم عليه بأفضل جواد عربي لديه ، ولما بلغ التاسعة عشرة من عمره منحه السلطان لقب جن فاتح أي الفاتح الشاب، وبعدها بسنة رقاها السلطان ومنحه لقب جن قليج خان أي السيف الشاب لبسالته في فتح إحدى القلاع ، ولما بلغ السادسة والعشرين جعله السلطان قائد جيشه ونائبه في عدة مناطق كانت آخرها منطقة الديكان.

وبعد وفاة بهادر شاه بن أورانجزيب اعتزل نظام الملك العمل الحكومي واستقر في دهلي، ولكن الإمبراطور فروخ سيار استدعاه بعد تسنمه العرش سنة ١٧١٢ / ١١٢٤ وأقنعه بحكم الديكان ، وقام نظام الملك بمنصبه خير قيام ورفع كثيراً من المظالم عن الرعية في الديكان، وفي تلك الأثناء كان الإمبراطور فروخ سيار يدبر

للتخلص من الوزيرين ليصفو له الحكم ، ولكنهما استبقا الأمر ودبرا مقتله سنة ١١٣١ / ١٧١٩ ، وعينا أميرين محله ماتا واحداً بعد الآخر خلال ٨ أشهر.

### محمد شاه

#### والمواجهة مع نظام الملك

وضع الوزيرين محمد شاه ابن الإمبراطور شاه جهان على العرش وكان عمره ١٧ عاماً على أمل أن يتحكما من خلاله بالدولة ؛ لكن مقتل فروخ شاه وحد النبلاء بزعامة نظام الملك للقضاء على الوزيرين ، فقُتِل حسين في العام التالي وهُزم أخيه عبد الله في معركة حسن بور جنوب دلهي فصفت الأمور للإمبراطور محمد شاه فإستوزر نظام الملك وتزوج في السنة التالية ابنة الإمبراطور المقتول فروخ سيار .

ولكن محمد شاه كان شاباً لاهياً يقضي أغلب وقته في اللهو ، هزأ عبیده وجواريه من كبار رجال الدولة ، وأراد نظام الملك كوزير أن يعيد للبلاط هيئته ، فلم يعجب ذلك الحاشية اللاهية فأوغرت عليه صدر الإمبراطور فرفض الإصلاحات التي دعا إليها وزيره ، و تفاقم خلافهما خلال سنوات ثلاث فترك الوزير البلاط وعاد إلى مقره في الديكان سنة ١١٣٦ / ١٧٢٤ .

وفي الديكان إصطدم نظام الملك مع الأمير مُبرَز خان حاكم الديكان ، وبعد معركة قصيرة انتصر نظام الملك فأصدر الإمبراطور محمد شاه مرسوماً بتولية نظام الملك حكم الديكان ومنحه لقب آصف جاه، أي مثل آصف، وأصف هنا كاتب النبي سليمان عليه السلام الذي دعا الله باسمه الأعظم فرأى سليمان عرش بلقيس مستقراً عنده ؛ ومهد ذلك لنظام الملك لبناء دولته في حيدر اباد .

### النزاع مع ماراثا

تنازع آصف جاه مع الماراثا بعد سنة من تسلمه حكم الديكان لرفضه دفع ربع إيراداته لها ، وبعد هزيمته في حرب دامت معها ٦ شهور سنة ١١٤٠ / ١٧٢٨ قبل كثير من مطالبها، ثم بدأ في بناء جيش قوي ضم عدد هائل من الفيلة بلغ عددها ١٠٢٦ فيلاً منها ٢٢٥ فيلاً مغطاة بالدروع.

### غزو نادر شاه

#### إمبراطور إيران دهلي

في هذه الفترة ضعفت قبضة حكومة دهلي على الولايات بسبب ضعف الإمبراطور محمد ، وغضب نادر شاه الأفشاري ملك إيران من دهلي لعدم سيطرتها على الحدود بين البلدين لمنع المتمردين الأفغان من إستخدام أراضي الإمبراطورية المغولية ضده فاحتل كابل وكانت مطمعا دائما له ، و بعث برسول الى دهلي ليبرر إحتلاله لها



، ولمقتل رسوله وهو في طريق عودته من الهند ؛ عبر نادر شاه نهر السند في نوفمبر ١٧٣٨، وأخذ ينهب ويحرق كل ما في طريقه الى لاهور ؛ وإصطدم في فبراير ١٧٣٩ بجيش المغول في معركة كارنال التي إنتهت بعد ٣ ساعات بانتصار نادر شاه رغم صغر عدد جيشه البالغ ٥٥ الفا بالمقارنة بجيش المغول البالغ ٣٠٠ الف ، وكان سبب النصر نجاحه في تحييد فيلة دهلى بدفع جمال مُحملة بمواد مشتعلة في أرض المعركة ، أهاجت الفيلة فإنقلبت على جيش المغول ؛ وشارك في المعركة قوة من جورجيا :

#### معركة كارنال

التاريخ ٢٤ فبراير ١٧٣٩م

النتيجة.... انتصار قوات نادر شاه وسقوط عاصمة المغول في دهلي

#### المتحاربون

- سلطنة مغول الهند
- الدولة الأفشارية (إيران)

#### الطرف الهندي

##### القادة

- ناصر الدين محمد شاه
- آصف جاه قمر الدين حاكم حيدر آباد
- آخرون

##### القوة

٣٠٠ الف جندي  
٢٠٠٠ فيل ٣٠٠٠ مدفع

##### الخسائر

٢٠-٣٠ الف قتيل

#### التحالف الإيراني / الجورجي

- نادر شاه
- هرقل الثاني ملك جورجيا
- آخرون

##### القوة

٥٥ الف جندي - الخسائر حوالي ٢,٥٠٠ قتيل

إستسلم محمد شاه ودخل هو و نادر شاه دهلى في ٢٠ مارس ١٧٣٩ ؛ ونزل نادر شاه بجناح شاهجهان الإمبراطوري في القلعة الحمراء .

### مذبحة دهلى

نشبت أعمال عنف في سوق المدينة بين جنود نادر شاه وبعض التجار قُتل وأصيب خلالها بعض الجنود ، وزاد الموقف إشتعالا تردد إشاعة عن إغتيال نادر شاه على يد حارس جناح إقامته بالقلعة الحمراء ؛ فتشجع الهنود على مهاجمة جنود نادر وقتلوا منهم ثلاثة آلاف ليلة ٢١ مارس ؛ فأطلق نادر شاه في اليوم التالي عملية إنتقام واسعة ، قتل فيها جنوده خلال ست ساعات ما بين ٢٠ إلى ٣٠ الفا من الهندوس والمسلمين ؛ قام بعض الهندوس بإنتحار جماعى لأنفسهم وأسرههم وغطت الجثث الشوارع وتم نهب المدينة فإضطر محمد شاه دهلى للتدخل لوقف المذبحة التي إستغرقت الفترة من ٩ صباحا إلى ٢ ظهرا ، وتم دفن الجثث في مقابر جماعية أو حرق جثثهم في محارق ؛ وفرض نادر شاه على أهلها غرامة هائلة قدرها ٢٠ مليون روبية .

بلغت غنائم نادر شاه ما قيمته ١٢٠ مليار دولار ، إستلزم نقلها الى فارس ٢٠ الفا من البغال ومثلهم من الجمال ، ومن عظم قيمتها أعفى نادر شاه مواطنيه في إيران من الضرائب لثلاث سنوات ؛ ومن بين ما إغتتمه من كنوز سلاطين المغول ؛ عرش الطاووس الخاص بشاهجهان ، وهو على حد وصف المؤرخين المسلمين وصور السلاطين تحفة من روائع تحف الدنيا ؛ فريد بما إحتواه من أكدايس الجواهر النادرة والذهب الخالص (٢٣١) .

ومن بين الكنوز التي تحصل عليها نادر شاه مجموعة الدر والمجوهرات النادرة المعروفة بماسة كوه إي نور وداريا نور ("جبل النور" و "بحر النور")؛ الأولى أصبحت فيما بعد جزء من جواهر التاج البريطانيكما تحصل على حوالي ١٠ الاف من العبيد وفقاً لممثل شركة الهند الشرقية الهولندية في دهلى .

غادر نادر وقواته الأفشارية دهلي في مايو ١٧٣٩، ورد الأراضي التي غزاها الى الإمبراطور المغولى ناصر الدين محمد شاه ؛ بعد أن عقد قران ابنه على ابنة محمد شاه لتعزيز الروابط بين الأسرتين الحاكميتين ؛ واستغرق الأمر ٩ سنوات ليستطيع الإمبراطور المغولى شاه محمد استرجاع أراضييه من أمير أفغانستان أحمد شاه العبدلي

٢٣١ - إحتوى على ١٢٠٠ كيلوجراما من الذهب الخالص وماساته الثلاث الشهيرة " كوه نور" وأخواتها ، و اثني عشر عموداً من الزمرد على كل واحد منها طاووسان تزيئهما الجواهر وتتوسطهما شجيرة يغطيها الماس والياقوت والزمرد، وتتدلى منه درج ثلاث تكسوها الجواهر والياقوت بإجمالى ٢٥٠ كيلوجرام من الأحجار النادرة ؛ وقد استغرق صنع العرش سبع سنوات ، وتكلف ٢٩ كرور روبية أى ضعف تكلفة بناء تاج محل تحفة هذا السلطان الذى تكلف ١٥ كرور (هناك إختلاف في تكاليف البناء فيما ورد في الأعلى عما تضمنته الحاشية في كعب الصفحة).

أمير أفغانستان الذي حكم بعد وفاة نادر شاه سنة ١٧٤٧/١١٦٠، و لم يتمتع الإمبراطور المغولي شاه محمد بنصره الذي تم قبل شهر من وفاته سنة ١٧٤٨/١١٦١ .

### غزو الإمبراطور أحمد الدراني الهند

غزى الإمبراطور أحمد الدراني (الأفغاني) الهند عام ١٧٥٩ بعد غزو نادر شاه الهند بـ ٢٠ عاما (عام ١٧٣٩) بأكثر من خمس حملات لردع ماراثا التي إستولت على لاهور ومولتان وكشمير ولاهور ولتعيدها على دهلي ، وإنتهى الصدام بهزيمة قاسية لماراثا في باني بت الثالثة عام ١٧٦١ ، رغم تفوق قواتها على قوات الدراني بفارق ضخم ، وتعتبر المعركة واحدة من أكبر معارك الهند حصدت في يوم واحد عدد كبير من القتلى وأضعفت سيطرة ماراثا في شمال الهند وأحمد الدرني في البنجاب ، فإستولى عليها السيخ.

### تعاضم قوة ماراثا

وبعد تولى مهاداجي شيندي زعامة المراثا عام ١٧٦٨ ، إنقسمت الأسرة الملكية لماراثا في مدينة بوني حول موضوع الوراثة ، ولجأ أحد أطراف الصراع الى المغول وتدخلت شركة الهند الشرقية الإنجليزية في صراع الخلافة ، ما أدى إلى وقوع الحرب الإنجليزية / الماراثية الأولى التي إنتصرت فيها ماراثا في معركة Wadgaon ووقع الطرفان معاهدة سالاباي عام ١٧٨٢ ، أعاد البريطانيون بمقتضاها الى مهاداجي أراضيهم غرب يامونا وإنسحبوا إلى أوجين .

وفي نفس عام ١٧٨٢ هزم مهاداجي تيمور شاه الدرني عند مُحاولته إستعادة لاهور من السيخ وكانت الإمبراطورية الدرانية قد ضعفت ؛ فواصلت ماراثا توسعها في شمال الهند ؛ وفي عام ١٧٨٧ حاول مهاداجي غزو راجبوتانا جودبور و جيبور ولكنه فشل ولم ينجح في هزيمتهما إلا عام ١٧٩٠ ، وأعاد مهاداجي من لاهور ثلاث بوابات فضية مأخوذة من معبد سومنات رفض كهنة الكجرات تركيبها لعدم مطابقتها للأبواب المغتصبة لذلك قرر وضعها في معابد أوجين .

ضعفت دهلي المغولية وتقلصت حدودها بعد هزيمة جيشها أمام ماراثا في الديكان عام ١٧١٩ ؛ التي أصبحت في أوائل القرن الثامن عشر إمبراطورية حقيقية بفضل توسعات البشوا باجي راو الأول زعيم ماراثا القوي الذي هزم آصف جاه قمر الدين حاكم حيدر آباد في بالكهيد عام ١٧٢٨ ؛ وبلغ بها الأمر عام ١٧٣٦ أن هاجم ضواحي دهلي فرده جيش المغول بعد تكبده خسائر فادحة فقد فيها نصف قواته .

وزادت دهلي ضعفا بعد غزو نادر شاه عام ١٧٣٩ و أحمد شاه عبدلي الدرني ١٧٥٩ ؛ فتشجعت ماراثا وهاجمت دهلي مرة أخرى عام ١٧٥٧ دون أن تُحرز نصرا.



#### ملاحظات

- ماراٲا في أقصى توسعها.
- تقلص مساحة دهلي
- بقاء حيد أباد على حالها ؛ بفضل الحماية الإنجليزية.

#### تعاون ماراٲا مع المغول

في عام ١٧٨٨ تمرد إسماعيل بك على المغول ، ومعه عدد من الأيغور وبضع مئات من المغول وروهيلا ؛ فسحق مهاداجي زعيم ماراٲا تمردهم وقتل إسماعيل بك ، فقام حليفه غلام قادر زعيم روهيلا بالإستيلاء على دهلي وخلص الإمبراطور المغولي شاه علام الثاني ووضع سلطانا آخر على عرش دهلي ؛ فتدخل مهاداجي سينديا زعيم ماراٲا ؛ وأعاد شاه علام الثاني إلى عرش دهلي مرة أخرى وقتل غلام قادر.

وفي ١٢ فبراير ١٧٩٤ توفي مهاداجي في معسكره بالقرب من بونا ، وظلت ماراٲا قوة بارزة في الهند بعد تراجع إمبراطورية المغول أمامها وهزيمة الإنجليز في الحرب الماراٲية/ الإنجليزية الأولى ، ولكن ضاعت سطوتها بعد هزيمتها من الإنجليز في حربها معهم الثانية (١٨٠٥) والثالثة (١٨١٨) ، وبذلك (بهزيمة البيشوا باجيراو الثاني) طويت صفحة هذه القوة الوطنية الهندوسية عام ١٨١٨ ما أدى إلى سيطرة شركة الهند الشرقية على معظم أنحاء شبه القارة الهندية خلال قرنين من وجودها على أرض الهند

## علاقة الشركة الإنجليزية بدولة المغول

### وسلطنة حيدر آباد (٢٣٢)

تأسست شركة الهند الشرقية الإنجليزية سنة ١٦٠٠ بغرض التجارة مع شرق وجنوب شرق آسيا والهند، وتمكنت من هزيمة برتغاليي الهند سنة ١٦١٢ ؛ بدأت علاقة الشركة بالدولة المغولية عندما دعاها شاهجهان للقيام بحملةٍ مُشتركةٍ على المُستعمرات البرتغالية في دمن و ديو مُقابل منحها إمتيازاتٍ تجاريةٍ في المناطق البرتغالية ؛ فلما رفضت الشركة الإنجليزية أمر شاهجهان حاكم البنغال بتصفية المُستعمرة البرتغالية في هوكلي وبعد حصارها لثلاثة أشهر سنة ١٠٤٠هـ / ١٦٣١م صالحه البرتغاليون بتعويضه بمبلغٍ من المال عما أتلّفوه من سفن دولة المغول .

وفي عام ١٦٤٠ أقامت الشركة قلعة سان جورج في مَدَراس بإذن الراجا الهندوسي، وبقي ذلك الترتيب عندما انتقلت مَدَراس لسيطرة الدولة المغولية سنة ١٦٨٧، وفي سنة ١٧٤٢ نبه نظام الملك سلطان حيدر آباد على المقيم البريطاني ألا يقوم الإنجليز بسكِّ عملة خاصة بهم.

## الصراع الإنجليزي الفرنسي

### في حيدر آباد

وبعد وفاة آصف جاه تصارع ابنه أحمد علي خان المُلقب ناصر جُنك حليف الإنجليز مع ابن أخته طالب محي الدين المُلقب مظفر جُنك حليف الفرنسيين ، إنتصر فيه الأخير ومقتل الأول (ناصر جنك) سنة ١٧٥٠، وبعد سنة قُتل مظفر جُنك بيد أحد مناصريه الأفغان لعدم الوفاء بوعوده لهم، وانتقل العرش بمساع فرنسية قوية إلى سعيد محمد خان الابن الثالث لآصف جاه الذي اتخذ لقب صلابة جنك، ودام حكمه قرابة ١٢ سنة وكان قائد عسكري قدير هزم الماراثا وحلفاءها هزيمة ساحقة سنة ١٧٦١ ، ثم اعتقل أخاه صلابة جنك، فعينه الإمبراطور شاه علم الثاني حاكما على الديكان، بلقب آصف جاه الثاني، فنقل عاصمته من أورانج آباد إلى حيدر آباد حتى ينأى عن مناطق الماراثا ما يجعلها دائماً عرضة لعدوانها ، ودام حكمه ٣٣ سنة حتى وفاته سنة ١٨٠٣، خاض خلالها حروباً مع الممالك الهندية المجاورة انتصر في بعضها وانهزم في بعضها، وكان في تحالفٍ مع الفرنسيين .

### التحالف مع الإنجليز

بعد هزيمة الإنجليز للسلطان / فاتح علي الملقب طيبو ؛ سلطان ميسور المجاورة ومقتله في آخر معاركة معهم سنة ١٧٩٩ ؛ بعد هزيمتهم على يديه في ثلاثة حروب على مدى ١٠ سنين ؛ شعر آصف جاه الثاني أن ميزان القوى أصبح في صالح الإنجليز (شركة الهند البريطانية) فبادر بالتحالف معهم ؛ وعلى هذا الأساس لم يشترك علي خان الملقب ناصر الدولة آصف جهان الرابع نظام حيدر آباد في حرب الاستقلال الأولى بقيادة الإمبراطور المغولي بهادر عندما إندلعت قبل وفاة نظام بعامين ( توفى سنة ١٨٥٧).

إرتقى آصف جهان السادس العرش عام ١٨٦٩ وكانت حيدر آباد في رخاء أنفق منه الكثير على التنمية فأحبه الناس وسَمَّوه محبوب علي خان، وكان دخله السنوي يقدر آنذاك بمبلغ ١٠ ملايين دولار، ويؤخذ عليه أنه كان مسرفاً في الإنفاق على لباسه وسياراته، وكان له جناح كبير في قصره خصصه لمقتنياته من السراويل والقمصان والعصي والعطور، واشترى كذلك ألماسة يعقوب.

ظل نظام حيدر آباد مخلصا لتحالفه مع مع التاج البريطاني ولعل هذا كان سببا في بقاءه في الحكم حتى إستقلال الهند ؛ وفي هذا الإطار تبرع الأمير عثمان علي خان آخر حكام حيدر آباد (حكم الفترة ١٩١١ - ١٩٤٨) ؛ بتمويل بناء مدمرة للبحرية الملكية الأسترالية سميت على اسمه HMAS Nizam ، كما ساهم بتمويل سرب طائرات حربية لبريطانيا في الحرب العالمية الثانية .



### قصر فلكنوما

تحفة فنية بناها أحد أثرياء المدينة ؛ يُطل القصر على أشهر مراكز تجارة اللؤلؤ والألماس القديمة ، بُني ليكون لائقاً بأغنى رجال العالم في أواخر القرن التاسع عشر ؛ استغرق بناؤه ١٠ سنوات، ويقال إن عملية تزيين القصر وحدها استغرقت ٢٢ سنة، وتبلغ مساحته الإجمالية ١٩٤٠٠ متر مربع.

زار نظام حيدر آباد القصر (اتخذ حكام حيدر آباد حينها لقب النظام)، ولشدة إعجابه وانبهاره بالبناء عرض شراءه لكن مالك القصر أصر على تقديمه هدية إلا أن النظام رفض ودفع مبلغاً ضخماً تعويضاً عن مصروفات البناء.

أقام حاكم حيدر آباد النظام السادس في القصر في الفترة ما بين ١٨٩٥ و١٩١١، وقد تم استخدامه بعد ذلك لاستضافة الضيوف والزوار من السفراء والملوك، وكان آخر من زار القصر من كبار الشخصيات، أول رئيس للهند في عام ١٩٥٠، قامت العائلة المالكة بعدها بإغلاقه إلى عام ١٩٩٥ .

### تشارمينار

أسسه حيدر آباد عندما خطط للمدينة ككل في عام ١٥٩١م، ويتألف من أربع مآذن يصل ارتفاعها إلى نحو ٤٨ متراً فوق سطح الأرض، ويتضمن مسافات معينة من أجل الصلاة.

### قلعة جولدوندا

بُنيت في البداية من الطين في الفترة ما بين عام ١٥١٨ و١٦٨٧، تم استخدامه للحماية من جولدوندا الذي قام بإسقاطها في النهاية.

### مقابر قطب شاهي

بُنيت مقابر سلالة شاهي من الجرانيت الرمادي وتتميز بارتفاعاتها الكبيرة والطرز المعماري الهندوسي.

### مسجد مكة

يقع إلى الجنوب الغربي من تشارمينار، وضع حجر الأساس للمسجد السلطان محمد قولي قطب سنة ١٦٩٤؛ وهو الشاه الخامس من سلالة قطب سلاطين جولدوندا (حيدر آباد فيما بعد) ، جُلِبَت تربة القوس المركزي للمسجد من مكة المكرمة ومنها

تسمى مسجد مكة ، تم نحت ثلاث واجهات مقوسة من قطعة واحدة من الجرانيت تم نحتها في المحجر مدة خمس سنوات ،؛ ومساحة المسجد ٣٩,٦ الف قدم ؛ بطول ٢٢٠ قدم وعرض ١٨٠ قدم ؛ مبنى من الجرانيت ويتسع لحوالى مائة الف مُصلى ؛ عمل فى البناء ثمانية الف عامل وإنتهى العمل به فى عهد الإمبراطور المغولي أورنجزيب بعد ضم حيدر آباد ، قال جان باتست تافرنيه المستكشف الفرنسى أن البناء تم فى ٥٠ عاما وهو سيكون عند اكتماله الأروع فى الهند كلها ، وأن حجر الجرانيت الضخم المستخدم فى البناء إنجاز خاص فصخرة بهذا الحجم الهائل أخذت خمس سنوات عمل فى المحجر من حوالى ٥٠٠ الى ٦٠٠ رجل ، وتطلب نقله إلى المسجد الاستعانة بحوالى ١٤٠٠ ثور.

وقمة المآذن المرتفعة من أعلى سقف المسجد تكون مقوسة بالإضافة للقبة فهي أيضا مقوسة بدقة، وتزين نقوش القرآن الكريم العديد من الأقواس والأبواب عند مداخل المسجد، ويقع الهيكل الرئيسي للمسجد بين عمودين ضخمين مصنوعين من قطعة واحدة من الجرانيت، وزوايا المسجد المدعمة لهيكل المسجد مزينة بزخارف نباتية وأفاريز على الأقواس ؛ ويُشبه مسجد مكة جهار منار وجولكندا.

بُنيت الأسوار من ألواح الجرانيت على شكل قواقع مقلوبة تطفو على الركائز، وتقع المآذن فى زوايا المسجد.

تصدع المسجد لعدم الصيانة ؛ وفي الثامن عشر من مايو عام ٢٠٠٧ انفجرت قنبلة وضعت فى هاتف محمول فى محل الوضوء ، وتم إبطال عبوتين ناسفتين ؛ وأسفر الحادث عن مقتل ستة عشر شخصا منهم خمسة قتلوا من جراء إطلاق الشرطة العشوائى للنار للسيطرة على المواطنين.





مسجد مكة



قصر فلکنوما



تشارمینار

## نهاية سلطنة نظام ضم حيدر آباد للهند

هاجمت فرقة من الجيش الهندي مدعومة بلواء دبابات إمارة حيدر آباد عام ١٩٤٨ ، لضمها الى الهند ، وإستسلم جيش حيدر آباد المكون من ستة آلاف جندي و ١٨ الف من المتطوعين المدنيين بعد ٥ أيام من القتال المتفرق، بعد أن رأى قائد جيش حيدر آباد الجنرال سيد أحمد العيدروس وهو حضرمي الأصل أن لا أمل في المقاومة وكان من عادة النظام أن يجعل جيشه من الحضارمة ، وضمت الهند السلطنة ، ثم قامت بعد سنة بتقسيم الولاية على أربع ولايات على أسس لغوية، واختفت بذلك ولاية حيدر آباد ، ويقال أن بها ٤٩ لغة .

عاملت الهند النظام معاملة تناسب مكانته ، فلم تصادر ثروته وكان النظام أغنى رجل في العالم في أيامه ، تركت له بعض قصوره ، وقدرت ثروة نظام سنة ١٩٤٠ بمبلغ ٢ مليار دولار أمريكي تعادل آنذاك ٢% من حجم الاقتصاد الأمريكي، وتصدرت صورته غلاف مجلة تايم الأمريكية سنة ١٩٣٧ على أنه أغنى رجل في العالم، وبعد احتلال الهند لحيدر آباد، أصدرت وزارة المالية لحكومة عموم الهند في بياناتها أن دخل حيدر آباد السنوي بلغ ما يعادل بليون دولار، ويعتقد أن النظام بقي أغنى رجل في آسيا حتى وفاته سنة ١٩٦٧، وحينها قُدرت تركته بمبلغ بليون دولار، وكانت محور دعاوى عديدة بين ورثته ، فقد كان للنظام ٧ زيجات، و ١٩ ولداً و ١٩ ابنة، وتزوج أكبر أولاده أعظم جاه إبنة السلطان العثماني عبد المجيد الثاني، وبعد خسارته الإمارة تبرع في سنة ١٩٥٣ بمبلغ ٥٠ الف جنيه للمركز الإسلامي في ريجنت بارك في لندن.

كان لدى نظام حيدر آباد مجموعة من المجوهرات والمصوغات النفيسة التي تعد من أهم مجموعات المجوهرات في العالم ورثها عن سلاطين حيدر آباد ، وتضم المجموعة ١٧٣ جوهرة من نفائس الألماس والزمرد واللؤلؤ .

تركت الحكومة الهندية المجوهرات أمانة لدى النظام دون حق التصرف فيها باعتبارها تراثاً وطنياً، وبعد وفاته اشترتها الحكومة الهندية من ورثته بمبلغ يعادل ٧٠ مليون دولار، وهو ثمن يقل كثيراً عن قيمتها الحقيقية التي قدرت بمبلغ ٣٥٠ مليون دولار.

مول نظام حيدر آباد آصف جاه السابع معظم تكاليف إنشاء الجامعة النظامية التي أسسها شيخ الإسلام محمد أنوار الله خان الفاروقي سنة ١٨٧٦، و دائرة المعارف النظامية التي نشرت كثيراً من الكتب الإسلامية ؛ وقد عمل في الدائرة محققون عرب

وهنود وعجم من مسلمين منهم المستشرق الألماني فريتس كرنكو الذي اعتنق الإسلام وتسمى سالم الكرنكوي المتوفى سنة ١٩٥٣ .

### حروب ميسور.. (٢٣٣)

إستقل حيدر علي بالإقليم عن دولة مغول الهند في الربع الأول من القرن الثامن عشر الميلادي ، وفي توسعه في سنوات حكمه الأولى هزم ماراثا عام ١٧٥٨ وإصطدم بشركة الهند الشرقية الإنجليزية ؛ فحرّضت عليه الأخيرة حُلفائها حكام حيدر آباد فشنوا حربا عليها عام ١٧٦٦ ، عُرفت بـ "حروب ميسور" ، إنتصر فيها على حيدر آباد بعد عامين وكبدهم خسائر فادحة فأثروا الانسحاب من الحرب بعد التفاوض مع الأمير طيبو .

بعد إنسحاب حيدر آباد من الحرب ؛ تصدى الإنجليز الى ميسور عام ١٧٦٨ ، لكنهم لم يتمكنوا من هزيمة الأمير طيبو عند إغارته على مقر الحكومة المحلية الإنجليزية في مدراس بساحل جنوب شرقي الهند عام ١٧٦٩ ؛ بل أن حيدر وابنه طيبو إضطرا الإنجليز إلى عقد اتفاق مدراس لوقف إطلاق النار عام ١٧٦٩ ، بعد انتزاع حيدر و طيبو حصنين إنجليزيين بمناورة خطيرة في موسم الأمطار الغزيرة ؛ اعترف فيه الإنجليز بسيطرة حيدر علي الإراضى التى إنتزعها من ميسور ؛ وتضمنت المعاهدة كذلك نسا للدفاع المشترك وتبادل الأسرى ، وبذلك إنتهت الحرب الإنجليزية الميسورية الأولى .

وفي أول إختبار للمعاهدة لم يساعد الإنجليز الأمير طيبو عندما هاجمت ماراثا أراضى ميسور بأكثر من ٣٠ ألف مقاتل عام ١٧٧١ ، وبعد نجاحه في صد ماراثا إنحاز طيبو الى الفرنسيين فى الهند عندما توتر الموقف بينهم وبين الإنجليز عام ١٧٧٦ على خلفية تأييد فرنسا للثورة الأمريكية على الإنجليز ؛ وإندلعت حرب ميسور الثانية ضد الإنجليز عام ١٧٨٠ وكبدهم قوات طيبو خسائر فادحة بمئات القتلى وأسرت منهم ٤ آلاف من الإنجليز وحلفائهم المحليين ، وشاركت قوة فرنسية قوات ميسور فى المعركة .

وفي غضون ذلك توفى القائد حيدر علي عام ١٧٨٢ ؛ وكان الإنجليز قد جلبوا تعزيزات عسكرية من كلكتا وانتهت الحرب عام ١٧٨٤ بتوقيع معاهدة مانجالور اعترف فيها الإنجليز بطيبو سلطاناً على ميسور مقابل إطلاق سراح الأسرى .

وفي العام التالي ١٧٨٥ ؛ انشغل السلطان طيبو بسلسلة من الحروب مع ماراثا وهاجم مملكة ترافانكور المتحالفة مع الإنجليز عام ١٧٨٩ ؛ فإنطلقت شرارة الحرب الميسورية الإنجليزية الثالثة ؛ فى وقت مُتزامن مع إندلاع الثورة الفرنسية ، ما أدى لعدم

حصول طيبو سلطان على دعم فرنسا ضد الإنجليز وحلفاءهم المحليين ، وتلاحقت الهزائم على الميسوريين ففقدوا نصف أراضيهم، وحوصر طيبو في معقله بحصن سرينجاباتام ، فإضطر إلى توقيع معاهدة سرينجاباتام عام ١٧٩٣ تنازل فيها عن أراض للإنجليز وسلمهم ولديه الصغيرين رهائن لحين دفعه الغرامة الحربية التي قررها الإنجليز عليه.

في غضون ذلك وقعت الحرب بين الجمهورية الفرنسية وبريطانيا ؛ وخطت فرنسا إنتزاع الهند من يد الإنجليز لتقويض قُدرتهم الإقتصادية على مواصلة الحرب وكان التعاون مع السلطان طيبو سلطان ميسور أحد ركائز الخطة ؛ وكانت حملة نابليون بونابرت على مصر عام ١٧٩٨ خطوة في الطريق الى الهند ؛ وكان الإنجليز على علم بالمخطط الفرنسي ؛ فحشدوا وحلفاؤهم أكثر من ٥٠ ألف مقاتلٍ من أفضل قواتهم مزودين بمدفعيةٍ متقدمة وفرضوا حصارًا مشددًا على معقل السلطان طيبو في سريرانجاباتانا في نفس العام (١٧٩٨) وأصرروا على إستسلامه غير المشروط ؛ ولكنه صمد حتى ربيع ١٧٩٩، شن خلال تلك الفترة عدة هجمات ضد الإنجليز ، ولكنه عجز عن هزيمتهم لقلّة قواته التي لم تزيد على ٣٠ ألف مقاتل ، وقُتل في المعركة بسبب خيانة وزيره الأمير صادق الذي رأى أن لا فائدة من إطالة أمد القتال.

بلغت سلطنة ميسور قمة قوتها الاقتصادية والعسكرية في النصف الأخير من القرن الثامن عشر في عهد السلطان حيدر علي وابنه السلطان تيبو عندما كانت لها اليد الطولى على جنوب الديكان ؛ بعد صراع مع كل من ماراثا وسلالة نظام الحاكمة لحيدر آباد، ومملكة ترافنكور والبريطانيين ؛ و من الجدير بالذكر أن السلطان طيبو كان قد صنع " صاروخ ميسور" وهي قذيفة مداها كيلومترين كانت تبث الرعب بدويها المخيف في الحرب ، وإنتهت هذه القوة بوفاة تيبو في الحرب الميسورية / الإنجليزية الرابعة عام ١٧٩٩.

أعاد البريطانيون أسرة ووديار إلى العرش وحكم حتى استقلال الهند عام ١٩٤٧، حين انضمت ميسور إلى اتحاد الهند..



ميسور

سجلت الدراما الهندية النضال العظيم للسلطان طيبو ضد الاحتلال الإنجليزي، لكن تفاقم موجة التعصب بين الهندوس ضد تاريخ المسلمين في الهند حاول النيل من السلطان طيبو وإتهموه بأنه كان إرهابياً يضطهد الهندوس ؛ وعليه نظمت بعض الحركات اليمينية مظاهرة عام ٢٠١٥ في مدينة مومباي احتجاجاً على إطلاق اسم تيبو سلطان على أحد المجمعّات الرياضية ، ودعت إحدى الولايات الهندية عام ٢٠٢٠ إسقاط نضال هذا البطل من مناهج التاريخ، لكنها ما لبثت أن علّقت قرارها بعد موجة واسعة من الاعتراضات.

محمد بهادر شاه  
نهاية دولة المغول  
١٨٣٧ - ١٨٥٧

الثورة الكبرى  
عام ١٨٥٧



### سقوط دولة المغول

ضعفت دولة المغول في أوائل القرن الثامن عشر ، فنهشت أراضيها إمبراطوريات ماراثا، والسيخ، وسلطنة ميسور، وسلالة نظام الملك، ونواب البنغال ومرشد آباد ؛ ثم جاء دور شركة الهند الشرقية الإنجليزية فانتزعت عدة مناطق بين منتصف القرن الثامن عشر حتى منتصف القرن التاسع عشر ؛ بعد انتصارها على السلطان المغولي شاه عالم الثاني في معركة بوكسار سنة ١٧٦٤ ؛ بعدما أرغمته على منح الشركة حق تحصيل الإيرادات في مقاطعات البنغال وبيهار وأوديشا ؛ وسرعان ماوسعت الشركة أراضيها حول قواعدها في بومباي ومدراس ؛ واشعلت لاحقا الحروب الأنجلو- ميسور (١٧٦٦-١٧٩٩) وحروب الأنجلو- مارثا (١٧٧٢-١٨١٨) فاستولت على المزيد من أراضي الهند.

أحكم الإنجليز سيطرتهم على بقايا دولة المغول وبلغ بهم الأمر أنهم كانوا يتحكمون فيمن يدخل أو يخرج من "دهلي"؛ وعمدوا إلى تغيير الطابع الإسلامي لبعض المناطق الهندية ذات الأهمية وأذكوا العداوة بين المسلمين والطوائف الأخرى و حاربوا التعليم الإسلامي وصادروا الأوقاف الإسلامية ؛ وأصبح سلاطين المغول في يد الإنجليز مجرد دُمي أسيرة في القلعة الحمراء بلا سلطان وأصبح "محمد أكبر شاه الثاني" فعليا في حكم الموظفين لدى الإدارة البريطانية يتقاضى منهم مرتبا يتعيش به .

وبوفاة أكبر شاه الثاني عام ١٨٣٨ ؛ تولى ابنه محمد بهادر شاه ظفر .

### محمد بهادر شاه ظفر

هو أبو الظفر سراج الدين محمد بهادر شاه ظفر، ويُعرف باسم بهادر شاه أو بهادر شاه الثاني آخر أباطرة مغول الهند ؛ والده أكبر شاه الثاني وأمه لالباي الهندوسية ؛ أصبح امبراطوراً في عمر الستين ؛ والحكم الفعلي في يد الإنجليز وهو لا حول له ولا قوة يذكر اسمه في المساجد، وتضرب النقود باسمه فقط ، ثم أنذروه أنه آخر ملك يسكن القلعة الحمراء لأنهم سيستخدمونها ثكنة عسكرية، وأن مخصصاته ستنتقطع بعد وفاته ، وكان هذا يعني القضاء على دولة المغول.

### الاستيلاء المدني

غضب المسلمون وأعلنوا الجهاد ضد الإنجليز حتى يردوا الحكم إلى أهله ؛ وتزامن هذا مع حالة من السخط العام عند كل الفئات ضد عسف الإنجليز في كل المجالات ، وعلى رأسها الأضرار التي الحقتها السياسات الاقتصادية لشركة الهند الشرقية بالمجتمع الهندي ممثلة في الضرائب القاسية على الأراضي مع مُحاباة ملاك الأراضي الأثرياء ؛ وبعض القوانين التي أصابت النبلاء بالضييق كقانون الانقضاء (Doctrine of lapse) الذي أبقدهم الألقاب والأملك علاوة على تدخل الشركة الإنجليزية في



نظام الميراث التقليدي للأمرء برفض إعتبار الأبناء المتبنين ورثة قانونيين فى الحكم ؛ وينتمى الى هذه المجموعة نانا صاحب وإن كان الى حد ما محابى للإنجليز ؛ والملكة راني لاكشمي باي بطلة ماراثا المقاتلة ملكة جانسى إحدى قادة التمرد الرئيسيين ؛ وكان سبب ثورتها رفض شركة الهند الشرقية الاعتراف بصبى تبناه زوجها الملك قبل وفاته وريثا للعرش مما اغضب لاكشمي باي فأقسمت ألا ينال الإنجليز جانسى أبدا .

إستياء الهندوس من تدخل الإنجليز فى المقدرات الهندوسية مثل إلغاء الستى وإضفاء الشرعية على زواج الأرامل الهندوسيات وهو محرم فى الهندوسية ، و إنتهاك الإنجليز لُقُدسية النظام الطبقي الهندوسى بترفيع أشخاص من الطوائف الأدنى الى مستويات عُليا ؛ وتضمين المناهج الدراسية قصص تزدرى الديانات الهندية وتنتهك أخلاق الفتيات الصغيرات .

بالإضافة الى تغافل النظام القضائي الإنجليزى عن عمليات تعذيب الوحشية لضباط الشركة للهنود ؛ فقد كشفت الكتب الزرقاء الرسمية لشرق الهند ١٨٥٥-١٨٥٧ التي عُرضت أمام مجلس العموم خلال دورتي ١٨٥٦ و ١٨٥٧ ؛ بتبنى القانون سلسلة طويلة من الطعون تفويتا لتطبيق العدالة على مرتكبيها .

## تمرد الجنود الهنود

### فى جيش الشركة الإنجليزية

وكانت هناك تراكمات طويلة الأمد من الإستياء بين الجنود الهنود المنضمين الى الجيش البريطانى لأسباب مهنية وتنظيمية ومالية ؛ وكانوا ٣٠٠ ألف هندى أى ستة أضعاف المكون الإنجليزى البالغ عدده ٥٠ الفا فى الجيش ؛ وكان تقسيم القوات يخضع لنظام طائفى غريب يحافظ على الفروق الطبقيّة فى المجتمع الهندوسى ؛ فقسمت القوات إلى ثلاثة جيوش جغرافية (جيش بومباي وجيش مدراس وجيش البنغال) كان جيش البنغال من الطبقات العليا (راجبوت وبوميهار) ومعظمهم من أوده وبيهار، بينما تكون جيشا مدراس و بومباي من طبقات محلية محايدة ، وقد أثار هذا التقسيم بعض الحساسيات

اندلعت أولى إنتفاضات الجنود الهنود سنة ١٨٠٦ فيما سُمى تمرد فيلور بسبب لوائح الزي العسكري الموحد الذي خلق استياء عند السيوي الهندوس والمسلمين ؛ أما الشرارة التي اشعلت الثورة الكبرى فكانت ذخيرة بندقية إنفيلد الجديدة ؛ التي إستلزم تعمیرها أن يعض الجندى الخرطوشة لإخراج المسحوق عند تقيم البندقية ؛ وكانت تغطى بلفافى مطلية بالشحم ؛ وأثار الجنود أن الشحوم المستخدمة فى هذه الخراطيش من دهن بقرى وهو مُحرم عند الهندوس ودهن خنزير وهو محرم عند المسلمين ؛ وهيج الأمر بين الجنود سخرية عامل متدنى الطبقة من جندى هندى أعلي طبقة ، عندما ذكر له أنه فقد طبقتة العليا بسبب مضغه الشحم المحرم ، فسرت شائعات بأن البريطانيون سعوا لتدمير ديانات الشعب الهندي ؛ خاصة

وأن الجنود الهنود كانوا يرتابون من وجود المبشرين ويعتبرونه دليل على خطة الشركة لتحويل الهندوس والمسلمين إلى المسيحية.

### الثوار في القصر الإمبراطوري

بدأت الثورة في ١٠ مايو ١٨٥٧ بتمرد الجنود في حامية بلدة ميروت على بعد ٤٠ ميل (٦٤ كم) شمال شرق دهلي؛ وقتلوا بعض قادتهم ثم انطلقوا إلى دهلي ثائرون، ومالبت التمرد أن يمتد إلى حاميات أخرى مصحوبا بانتفاضة مدنية تركزت في سهل الغانج الأعلى ووسط الهند، و الشمال والشرق، وتوجه الثوار إلى القلعة الحمراء مقر الإمبراطور المغولي، و وصلت طلائع سلاح الفرسان الثالث إلى دهلي صباح يوم ١١ مايو ١٨٥٧؛ و دعوا الإمبراطور من تحت نوافذ القصر إلى الاعتراف بهم وقيادتهم؛ ولكن الإمبراطور ظنهم من ملتسى الحوائج وفوجئ بانضمام من في القصر إلى التمرد؛ وانتشرت الثورة في المدينة؛ وقتل الثوار وغيرهم من حشود مثيري الشعب المسؤولين الأوروبيين وخدمهم والهنود المسيحيين وأصحاب المتاجر واختبأ بعض البريطانيين في دهلي من ملاحقة الثوار؛ ولجأ البعض منهم إلى ميروت ومنتجعات جبال الهملايا.

انضم إلى التمرد بعض أفواج مشاة البنغال الأهلية المرابطة في المدينة أو بالقرب منها، وامتنعت الأخر عن مهاجمة المتمردين الذين حاولوا إقتحام ترسانة الأسلحة والذخيرة وعندما بدت المقاومة ميؤوس منها فجرها الحرس الإنجليزي وسمع دوى انفجارها في فترة مابعد الظهر لعدة أميال وأسفر الانفجار عن مقتل الكثيرين في الشوارع والمنازل المجاورة؛ فتشجع الجنود الهنود المتمركزين حول دهلي على مبعدة ٢ ميل إلى تمرد مفتوح؛ وإستولوا على أسلحة ومخزن ذخيرة يضم ٣ آلاف برميل بارود بدون مقاومة.

### إرغام الإمبراطور

#### على قيادة الثورة

تشير معظم الروايات المعاصرة والحديثة إلى إكراه الجنود بهأثر شاه على توقيع بيان بقبوله منصب إمبراطور الهند بأكملها؛ ويعنى أن دولة المغول ما زالت تحتفظ بمكانة كبيرة في جميع أنحاء شمال الهند رغم تدهور حالها، وأقسم الأهالي والنبلاء والشخصيات البارزة بالولاء للإمبراطور، فأصدر الإمبراطور عملات معدنية باسمه لتأكيد مكانته الرسمية؛ وتفاجأ البريطانيون الذين لم يأخذوا قوة السلطة المغولية على محمل الجد لفترة طويلة بالكيفية التي استجاب بها الناس لدعوة الإمبراطور العجوز بهأثر إلى الحرب.

دعا مفتي لاهور نظام الدين السكان المحليين لدعم قوات راو تولا رام؛ مما كان له أثر في تكبيد الإنجليز خسائر كبيرة في الاشتباكات اللاحقة في نارنول (نسيبور)؛ وبعد هزيمة راو تولا رام في ١٦ نوفمبر ١٨٥٧، ألقى الإنجليز القبض على المفتي و شقيقه يقين الدين ونسيبه عبد الرحمن المعروف باسم نبي بخش في تيجارا وشنقوهم

في دهلي، وذكر معجم (The Imperial Gazetteer of India) أن مسلمو الراجبوت غورجار وراغر أثبتوا خلال التمرد الهندي أنهم الأعداء الأكثر عنادًا للبريطانيين في منطقة بولند شهر.

### الهجوم على دهلي

وبعد شهرين من اندلاع التمرد دفعت الشركة الانجليزية بقوات محلية لمهاجمة دهلي لحين وصول تعزيزات عسكرية كافية من بريطانيا لمواجهة تعاضم الثورة ، وكانت بريطانيا قد بعثت بصفة عاجلة جزء من قواتها المشاركة في حرب القرم برا عبر فارس ومن قواتها المتجهة إلى الصين ؛ لحين وصول قواتها المرسله بحرا من الجزيرة البريطانية ، وطاردت قوات الشركة الثوار حتى دهلي ؛ وحاصرت المدينة من ١ يوليو إلى ٢١ سبتمبر، ولما تعذر إقتحام المدينة المحصنة بأسوارها الضخمة جلبوا مزيدا من القوات الهندية من البنجاب ضمت سيخا وبشتون بقوة ٣٤ الفا ، وقصفت دهلي ودمرت المدفعية منازل الأمراء المسلمين المحتوية على ثروات فنية وأدبية ونقدية لا حصر لها .

تمكنت قوة الشركة الإنجليزية في النهاية من إحداث ثغرة في اسوار دهلي بعد خسائر فادحة جعلت القائد الإنجليزي جون نيكولسون يفكر في فك الحصار والانسحاب لولا ضغط صغار الضباط الذين أقتعوه بالتمسك بالثغرة ؛ وبعد أسبوع من قتال الشوارع قُتل فيه عدد كبير من الأهالي ونُهبت المدينة حتى وصل البريطانيون إلى القلعة الحمراء في ٢٠ سبتمبر ١٨٥٧؛ وقبضوا على بهادر شاه وأبنائه في ضريح همايون .

وفي اليوم التالي قتل الضابط البريطاني وليام هودسون ميرزا موغال وميرزا خزير ولدا السلطان ومعهم ميرزا أبو بكر حفيده بالرصاص في خوني دروازة (البوابة الدموية) بالقرب من بوابة دهلي ؛ وفاجأ الإنجليز الملك وهو في محبسه بتقديم رؤوسهم في إناء طعامه المغطى و لما كشفه عقب في ثبات وهو ينظر إلى من حوله إن أولاد تيمور البواسل يأتون هكذا إلى آبائهم محمرة وجوهم ( كناية عن النصر والفوز).

### محاكمة بهادر شاه

بعد محاكمة صورية في "دهلي" في يناير ١٨٥٨م، صدر حكم بإعدام بهادر شاه بتهمة التعاون مع الثورة والمشاركة في قتل الإنجليز رجالاً ونساء وأطفالاً، (أكدت المصادر أن أوامر الشاه كانت صريحة بعدم الاعتداء على غير المحاربين من الإنجليز) ؛ وحُفف الحكم إلى النفي إلى رانجون عاصمة بورما، ورُحل هو وأسرته وبعض أفراد حاشيته إلى بورما في ١٧ أكتوبر ١٨٥٨م ، وخصصوا له مكاناً لمحبسه ولزوجه وأولاده مكاناً آخر وخضع الجميع لحراسة مشددة، وبنفيه سقطت دولة المغول في الهند.

### وفاة بهادر شاه

توفى بهادر شاه في محبسه عصر يوم الجمعة الموافق ٧ من نوفمبر ١٨٦٢ وقد بلغ من العمر ٨٩ سنة، قضى منها أربع سنوات في منفاه ، و صور مأساته شعرا قبل وفاته بأيام يناجى فيه رسول الله .

ونكل الإنجليز بالثوار على النحو الذى سبق ذكره فى المتن فى شهادات ضباط انجليز ؛ وما يلى صورة بإعدام ثوار المسلمين على فوهة المدافع .



صور إعدام الإنجليز للثوار المسلمين على فوهات المدافع

وأصدرت الملكة فكتوريا في نوفمبر ١٨٥٨م أى بعد شهر واحد من نفي الإمبراطور المغولى ، قرارا بنقل حكم الهند من يد شركة الهند الشرقية البريطانية إلى الحكومة البريطانية، وبذلك دخلت الهند رسمياً ضمن مستعمرات التاج البريطاني، وظلت كذلك حتى اضطر الإنجليز للجلاء عنها في سنة (١٩٤٧م).

وبذلك إنتهت الحقبة المغولية التى إستمرت ثلاثمائة عام فى حكم الهند

وبقيت حيدر آباد فى جنوب الهند ؛ الدولة المسلمة الوحيدة فى شبه القارة الهندية حتى عام ١٩٤٨ الى أن ضمتها جمهورية الهند بعد الإستقلال بعام .

### الثورة فى بقية أرجاء الهند

استمرت الثورة فى معظم أرجاء الهند ؛ وشارك فيها كثير من الهنود ؛ فقد تمردت ٥٤ كتيبة من أصل ٧٤ كتيبة مشاة هنود من جيش البنغال ؛ و تمردت ثلاث أفواج من ٢٩ فوج من جيش بومباي .

فى حين لم يتمرد جيش مدراس ؛ وبقى معظم جنوب الهند محايد باستثناء بعض أعمال عنف ؛ لأن سلطنات ميسور ونظام الملك لم تخضع للحكم البريطانى ؛ وكانت مشاركة البنجاب محدودة لإنحياز السيخ للشركة الإنجليزية .

بينما قاتل هنودا إلى جانب الشركة الإنجليزية ؛ وإرتكب الجانبان الهندى والإنجليزى العديد من المذابح خلال الثورة بعضها بسبب إساءة الفهم مثلما حدث فى مذبحه الرهائن النساء فى بيبجار التى إرتكبتها خمسة من الهندوس والمسلمين من العاملين لدى نانا صاحب بناء على توجيهات خاطئة وهو من المتعاون مع الإنجليز لسوء تفاهم .

### استمرار رانى لاکشمى

#### زعيمة ماراثا فى الثورة

استمرت ملكة ماراثا رانى لاکشمى حاکمة قلعة جانسى المحاربة ؛ فى الثورة بعد سقوط دهلى وإعتقال الامبراطور بهادر ، وشجع صمودها فلول الثوار المسلمين فى دهلى على الإنضمام اليها للدفاع عن حصنها ضد قوات الشركة الإنجليزية ، ومن هؤلاء كارم الذى قُتل فى المعركة وهو يدافع عن الملكة ؛ وكوس خان مسؤول المدفعية الذى خلده إسهاماته فى قائمة أبطال المعركة ، وبعد معارك قاسية وضخمة اضطرت الملكة أمام القوة الإنجليزية العاتية الى الفرار الى جوالبور ؛ وبعد سقوط قلعة جانسى عام ١٨٥٨م ذبح الإنجليز أكثر من خمسة آلاف من مقاتلى المملكة إنتقاما للمقاومة البطولية لمقاتليها ؛ وفى جوالبور إستنهضت الملكة روح الثورة لدى جنودها للمشاركة فى الثورة بعد تراخى عزم ملكها فى مواجهة الإنجليز ؛ فقادتهم فى المعارك الى أن قُتلت فى ميدان القتال .

## خاتمة

### تقويم عام للحقبة

تُعد فتوح الترك الأفغان للهند فى القرن الحادى عشر الميلادى ؛ البداية الحقيقية للفتح الإسلامى للهند وحقيبتها الإسلامية ؛ لطول عهدها وعمق تأثيرها الذى إمتد لثمانية قرون حتى القرن الثامن عشر ؛ و لا يسعنا إلا الإعراف بجبروت هؤلاء الفاتحين الجبابرة الذين أحكموا قبضتهم عليها لثمان قرون على ضخامتها بقليل من الجند والمال ولكنهم مسلحون بأمضى أسلحة الإسلام (الجهاد) ؛ لقد فاق هؤلاء المسلمون عتاة الغزاة من قبلهم الذين عجزوا عن إجتياز عتباتها ؛ فالإسكندر الأكبر خسر نصف جيشه على أبوابها وكان سعيد الحظ بعدم الخوض فيها وإلا ما ناله منها إلا الخسران .

و صانت صلابة سلاطين دهلى الهند من بوائق جبروت المغول ؛ فحالوا دون تقدم جحافل الموت والخراب المغولى فى أرض الهند بعد أن ألحقوا بهم هزائم لم يعهدها من قبل ؛ فأنقذت دهلى الهند بكاملها من شرورهم ؛ ولم يدخل المغول الهند إلا بإسلامهم لما دعاهم أمراء دهلى .

وهؤلاء الجبابرة المسلمون مدوا سلطانهم على كافة مناطق شبه القارة الهندية التى لم يخلوا شبرا منها من حكم المسلمين فى فترة ما من تاريخ البلاد ، ويرجع الفضل فى تمدد سلطان المسلمين الى أنحاء الهند من أقصاها الى أقصاها الى ثلاثة سلاطين من سلاطين الحقبة هم ذوى الفتوح الكبرى فى شبه القارة الهندية ليس من بينهم جلال الدين أكبر الذى أطلقوا عليه موحد الهند منذ عهد أشوكا ؛ أما سلاطين الفتوح الكبرى فهم علاء الدين الخلجى ومن بعده محمد طغلق الرهيب والأخير أورنجزيب (خرائط الملحق ٢ تنسب الفضل لأصحابه) .

فلقد أضرت هرطقة جلال الدين أكبر بطول عهده البالغ نصف قرن تقريبا ضررا بليغا بمد الإسلام ؛ الذى خاض فى معظمه فى ممتلكات سلطنات المسلمين الأخرى التى كانت تعمل على مد الإسلام ؛ ولم يُفد ثراء دولته كأغنى دول الحقبة وأكثرها ترفا وقوة الإسلام كثيرا ؛ فبدلا من تشجيع الدعوة بين أوساط الهندوس وإصلاح أمورهم وتقديم حوافز مادية تقربهم من الإسلام إنشغلوا بالحروب البينية والصراع على السلطان فغفلوا عن بروز قوى معادية حولهم محلية وأجنبية ؛ وكان الترف قد أفسد الدولة فضعفت ومن ثم إنهارت .

## لا يمكن للهند أن تكون إلا دولة عظمى

### (خلاصة شخصية الهند)

والهنود أيضا جبابرة لم ينقطع الإقتتال بينهم طوال تاريخهم قبل الفتح الإسلامي وبعده ؛ وإمتصت الهند بقوتها غزاة الجيرة بعد غزاة ؛ ولكنها رفضت الغزاة الأوربيين فى كل الأحوال ؛ فردت الإسكندر المقدونى على أعقابه وقاومت من جاء بعده منهم وتعاونت مع المسلمين فى النضال ضد سيطرتهم .

و من قوة الهند صحوتها بعد سُبَات إمتد لسبعة قرون تحسبه ضعفا لكنها صحوة ما قبل عودة الوعى القومى لتبنى حكمها الذاتى ودولته (ماراثا) لتتاجز دولة المغول القوة ، وترغمها على التراجع الى حدود دهلى الضيقة بعد أن كانت تسيطر معظم شبه القارة الهندية .

ومن عجائب الهند كثرة نساؤها المحاربات دفاعا عن العروش ؛ رائدتهن السلطانة راضية ومعه من المسلمات تشاند بيبى زوجة علي عادل شاه الأول حاربت دفاعا عن السلطنة ضد الغزو المغولى بقيادة مراد ابن أكبر ؛ ومن الهنديات الملكة راني درگافاتي الراجبوتية المحاربة الوصية على عرش إمارة گوندوانة قاومت بإستماتة غزو جيش الإمبراطور أكبر لإمارتها سنة ٩٧٢هـ / ١٥٦٤م ، والملكة راني أولال الجينية فى حربها مع البرتغاليين ١٥٧٠ بالتضامن مع أسد البحار المسلم ماراكار وعادل شاه بيجابور ؛ و راني لاکشمي ملكة ماراثا حاکمة قلعة جانسى التى خاضت بالتضامن مع امبراطور دهلى بهادر النضال فى الثورة الهندية العظمى ضد الإنجليز.

والهند بالمقومات الجغرافية والبشرية وثرواتها الطبيعية ، كان لها أن تتبوأ مكانا عظيما فى عالم كل الأزمنة ، تعاضم المسلمون بشأنها فجعلوا منها دولة عظمى فى سابقة لم تحظ بمثلها الهند من قبل ؛ فسلطنة دهلى ودولة المغول كانتا أعظم الإمبراطوريات فى تاريخ الهند ولثمانية قرون متصلة ، ولقد تركت عظمة التاريخ الإسلامى إنطباعا راسخا بأن الهند التى لا يمكن أن تكون إلا قوى عظمى فى عالم كل الأزمنة ؛ ويكتشف هذا بانديت جواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند فى كتابه " اكتشاف الهند " فيقول " إن الهند كما صنعتها الطبيعة ، لا يمكن أن تلعب فى شئون العالم دورًا من الدرجة الثانية ، فهي إما أن تُعتبر من القوى الكبرى ذات الأهمية، وإما لن يكون لها وجود" .

## الديمقراطية الهندية والتعصب

### ضد المسلمين

يتضح من السرد السابق ؛ أن الهند تقبلت المسلمين كعاداتها في إطار ثقافتها التعددية السائدة فيها عرقيا وثقافيا ؛ وكانت هناك علاقات طبيعية حتى بين دول الإسلامية والهندوسية ؛ وما جرى بينهم في بعض الأحيان كان يتم في إطار الصراعات الطبيعية المعتادة في التاريخ الهندي ، وعلى المستوى الإجتماعي توطن المسلمون فيها وذابت الفروق في ظل التعايش الذي جمع الكل تحت غطاء المواطنة الهندية ، ولكن الإرث التاريخي الثقيل لمسألة إختلاف الدين بقيت مشكلة يؤججها التعصب المقيت من حين لآخر لإثارة القلاقل ؛ وهذا الإرث هو من مخلفات الإستعمار الإنجليزي .

وكان من المفروض في ظل الهند كأكبر ديمقراطيات العالم الحالي أن تعالج هذه السلبية التي يتعرض من جرائمها أقلية ضخمة لغبن غوغاء منفاته الإنضباط تحكم على التاريخ القديم بمعايير لا تناسب العصر الحاضر ؛ فتتطرف في ردود الأفعال التي تحرق وتدمر ، و للدراما دور إيجابي في معالجة هذه الأمور فصُنع السينما قدموا فيلم Bajrangi bhaijaan للممثل سلمان خان الذي يُظهر التسامح والتضامن وعدم التفرقة بين فننا الهندوس والمسلمين .

ولا نُنكر التأثير السلبي للجماعات السياسية التي لجأت للعنف لتحقيق مطالبها القومية ؛ على وضع الجالية المسلمة التي تتأذى بفعل تصرفات قلة تستثير العداءات ضد الهوية المسلمة ؛ فعدم إحتواء مطالب هذه الجماعات يفتح الباب امام قوى الشر الخارجية لإستقطابهم لخدمة مصالحها الذاتية .

## الدراما الهندية

### وتاريخ الحقبة الإسلامية

عالجت الدراما الهندية سير بعض الشخصيات التاريخية المسلمة بطريقة مغلوبة وغير صحيحة ؛ فإذا كانت الحقيقة تغيب عن المؤرخين فما بالك بالدراما التي تبني على حقائق التاريخ من عندياتها للإثارة أو إستكمال الصورة أو سد الثغرات ، فلا تأخذوها على أنها التاريخ ، ونضرب مثلا بالأفلام التالية :

(١) جودا اكبر Jodhaa Akbar

إنتاج ٢٠٠٨

- أغفل الفيلم عمدا هرطقة جلال الدين أكبر الدينية وردته عن الإسلام ؛ وكان تركيز الفيلم على عشقه لزوجته الراجبوتية جودها باي هير كونواري أميرة



جايبور ابنه بيهار مال كاشهورها؛ التي تُعرفها المصادر الرسمية المغولية بـ / مريم زمانى حسبما مدون على شاهد قبرها الذى بناه ابنها السلطان جهانجير نور الدين سليم.

- ولم يتطرق الفيلم لإعتناقها الإسلام طواعية ، ولا نقول بضغط من زوجها السلطان لأنه هو أصلاً مُرتد ومنقلب على الإسلام ، كما أدت فريضة الحج وبنت مسجدا فى لاهور وبنى لها ابنها مسجدا ، ولما ماتت بعد أبيه أكبر بعشرين سنة ؛ دفنها ابنها جهانجير فى قبر طبقاً للشريعة الإسلامية بالقرب من ضريح أكبر حسب طلبها .
- أغفلت الدراما الإشارة الى أنها زوجته الخامسة من بين ١٣ امرأة وفى قول آخر ٣٥ امرأة ، معظمهن أميرات راجبوتية (هندوسيات) بخلاف المحظيات ، وتزوج عليها بعد ستة أشهر من زواجه منها وأخريات كُثر فى الأعوام التالية .
- كانت سيدة أعمال ناجحة تدير تجارة توابل جنت من ورائها ثروة طائلة ، تزيد عن حجم ميزانية مملكة صغيرة من ممالك أوروبا وقتها ، وكانت تُنفق الكثير من مالها الخاص على أعمال البر والإحسان و تزويج الفقيرات وبناء المساجد .

## ٢) بادمافات Padmavat

٢٠١٧

ترتكز قصة الفيلم الى قصيدة ملحمية عن قصة خيالية للكاتب المسلم الشاعر الصوفي مالك محمد جياسى في ١٥٤٠م عن حصار علاء الدين الخلجي لشيتورا فى راجبوتان (راجستان) سنة ١٣٠٣ م أى قبل مائتى عام ؛ تتحدث القصة عن غرام السلطان بما سمعه عن جمال زوجة ملك راجبوتان فائقة الجمال ، وقد أثار الفيلم الرأى العام الهندى للمتعصبين وطلبوا عدم عرض الفيلم ، ولكن المحكمة رفضت الطلب وأكدت أن الفيلم لا يستند لوقائع تاريخية حقيقية.

## ٣) فيلم ملكة جانسى Manikarnika : Queen of Jhansi

يجسد الفيلم كفاح الاميرة لاکشميباي أثناء الثورة الهندية العظمى عام ١٨٥٧ ضد الانجليز ، وإنضمام المسلمين لها لمواصلة الكفاح تحت قيادتها بعد سقوط دهلى فى يد الإنجليز.

## ٤) باجيرو - مستانى Pajrao - Mastani

لم يُكمل سيرتها الذاتية بين زعيم ماراثا ومستانى المسلمة ابنة أمير بوند .

**(٥) ماركار أسد بحر العرب**

Marakkar: Lion of the Arabian Sea

لقبه فى التاريخ اسد البحار الهندية ؛ ذكر كاتب السيناريو أن ٦٠% من الفيلم من عنديات كاتب السيناريو لقلّة المعلومات المتوفرة عن حياته الإجتماعية ؛ ولقد كانت العلاقات نموذجية بين المسلمين والهندوس تحت مظلة ساموثيرى قاليقوت .

و هناك أفلام كثيرة تتعرض للمشاكل التى وقعت بين المسلمين والهندوس فى الهند بعد الإستقلال ؛ نتيجة لإفرازات العهد الإستعمارى الإنجليزى الذى بث العدواة بين الجانبين .

تم بحمد الله

## ملحق خرائط



مسار حملة الفاتح العربي  
محمد الثقفي  
الى السند



خريطة عامة  
 توضح تطور الحكم الإسلامي



سلطنة دلهي  
في عهد علاء الدين الخلجي  
التوسع الكبير الأول

## دولة طغلق التوسع الأكبر





## ملحق (١)

التاريخ	الحدث	إجمالي الوفيات (تقديري)
١٣٤٤-١٣٤٥	مجاعة في عهد محمد تغلق	
١٤٠٧-١٣٩٦	مجاعة دورغا ديفي	
١٦٣٠-١٦٣٢	مجاعة ديكان	
١٦٦١-١٦٦٢	مجاعة بسبب نقص الهطول المطري لمدة عامين	
١٧٠٢-١٧٠٤	مجاعة في هضبة الدكن	٢ مليون نسمة
١٧٦٩-١٧٧٣	مجاعة البنغال	١٠ ملايين شخص / ثلث السكان
١٧٨٣-١٧٨٤	مجاعة تشاليسا	١١ مليون
١٧٨٩-١٧٩٢	مجاعة دوجي بارا أو مجاعة الجمجمة	١١ مليون شخص
١٨٣٧-١٨٣٨	مجاعة أغرا	١ مليون شخص
١٨٦٠-١٨٦١	مجاعة دواب العليا	٢ مليون
١٨٦٦	مجاعة أوريسا	١ مليون
١٨٦٩	مجاعة راجبوتانا عام	١,٥ مليون
١٨٧٣-١٨٧٤	مجاعة بيهار	
١٨٧٦-١٨٧٨	المجاعة الكبرى	٥,٢٥ مليون شخص
١٨٨٩-١٨٨٨	المجاعة في أوريسا وغانجام وشمال بيهار	
١٨٩٦-١٩٠٢	سلسلة مجاعات بسبب الجفاف والسياسات البريطانية .	٦ ملايين (الأقاليم البريطانية) ، وفيات غير معروفة في الولايات الأميرية
١٩٤٣	مجاعة البنغال	١,٥-٧ مليون